الجزء الاول من شرح العالم العلامة والبحر الفهامة وحيد دهره
وفريد عصره محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفزى
الرندى على متن الحكم للامام المحقق أبي الفضل
أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندرى تغمدهما الله
بالرحمة والرضوان
وأسكنهما أعلى
الجنان

م

{ولاجل تمام النفع وضع على هامش هذا الشرح شرح المحقق شيخ الاسلام}
{الشيخ عبد الله الشرقاوى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته امين}

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير الى الله تعالى المعتمد فى غفران ذنوبه على الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله
ابن ابراهيم بن عباد النفزى الرندى لطف الله به الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال
المتوحد باستحقاق نعوت الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال المقدس عن
سمات الحدوث من التغير والانتقال والاتصال والانفصال عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادى من الضلال وعلى آله وأصحابه الذين
خلصت لهم الاعمال وصفت منهم الاحوال وعلى جميع من اتبعهم فيما لهم من محامد
الصفات ومحاسن الخلال (أمّا بعد) فانا لما رأينا كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ الامام
المحقق العارف المكاشف الولى الربانى أبى الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ونفعنا به من أفضل ما صنف فى علم التوحيد
وأجل ما اعتمد بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الجرم عظيم العلم
ذا عبارات رائقة ومعان حسنة فائقة قصد فيها الى ايضاح طريق العارفين والموحدين
وابانة مناهج السالكين والمتجردين أخذنا فى وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه
الظاهرة وكالكشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع
ما اشتمل عليه الكتاب وما تضمنه من لباب اللباب لان كلام الاولياء والعلماء بالله منطو
على أسرار مصونة وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها الا هم ولا تتبين حقائقها الا بالتلقى
عنهم ونحن فى هذه الكلمات التى نوردها والمناحى التى نقصدها غير متعينين لشرح كلام
المؤلف ولا ان ما نذكره فيه هو حقيقة مذاهبهم حسبما يفعله كل مصنف فانا ان ادعينا

ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
(أما بعد) فيقول المرتجى غفر
المساوى عبد الله بن حجازى
الخلوتى المشهور بالشرقاوى
هذه تقييدات لطيفة على حكم
العارف بالله سيدى أحمد بن
عطاء الله قدس سره وقصده بها فى
الغالب خطاب المريدين الصادقين
وترقيهم الى مقام العرفان فينبغى
لنا أن نقتصر على بيان مقصوده
بحسب الامكان * قال رضى الله
عنه

ذلك كان منا اساءة آدب تؤل بنا والعياذ بالله الى العطب وكنا قد تعرضنا للخطر والضرر
في تعاطي ما لا يليق بنا من شرح كلام السادة من أهل الله تعالى من غير خوف ولا حذر
وانما نورد ذلك على حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى الينا علمه من مذاهبهم فان
وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من النعم التي لا نحصي لها
شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا ذلك ولم نهتد الى تلك المسالك أحلناه على نقصنا
وجهلنا وانتفى عنا التعزير بقولنا وفعلنا واقتصر الامر في ذلك علينا وكانوا هم مبرئين
عما قلناه ونوينا فلا جرم اذ كان هذا مقصدنا والوجود السلامة التي جعلناها معتمدنا فينبغي
لنا ان نقدم أولا كلام المؤلف رحمه الله تعالى مستوفى ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر
والدعوى ونأتي فيه بعبارة أبسط من عبارته واشارة أجلى من اشارته ليفهم بذلك
ما عندنا في تفسير ما ذكره لا أنه تفسيره حقيقة مقررة ونذكر في أثناء ذلك كثيرا مما ناسب
عندي من الكلام المنبه عليه لتتم بذلك الفائدة في الغرض المتوجه اليه وما ظهر لنا
في كلامه من تكرار معان وتداخل فروع ومبان رأينا التنبيه عليه كالغرض وأحلنا
بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع أن يتبع فيه ما رسمناه ويكتب نص كلام
المؤلف بصبغ يخالف لونه لون ما يكتب به سواه أو يكتبهما بقلمين مختلفين في الغلظ والرقة
ويوفي من ذلك كلامنا ما حقه ليكون ذلك أقرب الى حصول المرام في استخراج فائدة
ترتيب الكلام والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذي حملني على وضعه
وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التي لا تغلب وتقديره الذي ليس
للعبد منه منجى ولا مهرب ثم الرأي الذي رأينا من المطالب والمقاصد المعظمة ونبهنا
عليه في صدر هذه المقدمة الحاح بعض الاصحاب في ذلك علي وترددهم بالمسئلة الي
لكونهم على اعتقاد صحيح في هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الحقيقة فأسعفتهم بما
طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما شاء الله تعالى وحكم وقضى به علينا وحتم
نفعنا الله واياهم بما يجري منه على يدينا ولا جعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله
تعالى مما تعاطيناه من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ به من
الوقوع في حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يقف بنا على جادة الاستقامة ويصرفنا
عن العمل بما يعقب ملامة أو ندامة ونرجو مع هذا اذ من علينا بالانتماء الى مذاهبهم
والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق بأذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم ورزقنا
شيأ من تعظيمهم وحبهم وقسطا من تكريمهم وبرهم أن لا يحرمنا من شفاعتهم ولا
يخرجنا من كنف ولايتهم ولا يطردنا عن بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم
فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم

لي سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي * في حبهم عز وجاه

(من علامة الاعتماد على العمل) أي عمل الجوارح من صلوات وأوراد وأذكار وغيرها والمعتمد على ذلك العباد والمريدون فالأولون يعتمدون عليها في دخول الجنة والتنعم فيها والنجاة من عذاب الله تعالى والآخرون يعتمدون عليها في الوصول إلى الله تعالى وكشف الأستار عن القلوب وحصول الأحوال القائمة بها والمكاشفات والأسرار وكلاهما مذموم وناشئ من رؤية النفس ونسبة الأعمال إليها حتى ينتج ما ذكر * أما العارفون فلا يرون لأنفسهم شيأ حتى يعتمدوا عليه بل يشاهدون أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى وأنهم محل لظهور ذلك فقط * وأشار المصنف رحمه الله تعالى إلى علامة يعرف بها العبد نفسه في علامة كونه من القسمين الأولين (نقصان الرجاء) أي رجائه في الله تعالى أن يدخله الجنة وينجيه من العذاب إن كان من العباد وأن يوصله إلى مطلوبه المتقدم إن كان من المريدين (عند وجود الزلل) بأن تصدر منه معصية كزنا أو غفلة عن الله تعالى وترك أوراد ومن علامة كونه من العارفين فناؤه عن نفسه فإذا وقع في زلة أو أصابه غفلة شهد تصريف الحق فيه وجريان قضائه عليه كما أنه إذا صدر منه طاعة أو لاح له مشاهدة قلبية لم ير في ذلك حوله وقوته فلا فرق عنده بين الحالين لأنه غارق في بحار التوحيد قد استوى خوفه ورجاؤه فلا ينقص العصيان خوفه ولا يزيد الإحسان رجاءه فمن لم يجد هذه العلامة فيه فليجاهد نفسه بالرياضات والأذكار حتى يصل إلى مقام العرفان ومراد المصنف بهذه الحكمة تنشيط السالك ورفع همته عن الاعتماد على شيء سوى مولاه لا التزهيد في الأعمال لأنها سبب عادي في الوصول إلى الله تعالى ولا تحقير ما تنتجه من الأحوال وغيرها لأن ذلك منة من الله تعالى لا ينبغي ردّه

القريب

اللهم إنا نتوسل إليك بحبهم فإنهم أحبوك ولم يحبوك حتى أحببتهم فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم عليهم تسليما كثيرا * وهذا حين أبتدئ وبالله التوفيق ومنه الهداية إلى سواء الطريق * قال المؤلف قدس الله سره ۞ (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) أقول الاعتماد على الله تعالى نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير حتى علومهم وأعمالهم وأحوالهم أما العارفون الموحدون فإنهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون إلى ربهم فانون عن أنفسهم فإذا وقعوا في زلة أو أصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم كما أنهم إذا صدرت عنهم طاعة أو لاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا في ذلك أنفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لأن السابق إلى قلوبهم ذكر ربهم فأنفسهم مطمئنة تحت جريان أقداره وقلوبهم ساكنة بما لاح لها من أنواره ولا فرق عندهم بين الحالين لأنهم غرقى في بحار التوحيد قد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد في رجائهم ما يأتون به من الإحسان * قال شارح المجالس العارفون قائمون بالله قد تولى الله أمرهم فإذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لأنهم لم يروا أنفسهم عمالا لها وإن ظهرت منهم زلة فالدية على القاتل لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخاء قيامهم بالله ونظرهم إليه وخوفهم هيبته ورجاؤهم الأنس به اه وأما غيرهم فبقوا مع نفوسهم في نسبة الأعمال والأفعال إليها وطلبوا الحظ لها وعليها فاعتمدوا على أعمالهم وسكنوا إلى أحوالهم فإذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم كما أنهم إذا عملوا طاعة جعلوها من أعظم عددهم وأقوى معتمدهم فتعلقوا بالأسباب وحجبوا بتفرقهم بها عن رب الأرباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعد طوره فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وإنما هو من عامة أصحاب اليمين وستأتي إشارات إلى هذا المعنى في موضع من كلام المؤلف قدس الله سره * وقد ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي والحافظ أبو نعيم الأصفهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من علمك إلا أن تتوب فقلت مجيبا لو أن التوبة تطرق بابي ما أذنت لها على أني أنجو بها من ربي ولو أن الصدق والإخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهدا مني فيهما لأني إن كنت عند الله في علم

(ارادتك التجريد) أى ميل نفسك أيها المريد الصادق الى التجريد عن الاسباب الظاهرية أى خروجك عنها وعدم معاناتها (مع اقامة الله اياك فى الاسباب) وعلامة ذلك أن يهيئها لك وان تجد ٥ السلامة فى دينك عند معاناتها وينقطع بها طمعك عما بأيدى الناس ولا يشغلك عما أنت فيه من وظائف العبادات الظاهرة والاحوال الباطنة (من الشهوة) أى من شهوات النفوس التى تدعو اليها (الخفية) وكانت شهوة لعدم وقوفك على مراد سيدك وموافقتك مراد نفسك وخفية لان ظاهر ذلك أن مرادك بالتجرد الانقطاع الى الله تعالى والتقرب اليه وباطنه ان مرادك الشهرة بالولاية لتقصدك الناس بالاعتقاد والتقرب اليك فتنقطع عما أنت بصدده فقد قال العارفون اقبال الناس على المريد قبل كماله سم قاتل وربما انقطعت بذلك عن وظائفك وأورادك وصرت تتطلع لما بأيدى الناس (وارادتك الاسباب) أى التسبب والاكتساب (مع اقامة الله اياك فى التجريد) أى بأن يسر لك القوت من حيث لا تحتسب وجعل نفسك مطمئنة عند تعذره متعلقة بمولاها ودمت على الاشتغال بوظائف العبادات (انحطاط عن الهمة العلية) لارادتك الرجوع الى الخلق بعد التعلق بالحق ولو لم يكن الا مخالطة أبناء الدنيا فماهم فيه لكان كافيا فى دناءة الهمة فالواجب على السالك أن يمكث فيما أقامه الحق فيه ويرضى به حتى يتولى الله اخراجه منه ولا يخرج بنفسه وارادته وتسويل الشيطان فيقع فى بحر القطيعة والعياذ بالله تعالى

الغيب سعيدا مقبولا لم اخف باقتراف الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدنى توبتى واخلاصى وصدقى وان الله خلقنى انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لى اليه وهدانى لدينه الذى ارتضاه لنفسه فقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين فاعتمادى على فضله وكرمه أولى بى ان كنت حرا عاقلا من اعتمادى على أفعالى المدخولة وصفاتى المعلولة لان مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة معرفتنا بالكريم المتفضل * قلت وهذه الحكاية وأمثالها ربما تقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده أو يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مؤدية بصاحبها الى ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له بصر فى هذه الطريقة أن ينكر ما ذكرناه فيقع فى الاعتراض على السادة والاولياء وفى ذلك بعده من الله تعالى أو يدعيه مقاما لنفسه من غير أن يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذى نبهنا عليه ومحال وجود ذلك ممن لم يصح مقام الفناء عن النفس فيرتكب حينئذ مساخط الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب من الزندقة والعياذ بالله سبحانه وتعالى ۞ (ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية) الاسباب ههنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال فى الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فن اقامه الحق تعالى فى الاسباب وأراده هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هى أعلى بزعمه لكن فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه فيما اقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به فى الوقت وعلامة اقامته اياه فى الاسباب أن يدوم له ذلك وأن تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بأن يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة فى دينه وقطع المطامع عن غيره وحسن نيته فى صلة رحم أو اعانة فقير معدم الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه الحق تعالى فى التجريد وأراد الخروج منه الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وسوء أدبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لان التجريد مقام رفيع أقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا أقامه الحق تعالى فى مقام الخواص فلم يحط عن رتبتهم الى منازل أهل الانتقاص * قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه من لم يأنف من مشاركة الاضداد فى الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه فى التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم والهمة حالة القلب وهى قوة ارادة وغلبة انبعاث

الذيل مقصودًا وتكون عالية ان تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال
الشاعر وأجاد

وقائلة لم علتك الهموم * وأمرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي * فان الهموم بقدر الهمم

وقال الآخر

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وما ذكرته من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد هو شئ فهمته من غاية قوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك في الشئ ادامته اياك فيه مع حصول النتائج والله أعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسئلة تنصيصا كما عن هذا الكتاب وقال باثره وافهم رحمك الله أن من شأن العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك أنه يأتي للمتسببين فيقول لهم لو تركتم الاسباب وتجردتم لأشرقت لكم الانوار ولصفت منكم القلوب والاسرار فان فلانا وكذلك صنع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به انما صلاحه في الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بأمر الرزق فيرمى في بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك في صورة ناصح كما أتى أبويك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتي المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب ألم تعلموا أن ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما في أيدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم الاسعاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت في الاسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح به عليه منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه ظلمتها ويعود القائم في سببه أحسن حالا منه لان ذلك ما سلك الطريق ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجك كما تولى ادخالك

(سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) هذه الحكمة كالتعليل لما قبلها وتصلح أيضا لما بعدها كأنه قال اراد تلك أيها المريد خلاف ما أراده مولاك لا تجدى نفعا لانه اذا كانت سوابق الهمم أي الهمم السوابق أي سريعة التأثير في الاشياء وهي قوى النفس التي تنفعل عنها الاشياء وتكون للولي كرامة يقال فعل كذا بهمته اذا وجهها اليه فوجد ولغيره كالساحر والعائن اهانة لا تنفعل عنها الاشياء الا بتقدير الله تعالى أي باذنه سبحانه فالهمم غير السوابق كهمتك أيها المريد لا أثر لها من باب أولى فمن هذا تريد نار الحرص المشتعلة في قلبه حتى يخيل له أن ذلك الشيء طوع يده وأنه يدركه لا محالة والاضافة في قوله سوابق الهمم من اضافة الصفة الى الموصوف كما تقرر وفي قوله أسوار الاقدار من اضافة المشبه به للمشبه ثم قال (أرح نفسك) أيها المريد (من التدبير) لامر دنياك وهو أن يتقدر الشخص في نفسه أمورا لا يكون عليها على ما تقتضيه شهوته ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويهتم لاجل ذلك وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه وفي تعبيره بأرح اشارة الى أن المطلوب تركه للمريد هو ما فيه تعب ومعاناة أما تدبير أمور معاشه على وجه سهل يستعين به على مطلوبه فلا بأس به ولذا ورد التدبير نصف المعيشة (فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) يعني أن الامر مفروغ منه اذ قد قام به غيرك وهو الله تعالى وما قام به غيرك لا فائدة في قيامك به فيكون قيامك به فضولا لا ينبغي أن يتلبس به ذوو العقول وأيضا فيه ترك العبودية ومضادة لاحكام الربوبية ومنازعة القدر وانما خاطب المريد بذلك لانه اذا توجه لحضرة الرب واشتغل بأوراد الطريق وأعماله تعطلت عليه أسباب معاشه في الغالب فيأتيه الشيطان ويوسوس له ويدبر في نفسه أمورا لا يقع أكثرها وذلك يشغله عما هو بصدده فيرجع عما هو متوجه له ودواء ذلك كثرة الذكر والرياضة حتى يرجع عنه الشيطان ويحصل له الراحة من تعب التدبير ولذا قال

وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب * قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركني السبب فلم أعد اليه ودخلت على الشيخ رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلوم الظاهرة ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسأله صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيأ فجاء الي فقال ياسيدي أخرج عما أنا فيه وأتجرد لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الي وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم اه كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وانما أثبتناه ههنا على طوله لانه تولى فيه بيان مسئلته التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه بيانا شافيا فنقلناه بلفظه ووددنا لو أن جميع مسائله تكون هكذا ۞ (سوابق الهمم لا تخرق أسوار الاقدار) الهمم السوابق هي قوى النفس التي تنفعل عنها بعض الموجودات باذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقولون أحال فلان همته على أمر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لا تنفعل الاشياء عنها الا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فهي على حال سبقها ونفوذها لا تخرق أسوار الاقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون للاولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعائن والساحر وقد ثبت أن العين حق والسحر حق ومعناه ما ذكرناه وحاصل ذلك أنه يجب أن يعتقد أنها أسباب لا تأثير لها ولا فاعلية وأن الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها * وكأن المؤلف رحمه الله انما أورد هذه المسئلة بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك أن وجود التدبير لا جدوى له ولا فائدة لان الهمة الفعالة اذا لم تفد في خرق أسوار الاقدار شيأ كيف يفيد في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغي أن يشتغل به ويتعب فيه ذوو العقول ولذلك قال ۞ (أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) تدبير الخلق لامور دنياهم على الوجه الذي نقوله مذموم لان الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا

بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو أن يقدر العبد لنفسه شؤنا يكون عليها من امر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبرلها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويستعد لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه واعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده وأسبابه * قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم * وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى ان كان ولابد أن تدبروا فدبروا أن لا تدبروا وهذه المسئلة أساس طريق القوم بل هى جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لان المؤلف رحمه الله أفرد فى هذا المعنى كتابا سماه التنوير فى اسقاط التدبير أحسن فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه بحيث يستغنى به عما صنف فى هذه الطريقة من ديوان فتحصيله متعين على كل مريد نجيب ﴿اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك﴾ الشئ المضمون للعبد هو رزقه الذى يحصل له به قوام وجوده فى دنياه ومعنى كونه مضمونا أن الله تعالى تكفل بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد فى السعى فيه ولا الاهتمام له والشئ المطلوب من العبد هو العمل الذى يتوصل به الى سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى من عبادات وطاعات ومعنى كونه مطلوبا أنه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعاة شروطه وأسبابه واوقاته بهذا جرت سنة الله تعالى فى عباده * قال الله عز وجل فى المعنى الاول الذى ضمنه للعبد وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى فى المعنى الثانى الذى طلبه منه وأن ليس للانسان الا ما سعى وقد روى فى بعض الآثار أن الله تعالى يقول عبدى أطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى بما يصلحك وذكر فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعى من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعى من الجزاء الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لا تبور * وقال ابراهيم الخواص العلم كله فى كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغى له من الوجه الذى ذكرناه من الاجتهاد فى الامر المطلوب منه وتفريغ القلب عن الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته وأشرق نور الحق فى قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة أعمى القلب وفعله دليل على ذلك * والبصيرة ناظر القلب كما ان البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة للمتقين فالتقوى هى التى يجب على العبد أن يجتهد فيها ولا يتوانى ويقصر عما يمنع منها وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد

(اجتهادك فيما ضمن لك) أى تكفل الله لك به وهو الرزق تفضلا منه واحسانا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم الى غير ذلك من الآيات (وتقصيرك فيما طلب منك) وهو العمل الذى تتوصل به عادة الى مولاك من أذكار وصلوات وأوراد وغير ذلك من أنواع الطاعات قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية فالمطلوب من المريد السعى فى قوت الارواح وهو ذكر المولى وفعل ما يقرب اليه لا قوت الاشباح لانه قائم به غيره وهو مولاه (دليل على انطماس) أى عمى (البصيرة منك) وهى عين فى القلب تدرك الامور المعنوية كما ان البصر يدرك الامور المحسوسة وفى تعبيره بالاجتهاد اشارة الى أن طلب الرزق من غير اجتهاد لا بأس به للمريد ولا يدل على انطماس بصيرته

اشعار بأن طلب الرزق من غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن به تقصير فيما أمر به قال في التنوير في قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيا آن شئ ضمنه الله لك فلا تتهمه وشئ طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل أن ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان الله سبحانه وتعالى قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل الشهود واذا كان سبحانه قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجرى رزقه على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد أن الدنيا مضمونة لك أي مضمون لك منها ما يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أي العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم ان الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا اه

* (لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد)

حكم العبد أن لا يتخير شيأ على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال له لانه جاهل من كل وجه قد يكره الشئ وهو خير له ويحب الشئ وهو شر له * قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لا تختر من أمرك شيأ واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ودخل رجل على سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه وهو يتألم لما به فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي فقال له الشيخ أبو العباس وأنا ما سألت الله العافية فقد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودني والآن قد قطعت أبهري وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموما وسيدنا عمر رضي الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مطعونا وسيدنا عثمان رضي الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مذبوحا وسيدنا علي رضي الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مقتولا فاذا سألت الله تعالى العافية فاسأله من حيث يعلم أنها لك عافية اه فعلى العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعلم أن الخيرة له في جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه شيأ يرى ان له فيه مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله عز وجل وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

* ثم قال (لا يكن تأخر أمد) أي زمن (العطاء) بتأخر ما يقع فيه (مع الالحاح في الدعاء) بزوال أوصاف بشريتك ورفع الحجاب عنك ووصولك الى مولاك (موجبا ليأسك) أي من اجابة الدعاء (فهو ضمن لك الاجابة) بنحو قوله ادعوني أستجب لكم (فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد) فقد يكون دوام الحجاب على المريد خيرا له ليجتهد في الاعمال ويدوم خوفه من مولاه لكن الشيطان ربما أتى له وقال له لو كنت من أهل الارادة لاجابك مولاك وأزال أوصاف بشريتك ووصلك للمقصود لك وجهل أن عدم اجابته قد يكون خيرا له وقد تكون بشريته غليظة فلا تنقطع الا بعد مدة طويلة وما أتى به من المجاهدات والرياضات لا يفيد ذلك في تلك المدة * وقد شبه بعض العارفين الطبيعة بأرض ذات شوك فقد يكون الشوك غليظا كثيرا لا ينقطع الا بعد مدة ومعاناة تامة وقد يكون قليلا ضعيفا أدنى شئ يزيله وكذلك أوصاف النفوس قد تكون خبيثة كثيرة فتحتاج الى مدة طويلة وشدة معاناة في قطعها فاذا حصل المقصود ولو في آخر نفس من عمره كان هو الغاية القصوى وكان ما تعب فيه حقيرا بالنسبة لذلك وقد تكون بضد ذلك فلا تحتاج الى طول مدة وكثرة معاناة

مامن احد يدعو بدعاء الا آتاه الله ماسأل او كف عنه من السوء مثله مالم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن داع يدعو الا استجاب الله له دعوته او صرف عنه مثلها سوأ او حط من ذنوبه بقدرها مالم يدع باثم او قطيعة رحم فاذا الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق الا ان الاجابة امرها الى الله تعالى يجعلها متى شاء وقد يكون المنع وتأخر العطاء اجابة وعطاء لمن فهم عن الله تعالى ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا راى منعا او تأخيرا وان الح فى دعائه وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك الى الآخرة خيرا له فقد جاء فى بعض الاخبار يبعث عبد فيقول الله تعالى له الم آمرك برفع حوائجك الى فيقول نعم وقد رفعتها اليك فيقول الله تعالى ماسألت شيأ الا اجبتك فيه ولكن نجزت لك البعض فى الدنيا ومالم انجزه فى الدنيا فهو مدخر لك فخذه الآن حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض لى حاجة فى الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى النهى عن الاستعجال فى اجابة الدعاء فى قوله يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون فيما اخبر الله به عنهما حيث قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر انه اجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله تعالى لهما قد اجيبت دعوتكما وهلاك فرعون اربعون سنة (قال) سيدى ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى قوله تعالى فاستقيما اى على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة ونا هيك شرفا وحظا ما يحصل له بسبب مداومة الدعاء من محبة الله تعالى وموافقة رضاه فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقد جاء فى الحديث قال جبريل عليه السلام يارب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول دعوا عبدى فانى احب ان اسمع صوته رواه انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل الله له نوال حاجته لكراهة صوته وقد روى هذا المعنى ايضا منصوصا فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل اجابة دعائه قال ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه كل من لم يكن فى دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فانى اكره ان اسمع صوته فاذا كان فى دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار نفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال بخواتيمها اه وقد تكون الاجابة مرتبة على شروط لا علم للداعى بها فتتوخر لعدم وقوع ذلك او بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين اذا اراد الله ان يستجيب دعاء عبد رزقه الاضطرار فى الدعاء والاضطرار لا يحققه العبد من نفسه فى جميع

(لايشككنك في الوعد) الذي وعدك به مولاك في منام أو على لسان ملك أو بالهام رحماني (عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه) أي وان كان زمنه معينا بأن ألهمت أنه يحصل لك في الوقت الفلاني فتح أو يحصل في العام رخاء أو غير ذلك (لئلا يكون ذلك) الشك (قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) فمن وعده مولاه شيأ وان كان معين ا ا الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الموعود معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد لحكمة يريدها ومن هذا القسم ما يقع لبعض الاولياء أن يخبر بأنه يحصل في هذا العام كذا ثم لا يحصل فيقع بعض الناس في اعراضهم ومنه ما وقع له صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من اخباره للصحابة بالفتح ثم لم يحصل في ذلك العام بل في عام بعده فاذا خطر للمريد خاطر رحماني أو ملكي ثم لم يحصل مقتضاه لا ينبغي ان يشك في حصول الموعود بل ينبغي أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فمن كان كذلك فهو عارف بالله سالم البصيرة منور السريرة والا فعلى العكس من ذلك (اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل) بفتح الهمزة (عملك) أي بقلة عملك اعلم أن السالك لابد له في سلوكه من كثرة الاعمال لقطع عقبات النفوس ويصل الى حضرة الرب فاذا شرع في المجاهدة وطالت عليه المدة ربما كسل عن بعض أنواع العبادات والاوراد التي رتبت عليه فيحصل عنده شدة الهم والغم وربما تسول له نفسه الترك بالكلية مع كونه قد حصل عنده نوع من معرفة الله تعالى فارشده الشيخ رضي الله عنه الى انه اذا انفتح له وجهة من التعرف أي نوعا من المعرفة كان عرف بطريق

حالا نه قال بعضهم المضطر الذي اذا رفع الى الله تعالى يده لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعسر على أكثر الناس الوصول اليه فكيف يتحقق بما ينبني عليه وفي المسئلة التي باثر هذا تنبيه على هذا المعنى ۞ (لايشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) الحق سبحانه لايخلف الميعاد فمن وعده مولاه شيأ وان كان معين الزمن ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمئن اليه ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور السريرة والا فعلى العكس

۞ (اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والاعمال أنت مهديها اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك) معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فاذا واجه الله تعالى عبده ببعض أسبابها وفتح له باب التعرف له منها وأوجد له سكينة وطمأنينة فيها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي أن لا يكترث بما يفوته بسبب ذلك من أعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الاجر وليعلم أنه سالك به مسلك الخاصة المقربين المؤدي الى حقائق التوحيد واليقين من غير اكتساب من العبد ولا تعمل والاعمال التي من شأنه أن يتلبس بها هي باكتسابه وتعمله فلا تسلم من دخول الآفات عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما يريد من الثواب عند مناقشة الحساب وأين أحدهما من الآخر ومثاله ما يصاب به الانسان من البلايا والشدائد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير أعمال البر فان مراده أن يستمر بقاؤه في دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون حاله في طلب سعادة الآخرة حال المترفين المتورعين فلا تستخف نفسه الا بالاعمال الظاهرة التي لا كبير مؤنة عليه فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه لذته ولا تفوته شهوته ومراد الله منه أن يطهره من أخلاقه اللئيمة ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية الكمال والتمام الا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده ويكون حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة فاذا فهم هذا علم ان اختيار الله له ومراده منه خير له من اختياره لنفسه ومراده لها وقد روى ان الله تعالى أوحى الى بعض انبيائه أنزلت بعبدي بلائي فدعاني

الذوق ان الله تعالى حاضر معه مطلع على حاله وعرف ذوقا انه لا فاعل الا الله بأن حصل له تجلي الافعال الذى هو اول التجليات عندهم فلا يبالى حينئذ بقلة العمل لان ١٢ القصد من العمل القرب من حضرة الرب وفتح تلك الوجهة دليل على ذلك وعلى انه معتنى به وانه سيصير من اهل وده وقد تكون قلة العمل بسبب مرض يعوقه عنه فاذا حصل عنده نوع من المعرفة بأن عرف ان نزول المرض به خير من الصحة لما فيه من ترقيه وان الله يفعل به ما يريد فلا يبالى حينئذ بقلة العمل (فانه ما فتحها) اى تلك الوجهة (لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك) اى يواجهك بفضله ويقربك منك ويتجلى عليك بصفاته وأسمائه ولا شك ان ذلك اعظم من كثرة الاعمال الظاهرة (ألم تر ان التعرف هو مورده عليك) اى محصله لك بطريق التفضل (والاعمال انت مهديها اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك) فان هدية العبد وان كانت جليلة هى حقيرة بالنسبة الى هدية السيد وان كانت قليلة على ان هدية العبد هنا نفعها عائد عليه لا على السيد وحاصل ما ذكران قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بدونها فاذا حصل للسالك بعض المعرفة ينبغى له ان يوجه قلبه الى حضرة مولاه ليزيده من معرفته وقربه ويهتم بذلك اكثر من اهتمامه بالاعمال الظاهرة ولذا كانت أعمال العارفين الظاهرة قليلة فى اواخرهم وما زالوا يحنون الى البداية لما فيها من كثرة الانوار بسبب كثرة الاعمال

فباطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شئ به أرحمك وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده أنشطته من عقالى وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ويستأنف العمل وروى عن سعيد المقبرى قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال الله تبارك وتعالى انى ابتلى عبدى المؤمن فاذا لم يشك الى عواده حللت عنه عقدى وبدلت له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت له استأنف العمل قال أبو عبد الله محمد بن على الترمذى رضى الله عنه ولقد مرضت فى سالف أيامى مرضة فلما شفانى الله تعالى منها مثلت فى نفسى ما دبر الله تعالى لى من هذه العلة فى مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين فى قدر أيام علتى فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها الى أيهما يميل اختيارى فصح عزمى ودام يقينى ووقفت بصيرتى أن مختار الله تعالى أكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهى العلة التى دبرها لى ولا شوب فيه اذا كان فعله فشتان بين فعلك لتنجو به وبين فعله لتنجو به فلما رأيت ذلك دق فى عينى عبادة الثقلين فى مقدار تلك المدة فى جنب ما آتانى فصارت العلة عندى نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة أملا وصار الامل عطفا فقلت فى نفسى بهذا كانوا يستقرون فى البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء اه فهذه هى وجهة التعرف التى فتحها الله تعالى له وحصلت له الغبطة بها وآثرها على عبادة الثقلين والله أعلم فاذا أنزل الله تعالى على العبد شيئا من البلايا فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجددته كاره على نفسه حتى يحصل له من السكون والطمأنينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مرارته ويوجده حلاوته وعند ذلك يكون حاله فى بلائه حال الشاكرين من الفرح والاغتباط به فيرى من حق شكره أن يأتى بما يمكنه من أعمال بره واعتبر جميع ما قلناه فى هذه المسئلة بالحكاية التى ذكرها أبو العباس بن العريف رحمه الله فى كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الارادة قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله ونفعنا بذكره أصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو فى الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار وعم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال الذى حدثنى ورأيته يصلى على الماء ثم لقيت بعده محمد الاسفنجى فاذا هو الابرص فقلت له يا سيدى كان الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه قال فقال لى اسكت لا تقل ذلك انه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيأ اشرف ولا اقرب اليه من البلاء فسألناه اياه فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وامام الاولياء الاوتاد بغار فى ارض طرسوس وجبالها لحمه يتناثر وجلده

يسيل

ثم قال (تنوعت أجناس الاعمال) على العاملين (لتنوع واردات الاحوال) اى الواردات التى تنتج أحوالا قائمة بقلوبهم تقتضى ميلهم الى تلك الاعمال أو واردات هى الاحوال فان الوارد قد يسمى حالا كما سيأتى يعنى أن بعض المريدين تجده مشتغلا بالصلاة وبعضهم بالصيام وهكذا وسبب ذلك وارد الهى "اقتضى ميل هذا الى كذا" وهذا الى كذا وينبغى لكل أحد أن يعمل بمقتضى حاله المذكور ان لم يكن تحت تربية شيخ والا فلا يشتغل بشئ الا باذنه وارادته وحاصل ذلك ان تنوع الاوراد فى حق المريدين الصادقين ناشئ عن تنوع الواردات على قلوبهم فينبغى لكل مريد أن يعمل بمقتضى وارده بالشرط المتقدم ولا يعمل بمقتضى وارد غيره ولا يعترض على ذلك الغير فى عدم اشتغاله بما اشتغل به هو ثم قال (الاعمال) الظاهرة (صور قائمة) أى كالاشخاص التى ليس فيها أرواح فلا نفع بها (وأرواحها) التى بها حياتها ونفعها (وجود سر الاخلاص) أى سره والاخلاص (فيها) والاخلاص يختلف باختلاف الناس فاخلاص العباد سلامة أعمالهم من الرياء الجلى والخفى وكل ما فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل الا لله تعالى طلبا للثواب وهربا من العقاب مع نسبة العمل اليهم والاعتماد عليه فى تحصيل ما ذكر واخلاص المحبين هو العمل لله اجلالا وتعظيما لانه تعالى أهل لذلك لا لقصد ثواب ولا هرب من عقاب ولذا قالت رابعة العدوية ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك فنسبت العبادة اليها واخلاص العارفين شهودهم انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم من غير أن يروا لانفسهم فى ذلك حولا ولا قوة فلا يعملون العمل الا بالله لا بحولهم ولا قوتهم وهذا أرفع مما قبله ثم ذكر رحمه الله ما يعين على الاخلاص ويحصله بقوله

يسيل قيحا وصديدا وقد أحاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من الرحمة واسكن جسده من العافيه حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر اه وسيأتى شئ من كلام المؤلف رحمه الله فى هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولى التوفيق ۞ (تنوعت أجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال) واردات الاحوال هى ما يرد على القلوب من المعارف الربانية والاسرار الروحانية وهى التى توجب لها أحوالا حميدة فمنها وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب أنسا ومنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يوجب بسطا الى غير ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت هذه الواردات أيضا متنوعة كانت أجناس الاعمال التى تقتضيها هذه الواردات أيضا متنوعة والاعمال الظاهرة أبدا تبع لاحوال القلوب الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا فى قوله حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال ۞ (الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها) اخلاص كل عبد فى اعماله على حسب رتبته ومقامه فأما من كان منهم من الابرار فنهاية درجة اخلاصه أن تكون اعماله سالمة من الرياء الجلى والخفى وقصد موافقة اهواء النفس طلبا لما وعد الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهربا مما اوعد به المخلطين من أليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقيق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد اى لا نعبد الا اياك ولا نشرك فى عبادتنا غيرك وحاصل امره اخراج الخلق عن نظره فى اعمال بره مع بقاء رؤيته لنفسه فى النسبة اليها والاعتماد عليها واما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه فى عمله فاخلاصه انما هو فى شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه فى ذلك حولا ولا قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذى به يصح مقام الاخلاص وصاحب هذا سالك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين اى لا نستعين الا بك لا بأنفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله تعالى وعمل الثانى هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام بأحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر وهذه العبارات للامام ابى القاسم القشيرى رضى الله عنه وبهذا يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما فى الشرف والجلالة فاخلاص كل عبد هو روح اعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها اهلية وجود القبول

لها وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون اذذاك أشباحا بلا أرواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبرى من الحول والقوة * ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التى اذا كان العبد عليها كان مخلصا المتقين فقال ﷺ (ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) لاشئ أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من أعظم حظوظه التى هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار مناقض للعبودية التى هو مطالب بها قال ابراهيم ابن أدهم رضى الله عنه ما صدق الله من أحب الشهرة وقال بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح الا لاقوام كنست بأرواحهم المزابل وقال أيوب السختيانى رضى الله عنه والله ما صدق الله عبد الاسره ان لا يشعر بمكانه وقال رجل لبشر بن الحرث رضى الله عنه اوصنى فقال أخمل ذكرك وأطب مطعمك وقال بعضهم رضى الله عنه ما أعرف رجلا احب ان يعرف الاذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة من أحب ان يعرفه الناس وقال الفضيل رضى الله عنه بلغنى ان الله عز وجل يقول فى بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك ثم ان تلك الاشياء الراجعة الى محبة الاشتهار والاستعلاء مما يقدح فى اخلاص العبد على اختلاف مراتبه لانه اما بسقوط الناس عن النظر اليهم أو بسقوط النفس عن النظر اليها ولا يثبت للمريد جميع ذلك الا بالخمول وسقوط المنزلة عند نفسه وعند الناس لانه ان لم يكن بهذه المثابة لم ينفك عن الاغراض التى تبعثه على استمالة قلوب الخلق لما يرى لنفسه عليهم من الحق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فينصبغ عمله بالرياء انصباغا لا يتفطن له كما سيأتى عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققك بوصف الخمول يحقق لك مقام الاخلاص حتى تتخلص بذلك من رؤية اخلاصك وبهذا يتبين لك افلاس جميع الناس الا من رحم الله تعالى وان الاخلاص فى غاية الصعوبة على النفس وانه اعز الاشياء فى الوجود وقيل لسهل بن عبد الله رضى الله عنه اى شئ اشد على النفس قال الاخلاص لانها ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضى الله عنه اعز شئ فى الدنيا الاخلاص وكم أجتهد فى اسقاط الرياء عن قلبى فكأنه ينبت فيه على لون آخر قال الشيخ ابو طالب المكى رضى الله عنه والاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق عن معاملة الخالق واول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين ان لا يعمل عملا لاجل النفس والا دخل عليه مطالبة العوض او تشوف الى حظ طبع والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق عن النظر اليهم فى الافعال وترك السكون والاستراحة بهم فى الاحوال اه فاذا اخمل العبد نفسه والزمها التواضع والذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته الما ولا لذلته طعما فحينئذ تتزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من

ربه

(ادفن وجودك فى ارض الخمول) أى فى الخمول وهو عدم الشهرة الشبيه بالارض ودفن وجودك فيه أن لا تتعاطى أسباب الشهرة بأن تعرض نفسك للمناصب وغيرها مما فيه انتشار الصيت فان سلكت الطريق بعد شهرتك فالواجب عليك التواضع وأن لا ترى لنفسك مقاما ولا ترى ما انت فيه من المناصب وغيرها شيأ عظيما بل ترى أن الخير فى تركه لكن لا تتركه الا باشارة أستاذك أو باذن الهى ثم ضرب لذلك مثلا بقوله (فما نبت) من الحب (مما لم يدفن لا يتم نتاجه) بل يخرج ضعيفا مصفرا لا ينتفع به الانتفاع التام واذا لم ينبت فالغالب أن يلتقطه الطائر فلا ينتفع به أيضا وكذلك السالك اذا تعاطى اسباب الشهرة فى بدايته قل ان يفلح فى نهايته وبقدر تحققه بوصف الخمول يتحقق له مقام الاخلاص فبنى أمره فى الابتداء على الفرار من الخلق واخمال الذكر وعدم حب الشهرة حتى اذا فنيت أوصافه وبقى بربه كان مع مولاه ان شاء أظهره وان شاء أخفاه قال أبو العباس قدس الله سره من احب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه اه

ربه أعلى درجات الخصوصية ويحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال الشيخ أبو طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يعجب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة له لا تفارقه لازمة لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح وهما صنعتان له كسائر الصنائع وربما افتخروا بهما لعدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه وهذا مقام محمود محبوب وبعده مقام المكاشفات بأسرار الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المستكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز اذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك حياة نفسه اه فاذا لابد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه أمورا مباحة تسقطه من أعين الناس كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء اليه فلما علم بذلك السائح استدعى بقلا وجعل يأكله أكلا عنيفا فرأى من الملك فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاما له وسيأتي نص هذه القصة بعد هذا عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ أئمة الصوفية رضي الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متحيرا بحيث يرى ويظن به السرقة فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف عندهم بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثله ما روي عن أبي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الذي أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطائه لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحالة في المحافل والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وغيره قال بعض المحققين واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع به ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين أولى اذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى فاذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة أخلاق الايمان التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه أين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال عيسى عليه الصلاة والسلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض قلت وقد ورد عن

النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة أحاديث كثيرة منها ماروى أبو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله عز وجل ان أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل عزاؤه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان يسيرا من الرياء شرك وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه فيه باسم أويس القرني وأشاد بذكره ونبه على عظيم أمره رضي الله عنه أنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من أصحابه اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من أهل الجنة قال أبو هريرة فطمعت أن أكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأقمت في المسجد حتى انصرف الناس فبقيت أنا وهو صلى الله عليه وسلم فبينما نحن كذلك اذ أقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا نجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله أهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت أفلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله فقال وأنى لي بذلك ان كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة ان لاهل الجنة ملوكا وسادة وان هذا الاسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا أبا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرني قالوا وما أويس القرني قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام بنظره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الارض معروف في أهل السماء لو اقسم على الله لابر قسمه ألا وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا أنتما لقيتماه فاطلبا اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث وفي حديث

قوله عزاؤه في بعض النسخ تراثه اهـ

آخر

آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتى رجل يقال له اويس القرنى
يدخل فى شفاعته عدد ربيعة ومضر لو أقسم على الله لأبره فمن لقيه بعدى فليقرئه منى
السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل أصهب اشهل ذو طمرين ابيض له أم وقد كان
به بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار الدينار أو الدرهم لا يؤبه له مجهول
فى الارض معروف فى السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعفه ان الناس كانوا
يسخرون منه ويستهزؤن به ويؤذونه ويرون فيه اهلية الخداع والتلصص وينسبونه
الى ذلك فقد روى فى ذلك انه دفع اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع
عن مجلسه لاجل العرى فردهما عليه بعد أن أخذهما منه وقال ان الناس يقولون
من أين له هذان الثوبان ترى من خدع عليهما وكان فى ذلك الوقت يجالس الفقهاء
ويظهر للناس وذلك قبل ان يعرف برفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضى الله عنه
به على المنبر فلما رأى ان الناس عرفوا حاله هرب عنهم واستخفى منهم ولبس أمره عليهم
برعاية الابل وغير ذلك وقيل لعمر رضى الله عنه لما سأل عنه قومه ما فينا أخمل منه
ذكرا فلما لقيه هو وعلى رضى الله عنهما وسأله من هو فقال له راعى غنم واجير قوم وستر
ذكر اويس فلما سأله عن اسمه قال له عبد الله فلما سأله عن اسمه الذى سمته به أمه امتنع
ان يجيبه عن ذلك فلما أخبراه بوصف النبى صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك قال لهما
عسى ان يكون ذلك غيرى فلما قالا له اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحت منكبك
الايسر لمعة بيضاء وطلبا منه ان يوضحها لهما لم يجد بدا من أن يوضحها لهما وذلك والله أعلم
ليريهما رؤية عين صحة قول النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه فى اخباره بالغيب وذلك
أمر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما كما فعله فى كل ما سئل عنه ثم بعد ذلك لما سأله
عمر رضى الله عنه ان يلتقى معه ويجعل ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا أمير
المؤمنين لا ميعاد بينى وبينك ولا أعرفك ولا تعرفنى بعد اليوم ثم دفع الابل الى أصحابها
وخلا عن الرعاية وكذلك فعل مع هرم بن حيان رضى الله عنه لما لقيه بشاطئ الفرات
ووقع بينهما التعرف قال له حدثنى بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه
عنك فقال له لا احب ان افتح هذا الباب على نفسى لا احب ان اكون محدثا ولا مفتيا
ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذى كانا بصدده سأله مداومة الاجتماع به فأبى
وامتنع وقال له لا أراك بعد اليوم تطلبنى ولا تسأل عنى انطلق أنت ههنا حتى انطلق
أنا ههنا ثم بعد ذلك اجتهد فى طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر ومن عجيب امره ان
حقق الله تعالى له هذا الحال من التخفى والتستر وأتمه له بعد موته مع ما ظهر بسببه
من الآيات والعبر حينئذ قال عبد الله بن سلمة غزونا اذربيجان زمن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ومعنا أويس القرنى رضى الله عنه فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا
قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال

بعضنا البعض لو وجدنا فعلنا قبره فرجمنا فاذا الاقبر ولا اثر قلت والحكايات والآثار في مدح الخمول وذم الاشتهار اكثر من ان ياتي عليها الحصار وقد اورد كثيرا منها الائمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى أحسن التوفيق والتأييد وتعبير المؤلف رحمه الله تعالى ههنا بالدفن والارض والنبات والنتاج من ملح الاستعارات ۞ (ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) مداواة امراض القلب واجبة على المريد وامراضه انما تكون من غلبة احكام الطبع عليه من محبته للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى النفس وانسه بعالم الحس ومداواة هذا المرض تتأتى من وجوه كثيرة وابلغها في ذلك وانفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الرديئة والاخلاق الدنيئة ويستفيد بذلك أيضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض في مثل هذا فواجب على المعتزل ان يكف لسانه عن السؤال عن اخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومكبون عليه ويصون سمعه عن الاصغاء الى أراجيف البلدان وما اشتملت عليه من الاحوال التي ذكرناها وليحرص على ان لا يغشاه في خلوته وعزلته من شأنه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤديه الى ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وليتنكر الى كل من يتعرف له ممن هذا شأنه من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الاخبار السالفة ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ او صاحب لا يوازرك على مبرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود ما لي أراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مبرتي فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك مني وما أحسن قول أبي اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيري في هذا المعنى

نخف أبناء جنسك واخش منهم * كما تخشى الضراغم والسبنتى
وخالطهم وزايلهم حذارا * وكن كالسامري اذا لمستا

وبالعزلة ايضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فانها تفرق الهم

(ما نفع القلب) أي قلب المريد في التطهر من غفلاته والقرب الى حضرة مولاه (شئ مثل عزلة) اي اعتزال عن الناس (يدخل بها ميدان فكرة) أي فكرة شبيهة بالميدان لتردد القلب فيها كتردد الخيول في الميدان فالمريد اذا كان مخالطا للناس اشتغل نظره بالمحسوسات فلا يتفكر قلبه الا فيها ولا يزال ناظرا الا لعالم الشهادة فاذا اعتزلهم انعكس الحال وجال قلبه في عالم الغيب وقد جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقيل لام الدرداء ما كان أفضل اعمال ابي الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء والى تعظيم الله وتعظيم كل ما يرضيه فيفعله وتحقير كل ما يسخطه فيجتنبه ويطلع به على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف به وجوه الحيل في التباعد عنها ويسلم به من الآفات الناشئة عن مخالطة أهلها وبالعزلة المذكورة يحصل التمرن على الخلوة التي هي أحد اركان الطريق الاربعة بالنسبة للمريدين وباقيها الصمت والجوع والسهر وبهذه الاربعة تصير الابدال ابدالا وهذا كله في حق

وتضعف

وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد فى خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حللوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها وروى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفى الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف ما أخاف على أمتى ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة ارباب البطالة والقسوة قال أبو طالب المكى رضى الله عنه واضر ما بتلى به العبد وادخله واعمله فى هلاكه واشده تحجبه وابعاده ضعف يقينه بالوعد من الغيب وتوعده بالشهادة وقوة اليقين أصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى المخلوقات فان النظر اليهم ظلمة قلت لابد لى منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران ووحشة وحسرة قلت أنا بين أظهرهم ولابد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا اتنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا يكون أبدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره عن النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان الى ما ذمه الله تعالى من زخرفها فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية ولا ينبغى لاحد ان يستحقر هذا فانه يؤدى الى امراض عظيمة فى القلب ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فأرباب المجاهدات اذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا أصل كبير لهم فى المجاهدات فى أحوال الرياضات اه وقال محمد بن سيرين رضى الله عنه اياك وفضول النظر فانه يؤدى الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين سبب الحين ومن أرسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء بالبصر يوجب تفرقة القلب وقد أنشدوا فى هذا المعنى

وانك ان أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الاياس وذلك من أعظم فوائد العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة وهى المقصودة ههنا وكانت العزلة مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعاة آدابه الباطنة وقد ذكر منها الشيخ أبو حامد الغزالى جملة شافية فى كتاب العزلة من الاحياء فلينظر هنالك وقد جاء فى الخبر تفكر

المريد الذى يسلك بنفسه فان كان تحت تربية شيخ فلابد من مخالطته ومخالطة الاخوان الذين يعينونه على سلوك الطريق فاذا ذهبت رعونات نفسه وصار من العارفين فلا تضره مخالطة الخلق أجمعين لانه حينئذ لا يرى غير الله تعالى واعلم ان الفكرة هى المقصود والعزلة وسيلة لها ومعينة عليها ثم بين الامور التى تصيب القلب اذا لم يحصل له تطهير بعزلة ولا فكرة بقوله

(كيف يشرق قلب صور الاكوان) اى المكونات من الآدميين وغيرهم (منطبعة فى مرآته) باعتقاده انها تضر وتنفع وتطلعه لها فى حصول أمر ما من الامور وتعلقه بها (ام كيف يرحل) أى يسير (الى الله وهو مكبل) اى مقيد (بشهواته) النفسية والمقيد لا يمكنه السير (ام كيف يطمع ان يدخل) ذلك القلب (حضرة الله) بان يشاهده (وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته) اى من غفلاته الشبيهة بالجنابة فكما يمنع الجنب من دخوله المسجد كذلك يمنع من استولت عليه الغفلة من دخوله حضرة الرب (ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار) وهى العلوم الدقيقة التى ترد على قلوب العارفين (وهو لم يتب من هفواته) وهى ما يصدر منه من المعاصى لا عن قصد وانما تعجب المصنف من ذلك لما فيه من الجمع بين الاضداد وهو محال وهذه الاشياء المذكورة متضادة فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التى استولت عليه بالركون الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال فى حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة القلب ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة الغفلات التى مقتضاها الابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصى والهفوات واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روى فى بعض الاخبار من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وكل واحد من هذه الاربعة سبب فيما بعده فانطباع صور الاكوان فى مرآة القلب سبب فى تكبله بالشهوات والتكبل بها سبب فى الغفلة وهى السبب فى كل هفوة والهفوة سبب فى عمى القلب ثم شرع رحمه الله يتكلم على شئ من المعارف لينشط المريد حتى يدرك ذلك ذوقا فتكلم على وحدة الوجود التى افردت بالتأليف فقال

ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكذا هو والله أعلم وكان عيسى بن مريم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول طوبى لمن كان قوله ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة ان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر التفكر وقيل لام الدرداء ما كان أفضل عمل ابى الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء وتبين الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع به أيضا على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف به وجوه الحيل فى التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن البصرى رضى الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ويطلع بها أيضا على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر فى آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه قلت والعزلة التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تتضمن وجود الخلوة وهى أحد الاركان الاربعة التى هى أساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة الباقية الصمت اذ لا يتأتى من اكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فان أضاف اليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على كيمياء الدواء والتحق بزمرة الاولياء والابدال قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اجتمع الخير كله فى هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا خماص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها فى نظمه

يا من يروم منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها * ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالى

(كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته) الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التى استولت عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والسير الى الله تعالى

بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقاد فى حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جناية غفلاته التى مقتضاها الاقصاء والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصى والهفوات واليه الاشارة بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روى فى بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى التق أحمد بن حنبل وأحمد بن أبى الحوارى فقال ابن حنبل لابن أبى الحوارى يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك أبى سليمان فقال يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب فقال ابن أبى الحوارى سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ان يؤدى اليها عالم علما قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت فى الاسلام بحكاية أعجب الى من هذه ثم ذكر الحديث الذى ذكرناه من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن أبى الحوارى صدقت يا أحمد وصدق شيخك ولاجل كون هذه الاشياء اضدادا عجب المؤلف رحمه الله تعالى ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع فى نيل مراتب الرجال مع كونه على أقبح الخلال

❁ (الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه اوعنده اوقبله او بعده فقد أعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار)

العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلى نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف أحوال الناس ههنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه فى الظلمات محجوب بسحب الآثار الكائنات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم فى مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية ههنا اما معية اتصال وهو شهوده فى الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما فانهما ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هى عليه موكول الى أربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فههنا زلت اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة فى الشرع فكفروا بذلك وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير سبحانه لا اله غيره ❁ (مما يدلك على وجود

(الكون) أى المكونات اى الموجودات باسرها (كله ظلمة) اى عدم محض لاوجود له فى نظر ارباب الشهود (وانما اناره) أى اوجده (ظهور الحق) أى الله (فيه) كظهور الشمس فى الكوة ذات الزجاج فليس هناك الا وجود واحد وهو وجود الحق وبظهوره فى الاشياء وجدت على حسب ما تقتضيه طبائعها وليس لها وجود فى ذاتها واذا كان كذلك (فمن رأى الكون) اى شيأ منه (ولم يشهده فيه أو عنده اوقبله أو بعده فقد أعوزه) اى فاته (وجود الانوار) الالهية التى يدرك بها مشاهدة الله على أى وجه من الوجوه المذكورة (وحجبت عنه شموس المعارف) أى المعارف التى كالشموس (بسحب الآثار) أى بالآثار وهى الاكوان التى كالسحب جمع سحاب بجامع ان كلا يحجب ما وراءه واشار المصنف رحمه الله بذلك الى اختلاف أحوال أرباب المشاهدة فى شهودهم فمنهم من يشاهد المكون قبل الاكوان فاذا وقع بصره على شئ من الاكوان شاهد قيام الحق به وظهوره فيه وانه المحرك والمسكن له قبل ان يخطر له كونه آدميا أو شاة طويلا أو قصيرا الى غير ذلك ومنهم من يشاهد ذلك بعد كونه حيوانا ومنهم من يشاهده معه ومنهم من يشاهده فيه وهو ظرف متسع وهذا تقريب للافهام والا فهذا امر لا يدرك الا بالذوق وما كان كذلك تقصر عنه العبارة (مما يدلك على وجود

قهره سبحانه ان تحجبك عنه بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه قبيل هذا من ان ما سوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه وتعالى اذ لو وصف به لكان ذلك شركة واثنينية وهو مناقض لاخلاص التوحيد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

قال بعض العارفين ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل فى الوجود شئ سوى الواحد الحق فلا نراهم وان كان ولا بد فنراهم كالهباء فى الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيأ وقال أيضا رضى الله عنه قوى على الشهود مرة فسألته ان يستر ذلك عنى فقيل لى لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه صلوات الله عليهم أجمعين لم يفعل ولكن سله ان يقويك فسألته فقوانى قال ابن عطاء فى التنوير فما سوى الله تعالى عند أهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولا شرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام هو بسط ما ذكره فى هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت ان أرى غيره لم أستطع فانه لا غير معه حتى أشهده معه وقال الشاعر

مذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت افتراقا * وأنا اليوم واصل مجموع

وقال آخر

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال

واعلم بانك والعوالم كلها * لولاه فى محو وفى اضمحلال

من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا بان لم يشهدوا * شيأ سوى المتكبر المتعال

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * فى الحال والماضى والاستقبال

وقد صنفوا فى بيان هذا الامر تصانيف وتفننوا فى الكلام فى هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا خيرا فاذا تقرر هذا وجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنيوية ودرجاتهم الاخروية ومقاماتهم العلوية فكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية علمنا بذلك وجود قهره اذ من أسمائه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وارادتهم وبقوا بربهم وكانوا عباد الله حقا وقد سئل أبو سعيد بن الاعرابى رضى الله عنه عن الفناء فقال الفناء

قهره سبحانه ان تحجبك عنه) خطاب لعامة الناس (بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكر من ان ما سوى الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله تعالى قال بعض العارفين ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية اه ومع كون ما ذكر عدما فهو حجاب عن الله تعالى فان الناس لا يشهدون عند نظرهم للاكوان الا هى ولا يشاهدون مكونها مع انها لا وجود لها والوجود انما هو له سبحانه فهذا مما يقضى منه العجب ثم ذكر أدلة تدل على انه لا ينبغى ان تحجب بتلك الاكوان وان الاحتجاب بها انما هو للعوام فقال

ان

(كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء) بما اشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم فبظهوره في الاشياء ظهرت واذا كان ظهور الاشياء متوقفا عليه فيستحيل ان تحجبه حتى يكون خفيا غير ظاهر فان الاظهار انما يفيد ظهور المظهر لا خفاءه (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وذلك لان الاثر يدل على المؤثر ويعرف به فهذا مقام المستدلين الضعفاء (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء) بذاته كما يقوله اهل الشهود وبمحاسن صفاته وأسمائه كما يقوله أهل الحجاب فالاشياء كلها مجالي ومظاهر لظهور معاني أسمائه التي هي تفاصيل معاني صفاته فيظهر في اهل العزة كونه معزا وفي أهل الذلة كونه مذلا وفي الاحياء معنى اسمه المحيي وعند سلب الارواح معنى اسمه المميت وعند العطاء معنى اسمه المعطي وعند المنع معنى اسمه المانع وعند افاضة الفضل معنى اسمه الكريم وعند اجابة الدعاء معنى اسمه المجيب وعند تسليطه الضار وجلب النافع معنى اسمه الضار النافع الى غير ذلك (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء) اى تجلى لكل شيء حتى عرفه ولذا كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا نفقه ذلك فكل شيء عارف به على قدر تجليه له وان كان في الاشياء من لا يقدر الله حق قدره لنقص معرفته وقصورها لا لانتفاء أصلها (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء) لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا فظهوره تعالى ذاتي له غير مكتسب ولا مستفاد ولا معلول وظهور الاكوان ناشئ من تجليه عليها بصفة الظهور فكيف تكون حاجبة له (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اظهر من كل شيء) لان الوجود اظهر من العدم على كل حال ولان الظهور الذاتي أقوى من العرضي والظهور المطلق أقوى من المقيد والدائم اقوى من المنصرم وانما لم يدرك للعقول مع شدة ظهوره لان شدة الظهور لا يطيقها الضعفاء كالخفاش يبصر بالليل دون النهار لا لخفاء النهار واستتاره بل لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت فيكون شدة ظهور النهار مع ضعف بصره سبب الامتناع ابصاره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك العقول ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في غاية الاشراق والاستنارة فصارت شدة ظهوره سببا لخفائه (كيف

أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه يغرق في التعظيم عقله اه قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفناء في الصفات أي لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله وفناء في الذات أي لا موجود على الاطلاق الا الله تعالى وأنشدوا في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء

وقال سيدي محيي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وأنشدوا في هذا المعنى

من أبصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا * بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه * هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه * ولا مشير الى الخطاب

(كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء) اذ هو المتجلي فيها بمحاسن صفاته واسمائه (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء) في طور ذلك الشيء ولذلك كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا نفقه ذلك (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء) لتحقق هذا الاسم له أزلا وابدا (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اظهر من كل شيء) لان الوجود اظهر من العدم على كل حال (كيف

يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذى ليس معه شيء) اذ كل ماسواه عدم لا وجود له على التحقيق (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اقرب اليك من كل شيء) لثبوت احاطته بك ووجود قيوميته عليك (كيف يتصور ان يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء) حتى استدل به الشاهدون على الاشياء كما قال الله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد (ياعجبا كيف يظهر الوجود فى العدم) لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان (ام كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لان الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقال عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (قلت) وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الابداع وأتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ به الاسماع فانه رضى الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور وأبطل حجابية كل ظلام ونور وأراك فيه الحق رؤية عيان وبرهان ورفعك من مقام الايمان الى أعلى مراتب الاحسان كل ذلك فى أوجز لفظ وأفصح عبارة واتم تصريح وألطف اشارة فلو لم يكن فى هذا الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عنا خيرا ثم قال رضى الله عنه ۞ (ماترك من الجهل شيأ من اراد ان يحدث فى الوقت غير ما اظهره الله فيه) اذا أقام الله تعالى العبد فى حال من الاحوال التى لا يذمها الشرع فليلتزم حسن الادب فى اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى فى مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى فى ذلك حتى يكون هو الذى ينقله عنها قال أبو عثمان رضى الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما اقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المؤلف رحمه الله تعالى مع شيخه ابى العباس المرسى حين عزم على التجرد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه به الشيخ رضى الله تعالى عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال

يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذى ليس معه شيء) اذ كل شيء سواه عدم لا وجود له على التحقيق فليس ثم شيء يحجبه اذ الوجود الحقيقى كله له ولا شيء منه لغيره (كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو أقرب اليك من كل شيء) لثبوت احاطته بك وقيوميته عليك قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فهو قريب الينا بذاته عند أهل الشهود وأما اهل الحجاب فيقولون هو قريب بعلمه وقدرته وارادته الى غير ذلك (كيف يتصور ان يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء) حتى استدل به المشاهدون على الاشياء قال تعالى أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ولو اسقط لفظ كل لكان اظهر فى افادة العموم والقصد بهذا الكلام المبالغة فى نفى الحجاب فلا يضر كون هذا الوجه بمعنى الوجه الاول وبعضهم اثبت التغاير بينهما بما فيه كلفة (ياعجبا كيف يظهر الوجود فى العدم) لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان (ام كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لان الحادث باطل والله تعالى حق والباطل لا يثبت مع ظهور الحق قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالظاهر والثابت هو الحق تعالى لا الكون وما بدا الاوجه الحق فهو المظهر والظاهر والموجود دون كل المظاهر والتعجب المذكور ناشئ من غلبة الشهود فانه اذا قوى على العبد اضمحلت الاكوان فى نظره وفنى عنها بالمرة (ماترك من الجهل شيأ من اراد ان يحدث فى الوقت غير ما اظهره الله فيه) فاذا كان المريد فى حال بدنى او قلبى لا يذمه الشرع لزمه حسن الادب فى اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى ينقله الله عنه فاذا كان متجردا وتعلق قلبه بالتكسب او كان فى صنعة واراد الانتقال عنها لغيرها كان قليل الادب مع مولاه جاهلا بما يناسب حضرته وكذا ان كان فى حال قبض وأراد الانتقال عنه الى البسط قال بعضهم لى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد ان يحدث غير ما اظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه واساءة الادب فى حضرته وهذا من معارضة حكم الوقت الذى تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة

عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه وأساء الادب فى حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة حكم الوقت الذى تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى فى ذلك الوقت فهو أدب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو أحد معانى لفظ الوقت فى اصطلاحهم قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت أى انه مستسلم لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع اذ التضييع لما أمرت به واحالة الامر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف أى كما ان السيف قاطع فالوقت بما يقضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى وانشدوا

وكالسيف ان لاينته لان مسه * وحداه ان خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام الامام أبى القاسم وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله الموفق ﴿احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس﴾ اذا كان العبد متلبسا بحال من أحوال دنياه وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحة وأحال ذلك العمل على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثار الدنيا على الآخرة وليس هذا من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى والثانى تسويفه بالعمل الى أوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض كما قيل

فما قضى أحد منها لبانته * ولا انتهى أرب الا الى أرب

والثالث ان يفرغ منها الذى يرضيه من تبدل عزمه وضعف نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة فى جميع الاحوال ما يستحقر فى جنبه جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر الى الاعمال على أى حال كان وان ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجأة الموت وحلول الفوت وان يتوكل على الله تعالى فى تيسرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينها وبينه وما أحسن قول ابن الفارض فى هذا المعنى

وعد من قريب فاستجب واجتنب غدا * وشمر عن الساق اجتهادا بنهضة

وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى * واياك مهلا فهى أخطر علة

وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما اخرت عزما لصحة

(احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) فاذا كان المريد مشتغلا بحال من أحوال دنياه وكان ذلك يمنعه من الاعمال التى يتوصل بها الى حضرة مولاه وأحال ذلك على فراغه من تلك الاشغال فقال اذا تفرغت عملت كان ذلك دليلا على رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وذلك لتسويفه العمل الى فراغ أوانه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك ويزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض ولو فرض انه تفرغ منها فقد يتبدل عزمه وتضعف نيته فالواجب عليه النهوض الى ما يوصله الى مولاه قبل الفوات ولذا قيل الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك

لا تطلب منه ان يخرجك من حالة) دنيوية كصناعة او دينية كطلب علم (ليستعملك فيما سواها) لتوهمك ان ما أنت فيه عائق عن نهوضك لحضرته (فلو أرادك) أي أحبك وكنت من اهل الارادة (لاستعملك) استعمالا محبوبا عنده بأن يوفقك للاعمال الصالحة ويشغل قلبك به (من غير اخراج) أي مع بقائك على حالتك التي أنت عليها فاذا كان المريد على حالة لا توافق غرضه وكانت مباحة في الشرع لا ينبغي له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم الوقت كما مر في قوله ما ترك من الجهل شيأ الخ وكذا لا ينبغي له أن يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منها ويستعمله فيما سواها لان هذا من التخيير على الله ولا خيرة له في ذلك بل ينبغي ان يطلب حسن الادب معه وايثار مراده على اختياره فاذا علم منه مولاه ذلك استعمله استعمالا محبوبا عنده مع بقائه على ما هو عليه ٢٦ فيكون اذ ذاك بمراد الله له لا بمراده لنفسه وهو خير له مما اختاره ولو قال لحصل لك المطلوب من غير اخراج لكان أولى اما لو كان على حالة لا توافق الشرع فيجب عليه المبادرة الى الانتقال والطلب من مولاه أن ينقله الى ما يرضيه (ما أرادت همة سالك) أي سائر الى الله تعالى (ان تقف عند ما كشف لها) في اثناء السلوك من المعارف والاسرار والانوار بأن يرى ان ما وصل اليه من المعرفة وذوق الاحوال ومنازلة المقامات هو الغاية القصوى والنهاية فتقف همته عنده وتعشقه وتحبه أو يرى ان ما فوقه اعظم منه لكنه يقنع بذلك ويرى ان فيه الكفاية فلا يرقى بهمته أو يرى قصور همته عن الرقي لما فوقه (الا ونادته هواتف الحقيقة) أي الهواتف التي تهتف على قلبه من جهة الحقيقة الالهية ويحتمل ان المعنى الا نادته لسان حال الحقيقة التي كشفت له مرو جد في السير لا تقف فان (الذي تطلب) ه وهو وصولك الى المولى وعدم ركون قلبك الى شئ سواه (امامك) فلا تقف السائر عندما كشف لك (ولا تبرجت) اى اظهرت لك محاسنها (ظواهر المكونات) كتسخير الخلق لك واقبالهم عليك والتوسعة في الدنيا وظهور خوارق العادات كتسخير الحيوانات والمشي على الماء والتربع في الهواء والاطلاع على اسرار الخلائق وخواص الموجود وتكثير القليل من الطعام وطي الارض ونحو ذلك مما تميل النفس له (الا ونادتك حقائقها) أي بواطنها نداء معنويا وان لم تشعر به (انما نحن فتنة) أي ابتلاء واختبار (فلا تكفر) أي فلا تفتتن بنا ولا تقف عندنا ولا تجعل نفسك رفالنا فتحجب بنا عن الله لان ذلك كفر لحق المنعم وشكر النعم بالاقبال على المنعم فالاعراض عنه بالوقوف مع النعم عكس المطلوب

وجد بسيف العزم سوف فان تجد * تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

(لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو ارادك لاستعملك من غير اخراج) كأنه اذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة بالدين او بالدنيا لا ينبغي له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما اظهره الله فيه كما تقدم في قوله ما ترك من الجهل شيأ من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه مع الشرط المتقدم وهو أن لا يكون في ذلك مخالفة أمر أو ارتكاب نهي فينبغي له أيضا أن لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منها ويستعمله فيما سواها لان هذا من التخيير على الله تعالى ولا خيرة له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار مراده به على اختياره هو وحينئذ يتحقق بحال يتعرف فيها محبة الله تعالى وارادته له فيستعمله استعمالا محبوبا عنده مع بقائه على حالته التي هو عليها فيكون اذ ذاك بمراد الله تعالى له لا بمراده لنفسه وهو خير مما اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم انه كان يقول وددت لو أني تركت كل الاسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت في السجن يؤتى الى كل يوم برغيفين فطال ذلك علي حتى ضجرت ففكرت يوما في أمري فقيل لي انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فأعطيناك ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت الى الله تعالى فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال فيه فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب أن يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه اذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر لا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيأ وداخل في غيره ليجد الثروة والراحة فيتعب ويقوى بل بوجود التعسير تقويه لوجود الاختيار اه كلامه في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره هنا فلذلك أوردته

(ما ارادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر)

السائر الى الله تعالى يتجلى له فى أثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار فان أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك لاعتقاده انه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوب الذى تطلب امامك فجد فى السير ولا تقف فان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها فمال الى حسنها وجمالها نادته حقائقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغمض عينك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك وسيرك واعلم أنه مادامت لك همة وارادة فأنت بعيد فى الطريق لم تصل فلو فنيت عنهم الوصلت وما أحسن قول الشيخ أبى الحسن التسترى فى هذا المعنى

ولا تلتفت فى السير غيرا فكل ما * سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى * عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رأيت لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا من الترقى فى الاحوال وظهور النقص فى رؤية الكمال فرأيت أن أذكره ههنا بنصه لما فيه من سنى الفوائد وشريف المقاصد قال رضى الله عنه اعلم انك اذا أردت أن يكون لك نصيب مما لاولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيأ على ذلك بل كن فى ذلك عبدا لله أمرك أن ترفض عدوه فان أتيت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الناس والزهد فى الدنيا فأقم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار والانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الاربعة أن تقوم عبدا لله فيما تأتى وما تذر وتراقب قلبك أن لا يرى قلبك فى المملكة شيأ لغيره فان أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العزة انك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله تعالى بالمراقبة وأنت تسمع قوله وكان الله على كل شئ رقيبا فهنالك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت انه قريب فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك أن لا يشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت عنه فان صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق تعالى التوبة منه بدت والانابة منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهنالك تنظر أوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ فى الاستغفار والانابة والاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع الى أوصافه فان كنت بهذه الصفة أعنى الاستغفار والانابة نادتك عن قريب اخضع لاحكامى ودع عنك منازعتى واستقم مع ارادتى برفض ارادتك وانما هى ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا تقدر على شئ فهى رأيت منك قدرة وكلتك اليها وأنا بكل شئ عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من

(طلبك منه اتهام له) يعني ان المريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه بما يقربه من مولاه من الاعمال الصالحة ولا يشغل قلبه بالطلب لشيء من الاشياء لان ذلك مذموم قاطع عن الله فان طلبك منه أن يرزقك بالقوت الذي يعينك على سيرك وأن يوسع عليك الرزق تهمة منك له بأنه لا يرزقك اذ لو ثقت به في ايصال منافعه اليك من غير سؤال وتيقنت انه عالم بحاجتك قادر على ايصالها لك لما طلبت منه شيأ (وطلبك له) بأن تطلب قربك منه وزوال الحجاب عنك حتى تشاهده بعين قلبك (غيبة منك عنه) اذ الحاضر لا يطلب (وطلبك لغيره) من الاعراض الدنيوية وزخارفها ومناصبها ومن المكاشفات والكرامات والاحوال والمقامات (لقلة حيائك منه) اذ لو حصل لك حياء منه لما التفت الى غيره وطلبت شيأ سواه (وطلبك من غيره) بأن توجهت الى بعض الناس لتطلب منه شيأ من اعراض الدنيا غافلا في حال الطلب عن مولاك (لوجود بعدك عنه) اذ لو كنت قريبا منه لكان غيره بعيدا عنك ولو كنت مشاهدا القرب منك لا كتفيت ٢٨ به عن سائر خلقه لكن وجود البعد قضى عليك بالشعور بالغير حتى توجهت اليه وطلبت منه فالطلب كله من المريدين معلول سواء كان متعلقا بالحق أو الخلق الا ما كان على وجه التعبد والتأدب واتباع الامر واظهار الفاقة اما العارفون فلا يرون غير الله تعالى فطلبهم ليس من المخلوق في الحقيقة وان كان منه بحسب الظاهر (ما من نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن والمعنى أن كل نفس من أنفاسك (تبديه) أي تظهره بقدرة الله تعالى لا تبديه (الاوله) تعالى (فيك قدر) أي امر مقدر عليك من طاعة او معصية أو نعمة أو بلية (يمضيه) أي يبرزه بقدرته في ذلك النفس فكل نفس يبدو منك ظرف لقدر من اقدار الحق ينفذ فيك كائنا ما كان فينبغي لك الادب معه ومراقبته في كل نفس من أنفاسك فتكون في كل نفس سالكا طريقا الى الحق سبحانه وتعالى بما وهو معنى قولهم الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق (لا تترقب) أيها المريد (فروغ الاغيار) الواردة على قلبك وهي ظلمات تحدث فيه تحول بينه وبين شهود المولى والحضور معه (فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) من الاعمال التي تتوصل بها اليه فالمطلوب منك المواظبة على ما أنت فيه ومراقبة المولى في ذلك ولا تشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة أو نور ولو قال فان ذلك يقطعك عما هو مقيمك فيه لكان اولى ووجه كونه قاطعا أن نفسك تسول لك وتقول لو كنت من أهل الارادة لما وردت هذه الاغيار عليك مع كثرة عبادتك فيشتغل قلبك بهذه الوساوس وربما سولت لك الرجوع عما أنت قاصده وترك الاعمال الصالحة وسبب هذه الاغيار غالبا ما يرد عليك من أكدار الدنيا وذلك أمر لا بد منه ولذا قال

العالمين ﴿(طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه)﴾ الطلب الذي يتصور من العبد على أربعة أوجه وكلها مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له اذ لو وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سؤال لما طلب منه شيأ وطلبه له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره لقلة حيائه منه اذ لو استحيا منه انقبض عما يكرهه له من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه أن لا يذكر معه غيره ولا يؤثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول سواء كان الطلب متعلقا بالحق أو بالخلق الا ما كان من الطلب على وجه التأدب والتعبد واتباع الامر واظهار الفاقة والفقر فحينئذ تزول العلة عنه ﴿(ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه)﴾ الانفاس أزمنة دقيقة تتعاقب على العبد مادام حيا فكل نفس يبدو منه ظرف لقدر من أقدار الحق تعالى ينفذ فيه كائنا ما كان فاذا كانت جزئيات العبد وأوقاته قد استغرقتها أحكام الله تعالى وأقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسؤل عنه وعن أنفاسه التي هي أمانة للحق عنده لم يبق له اذ ذاك مجال لتدبير أمور دنياه ولا محل لمتابعة شهوته وهواه ﴿(لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه)﴾ اذا أقام الله تعالى عبدا في سبب من الاسباب فالواجب عليه أن يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه فان تأميله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الاول فيما أقيم فيه وتوفيته

عما يجب له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال ابو حفص رضى الله تعالى عنه الفقير الصادق هو الذى يكون فى كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه اذا جنك الليل فلا تؤمل النهار حتى تسلم ليلتك تلك وتؤدى حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك واذا أصبحت فكذلك وسئل سهل رضى الله تعالى عنه متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذى هو فيه قال البغوى فى تفسيره عند قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير الشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون لننظر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون ﴿(لا تستغرب وقوع الاكدار مادمت فى هذه الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل أحد فيها على مقتضى ما سبق له ويوفى جزاءه فى الدار الآخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل واحد فيها انما هو بمخالفة شهوات نفسه أو موافقتها وذلك لا محالة يستدعى وجود محبوب أو مكروه يفعل أو يترك فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فوقع الاكدار بسبب ذلك أيضا حاصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس اليها وهى لا تفى بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها وتفلتها فتجاذبوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية اغراضهم كما قيل فى المعنى

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على انهم فيها عراة وجوع

اراها وان كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قريب تقشع

فلا تستغرب وقوع أمثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها من وجدان المكاره التى هى ذاتية لها قال بعض الحكماء لولا ان الدنيا مبنية على المكاره لبطلت منفعة الاهليج فى اللوزينج وسيأتى التنبيه على الحكمة فى هذا عند قوله انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفى بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه انه قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة فى الدنيا وفى معناه أنشدوا

تطلب الراحة فى دار العنا * خاب من يطلب شيأ لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة فى دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومداب العقارب وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها فى سرور فهو ربح وقال الامام الجنيد رضى الله تعالى عنه لست استبشع ما يرد على من العالم لانى قد أصلت أصلا وهو ان الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه ان يتلقانى بكل ما أكره فان تلقانى بكل ما أحب فهو فضل والا فالاصل هو الاول وقال أبو تراب رضى الله تعالى عنه يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليس هى لكم تحبون النفس وهى لهواها وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة

(لا تستغرب وقوع الاكدار) الموجبة للاغيار بل الاغيار فى ذاتها أكدار (مادمت فى هذه الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) اى وصفها المستحق ونعتها الواجب أى اللازم فمن ضرورياتها وجود المكاره والمشاق فيها وسيأتى التنبيه على حكمة ذلك بقوله وانما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوقوع الاكدار تزهيدا لك فيها ومن كلام جعفر الصادق رضى الله عنه من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق قيل له وما ذاك قال الراحة فى الدنيا فينبغى للمريد الصادق أن لا يلتفت لذلك ويجد فى السير حتى تطلع عليه شمس المعرفة فينمحى عنه وجود الاغيار وتزول عنه الاكدار بمشاهدة العزيز الغفار ثم قال

وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما فى الجنة فالواجب على العبد أن لا يوطن على الراحة فى الدنيا نفسا ولا يركن فيها الى ما يقتضى فرحا وأنسا وان يعمل على قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه الدنيا سجن المؤمن فتوطين العبد على المحن فى دنياه يهوّن عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل فى المعنى

يمثل ذو اللب فى لبه * شدائده قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان فى نفسه مثلا
رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أوّلا
وذو الجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم فى نفسه * لعلمه الصبر عند البلا

فليتلق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضا فمن قريب ان شاء الله ينجلى الامر ويستوجب من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولى التوفيق قال احمد بن ابى الحوارى رضى الله تعالى عنه قال لى أبو سليمان الدارانى جوع قليل وعرى قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا واعلم أن ما ذكرناه من الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال عز من قائل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما ان استطعت أن تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت ماجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مازورا وقال على رضى الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العدة الصبر عند الشدة وفى بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

فمن جعل الصبر معتمده فى نوازله واعتده من أعظم عدده ووسائله فهو مصيب فى رأيه منجح فى سعيه ومن جزع من المصائب واضطرب عند وقوع النوائب كان عاملا فيما يزيده ضرا ويكسبه وزرا ويفوته اجرا وناهيك به خسرا كما قيل

واذا

(ما توقف) أى تعسر (مطلب) من مطالب الدنيا والآخرة (أنت طالبه بربك) أى ملاحظا فى حال طلبه لربك حاضر القلب معه معتمدا عليه فى تيسير ذلك المطلب (ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) بأن كنت غافلا عنه معتمدا على حولك وقوتك فمن انزل حوائجه بالله والتجأ اليه وتوكل فى أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر له كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على حوله وقوته وكله الله تعالى الى نفسه وخذله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه ولما كان من أشرف المطالب واقربها للقواطع والمعاطب أخذ المريد فى سلوك الطريق خصصه من العموم لزيادة الاعتناء به فقال (من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله فى البدايات) بداية المريد حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله والتوكل عليه والاستعانة به ان يوصله اليه لا على اعماله المعلولة نجح فى نهايته أى حصل له الوصول وأمن عليه من الرجوع من الطريق ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العارفين من ظن انه يصل الى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل الى نفسه ثم قال (من اشرقت بدايته) بأن عمر أوقاته بانواع الطاعات والاوراد وثابر على ذلك كل المثابرة (اشرقت نهايته) بافاضة الانوار والمعارف عليه وزوال كدورات النفس الحائلة بينه وبين مولاه على وجه أتم وعكسه بعكسه فمن كان قليل الاجتهاد فى بدايته لم يحصل له اشراق فى نهايته ولو فرض انه فتح عليه كان على وجه أضعف من غيره ويحتمل ان المعنى من اشرقت بدايته بالرجوع الى الله تعالى والالتجاء اليه اشرقت نهايته بحصول الوصول اليه فتكون هذه عبارة اخرى موافقة لمعنى ما قبلها وما قلناه اولا أولى واظهر (ما استودع فى غيب السرائر) أى فى القلوب الغائبة أى غير المشاهدة بالابصار من المعارف والانوار الالهية (ظهر فى شهادة الظواهر) أى فى الظواهر الشاهدة اى الحاضرة فما استودعه الله تعالى فى القلوب والسرائر من المعارف والانوار لابد ان يظهر أثره على الوجه والجوارح وهذه علامة يعرف بها حال المريد السالك لان الظاهر مرآة الباطن فيستدل بذلك من اراد صحبته والاجتماع به لينتفع به

وإذا تصبك مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وكما قيل أيضا وعوضت أجرا من فقيد فلا تكن * فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب

(ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) من أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ اليه وتوكل فى أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه واهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجاريب قات وكلام المؤلف رحمه الله تعالى فى هذه المسئلة عام يتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التى مآل أمرها الى الدين وأشرف تلك المطالب وأكثرها قواطع ومعاطب أخذ المريد فى سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله تعالى أحق وأصوب وفى جميع جزئياته الرجوع الى الله تعالى اولى واوجب فلا جرم كان من الراى السديد والامر الاكيد أن يخصه من ذلك العام وأن يفرده عقيب هذه المسئلة بمزيد من الكلام فلذلك قال ﷺ (من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله تعالى فى البدايات) للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكرنا أفلح وأنجح فى نهايته وكان وصوله الى الله تعالى فأمن عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من ظن انه يصل الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد السالك أن يجعل معتمد امره الاستعانة بالله تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها فى كثير من عمله ولا قليله فهذا هو أساس السلوك الذى يبنى عليه قواعده ﷺ (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته) هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى فى مهماته وثقته به فى ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربته والحصول فى حضرته ﷺ (ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر) هذا بيان علامة يعرف بها حال

المريد السالك وما تعمر به باطنه من المزيد المتدارك لان الظاهر مرآة الباطن كما قيل الاسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره فما استودعه الله القلوب والاسرار من المعارف والانوار لابد وان تظهر آثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد العبد على غائبه من أراد صحبته والوصلة به وما أشبه هذا من الاغراض والمقاصد قال أبو حفص رضى الله تعالى عنه حسن ادب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقيل لما ورد أبو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان أدب الباطن قلت وآكد من ذلك أن يعرف المريد نفسه ويكون من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون علانيته فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند يقين شهوده والفرار من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسايط المبعدة منه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه هواه فان كان موصوفا باضداد هذه الخصال منحرفا بظاهره عن جادة الاعتدال فهو في دعواه أكذب وحاله للنفاق والشرك أقرب قال الشيخ ابو طالب المكي رضى الله عنه قد جعل الله تعالى وصف الكافرين انهم اذا ذكر الله وحده في شئ انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره في شئ فرحوا وجعل من نعوتهم أنهم اذا ذكر الله تعالى بتوحيده وافراده بشئ عظموا ذلك وكرهوه واذا أشرك غيره في ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا والكفر التغطية والشرك الخلط أى انه يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلى الكبير يعنى لا يشركه شانق في حكمه لانه العلى في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعطائه ولا نظير له من عباده ففي دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب ان المؤمنين اذا ذكر الله بالتوحيد والافراد في شئ انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت الوسايط والاسباب التى دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد في القلب او وجود خفى الشرك في السر ان كنت عارفا اه قلت وهذه المسئلة التى تضمنها كلام الشيخ ابى طالب المكى رضى الله عنه من أعظم المسائل على صدق الصادق وكذب الكاذب ومن أوضح الدلائل ولما كان قصدنا في هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة لغربة الدين في هذا الزمان الرذل واستيلاء الفترة والجهل على المنسوبين الى العلم والفضل حسن منا ايراد هذه الكلمات

(شتان) اى بعدما (بين من يستدل به) على الاشياء وهم المرادون المجذوبون اليه الذين هم من أهل الشهود اما ابتداء واما بعد السلوك وهم العارفون فانهم لا يشهدون غيره ولاهم ويستدلون به على الاشياء (أو) بمعنى الواو (يستدل عليه) وهم المريدون السالكون الى الله تعالى فأهل الله تعالى على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وهم أهل الشهود وسالكين فالمريدون السالكون فى حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار والآثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون بها عليه فى حال ترقيهم والمرادون وهم المجذوبون

على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالنهل عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك وابتهج من مناصحة ربه فى دينه وقلبه أوضح المسالك واحمل على هذا الاسلوب كل كلام لم تظهر لك مطابقته ولم يتم فى نظرك مناسبته اتسلم بذلك من الاعتراض وتعلو همتك عما تولع به أصحاب القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله ﴿(شتان بين من يستدل به او يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله فأثبت الامر من وجود اصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) بنو آدم فى أول نشأتهم ومبدا خلقتهم وخروجهم من بطون أمهاتهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ ثم ان الله تعالى اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختارهم من أهله لولايته وما ذاك الا لحصول العلم الذى تضمنه قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الذى يحقق لهم النسبة ويوجب لهم الزلفى والقربة المشار الى ذلك بقوله تعالى لعلكم تشكرون وجعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما مراد ومجذوب على التحقيق قال الله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله تعالى فى حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار والآثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون بها عليه فى حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم الاكرم وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه انحجبت الاغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها فى حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى بعد ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره عرف الحق الذى هو الوجود الواجب لاهله وهو المختص بوصف القدم وأثبت الامر المشار به الى الآثار العدمية من وجود أصله المشار به الى المؤثر المحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم احتفاله بالوصول والاقتراب والا فمتى غاب حتى يستدل عليه بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة هى التى

واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم وتعرف اليهم فعرفوه وانحجبت عنهم الاغيار فهم يستدلون به عليها فى حال تدليهم ان جذبوا ابتداء أو بعد سلوكهم ان كانوا من أهله وهم العارفون فانهم من أهل الجذب أيضا لكن لشدة تمكنهم فى أحوالهم لا يظهر عليهم ولذا قيل نهاية السالك بداية المجذوب وورد أعظم الناس جذبا الانبياء والمرسلون فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى بعد ما بينهما وذلك ان (المستدل به) على غيره (عرف الحق) وهو الوجود الواجب (لاهله) وهو الله تعالى أى لم يثبت الوجود الا له سبحانه وتعالى وأما الحوادث فهم عدم محض (فأثبت الامر) وهو الحوادث العدمية (من وجود أصله) وهو الله تعالى أى جعل وجودهم مستفادا من وجود الله تعالى الذى قابلهم وظهر فيهم فوجدوا والا فهم عدم محض فى نظر أرباب الشهود (والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه) فالمستدل بغيره عليه على العكس مما ذكر لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالعدم على الوجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب (والا) نقل انه من عدم الوصول (فمتى غاب) أى فلا يصح لانه متى غاب (حتى يستدل عليه) بالاشياء الحاضرة (ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) أى يستدل بها عليه لانها لا وجود لها معه عند أهل الشهود حتى توصل اليه اما المحجوبون فلا يرون الا الاكوان ويستدلون بها عليه وهم قسمان عامة وسالكون لم يصلوا الى مقام الشهود والمراد باستدلال المجذوب الذى حصلت له الافاقة انه حينئذ يلاحظ الغير فيثبت وجوده بوجوده سبحانه وثبوته باثباته وليس المراد انه يستدل حينئذ بالدليل العقلى والنظر الفكرى

توصل اليه أو فقد حتى تكون الا ثا الموجودة هى التى تدل عليه وأنشد

عجبا لمن يبغى عليك شهادة * وأنت الذى أشهدته كل مشهد

قال فى لطائف المنن واعلم أن الادلة انما تنصب لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لان الشاهد غنى بوضوح الشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود الى نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ما هو غنى بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها ثم قال ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل اليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هى المظهرة له وان كانت الكائنات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهى لمن وقف عندها ولم تنفذ قدرته عين الحجاب ۞ (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) هذه اشارة ملحة الى حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فأنفقوا من سعتهم وتصرفوا فى عوالمهم كيف شاؤا والسالكون اليه مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر المضيق ۞ (اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشئ دونه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أنوار التوجه هو ما صدر منهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومكابدات ومجاهدات وأنوار المواجهة هو ما صدر من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود حاجتهم اليها فى الوصول الى مقصودهم والآخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم فهم لله لا لشئ دونه وسيأتى هذا المعنى عند قوله أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الاغيار هو حق اليقين ورؤية ما سوى الله خوض ولعب وهما من صفات الكاذبين والمنافقين قال الله عز وجل اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال الله تعالى بل هم فى شك يلعبون وقال رضى الله تعالى عنه ۞ (تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب

(لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه) اى اشارة الى حال الواصلين اليه تعالى فانهم لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم وأفيض عليهم علوم وأسرار الهية فصاروا ايدون الغير ويتصرفون فى عوالمهم الباطنية كيف شاؤا (ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) أى اشارة الى حال السائرين اليه فهم مقدور عليهم فى ارزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من فضله من الرزق المقدر المضيق على غيرهم ويتصرفون فى عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله عز وجل (اهتدى الراحلون) أى السائرون (اليه بأنوار التوجه) أى الانوار الحاصلة من العبادات والرياضات التى توجهوا بها الى حضرة الرب فان المجاهدة بحسب العادة يحصل منها أنوار فى القلوب يهتدون بها الى الله تعالى حتى يصلوا اليه (والواصلون لهم أنوار المواجهة) أى الانوار التى واجهتهم من حضرة الرب أى أفيضت عليهم حتى عرفوه سبحانه وتعالى (فالاولون للانوار) أى عبيد لها ويحتاجون اليها للتوسل بها الى مطلوبهم (وهؤلاء) أى الواصلون (الانوار لهم) أى ثابتة لهم من غير معاناة ومشقة مع فنائهم عنها بربهم (لانهم لله لا لشئ دونه) قال تعالى (قل الله) أى توجه اليه ولا تعل الى أنوار ولا غيرها (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فافراد التوحيد بعد فناء الاغيار هو حق اليقين ورؤية ما سوى الله خوض ولعب وذلك من صفات المحجوبين (تشوفك) أيها المريد (الى ما بطن فيك من العيوب) النفسانية كالرياء وسوء الخلق والمداهنة وحب الرياسة والجاه أى توجه همتك الى ذلك بالرياضة والمجاهدة لتطلب التخلص منه ولا يكون فى الغالب الا على يد شيخ كامل ناصح خير

خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) حكم المريد أن يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي أن يحرص عليه ويصرف عنها عنان اعتنائه اليه ليحصل له صفاء أعماله من الآفات ونقاء أحواله من الكدورات وينتفي عنه الجهل والغرور وتنقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتابه رياضة النفس فصلا في الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله أربعة أوجه أحدها أن يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه في نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على أحواله وأعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث أن يستفيد معرفة عيوبه من أعدائه اذ لا يأمن جريان ذلك على ألسنتهم عند تلبثهم وغيبتهم والرابع أن يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع عليها منهم علم أنه لا ينفك هو عن شيء منها لان الطباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو أعظم مما يراه في غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها فهذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده اه وأما طلبه للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف السر فانه حظ نفسه لا حق عليه فيه للحق تعالى فليطب عنها نفسا ولا يشغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول عليه فان ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالبا للكرامة فان نفسك تحركك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك * ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات عن وهب ابن منبه رضي الله تعالى عنه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل ستة أيام فسأل الله تبارك وتعالى أن يريه كيف تقوى الشياطين على الناس فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فأرسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى أرسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به أحب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالارض واذا ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسيأتي بيان ان الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها الذي كل عالم نبيل عند قوله ليس كل من ثبت

تخصيصه كمل تخليصه ۞ (الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب أنت عن النظر اليه اذ لو حجبه

خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) من خفايا القدر ولطائف السر والاسرار الالهية والمعارف اللدنية والكرامات الكونية لان ذلك حظ نفسك وليس لمولاك شيء منه فلا تقصدها بأعمالك ولا تشغل قلبك بها ولا تركن الى ما ظهر لك منها فان ذلك يقدح في عبوديتك ولذا قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان نفسك تحركك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك ثم قال (الحق) تعالى ليس بمحجوب) أي ليس الحجاب وصفا له سبحانه (وانما المحجوب) أي المتصف بالحجاب (أنت) بصفاتك النفسانية (عن النظر اليه) فان أردت الوصول اليه والدخول في حضرته فابحث عن عيوب نفسك وعالجها تصل اليه وتشاهده ببصيرتك ثم استدل على نفي الحجاب عن الرب بقوله (اذ لو حجبه

شيء استره ماحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده) الحجاب على الحق تعالى محال واستدل المؤلف على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم والوجود فان أراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء كيف شاء متى شاء رأى من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وهذا مما يجب اعتقاده

﴿اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا) أوصاف البشرية المتعلقة بأمر الدين نوعان أحدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم قسمين احدهما ما وافق الامر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية وأما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى قسمين أحدهما ما وافق الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذان الامران هما كلية العبد وظاهره تبع لباطنه بالضرورة لان القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وصلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية التي أشار اليها المؤلف رحمه الله تعالى وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الاصول فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وترك الثقة بمجيء الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق اللئيمة وأصل فروعها وعنصر منابعها انما هو رؤية النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها وترفيع أمرها فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى باثر هذا وشأن الصوفي انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من أنواع الرياضات والمجاهدات وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم قال الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه فلا يكون المريد لاحقا يبدل بمعاني صفات الربوبية

شيء استره ما حجبه) ودفع بذلك ما يتوهم من عدم استحالة الحجاب في حقه تعالى لان الحجاب انما يتخذه العظماء والرؤساء فهو ينبئ عن الرفعة ويشعر بالعظمة فمن أين يجيء النقص وحاصل الدفع أنه لو حجبه شيء كما هو شأن العظماء استره (ولو كان له ساتر لكان لوجوده) أي ذاته (حاصر) لاستلزام الستر انحصار المستور فيه (وكل حاصر لشيء فهو له قاهر) لانه يمنعه مجاوزته ويقصره على محله ويجعله في أسر قبضته وتحت حكمه وذلك لا يصح في حقه تعالى لقوله في كتابه (وهو القاهر فوق عباده) فوقية مكانة وجلالة لا مكان ان قلت كيف جعل الحجب ملزوما والستر لازما مع ان الحجب هو الستر قلت معنى الحجب انما يشعر في العرف بما تقدم من الرفعة والعظمة ولا يشعر بحصر المحجوب ومعنى الستر على العكس فهو الذي يلزمه مع انحصار المحجوب فجعل لازما في الشرطية الاولى وجعل ملزوما في الثانية والمعنى انا لو نظرنا الى ما تقتضيه عظمته سبحانه من ثبوت الحجاب لكان له ساتر فتغاير المقدم والتالي بهذا التأويل (اخرج) بالرياضة والمجاهدة (من اوصاف بشريتك) المذمومة سواء كانت تلك الاوصاف ظاهرة وهي القائمة بالجوارح كغيبة ونميمة

صفات العبودية وأخلاق الشياطين بأوصاف المؤمنين وطبائع البهائم بأوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا قال والطريق الى هذا بأن يملك نفسه فيملكها تسخرله ويسلط عليها فان أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك واذا أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها عن معتادها لاتمها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت أن تقوى عليها فأضعفها بقطع أسبابها وحبس موادها والاقويت عليك فصرعتك اه فاذا قام بذلك المريد على الوجه الذى رسموه له والتزم الوظائف التى أمروه بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصفت بمحاسن الصفات التى تزينه بين العباد وينال بها من قرب ربه غاية المراد فيظهر حينئذ عليه آثار حميدة من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص فى عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة له عليه فى منعه واعطائه ويتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والثقة والعطف والتأنى والوقار والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من أخلاق الايمان التى بها ينال العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما أئمة الصوفية رضى الله تعالى عنهم بالتخلى والتحلى أى التخلى عن الصفات المذمومة والتحلى بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما أيضا بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذى يعبرون عنه أيضا وستأتى الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فاذا صح للمريد هذا السفر وانقلب منه الى أفضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى فى القرب من ربه الى أشرف محل فيكون هنالك منزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المؤلف رحمه الله تعالى لنداء الحق مجيبا لانه اذ ذاك مناديه باسم العبد فيقول له يا عبدى فيجيبه حينئذ ولا باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون صادقا فى اجابته متحققا فى نسبته ويكون أيضا من حضرته قريبا لوجود بعده عن نفسه التى من شأنها النفور عنها والفرار منها فاذا أقامه الحق تعالى مقام العبودية وطارحته القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرا عليه أعمال الاخيار متحليا فى الظاهر والباطن بأشرف الحلى محتظيا بفضيلة التشبه بالملا الاعلى قال الله عز وجل "ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون" وقد قال الله تعالى "ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون" وقال عز من قائل "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" فرتبة العبودية انالتهم هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم فى محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية الا أن هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق

وقتل وسلب أو باطنة وهى القائمة بالقلب ككبر وعجب ورياء وسمعة وحقد وحسد وحب جاه ومال الى غير ذلك ولما كانت أوصاف البشرية شاملة للاوصاف المحمودة كالطاعة والايمان وهى غير مرادة أبدل منها قوله (عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا) لانك اذا خرجت عن تلك الاوصاف المذمومة اتصفت بمحاسن الصفات كالتواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والخوف منه والاخلاص فى عبوديته فينئذ يناديك نداء معنويا باسم العبد فيقول لك يا عبدى فتجيبه بقولك لبيك يا رب وتكون صادقا فى اجابتك لفقد الصفات منك التى تنافى العبودية وتقتضى الربوبية (و) تكون أيضا (من حضرته قريبا) فتحفظ من الاوزار وتتيسر لك الاعمال وتتلذذ بها والفرق بين المحفوظ والمعصوم ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل له زلات ولكن لا يكون منه اصرار بل يتوب من قريب واعلم أن التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل هو حقيقة السلوك عندهم ولا يتم ذلك الا بمعرفة الله ولمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات لان من عرف ذلك منها لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والاوقع فيما يسخط مولاه من حيث لا يشعر ولذا قال

بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما هو ما قاله الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل منه هفوات وقد يكون له في الندرة زلات ولكن لا يكون له اصرار أولئك الذين يتوبون الى الله من قريب وقد وصف الله تعالى عباده ذوي التخصيص أولي التطهير والتمحيص في آيات كريمة بصفات جليلة عظيمة وأعد لهم على ذلك خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وعليك النظر فيما قاله فيها أهل التفسير وما استنبطه منها أرباب الاشارات والتذكير وأما من عدا هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقو حظوظهم الدنيوية قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم من عبيد العدد المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا واعلم أنه لا يتهيأ لهذا السالك الى حضرة ملك الملوك الا من وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المؤلف رحمه الله تعالى على هذا بقوله

(اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها) الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل * وعين الرضا عن كل عيب كليلة * وعدم الرضا عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشطر الاخير * كما أن عين السخط تبدي المساويا * فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض وبالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهاه الله عنه محافظا على جميع ما أمره به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا الاشى أوجب على العبد

(أصل كل معصية) أي مخالفة لما أمر الله به ونهى عنه (وغفلة) للقلب عن حضرة الرب (وشهوة) نفسانية وهي التعلق بما يشغل عن الله تعالى (الرضا عن النفس) باجماع العارفين وأرباب القلوب لان الرضا عنها يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة عن الله وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور عليه حينئذ دواعي الشهوات وتغلبه اذ ليس عنده من المراقبة ما يدفعها ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة (وأصل كل طاعة) أي موافقة للامر والنهي (ويقظة) أي دخول في حضرة الرب وتنبه لما يرضيه (وعفة) أي علو الهمة عن الشهوات (عدم الرضا منك عنها) فان من لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متنبها متيقظا للطوارق والعوارض وبالتيقظ يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف حينئذ بالعفة واذا اتصف بذلك كان مجتنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما أمر الله به وذلك معنى طاعة الله سبحانه ولما كان الرضا عن النفس شأن من يتعاطى العلوم الظاهرية التي لا تدل على عيوب النفس نهى المصنف عن صحبتهم ومخالطتهم فقال

من

من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن الكبار والأئمة الاخيار من الكلمات المتضمنة اتهامهم لنفوسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها أكثر من ان يحصى ولذلك قال أبو حفص رضى الله تعالى عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال أيضا أبو حفص رضى الله تعالى عنه منذ أربعين سنة اعتقادى في نفسى ان الله ينظر الى نظر السخط وأعمالى تدل على ذلك وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه ما رضيت عن نفسى طرفة عين ويحكى عن سرى السقطى رضى الله تعالى عنه أنه قال انى لانظر الى وجهى في اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال أيضا رضى الله تعالى عنه من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبنى الا منهم الى غير هذا من العبارات الصادرة من المشايخ رضى الله تعالى عنهم في هذا المعنى وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله تعالى عنه جزأ صغير الجرم عظيم الفوائد في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك ألف قبله الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبى كتابا سماه النصائح جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية وفيه فيه على سنن دارسة عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم وأنفسهم والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام أبو حامد الغزالى قدس الله روحه منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد أن أثنى على مؤلفه بما هو أهله فبان للجاهل به علمه وفضله فقال في حقه والمحاسبى رحمه الله تعالى حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان أوحد زمانه علما وعبادة ونخبة أوانه ورعا وزهادة سيدى الحاج أبو العباس بن عاشر رحمة الله تعالى عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب وأظننى سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الا ولى أو كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسائلا منه توفيقا ورشدا لينصح اولا في مراعاة اصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق في مواطنه وليجعل هجيراه مطالعة كتب التصوف وموالاة أهله بالتألف والتعرف فبذلك تتقوى أنوار ايمانه ويقينه وتنتفى عنه الغرة في عمله بوظائف دينه ولا يقدم على

(ولان) أي والله لان (تصحب) أيها المريد (جاهلا) بالعلوم الظاهرية (لا يرضى عن نفسه) بأن يسخط عليها ويعتقد نقصها (خير لك من ان تصحب عالما) بذلك (يرضى عن نفسه) لان صحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما شر محض لك لان الصحبة تؤثر فتكتسب منه هذا الوصف الخبيث فصار علمه غير نافع لك في تهذيب نفسك وجهله الذي أوجب رضاه عن نفسه ضار لك غاية الاضرار وكأنه اذا فاته العلم بعيوب نفسه حتى لا يرضى عنها لا علم عنده فلذا قال (فأي علم لعالم يرضى عن نفسه) وصحبة من لم يرض عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيها كل الفائدة لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله فصار جهله غير ضار لك وعلمه الذي أوجب عدم رضاه عن نفسه نافعا لك غاية النفع وكأنه اذ علم بعيوب نفسه حتى لم يرض عنها لا جهل عنده ولذا قال (وأي جهل ٤٠ لجاهل لا يرضى عن نفسه) لانه اذا حصل له هذا العلم صار لا جهل عنده حتى يتضرر به مخالطه فتكون صحبته خيرا محضا فالتنوين في قوله علم وجهل للتنويع أي فأي علم نافع وأي جهل ضار ثم قال (شعاع البصيرة) ويعبر عنه بنور العقل وبعلم اليقين (يشهدك قربه منك وعين البصيرة) ويعبر عنه بنور العلم وبعين اليقين (يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة) ويعبر عنه بنور الحق وبحق اليقين (يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) والحاصل أن السالك يشرق على قلبه أنوار الهية يعبر عنها بهذه العبارات ويترتب على كل واحد ثمرات وفوائد قال بعضهم ولا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وبين المصنف ان الذي ينكشف بالنور الاول قرب الله منك وثمرة ذلك ونتيجته مراقبته تعالى والاستحياء منه حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك والذي ينكشف بالثاني ولا عدمية كل موجود في وجود الحق تعالى فيشهد الاكوان عدما فلا يعبأ بها ولا يلتفت اليها اذ وجودها عارية والوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وثمرة ذلك أن لا يبقى في نظرك ما تستند اليه ولا ما تستأنس به فيتم لك التوكل والتفويض والرضا والاستسلام والذي ينكشف بالثالث الذات المقدسة وثمرة ذلك الفناء الكامل الذي هو دهليز البقاء فيفنى عن فنائه وعدمه اسما لا كافي وجود سيده وناهيك بما يحصل له حينئذ من المواهب والاسرار الالهية فاذا ترقى عن ذلك حصل في مقام البقاء قال صاحب العوارف والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق اهـ (كان الله

ذلك الا فرض العين وما يستحيه نفسه من مكابدة التعب والاين ولا يشغل نفسه بعلم يغبر على وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده وهو ما أكب الناس عليه اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى أكبهم ذلك من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما صار بهم الى الهلاك والشقاء وأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم اللقاء وسجل عليهم بالكذب في دعواهم انهم قاصدون بعلمهم رضاه ولاهم فاياك واياهم وأنشد

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

ولذلك قال المؤلف ﷺ (ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه) فائدة الصحبة انما هي الزيادة في الحال وعدم النقصان فيها حسبما يأتي الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما شر محض ولا فائدة فيها لان علمه غير نافع له وجهله الذي أوجب رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكأنه اذ فاته هذا العلم الذي يريه عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لا يرضى عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لان جهله غير ضار وعلمه الذي أوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكأنه اذ حصل له هذا العلم لا جهل عنده ﷺ (شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم وشاهدوا ربهم قريبا منهم أي بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا أنفسهم عدما في وجود ربهم والمحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه ﷺ (كان الله

ولاشئ معه) يعني ان هذا حال من هو متحقق بمقام الفناء وهو عدم رؤية غير مولاه (وهو الآن على ما عليه كان) أي ان الامر الذي حصل لذلك المشاهد وهو ان الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وغيره لا وجود له هو الوصف المتحقق له سبحانه في الواقع وعدم ادراك ذلك له قبل ذلك انما هو لوجود الحجاب فقوله وهو الآن أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف على ما عليه كان أي هو متصف به في الواقع وقبل ادراك هذا المشاهد له لكن عدم ادراكه ذلك انما هو للحجاب القائم به ثم قال (لاتتعدى نية همتك) أيها السالك (الى غيره) بأن تتوجه الى غيره لتحصيل

ولاشئ معه وهو الآن على ما عليه كان) الازمنة ههنا أمور وهمية لا وجود لها على التحقيق والمقصود ان الله تعالى لاشئ معه لثبوت أحديته

فلم يبق الا الحق لم يبق كائن * فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى * بعيني الا عينه اذ أعاين

وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى الاكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته

وقال قدس الله سره ۞ (لاتتعدى نية همتك الى غيره فالكريم لاتتخطاه الآمال) الهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى قال الجنيد رضي الله تعالى عنه الكريم الذي لا يحوجك الى مسئلة وقال الحرث المحاسبي رضي الله تعالى عنه الكريم الذي لا يبالي من أعطى وقيل الكريم الذي لا يخيب رجاء المؤملين وأجمع العبارات في معنى وصف الكريم ما قيل الكريم الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعا فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغي اذاً أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدي احدا رفدا
ويا صاحبي قف بي مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

۞ (لاترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا) اذا اورد الله تعالى عليك حاجة او انزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ يستحيل ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده في ان لا فاعل سواه واذ هو غالب على امره

حاجتك بل اطلب حوائجك منه (فالكريم لاتتخطاه الآمال) فالهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة الا الله اذ الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجى ويغنيه عن الوسائل والشفعا وهذه الصفات لا يستحقها حقيقة الا الله سبحانه وتعالى فينبغي ان لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره واعلم ان الطلب من الخلق المنافي للعبودية هو الطلب منهم على وجه الاعتماد عليهم والاستناد اليهم والغفلة في حال الطلب عن الله تعالى اما الطلب منهم من حيث كونهم اسبابا ووسايط مع الاعتماد في نيل المطلوب على الله ورؤية انه المعطي فليس منافيا للعبودية ثم قال (لاترفعن) ايها المريد (الى غيره

٦ عبا ل حاجة) أي فاقة أو نازلة نزلت بك أي لا تتوجه في زوالها الى غيره وتطلب منه أن يرفعها عنك فان تلك الفاقة أو النازلة (هو موردها عليك) أي منزلها بك (فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا) اذ هو الغالب الذي لا يغلبه شئ وأيضا (من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه) اذا نزلت به (فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا) اي فيستحيل ذلك لثبوت عجزه وضعفه وحاصله ان المرفوع اليه حوائج لم يتوصل اليها ولو كان مالكا ولاشك ان نفسه احب اليه من غيره فلو كان له قدرة على نفع غيره لنفع نفسه فاذ عجز عن نفع غيره اذ ما بعد العجز عن نفع النفس عجز فكيف ونعم من قال العقل تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك

لا يغالبه أحد ويستحيل أيضاً أن يرفعها عنك من لا يستطيع ان يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم الذي لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء في كل نفس وحين وأوان وزمان قال عطاء الخراساني رضي الله تعالى عنه لقيت وهب بن منبه في الطريق فقلت حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي وأوجز قال أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود اما وعزتي وجلالي لا يستنصر بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجاً ومخرجاً أما وعزتي وجلالي وعظمتي لا يستعصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته الا قطعت أسباب السموات السبع من دونه واسخت الارض من تحته ولا ابالي في أي واد هلك * قال محمد بن الحسين بن حمدان كنت في مجلس يزيد بن هرون وكان الى جانبي رجل قلت له ما اسمك فقال سعيد فقلت ما كنيتك قال ابو عثمان فسألته عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتي فقلت ومن تؤمل لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت اذاً لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبك ولا يبلغك أملك فقال وما علمك بهذا رحمك الله قلت اني قرأت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي في علو مكاني لأقطعن أمل كل مؤمل لغيري بالاياس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ولأقطعنه من وصلي أيؤمل غيري في النوائب والشدائد بيدي وأنا الحي ويرجو غيري ويطرق الفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي أملني لنائبة فقطعت به دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاءه مني أم من ذا الذي قرع بابي فلم أفتحه له جعلت آمال خلقي بيني وبينهم متصلة فتعلقت بغيري وجعلت رجاءهم مدخراً لهم عندي فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يملون تسبيحي من ملائكتي وأمرتهم أن لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري فمالي أراه بآماله معرضاً عني ومالي أراه لاهياً بسواي أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته منه فلم يسألني رده وسأله غيري افتراني أبدأ بالعطية قبل المسئلة ثم أسئل فلا أجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي أليس الدنيا والآخرة لي أوليس الرحمة والفضل بيدي أوليس الجود والكرم لي أوليس انا محل الآمال فمن ذا الذي يقطعها دوني وما عسى ان يؤمل المؤملون لو قلت لاهل سمواتي واهل ارضي املوني ثم اعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما اعطيت الجميع ما انتقص ذلك من ملكي عضو ذرة كيف ينقص ملك كامل انا قيمه فيا بؤس القانطين من رحمتي ويا بؤس من عصاني ولم يراقبني ووثب على محارمي ولم يستحي مني قال رحمك الله أمل هذا الحديث على فكتبه ثم قال والله

لا كتب حديثا بعد فات والاصل الذى ينبنى عليه هذا المعنى هو تحقق العبد فى مقام حسن الظن بالله تعالى ولذلك اخذ المؤلف رحمه الله تعالى فى ذكره باثره فقال

﴿ (ان لم تحسن ظنك به لاجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الاحسانا وهل اسدى اليك الامتنانا) حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من التغير والانقلاب فى احدهما ما يخاف فى الآخر لان ارباب المقام الاول لما تحققوا فى المعرفة بالله تعالى واحتظوا بأنوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وارباب المقام الثانى لم يرتفعوا عن نظرهم الى الافعال وهى متلونة عليهم فى كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائمهم منها يهم ربما تضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن بالله وتحدث النفس بما يقتضى وجود هلع وجزع فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وما اشبهه وليقس النادر على الغالب * قال ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله تعالى عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم ان يكون او لا يكون لان الوهم قاتل وهو لوقت ثان فى اعطيت اذنك للوهم هلكت وحدك وكذلك الاصغاء بالاذن الى الشيطان والنفس جنس واحد اه قلت وحسن الظن يطلب من العبد فى امر دنياه وفى امر آخرته اما امر دنياه فان يكون واثقا بالله تعالى فى ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعى فيها او سعى خفيف ماذون فيه ومأجور عليه بحيث لا يفوته ذلك شيأ من نفل ولا فرض فيوجب له ذلك سكونا وراحة فى قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب واما امر آخرته فأن يكون قوى الرجاء فى قبول اعماله الصالحة وتوفية اجوره عليها فى دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الامر والتكثير من اعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال يحيى بن معاذ أوثق الرجاء رجاء العبد لربه واصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التى لا ينبغى للعبد ان يفارقه فيها اوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب فى الاهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك فى الجزع والسخط وسيأتى هذا المعنى فى كلام المؤلف رحمه الله وهو قوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن اعظم مواطن حسن الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء فى الخبر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفى حديث جابر من استطاع منكم ان لا يموت الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الآية وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم ولانه تعالى قال فيما روى عنه انا عند ظن

(ان لم تحسن ظنك به لاجل وصفه) أى لاجل ما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية فان من كان متصفا باسنى الصفات لا يصدر منه الا الجميل سيما لمن ظن به الجميل (فحسن ظنك به لاجل معاملته معك) من اسباغ النعم وشمول الفضل والكرم (فهل عودك الاحسانا وهل أسدى اليك الامتنانا) اى نعم اشار بذلك الى ان الناس فى حسن الظن على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر فكانه قال ينبغى لك ايها المريد ان تحسن ظنك به مطلقا فى ايصال المنافع ودفع المضار وعدم الالتفات لغيره فان لم تقدر على حسن الظن الذى هو مقام الخاصة فتلبس بمقام العامة وحسن الظن به لوصفه ينتج لك محبته وصحة الاعتماد والتوكل عليه وحسن الظن به لوجود معاملته معك ينتج لك الشكر لنعمته والتشوف لورود فضله ورحمته

(العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه) وهو الله تعالى بأن لا يفعل ما يقربه اليه (ويطلب ما لا بقاء له معه) وهو الدنيا وكل شئ سوى المولى بأن يقبل على شهواته ويتبع هواه (فانها لا تعمى الابصار الآية) اى أن ذلك ناشئ من عمى قلبه وجود جهله بربه لانه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وآثر الفانى الذى لا بقاء له على الباقى الذى لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لعكس الامر ثم قال (لا ترحل من كون الى كون) يعنى ان العمل المصاحب للرياء ونحوه مذموم غير معتد به شرعا فاذا جاهد المريد نفسه حتى خلص من ذلك ولكن قصد به الجزاء والدرجات او نيل الرتب العلية والمقامات لم يزل منه وما ايضا عند العارفين والمحمود ان يقصد به وجه الله تعالى ثم شبه المصنف الرحيل من كون الى كون بقوله (فتكون كحمار الرحا) اى الطاحون (يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه) وكذلك العمل لطلب الجزاء فيه رحيل من كون وهو الرياء ونحوه الى كون وهو ما ذكر من طلب الجزاء وسببه بقايا النفوس فتطلب بعملها رتبة عند الله وكل ذلك من الاكوان والاكوان كلها متساوية فى كونها اغيارا (ولكن ارحل من الاكوان الى المكون) بأن تخلص عملك لمولاك وحده دون حظ عاجل او آجل فمن عمل لاجل الدرجات او المقامات فهو عبدها ومن عمل لله فهو عبد لله وهو راحل من الاكوان الى المكون (وان الى ربك المنتهى) اى فقد انتهى سيره الى الله وصار محققا بمعنى هذه الآية بخلاف المرتحل من كون الى كون فانه غير منته له ولا واصل اليه

عبدى بى فليظن بى ما شاء * قال أبو طالب المكى رضى الله تعالى عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى الا أعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير كله بيده فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى أراد أن يحققه له اه وقد روى عن أبى النضر بن حيان قال خرجت عائدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو فى فراشه فلما رأى واثلة بسط يده وطفق يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الاسود بكفى واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة أسألك عن شئ تخبرنيه قال لا تسألنى عن شئ أعلمه الا أخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظنى والله بالله حسن قال فابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا وان ظن شرا وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله قلت والاخبار والآثار فى الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته أكثر من أن تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة فى هذا المقام فمن أراد الشفاء فى ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب وكتاب الاحياء قال بعضهم

وما زلت أرجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الصنع ما هو صانع

ثم بين رحمه الله تعالى الحالة التى بمنازلتها يتحقق العبد فى مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله وتعلق قلبه بوحدانيته وأشار الى أن ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الامانى لا ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعيم المعقول والامنيات التى تفنى وتزول وحكم بأن خلاف هذا من عمى القلب ومما يستحق أن يتعجب منه كل ذى لب فقال

(العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار الآية) هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعته هواه وذلك نتيجة عمى قلبه وجهله بربه لانه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وآثر الفانى الذى لا بقاء له على الباقى الذى لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لآثر الباقى على الفانى ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا بربهم اذ لم يحفلوا بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا الآية ثم قالوا والله خير وأبقى فهؤلاء استنارت قلوبهم وشاهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان (لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى) العمل على طلب الجزاء

والدرجات أونيل الرتب العلية والمقامات نقصان فى الحال وشوب فى اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس فى أن تحصل لها رتبة أوتنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية فى كونها اغيارا وان كان بعضها أنوارا وتمثيله بحمار الرحا مبالغة فى تقبيح حال العاملين على رؤية الاغيار وتلطف فى دعائهم الى حسن الادب بين يدى الواحد القهار حتى يحققوا بمعنى قوله تعالى وأن الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم اذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على أى حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من أهله بمنه وفضله انه على كل شئ قدير

(وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم) فى هذا الحديث النبوى تنبيه على المعنى الذى ذكره وموضع الاعتبار والتامل هو والله أعلم قوله فى القسم الثانى فهجرته الى ما هاجر اليه أى ولا نصيب له من الوصول والقرب الذى حظى به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا فى الخبر كما تقول زيد صديق أى لا صديق لغيرى وكانه صلى الله عليه وسلم نبه فى القسم الثانى بالدنيا التى يريد أن يصيبها والمرأة التى يريد أن يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهرها طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو الذى نهى عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالى الهمة والنية حتى لا يكون له التفات الى غير ولا كون البتة ولقد أحسن الشاعر فى قوله

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق * محتقر فى همتى * كشعرة فى مفرقى

قال رجل لابى يزيد رضى الله تعالى عنه أوصنى فقال له ان اعطاك من العرش الى الفرش فقل له لا أنت أريد وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت ركعتين لانى فى الفردوس بحظى وفى الركعتين بربى وقال الشبلى رضى الله تعالى عنه احذر مكره ولو فى قوله كلوا واشربوا يريد لا تستغرق فى الحظ ولتكن فى كل شئ به لا بنفسك فقوله تعالى كلوا واشربوا وان كان ظاهره اكراما وانعاما فان فى باطنه ابتلاء واختبارا حتى ينظر من هو معه ومن هو مع الحظ

(وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله) اى بالقصد والنية (فهجرته الى الله ورسوله) فى الواقع ونفس الامر فهى محمودة معتد بها (ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم) يعنى ان فى هذا الحديث تنبيها على المعنى المذكور وموضع الاعتبار والتأمل هو الشق الثانى أعنى فهجرته الى ما هاجر اليه فان معناه أنه لا نصيب له من الوصول والقرب الذى حظى به من هاجر الى الله ورسوله وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بالدنيا والمرأة على حظوظ النفس بالوقوف معها كائنة ما كانت فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون الذى هو مطلوب من العبد وهو مصرح به وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو مشار به غير مصرح * ولما كان حاصل ما تقدم طلب رفع الهمة عن الخلق وتعلقها بالملك الحق وأبلغ ما يوصل الى هذه المرتبة صحبة العارفين بالله تعالى أمر بها فى ضمن قوله

قال رضي الله تعالى عنه ۞ (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) تكلم ههنا في الصحبة وهي أصل كبير من أصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك استمر عليها شأنهم قديما وحديثا وقد نبه المؤلف رحمه الله على فائدتها في قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فان انهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهضة ههنا هو أن تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ في حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في أموره الا على الله قد سقط اعتبار الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقط نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضي لها حظا ويكون في أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين الموحدين فصحبة من هذه حاله وان قلت عباداته ونوافله مأمونة الغائلة محمودة العاقبة جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه أن يتصف منها بما يفوق صاحبه به فقط بحيث يكون أعلى منه حالا وأصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شأنه المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فائدة في صحبته بل ربما زادته شرا لان خلطته تدعوه الى التصنع له والتزين ويؤديه ذلك الى كبائر معاصي القلوب وهي أشد عليه من معاصي الجوارح بكثير ۞ قال يوسف بن الحسين الرازي رضي الله تعالى عنه لأن ألقى الله بجميع المعاصي أحب الي من أن ألقاه بذرة من التصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث رجاء الزيادة فيها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالادب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يصحبك ويكثر ذكرك فقال انه حبيب الي وأجله وأعرف قدره ولكن يهون علي أن ألقى الشيطان ألف مرة ولا ألقاه مرة واحدة قيل له وكيف ذلك قال أخشى أن أتزين له ويتزين لي قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون الا على استواء أربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض ان أكل صاحبه الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له صاحبه أفطر وان نام الليل كله لم يقل له صاحبه قم فصل وان صلى الليل كله لم يقل له صاحبه نم بعضه وتستوي أحواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان لاجل افطاره ونومه قالوا واذا كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين وأبعد من المراآة من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة بأن يرى حالها التي عرفت به وأن تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها وان تجتلب ما يوجب

المدح

(لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) بأن لا يكون حاله وهمته متعلقة بالله ومقاله لا يدل عليه وان كان من العباد والزهاد فصحبته للمريد منهي عنها بخلاف صحبة من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله بأن تكون همته متعلقة بالله مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ في حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في أموره الا عليه سبحانه وتعالى قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضي لها حظا ويكون في جميع أعماله جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفات العارفين بالله تعالى فصحبة من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله مأمور بها المريد لانها جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية اذ الطبع يسرق من الطبع بخلاف من لم يكن على هذا الوصف وكان شأنه المعاملة الظاهرة لا غير فلا فائدة في صحبته ثم لا يخلو اما أن يكون مثلك فلا يحصل لك من صحبته ضرر واما أن يكون دونك وهو ما أشار اليه بقوله

المدح منهم ويجتنب ما يوقع الذم عندهم فاذا صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك طريق الصادقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلوب وأسلم للدين وفي معاشرة أمثالهم فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه أسباب الرياء وفي الرياء حبط الاعمال وخسران رأس المال والسقوط من عين ذي الجلال وكان الثوري رضي الله تعالى عنه يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وكان بعض الحكماء يقول لا تؤاخ من الناس من يتغير عليك في أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال في موضع آخر من كان ناظرا في اخوة أخيه أو في صحبته لكثرة أعماله أو واقفا مع أكثر أحواله دل على جهله بهذه الطريق التي تنفذ الى التحقيق لانها تحول وانما العمل على حقائق القلوب لانها ثابتة في الاصول فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له والتصنع عنده لعله ومنزلته ويحسن عنده أثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له ويصير أحدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد النقصان بصحبته وتدخل عليه الا فات بمقارنته ولينفرد بنفسه ويصدق في حالة عالية كانت أو دنيئة وضيعة كانت أو رفيعة من غير مقاربة أحد ولا مباينته فهو خير له وأحمد عاقبة اه ويدل على ارادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما أعقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين في كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة * قال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله تعالى قلت لذي النون المصري رضي الله تعالى عنه من أصحب فقال من لا تكتمه شيأ مما يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضي الله تعالى عنه أصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة الى أن العجب بالعمل منفي عندهم في صحبتهم وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه اذا أراد الله بالمريد خيرا أرفقه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال علي رضي الله تعالى عنه شر الاصدقاء من أحوجك الى المداراة وألجأك الى الاعتذار وقال غيره شر الاصدقاء من تتكلف له وأنشدوا ليوسف بن الحسين الرازي رضي الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل مواتي * وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أحبه * ويحفظني حيا وبعد مماتي

(ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك الى من هو اسوأ حالا منك) يعنى ان صحبة من هو دونك ضرر محض لانها تغطى
عنك عيوبك وتبين لك كمالك فتوجب لك حسن الظن بنفسك فتعجب بأعمالك وتقنع بأحوالك والرضا عن النفس
ورؤية احسانها أصل كل شر
فان أردت ولابد أن تصحب من
لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله
مقاله فاصحب مثلك حتى تكون
فى صحبته لا لك ولا عليك ثم اعلم ان
صحبة العارفين على قسمين صحبة
ارادة وصحبة تبرك فصحبة
الارادة هى التى يشترط لها الشروط
المعروفة التى حاصلها ان يكون
المريد مع الشيخ كالميت بين يدى
الغاسل وصحبة التبرك هى التى
يكون القصد بها الدخول مع
القوم والتزيى بزيهم والانتظام
فى سلك عقدهم وهذا لا يلزم
بشروط الصحبة وانما يوصى بلزوم
حدود الشرع واهله بمخالطة
الطائفة تعود عليه بركتهم ويصل
الى ما وصلوا اليه (ما قل عمل برز
من قلب زاهد) اى غير متعلق بالدنيا
بل هو وان كان قليلا فى الحس كثير
فى المعنى لسلامته من الآفات
القادحة فى قبول الاعمال من
الرياء والتصنع للناس وطلب
الاعراض الدنيوية وعدم حضور
القلب مع المولى فى حال فعله لقلة
الوساوس الشيطانية الناشئة
من حب الدنيا (ولا كثر عمل برز
من قلب راغب) فى الدنيا بل هو
وان كان كثيرا فى الحس قليل فى
المعنى لعدم سلامته مما ذكر وقد
روى عن ابن مسعود انه قال
ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا

فمن لى بهذا ليتنى قد وجدته * فقاسمته مالى من الحسنات

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هى التى يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المتسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها غيرهم وسريان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الامل والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا فى الحضور والمجالسة فما ظنك فى الصحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفى من لا يعرف فى الدارين أحدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخر له كل شئ ولم يسخر هو لشئ وسلط على كل شئ ولم يسلط عليه شئ يأخذ النصيب من كل شئ ولا يأخذ النصيب منه شئ يصفو به كدر كل شئ ولا يكدر صفوه شئ قد شغله واحد عن كل شئ وكفاه واحد من كل شئ فانظر رحمك الله هذه الصفات ما أعظمها وأجلها وما أشرف حال من اتصف بها وما أعزه فى هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفى صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل * قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحب مثل هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال أيضا رضى الله تعالى عنه الولى اذا أراد أغنى وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما بينى وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة وقد أغنيته وقال فيه شيخه أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه فلا يمسى عليه المساء الا وقد وصله الى الله وسيأتى طرف من ذكر حال المؤلف رحمه الله تعالى فى صحبته وما أوصله اليه ببركة رؤيته عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز ۞ (ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك) هذه أعظم آفة تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه فى الحال وهى استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك الى رضاه عن نفسه ورؤيته لاحسانها وهو أصل كل شر كما تقدم ۞ (ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب) مقادير الاعمال على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين فى الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا فى الحس فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا فى الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الآفات التى تقدح فى اخلاص أعمالهم من مرآة الناس والتصنع لهم وطلب

الاعواض الدنيوية عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول أعمالهم فتوفرلهم قليلها بحسب ذلك ويكثر والراغبون تعتريهم الآفات المبطلة لاعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعني خالصا فسمي الخالص كثيرا وهو ما أخلصت فيه النية لوجه الله العظيم ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة أيضا قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في أمر الدنيا والآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه سألت معروفا الكرخي رضي الله تعالى عنه عن الطائعين لله بأي شئ قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا من قلوبهم ولو كان شئ منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله تعالى عنه شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لان عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد للاب ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا وكان أبو محمد بن سهل رضي الله تعالى عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله قال ولا يرى في القيامة أحد أفضل من ذي زهد عالم ورع ۞ (حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق في مقامات الانزال) حسن الاعمال توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب عبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوى موسومة بسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال هو ارتواء القلب بما ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام أبو حامد رضي الله تعالى عنه لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى نوع استدلال على ما قاله في الزاهد والراغب ۞ (لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك

(حسن الاعمال) بخلوصها عما يعوقها عن القبول من الرياء وغيره وحضور القلب مع الله في حال فعلها وعدم اشتغاله بغيره من الوساوس الشيطانية (نتائج حسن الاحوال) القائمة بالقلوب من الزهد في الدنيا والاخلاص لله بأن يقصد بعمله عبودية الله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل (وحسن الاحوال) ناشئ (من التحقق) اي التمكن (في مقامات الانزال) أي في المقامات التي تنزل في قلوب العارفين وهي معارف الهية يوردها الله تعالى على القلوب تكون سببا في ترك الدعوى وعدم الالتفات الى جنة أو هرب من نار فان المريد اذا حصل له ذلك راقب مولاه بقلبه فلا يقصد بعمله غيره واذا حصل ذلك خلص العمل عما يعوقه عن القبول وهذه الحكمة كالدليل لما قبلها ولما كانت الخصال المحمودة لا تنشأ غالبا الا من كثرة الذكر والمداومة عليه ذكره بقوله (لا تترك) أيها المريد (الذكر) بل لازمه وداوم عليه فانه أقرب الطرق الى الله تعالى وعلامة على وجود ولايته فمن وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية فلا تتركه (لعدم حضورك) أي حضور قلبك (مع الله فيه) بأن كان مشتغلا بالوساوس الشيطانية والاغراض الدنيوية (لان غفلتك عن وجود ذكره) بأن تتركه (أشد من غفلتك) الحاصلة (في وجود ذكره) لان ترك الذكر فيه بعد عن الله تعالى بالقلب واللسان بخلاف الذكر فانك ان بعدت عنه بقلبك فأنت قريب بلسانك فعليك أن تذكر الله به وان كان قلبك غافلا حال الذكر (فعسى أن يرفعك) أي يرقيك

من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) الذكر أقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل قال الشاعر

والذكر أعظم باب أنت داخله * لله فاجعل له الانفاس حراسا

قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شئ وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز فاذكروني أذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة لكان في ذلك كفاية وغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره في الاحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد أن يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهي مرتبة العارفين المحققين من الاولياء قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت أي اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا الله وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى أنشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يقلقني * سري وقلبي وروحي عند ذكراك

(من ذكر مع وجود غفلة) عن المولى (الى ذكر مع وجود يقظة) أي تيقظ لما يناسب حضرته سبحانه من الادب وعدم الاشتغال عنه بغيره (ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور) بأن يدخل القلب حضرة الرب فيراقبه حال ذكره ولا يغفل عنه (ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور) وهو الله بأن يفنى حتى عن الذكر فيصير يخرج منه الذكر من غير قصد وحينئذ يكون الحق لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقيقتها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بشئ من ذلك فتهلك مع الهالكين * ولما كان المريد ربما يستبعد الوصول الى ذلك نفاه بقوله (وما ذلك على الله بعزيز) لانه قادر على كل شئ فعلى المريد القيام بالاسباب ومن الله الوصول ورفع الحجاب

حتى كان رقيبا منك يهتف بى * اياك ويحك والتذكار اياك
اماترى الحق قد لاحت شواهده * وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطى مشيرا الى هذا المقام الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لان ذكره سواه وقال أبو العباس بن البناء فى كلام ذكره على مقدمة كتاب أبى العز تقى الدين بن المظفر الشافعى وهو كتاب الاسرار العقلية فى الكلمات النبوية ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن أحسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر الخفى عند المتصوفة على الاستمرار والتمكن فى الاسرار وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر الى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم وبيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر فى الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت الحق ويتجلى منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذى ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها وان سمع كان سمعه الذى يسمع به قد استولى المذكور العلى على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء فى مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله قلب أم موسى عليه السلام بمعنى ذلك فى قوله الحق وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أى فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى فكادت أن تبدى به من غير قصد منها الذكره ولا تدبير بل كان تركها التصريح بذكره صبرا بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى اليها من قبل فى شأن موسى وبأنه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذى ذكره أبو العز ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضدين فى بادى الرأى وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم البكم فى الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا يجرى عليه صفات المخلوقين فهو حاضر عينا ومعنى وشاهد سرا ونجوى اذ هو القريب من كل شئ وأقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها وأوجد الاعداد فلا تحصره معانيها سبحانه هو العلى الكبير انتهى كلام الشيخ أبى العباس رحمه الله فى معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهو فى غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من أهل هذا الطريق فلا ينبغى أن يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحق

الاسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب ۞ وقال رضى الله عنه (من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على مافعلته من وجود الزلات) القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على مافاته من الطاعات وندم على مافعله من الزلات ومقتضى هذا وجود الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب المعاصى والسيئات وقد جاء فى الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فان لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على مافاته والندم على ماأتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبل أن أعمال العبد الحسنة والسيئة علامات على وجود رضا الله تعالى عن العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله تعالى عبده للصالحات سره ذلك لانه علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه واذا خذله ولم يعصمه فعمل بالمعاصى ساءه ذلك وأحزنه لانه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجاء يبعث على الاجتهاد فى الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على مافاته منها أمنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة فى اجتناب المعاصى والسيئات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها ايأسا وقنوطا وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه آت فلما دنا انا ورأى جماعتنا أناخ راحلته ثم مشى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أوضعت راحلتى من مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا وأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وأنضيت راحلتى لأسألك عن اثنتين أسهرتانى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئلت عنها قال جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف أصبحت يازيد قال أصبحت أحب الخير وأهله وأحب أن يعمل به واذا فاتنى حننت اليه واذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه قال هى هى بعينها يازيد ولو أرادك الله للاخرى هيأك لها ثم لايبالى فى أى واد هلكت فقال زيد حسبى حسبى ثم ارتحل ولم يلبث

۞ (لايعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه) عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين أحدهما أن يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على ان لايعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهى من علامات ايمان العبد كما قلنا قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها فى اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه قال به هكذا فأطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثانى ان يعظم عنده عظمة توقعه فى اليأس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة فى الايمان وهى شر عليه من ذنوبه وسبب ذلك جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله حق المعرفة لاستحقر ذنوبه

في

(من علامات موت القلب) أى قلب المريد

(عدم الحزن على مافاتك من الموافقات) أى الطاعات (وترك الندم على مافعلت من وجود الزلات) أى من الزلات التى توجد منك وعلامة حياته بالانوار الالهية وان لم تدركها الغلظ حجابك وحزنك على مافاتك من الطاعات وندمك على مافعلت من الزلات تفرح بصدور الاعمال منك فرحا شديدا وتغتم على صدور المخالفات وذلك دليل على أنك من أهل الارادة المحبوبين لله مجدّ فى السير ولا تكسل (لايعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله) بأن توقعك فى اليأس والقنوط فهذه عظمة مذمومة قادحة فى الايمان وهى شر عليك من ذنوبك وسببها جهلك بصفات مولاك ووقوفك مع نفسك (فانه من عرف ربه) معرفة حقيقية (استصغر فى جنب كرمه ذنبه) فأى ذنب لا يسعه عفوه سبحانه أما عظمة الذنب التى تحمل مرتكبه على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على ان لايعود الى مثله فهى عظمة محمودة وهى من علامات ايمان العبد قال ابن مسعود ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فأطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله

في جنب كرمه وفضله فأي قدر للعبد أو قيمة حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه أن يغفره قال في التنوير واعلم أنه لا بد في مملكته من عباد هم نصب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وجاء رجل الى الاستاذ أبي الحسن قدس الله سره العزيز فقال ياسيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال ياهذا كأنك تريد أن لا يعصى الله تعالى في مملكته من أحب أن لا يعصى الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب كثرت اساءته ومخالفته وجبت له الرحمة من ربه فكان له راجيا وبقدر إيمانه وان عصى عالما اه فلا ينبغي للعبد أن يستعظم ذنبه استعظاما يؤديه الى أن يلقي بيديه آيسا من روحه وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه أن يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى في تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله تعالى بين مؤمن وبين ذنب أبدا فنبهك بهذا على أن الذنب مانع من وجود العجب الذي هو أعظم حجاب بين العبد وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك وساكن له بخلاف ذلك الذنب لانه يوجب له الخوف والحذر واللجأ الى الله تعالى والفرار اليه من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار وأحب أوصاف العبد الى الله عز وجل افتقاره الى مولاه وأشرف أحوال المؤمن ما يرده اليه ويقبل به عليه

❁(لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله) اذا ظهرت الصفات العلية بطلت أعمال العاملين فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر واذا ظهر وصف الكرم والفضل لمن أحبه اضمحلت سيآته وجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان نالهم فضله لم تبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله تعالى عنه الهي ان أحببتني غفرت سيآتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما أحسن قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه في دعائه ومناجاته واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسيأتي من مناجاة المؤلف رحمه الله في مثل هذا المعنى قوله الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك ❁(لا عمل ارجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده) في النسخ الموجودة بأيدينا

(لا صغيرة) من ذنوبك بل كلها كبائر (اذا قابلك عدله) وهو تصرفه في ملكه من غير حجر عليه فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه الله تعالى ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر (ولا كبيرة اذا واجهك فضله) وهو اعطاء الشيء بغير عوض بل جميع ذنوبك حينئذ صغائر فاذا ظهرت صفة الفضل لمن أحبه اضمحلت سيئاته وجعت كبائره صغائر ولذا قال الشاذلي قدس الله سره واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت (لا عمل أرجى للقبول) أي لقبول الله له (من عمل يغيب عنك شهوده) بأن تشهد أن الذي وفقك له هو الله تعالى ولولاه ما صدر منك ذلك العمل (ويحتقر عندك وجوده) بأن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الامور كالوصول الى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات لرؤيتك التقصير فيه وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله وفي بعض النسخ أرجى للقلوب أي لصلاحها

(انما أورد عليك) أيها المريد (الوارد) يطلق الوارد على ما يتحف الله به عبده من العلوم الوهبية والانوار العرفانية التي ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه فيرى الحق حقا والباطل باطلا ويطلق على تجل الهي يرد على القلب وان لم يشعر به العبد لغلظ بشريته وقد يعبر عنه بالحال وهذا هو المراد هنا ٥٤ (لتكون به عليه واردا) اى مقبلا على الدخول في حضرته ومعلوم أن الدخول في تلك الحضرة لا يكون الا لقلب خالص مما يكدره ولذا قال (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار) الاغيار والآثار هي الاغراض الدنيوية وشهوات النفوس فهي غاصبة لك لميلك اليها وسكونك اليها واعتمادك عليها فأورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ويحررك من ملكية من استرقك فلا يكون للمخلوق فيك نصيب ولا شركة وتكون سالما لله عز وجل فتصلح للحضور معه ولذا قال (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك) أي صفاتك القائمة بك المانعة لك من شهوده وذلك كالسجن المانع للمسجون من الخروج (الى فضاء شهودك) اى لشهودك للمولى الشبيه بالفضاء لعدم وجود شيء يحولك عن الرؤية قال بعضهم سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد ومقتضى هذا التقرير أن الوارد واحد وثمرته واحدة وهي الدخول في حضرة الرب ويصح أن يكون المعنى أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا أي مقبلا عليه بالاشتغال بالطاعات وانواع المجاهدات فتشتغل بذلك وتقاتل بأوصاف نفسك وشهواتها المقتضية لعدم الاخلاص العبادة فيرد عليك وارد آخر ليخلصك من ذلك ويحصل لك الاخلاص فاذا حصل لك ربما تركن اليه وتعتمد عليه في قبول اعمالك ووصولك بها الى حضرة قربه وذلك باطل فيرد عليك وارد ثالث تغيب به عن رؤية نفسك وتشاهد به مولاك بسرك ثم قال

لا عمل أرجى للقلوب ومعناه على هذا الوجه أن العمل الموصوف بهذه الصفة لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره وفي عدم التفاته واعتباره صلاحه وتحرره من رق رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل أرجى لصلاح القلوب أو ما في معناه وسيأتي من كلام المؤلف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم الى آخره والغالب على الظن أن الذي قصده المؤلف رحمه الله وذكره انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب حروفه ولا يحتاج في هذا الى حذف وتقريره على هذا الوجه أن تقول سلامة العمل من الآفات شرط في قبوله لان صاحبه متق لله تعالى وقد قال عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الآفات باتهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه اذ ذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه فان لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غائبا عن شهود منة الله تعالى عليه في توفيقه له أوقعه ذلك في العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال أبو سليمان رضي الله تعالى عنه ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه كل شيء من أفعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل منك لان القبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل أن لا يبقى عندك منه شيء فانه اذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع اليه لوقوفه بين عينيك وعنديته فينبغي للعبد اذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى يحصل له قبوله ۞ (انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا) الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالآثار متلوث بأقذار الاغيار فاذا انما أورده عليك لتكون به عليه واردا ۞ (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار) الآثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فانما أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك وليحررك من ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل للكافر في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن سلم من يد الاغيار وحرر من رق الآثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سلما لله عز وجل ۞ (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك) سجن وجوده هو شهوده

(الانوار) الالهية التى ترد على قلب المريد من حضرة الرب وتحصل غالبا من الاذكار والرياضات (مطايا القلوب) توصلها الى مطلوبها التى هى متوجهة له وهو دخولها حضرة الرب والقرب منه كتوصيل المطية راكبها الى مطلوبه (والاسرار) اى ومطايا الاسرار ايضا جمع سر وهو باطن القلب عند الصوفية ولا التفات لمن جعله عين القلب لانه خلاف اصطلاحهم (النور جند القلب) اى يتوصل به الى ما يقصده ويتوجه اليه وهو حضرة الرب كما يتوصل الامير بجنده الى ما يقصده من غلبة عدوه وهذا مستفاد مما قبله وانما اتى به توطئة لقوله (كما أن الظلمة) وهى طبيعة العبد (جند النفس) تتوصل بها الى مقصودها وهو الشهوات والاغراض العاجلة وما زال الحرب واقعا بين القلب والنفس ٥٥ (فاذا أراد الله أن ينصر عبده) اى يعينه على نفسه وقمع شهواتها (أمده) اى أمد قلبه (بجنود الانوار) أى بجنود هى الانوار أو بالانوار الشبيهة بالجنود فانها اذا حصلت له أدرك بها قبح الشهوات العائقة عن الوصول الى الله تعالى (وقطع عنه مدد الظلم والاغيار) أى مددا هو الظلم والاغيار وهما بمعنى واحد واذا أراد خذلانه فعلى العكس من ذلك فاذا مال القلب الى عمل صالح كصوم غد ومالت النفس الى شهوة كالفطر وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذى هو من الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب والظلمة الى نصرة النفس وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله وتوكله عليه وهكذا فى كل عمل صالح الى أن يصل الى الله تعالى فينقطع حينئذ حكم النفس وتصير مقهورة مغلوبة ثم قال (النور) الذى يفيضه الله على قلب المريد (له الكشف) أى كشف المعانى والمغيبات كحسن الطاعة وقبح المعصية (والبصيرة) التى هى ناظر القلب (لها الحكم) اى ادراك ذلك ومشاهدته فكما لا يمكن ادراك البصر للمحسوسات الا بالانوار الظاهرية كسراج وشمس لا يمكن ادراك البصيرة لشئ من المعانى الا بالانوار الباطنية (والقلب له الاقبال والادبار) على ما كشف للبصيرة فاذا كشف لها عن حسن الطاعة وقبح المعصية أقبل القلب على الطاعة وأحبها فتتبعه الجوارح وأدبر عن المعصية فلا تتلبس بها الجوارح هذا ويحتمل أن المعنى أن النور له الكشف عن المغيبات كاسرار القدر وأنه يحصل فى العالم كذا والبصيرة لها الحكم أى ادراك ذلك ثم هذا الكشف والادراك قد لا يكونان تامين فينبغى للمكاشف أن يتثبت فى كشفه ولا يعمل بمقتضى ما كشف له فلا يخبر بشئ حتى يستفتى قلبه اما أن يقبل واما أن يدبر ولذا تجد بعض الاولياء يخبر عن امور ولا تقع وذلك لعدم تثبته فى كشفه

لنفسه ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن يغيب عن ذلك بشهوده عظمة الله تعالى وجلاله ورؤية قيام حركاته وسكناته قال أبو القاسم النصراباذى رضى الله تعالى عنه سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت فى راحة الابد وسيأتى من كلام المؤلف فى معنى قوله سجن وجودك الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته ۞ (الانوار مطايا القلوب والاسرار) أنوار الايمان واليقين مطايا حاملة الأسرار والقلوب الى حضرة علام الغيوب وتلك هى الواردات المذكورات ۞ (النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فاذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار) نور التوحيد واليقين وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما سجال فاذا أراد الله نصرة عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا أراد خذلان عبده فعلى العكس فاذا مال القلب الى العمل بأمر محمود مؤلم فى الحال ملتذ به فى المآل ومالت النفس الى العمل بأمر مذموم ملتذ به فى الحال مؤلم فى المآل وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذى هو من أمر الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب وبادرت الظلمة التى هى من وساوس الشيطان وحيله الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب فى الآجلة وعمل القلب بما مال اليه وان آلمه فى الحال لما يرجوه من التنعم به فى المآل وان سبقت له من الله الشقاوة والعياذ بالله ذهل القلب عن النور وأعمته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه وان آلمه فى المآل لما يحصل لها من لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى ولياذه به وكثرة ذكره وصدق توكله عليه واستعاذته من الشيطان الرجيم وهذه العبارات انفس من قوله انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بألفاظ مختلفة والمعانى فيها متقاربة وهذه عادته فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضى الله تعالى عنه ۞ (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار) هذه ألفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور

(لا تفرح بالطاعة لانها برزت منك) اى من حيث صدورها عنك باختيارك وحولك وقوتك فهذا فرح مذموم منهى عنه محبط
لها (و) لكن (افرح بها لانها برزت من الله اليك) اى من حيث شهودها من الله نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود المطلوب
من العبد وهو مقتضى شكرها ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)
فايصال تلك الطاعة اليه واظهارها على يده ٥٦ اعتناء من الله سبحانه وتعالى به فينبغى أن يفرح بها من تلك الحيثية لا من
حيثية صدورها منه وفعله لها
(قطع) أى حجب ومنع (السائرين
له والواصلين اليه عن رؤية
أعمالهم) الظاهرية (وشهود
أحوالهم) القلبية لكن السبب
فى انقطاع الطائفتين عن ذلك
مختلف (أما السائرون فلانهم
لم يتحققوا الصدق مع الله فيها)
وذلك لرؤيتهم نقصها بعدم حضور
قلبهم مع الله حال فعلها فهم
دائما متهمون نفوسهم فى توفية
أعمالهم حقها وفى صفاء أحوال
قلوبهم فكان ذلك سببا فى البراءة
من رؤيتها وشهودها (وأما
الواصلون فلانه غيبهم بشهوده
عنها) أى انهم نسبوها اليه تبريا من
حولهم وقوتهم فقطعهم عن ذلك
شهودهم له فى حضرة قربه ومن
شاهده لم يشهد معه غيره وقد
أسبغ الله النعمة على الفريقين
حيث عافاهم من التعلق بأعمالهم
وأحوالهم الا أنه فعل ذلك
بالسالكين كرها وبالواصلين طوعا
ولا شك أن هذا المقام أرقى من
الاول ولهذا لما سأل الواسطى
أصحاب أبى عثمان بما ذا كان
يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا
بالتزام الطاعات ورؤية التقصير
فيها قال انهم أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها يريد بذلك ترقى
هممهم الى مقام العرفان لا تحقير ما هم عليه فانه من الاحسان

يفيد كشف المعانى المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة التى هى ناظر القلب تفيد
الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ماشاهدته البصيرة
وله أيضا الادبار كالعمل بمقتضى ماشاهدته البصيرة ❁ (لا تفرح بالطاعة لانها
برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون) الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها
من الله تعالى نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذى طلب من العبد وذلك هو
مقتضى شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته وحوله
وقوته فهذا هو فرح مذموم منهى عنه وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل
فالفرح بها على هذا الوجه فرح بلا شئ وسيأتى فى آخر الكتاب أنواع الفرح بالنعم وما
يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة ❁ (قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم
وشهود أحوالهم أما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون
فلانه غيبهم بشهوده عنها) لقد أسبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لانه
أبقاهم معه ولم يدعهم لسواه فالواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك
بهم كرها ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون قطعهم عن
ذلك شهودهم له فى حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ محال أن يراه ويشهد
معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من الدعوى
فهم أبدا متهمون لانفسهم فى توفية أعمالهم وتصفية أحوالهم قال النهرجورى رضى الله
تعالى عنه من علامات من تولاه الله فى أحواله أن يشهد التقصير فى اخلاصه والغفلة
فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهداته وقلة المراعاة فى فقره فتكون
جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى قصده وسيره حتى يفنى عن كل
ما دونه وقال أبو عمرو واسمعيل بن نجيد رضى الله تعالى عنه لا يصفو لاحد قدم فى
العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها عنده دعاوى وقال أبو يزيد رضى
الله تعالى عنه لو صفت لى تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشئ والى هذين المقامين تشير
الحكاية التى تروى عن الواسطى رضى الله تعالى عنه وذلك انه لما دخل نيسابور سأل
أصحاب أبى عثمان رضى الله تعالى عنه بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام
الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود
مجريها ومنشئها قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه وانما أراد

الواسطى

الواسطى بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لاتعريجا فى أوطان التقصير أو تجويزا للاخلال بأدب من الآداب وقال رضى الله تعالى عنه ﴿ (مابسقت أغصان ذل الاعلى بذر طمع) البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ماتشعب عن سوق الشجر ويجمع أيضا على غصون والبذر الحب الذى يزرع وهذه كلها استعارات مليحة والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة فى عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة مالا مزيد عليه ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذى يقتضى وجود العزة والعزة التى اتصف بها المؤمنون انما تكون برفع هممهم الى مولاهم وطمأنينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هى العزة التى منحها الله عبده المؤمن قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكما أن العزة من صفات المؤمنين كذلك المذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين قال أبو بكر الوراق الحكيم رضى الله تعالى عنه لو قيل للطمع من أبوك قال الشك فى المقدور ولو قيل له ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وقال أبو الحسن الوراق النيسابورى رضى الله تعالى عنه من أشعر فى نفسه محبة شئ من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع فى شئ ذل وبذله هلك وقد قيل فى ذلك (مفرد)

أتطمع فى ليلى وتعلم أنما * تقطع اعناق الرجال المطامع

فالطامع لامحالة فاسد الدين مفلس من أنوار اليقين قال فى التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ماسواه وتطهر من الطمع فى الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ماطهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم على بن أبى طالب رضى الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى رضى الله عنه فقال يافتى انى سائلك عن أمر فان أجبتنى عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت اصحابك وكان قد راى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت قال ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول كنت فى ابتداء امرى بثغر الاسكندرية

(مابسقت) يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت اى ماطالت (أغصان ذل الاعلى بذر طمع) شبه الذل بشجرة ذات أغصان وفروع استعارة بالكناية والاغصان تخييل باق على حقيقته أو مستعار لانواع الذل وبسقت ترشيح باق على حقيقته أو بمعنى وجدت وحصلت وشبه الطمع بالنواة التى تنشأ عنها الشجرة فاضافة بذر اليه من اضافة المشبه به للمشبه أى طمع شبيه بالبذر أى المبذور الذى تنشأ عنه الشجرة ذات الاغصان فكأنه يقول لاتغرس بذرا الطمع فى قلبك فتخرج منه شجرة الذل وتتشعب اغصانها وفروعها ولو قال مابسقت شجرة الذل لكان اولى لان الذى يتصف بالطول وينشأ عن البذر هو اصل الشجرة ووصف الاغصان بذلك بطريق التبع فالطمع من اعظم العيوب القادحة فى العبودية بل هو اصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة مالا مزيد عليه وسببه الشك فى المقدور ولذا قال بعضهم لو قيل للطمع من ابوك لقال الشك فى المقدور ولو قيل ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان فالطامع لامحالة فاسد الدين ولذا دخل على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه جامع البصرة فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى فقال يافتى انى سائلك عن امر فان اجبتنى فيه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت قال ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس والورع الذى يقابل الطمع هو ورع الخاصة وهو صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وطمأنينة القلب به لا ورع العامة وهو ترك الشبهات وعلى هذا فيقال قياسا على ماقاله المصنف مابسقت اغصان عز الاعلى بذر ورع

جئت الى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي اعله
لا يأخذه مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته
يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم
قال بعد هذا فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته
وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قاله بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضغيك
أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل قلت تقدم الآن من كلامه في
التنوير ذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك في جواب الحسن لعلي رضي الله عنهما لما
سأله مستخبرا له عن صلاح الدين وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما ولا شك ان الورع
الظاهر لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرج من اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع
كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين
وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهمم عليه وطمأنينة القلب
به ولا يكون له ركون الى غيره ولا انتساب الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذي يقابل
الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسن رضي الله عنه
في جوابه المذكور قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر
ان لا يتحرك الا لله وورع في الباطن وهو أن لا يدخل قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان
حريصا على أن يرى أحدا من هذه صفته فجعل يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل اليه
بان يأخذ الشيء بعد الشيء من ماله ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم
حين المناولة خذ ذلك فكانوا يأخذون ولا يسمع من احد منهم جوابا مطابقا لما اراده
بكلامه الى ان ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك انه قال لاحدهم
خذ ذلك فقال له آخذه لا منك فان كان للعبد استشراف الى خلق او سبقية نظر اليهم
قبل مجيء الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع والواجب في حق الادب ان لا ينيل نفسه
شيئا مما يأتيه على هذه الحال عقوبة لنفسه في نظرها الى ابناء جنسه كقصة أيوب الجمال
مع احمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي عن الشيخ ابي مدين رضي الله
عنه انه اتاه حال بقمح فنازعته نفسه وقالت له يا ترى من أين هذا فقال لها انا اعرف
من اين هو يا عدوة الله وامر بعض اصحابه ان يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها
رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت
فيه احدا من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه وأوضح الغرض
الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة من المتأخرين ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه فانه قال اعلم ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق نسبة
في أخذ أو عطاء او قبول اورد وان يكون السبق لله تعالى وهو ان يأتي المظاهر امن
جميع الاشياء والعلم والعمل كما قال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقال

ايضا الورع ان لا يخطر الرزق بالبال ولا يكون بينه وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدرى أيأكله أم لا وقال أيضا الورع أن لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله في الحركة والسكون فاذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقى مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال بعضهم ما رأيت شيأ الا رأيت الله فيه فاذا رأى الله ذهبت الاشياء وقال أيضا أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسايط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذى لا ينسى الله فيه الى غيره هذا من العبارات التى عبر بها فى هذا المعنى وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم ثم يفترقون فى المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فاما الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون ايدى الخلق فيذلون لهم وأما الذين يأكلون ارزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنة وكد وأما الذين يأكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر احدهم نفاق سلعته فهو متعذب القلب معذب بانتظاره واما الذين يأكلون ارزاقهم بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون قسمتهم من يده بعزة قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب فى الاسلام قال الشيخ ابو طالب رضى الله عنه معناه ليس فى حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها انما رؤيتها او الطمع فى الخلق يوجد فى مقام الاسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله تعالى فى لطائف المنن فصلا فى هذا المعنى وجعله لجميع وظائف الآداب الدينية اصلا ومبنى فرأينا نقله فى هذا الموضع من صواب العمل المتكفل ان شاء الله بنجاح الامل قال رضى الله عنه اعلم رحمك الله ان ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن ان يسكنوا لغيره او يميلوا بالحب لغيره او يمدوا اطماعهم فى غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسايط والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى انوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا وترفعهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشور اخرجت من بغداد اريد الموصل فانا اسير واذا انا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومن بناتها ومشموماتها فأعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لى يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربى وكان مقيما بشرق الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقول لى انك فى العام القابل عندنا فقلت فى نفسى اذا كنت العام

القابل ههنا فلا اعود الى الاسكندرية فخطر لى الذهاب الى اليمن فأتيت الى عدن فأنا يوما
على ساحلها واذا بالتجارة قد اخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادته
على البحر ومشى على الماء فقلت فى نفسى لم اصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقول لى من
لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله تعالى عنه الورع نعم
الطريق لمن عجل ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله
والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم اوقاتهم
وسائر احوالهم لايدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون
ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على
حقيقة الامر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما
ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن
لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنياه او مصروف بدعوى ونصيبه التعزز لخلقه والاستكبار
على مثله والدالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك
والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله
احتقارا لنفسه وافتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من
الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم
فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل اوليائه ومن عليك بمتابعة
اصفيائه هذا الورع الذى ذكره الشيخ رضى الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع
من الورع الاترى قوله قد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله
والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين
لا ورع المنقطعين الذى نشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم انتهى وانما اوردنا هذه المعانى
ههنا تتميما للفائدة المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتى
مزيد بيان فيه فى موضع أنسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الى
آخره فانظره فيه ۞ (ما قاد شئ مثل الوهم) الوهم امر عدمى وهو ضد الحقيقة الوجودية
والنفس الناقصة انقيادها الى الامور الوهمية الباطلة اشد من انقيادها الى الحقائق
الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع فى الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع
تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع فى غير مطمع وارباب الحقائق بمعزل عن هذا
فلا تتعلق هممهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به قد سقط اعتبار الاوهام
والخيالات التى هى متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع فاتصفوا بصفة القناعة
والورع فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات
اليقين وهى من بدايات احوال الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى
لو جاء الى بابه منزله جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه

(ما قاد شئ مثل الوهم) يعنى
ان الوهم هو السبب فى الطمع
فى الناس وذلك كاف فى قبحه
لان الوهم الذى هو اصله أمر
عدمى اذ هو عبارة عن التخيل
والحسبان التقديرى لكن
النفوس منقادة له اتم من انقيادها
الى العقل الاترى ان الطبع
ينفر من الحية لتوهمه الضرر
فيها بل من الحبل المرقش لكونه
على صورتها ولو انقادت للعقل
لم تنفر لان ما قدر يكون وما لم
يقدر لم يكن فلا يسلم من الطمع
فى الخلق والرغبة فيما بايديهم الا
اهل الورع الخالص وهم اهل
القناعة والتوكل الذين سقط من
قلوبهم علاقات الخلق فلا يهتمون
للرزق

لم

لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هى القناعة ﷺ (انت حر مما انت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع) الطمع فى الشئ دليل على الحب له وفرط الاحتياج اليه وذلك عبودية له كما ان اليأس من الشئ دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية فنفسه فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل

العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع
فاقنع ولا تطمع فما * شئ يشين سوى الطمع

وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شئ لا خطر له وقيل ان العقاب يطير فى فضاء عزه بحيث لا يرتقى طرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيعلق بالشبكة جناحه فيصيده صبى يلعب به وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه كان قاعدا فسئل عمن تابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع أحدهما خبز بلا أدم ومع الآخر خبز مع كامخ فقال الذى لم يكن معه كامخ لصاحبه أطعمنى من الكامخ فقال له بشرط ان تكون كلبى فقال نعم فجعل فى رقبته خيطا وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل أما انه لو رضى بخبزه ولم يطمع فى كامخ صاحبه لم يصر كلبا لصاحبه وحكى عن بعضهم انه دخل على تلميذه فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا ولم يكن له ادم فأخذ يتمنى بقلبه أن ليت كان له ادم يقدمه الى أستاذه فقام الاستاذ وقال تعال معى فحمله الى باب السجن فرأى الناس يضرب واحد ويقطع آخر ويعذب كل واحد بأنواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء هم الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا أخرج من السجن وفى رجله قيد يسأل الناس فقال لانسان أعطنى كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد فى رجلك ورأى رجل رجلا من الحكماء يأكل ما تساقط من البقل على رأس الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد أردت ان أذكر هنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لتعرف بها كيف تكون الهمة السنية والآداب المرضية فى أخذ البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشيا ورؤية منة الله تعالى فى تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيبة وصورة حسنة ومروآة فقال من يبغى خادما من يسقيكم الماء فقلت دونك هذه القربة فأخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا وأثرت القربة فى كتفه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غيرها قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع فأدركتنى عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه فقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص

(انت حر مما انت عنه آيس) اى من كل ما انت آيس منه (وعبد لما انت له طامع) اى لكل ما انت طامع فيه فمن بمعنى من ولام له بمعنى فى وهذا دليل آخر لقبح الطمع ومدح الاياس من الخلق والقناعة بالرزق المقسوم وبيانه ان الطمع فى الشئ عبودية له كما ان اليأس من الشئ حرية منه لانه يدل على فراغ القلب منه وغناه عنه فالطامع عبد واليائس حر ولذلك قيل
العبد حر ما قنع
والحر عبد ما طمع
والقناعة هى السكون عند عدم المألوفات وهى اول الزهد

بوقع قدونك هذا الطعام فنظر فى وجهى وتبسم وقال يا عبد الله انما هى فورة جوع فلا أبالى بأى شئ رددتها عنى فرجعت عنه فقال لى رجل الى جنبى أتعرفه قلت لا قال انه رجل من بنى هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولد سليمان بن أبى جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له أثر فأعجبنى قوله ثم اجتمعت به وآنسته وقلت له يافتى أنا رجل من اخوانك وقد بلغنى موضعك فأحببت الاتصال بك فهل لك أن تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا لكان لى معدا ثم أنس الى وجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ وانى أمرت خادما لى أن يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير فبينما أنا نائم اذا بقمع ورد قد غفلت عنه الخادمة فقمت اليها فأوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال لى أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

ياخد انك ان توسد لينا ＊ وسدت بعد الموت صم الجندل

فامهد لنفسك صالحا تسعد به ＊ فلتندمن غدا اذا لم تفعل

قال فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتى الى ربى هارباً فهذا خبرى قال الراوى فلما قضى حديثه هذا الفقير عنى ومضى ۞ (من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان) النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب فى الاموال والابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدى أبو مدين رضى الله عنه سنة الله عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا أو كرها ۞ (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أى اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهى شكر النعم غير الله تعالى ما منه اليهم من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وكان يقال النعم اذا روعيت بالشكر فهى اطواق واذا روعيت بالكفر فهى اغلال والشكر على ثلاثة أوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب أن يعلم ان النعم كلها من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم

فان

(من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان) اى بملاطفاته اياه بأنواع الاحسان (قيد اليه بسلاسل الامتحان) اى بالامتحانات والمصائب الشبيهة بالسلاسل يعنى ان المقتضى لاقبال المريد وغيره على الرب بأنواع الطاعات والتضرع اليه وجمعية القلب عليه أمران الاول ايراد النعم عليه فيشكر الله عليها ويقبل على خدمته والثانى انزال المصائب فى بدنه أوماله فيرجع الى الرب ويتضرع اليه برفعها وربما كان ذلك سببا فى ترك الاشتغال بالدنيا والتعلق به سبحانه ومراد الرب من العبد رجوعه اليه طوعا أوكرها (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) يعنى ان شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أى اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهى شكر النعم غير الله ما منه من الاحسان والكرم والشكر اما بالقلب بأن تعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله واما باللسان بأن تحدث بنعمة الله قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث واما بالجوارح بأن تصرفها فى طاعة الله وتكفها عما لا يرضيه

فان تذكرها شكر ومن شكر اللسان أيضا شكر الوسايط بالثناء عليهم والدعاء لهم
وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن اسامة بن زيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر الناس لله أشكرهم للناس وسيأتي
الكلام على هذا المعنى في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر سائر
الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل
شكرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول
الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا
شكورا وسأل رجل أبا حازم رضي الله عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رايت بهما
خيرا أعلنته واذا رأيت بهما شرا استرته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا
وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك
ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قال
فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيأ غبطته
استعملتهما فيه وان رأيت شيأ مقته كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تعالى فأما من شكر
بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه
ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات للشكر قول من قال الشكر معرفة
بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد
رضي الله عنه حين سأله السري رضي الله عنه قال الجنيد رضي الله عنه كنت بين يدي
السري رضي الله عنه وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي
يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك
فلا أزال أبكي على هذه الكلمة ۞ (خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه

أن يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الخوف من الاستدراج
بالنعم من صفات المؤمنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين
يقال من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تأخير العقوبة
على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفي قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون اى لا يشعرون بذلك وهو أن يلقي في اوهامهم انهم على شئ وليسوا كذلك
يستدرجهم في ذلك شيأ فشيأ حتى يأخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به
اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شئ اى فتحنا عليهم اسباب العافية
وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بها وتوقوا من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا عليها
برجوعهم عنها الينا اخذناهم بغتة اى فجأة فاذا هم مبلسون اى آيسون قانطون من

(خف من وجود احسانه اليك ودوام) اى مع دوام (اساءتك معه) اى مخالفتك له (ان يكون ذلك استدراجا) أى تدريجا لك شيأ فشيأ حتى يأخذك بغتة وهذا جواب سؤال ناشئ مما قبله حاصله انا نرى كثيرا من الناس لا يشكر النعم ولا تزول عنه فأجاب بأن ذلك ربما كان استدراجا ومكرا من الله به قال تعالى (سنستدرجهم) اى ندرجهم في ذلك شيأ فشيأ حتى نأخذهم بغتة (من حيث لا يعلمون) انه استدراج ومكر اى لا يشعرون بذلك لانه يأخذهم بغتة وقيل غذهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعم وحجبوا عن المنعم أخذوا وقيل كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن أنواع الاستدراج ما ذكره بقوله

(من جهل المريد ان يسيء الادب) اما مع الله تعالى كالاعتراض عليه وتعاطى التدبير معه والتضجر باحكامه المؤلمة له فى نفسه أو غيره وتصريحه لسانه بالشكوى الى الخلق أو مع المشايخ كالاعتراض عليهم وعدم قبول اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لاتوبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لم فانه لايفلح وقال القشيرى من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقى من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه ٦٤ فى بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين اه واما مع بعض الناس بالاعتراض عليهم كما وقع للجنيد أنه رأى فقيرا يسأل الناس فقال فى نفسه لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان أجمل فبقيت عليه أوراده فى تلك الليلة ورأى جماعة أتوا به ذلك الفقير على خوان وقالوا له كل من لحمه فقد اغتبته فاصبح يفتش عليه حتى وجده فسلم عليه فقال له تعود يا أبا القاسم فقال لا فقال غفر الله لك واما مع نفسه كأن يتعاطى شهواتها المباحة ولا ينهض الى ما يقربها من مولاها (فتؤخر العقوبة عنه) بأن لا يعاقب فى ظاهره بالبلايا والاسقام ولا فى باطنه بحسب زعمه (فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد) الوارد عليه من حضرة الحق سبحانه (وأوجب الابعاد) أى بعدى عنه بعدم حضورى معه وهذا لازم لما قبله (فقد) أى انما كان ذلك من الجهل لانه قد (يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن) من قطع المدد عنه (الا منع المزيد) أى الزيادة من المدد لكان ذلك كافيا فى قطع الامداد وقطعه مبدأ الحجاب فاذا ابتدأ به المريد عند ولم تتداركه رحمة الله تعالى فى الحال كان ذلك موجب السقوط من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة (وقد يقام مقام) أى فى مقام (البعد وهو لا يدرى ولو لم يكن) من اقامته مقام البعد (الا أن يخليك وما تريد) بأن يسلط نفسك عليك ويمنع نصرتك عليها لكان ذلك كافيا فى البعد فان ذلك مبدأ الحجاب ومانع للقلب عن الدخول فى حضرة الرب سبحانه ومن اساءة الادب مع بعض الناس ما ذكره بقوله

الرحمة قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه فى قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء الله كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة

(من جهل المريد ان يسيء الادب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء ادب لقطع الامداد واوجب الابعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقام مقام البعد وهو لا يدرى ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد)

هذا نوع من الاستدراج الذى تقدم ذكره وسوء ادب المريد يوجب العقوبة له ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل اساءة الادب بين يدى علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة اشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة ومثال العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب الذى ذكرناه فاذا ابتلى به المريد ولم تتداركه رحمة من الله تعالى فى الحال العتيد كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة وانتساخ الضياء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الاولى لانه اذ ذاك تنقطع عنه الامدادات المتصلة والواردات المتحصلة فتنكسف عنه شمس العرفان وتستتر عنه المكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى فى قلب العبد فاذا فقد النصرة من الله تعالى بذلك وقع فى الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فأنساه الذكر وحاق به سيء المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة وخرج من دائرة الصفوة المختارة فنعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة اوائل الامور وما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذى ذكره المؤلف رحمه الله يقتضى توجه هذه العقوبة اليه ضربة لازب لان قوله لو كان هذا سوء أدب الى آخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذى اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا اليه لازداد

عند ما يقع منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه وخوفا من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدى أبو العباس رضى الله عنه كل سوء ادب يثمر لك أدبا مع الله تعالى فهو أدب وهو الذى أوجب له أيضا التخلية بينه وبين ما يريد الذى اقتضى له اقامته مقام البعد اذ لو كان مقاما فى القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان متهما لها فى ارادتها وكان واقفا مع مراد الله به فان أقدم على أمر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه ما أراده وسد عليه مسالكه ولم يخله وما أراد من ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلاث دخول اعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصى عنك مع السعى فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله تعالى فى كل الاحوال ومن علامة الخذلان ثلاث تعسر الطاعات عليك مع السعى فيها ودخول المعاصى عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجا الى الله تعالى وترك الدعاء فى الاحوال والادب له موقع عظيم فى التصوف ولذلك قال أبو حفص رضى الله عنه التصوف كله ادب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال أبو عبد الله بن خفيف قال لى رويم يا بنى اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا او باطنا فما أساء أحد الادب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الادب باطنا الا عوقب باطنا وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه اذا خرج المريد عن حد الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال الثورى رضى الله عنه من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ابن المبارك رضى الله عنه نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم يا سيئ الادب فقال لست بسيئ الادب فقيل له من أدبك فقال الصوفية والآداب اللازمة للمريد عامة فى ظاهره وباطنه وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن وآداب الباطن هى التحلى بمحاسن الاخلاق كلها وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأييده الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء الله رضى الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها فى فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص زكى الفطرة كريم الحسبة سهل القيادة لا يحتاج فى ذلك الى كثير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم لانه اذا تجرا فماله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى ولو بلغ فى

الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد سئل الدقاق رضي الله عنه
عماذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتأدب بإمام فان من لم يتأدب بإمام بقي بطالا فاذا دام
العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره أنوار ذلك
فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الادب حتى تنتهي به الى المحافظة على
اجتناب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد
يعاتب عليه وقد يعاقب من أجله قال السري رضي الله عنه صليت العشاء واشتغلت
بوردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت ياسري هكذا تجالس الملوك
فضممت رجلي ثم قلت وعزتك وجلالك لا مددت رجلي أبدا قال الجنيد رضي الله عنه فبقي
ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا (وقال) أبو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ
أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه لا يستند الى شيء فكان يوما في جمع فأردت ان أضع
وسادة خلف ظهره لاني رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة
لانه لم يكن عليها خرقة ولا سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند
الى شيء أبدا وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية
أنتظر جنازة أصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت
فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان
اجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك ثقل
على جميع أورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرأيت ذلك الفقير جاؤا به على خوان
ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته وانما قلت في نفسي
شيأ فقيل لي ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رأيته في
موضع يلتقط من الماء عند تردد الماء اوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت
عليه فقال اتعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك الى غير ذلك من آدابهم رضي
الله عنهم أجمعين والظاهر ان مراد المؤلف رحمه الله باساءة الادب ما كان فيه نوع من
الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفة المولى وانبساطه وادلاله في موقف الهيبة
والحياء وما أشبه ذلك مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به ولكن ينبغي
للمريد ان لا يتهاون بشيء من الآداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار له
من مخامرة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا اقبح أنواع سوء الادب فان وقعت منه
اساءة ادب فليكن خائفا من ذلك مستعظما الامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار
والتنصل منها خشية ان توجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر وآكد ما ينبغي ان يجتنبه
المريد من مقتضيات هذه الجملة التي ظهر لنا انها مراد المؤلف رحمه الله تعالى من أنواع
سوء الادب ان يوطن خاطره على شيء من الاعتراض على الله تعالى وتعاطي التدبير معه
والتبرم باحكامه المؤلمة في نفسه او غيره وان يسرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعيب

ليا

لما يوافق هواه أو نقص في نظره مما يراه من الحق فان خطر بباله أو جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر الى الاستغفار منه والتفصي عنه وليعلم ان تشاغله بذلك من اعظم الحسنات وأفضل القربات وذلك يدخله في مقامات الرضا ويوصله الى غاية النعيم والعطا كما ان توطينه عليه وتهاونه به من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه ويؤديه ذلك الى تسخط الاقدار والوقوع في دركات النار نعوذ بالله من ذلك * ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له خبرا ثلاثة ايام فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وقال بعض السادة اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما ذلك الذنب قال قلت مرة لشيء ليته كان وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه فقال اللهم عافني فسمع هاتفا يقول مالك والدخول بيني وبين ملكي ومن مقتضياتها أيضا أن يعلق بقلبه شيء من الاعتراض على المشايخ والاولياء وان يترك تعظيمهم واحترامهم وان لا يقبل اشارتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لا يفلح وقال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي من أهل السلوك قاصدا الوصول الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض خاص قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين قال وفي الخبران الشيخ في اهله كالنبي في امته وكذلك من سوء أدبه تصدره للتعليم والهداية وتصديه للامر والولاية وحبته للاستتباع والرياسة وتربيته للجاه والشهرة والقبول بين الناس واستدعاؤه بسره ان يكرم ويعظم ويتبرك به ويقبل يده ويسارع في قضاء حوائجه وذلك من اضر الاشياء به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه في كل حال من أحواله وذلك مذموم منه وقال ابو عثمان رضي الله عنه لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيأ وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الاحوال وقال ابو عبد الله السجزي رضي الله عنه من استحسن شيأ من أحواله في حال ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع الى ابتدائه ويروض نفسه ثانيا وقال أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه سمعت جدي يقول آفة المريد رضاه من نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد من نفسه شيأ مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستئصال عروقه من قبل ان يستحكم ذلك فيه ويرسخ فيه فبدايات الامور هي التي ينبغي ان تراعى كثيرا * ومن أنواع سوء أدب المريد المفضي الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القرب ولهذا قالوا اذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخص الشريعة فاعلم انه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله

وقال ابن خفيف رضي الله عنه الارادة استدامة الكد وترك الراحة وليس شيء أضر على
المريدين من مسامحة النفس في قبول الرخص والتأويلات وقال يوسف بن الحسين رضي
الله عنه اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجيء منه شيء وقال ابو اسحق ابراهيم
ابن شيبان من أراد ان يتعطل و يتبطل فليلزم الرخص ويعني بالرخصة ههنا ما كان مضادا
لحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل الى المألوفات والمعتادات والركون الى
الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتأويلات فان حال المريد يقتضي مباينته لهذا
كله وان كان بعض ذلك مباحا في رخص الشرع لعامة الناس وكان ابراهيم الخواص
رضي الله عنه يقول الا ان هذه الشهوات التي أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها
وفترت أبدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها واطالت آمالهم بعد قصرها
وأنسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتوطؤا الفرش بعد الترك فسقتهم الدنيا بكاس سمها
فنظروا الى ظاهرها بعد باطنها فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري
* وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام
اني انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي فاياك ان تعلق قلبك منها بشيء فأيسر ما أعاقبك به
ان أنزع حلاوة حبي من قلبك * وفي اخبار داود عليه السلام يا داود تمسك بكلامي وخذ
من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب محبتي عنك اقطع شهوتك الي فاني انما أبحت
الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي
فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني و بينك عالما سكران حجبها فيحجبك
بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات
بادمان الصوم يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب
بيني و بينك مرفوعة وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه ان ينال الرجل درجة الصالحين
حتى يجوز ست عقبات اولاها ان يغلق باب العز و يفتح باب الذل والثانية ان يغلق باب
النعمة و يفتح باب الشدة والثالثة ان يغلق باب الراحة و يفتح باب الجهد والرابعة ان يغلق
باب النوم و يفتح باب السهر والخامسة ان يغلق باب الغنى و يفتح باب الفقر والسادسة
ان يغلق باب الامل و يفتح باب الاستعداد للموت وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه
كنت في جبل لبنان فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فاخذت منه واحدة فشققتها
فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير
فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله
تعالى لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك و يقيك من
هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك و يقيك من شهوة الرمان
فان لذع الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا وقال السري
رضي الله عنه ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة ان أغمس جزرة في دبس فما

طعمتها فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء به
وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم قال جعفر بن نصير رضي الله عنه دفع الى
الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيري فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه
ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هاتف أما تستحي شهوة تركتها
من أجلي ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه
بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق
يبكي فعدلت اليه وجلست عنده وقلت له أي شيء هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير وعافية
فعاودته مرة واثنتين وثلاثة فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر علي فقلت يا أخي قل ما شئت
قال لي اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني
النعاس فاذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت
بهمتي عليه فقربه مني وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل شيأ قد تركته لله تعالى فقال لي
فاذا أطعمك الله تأكل فما كان لي جواب الا اني بكيت فقال لي يرحمك الله كل قال ابراهيم
فقلت له قد امرنا ان لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال لي كل يرحمك الله فانما
اعطيته وقد قيل لي يا خضر اذهب بهذا وأطعم نفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من
طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم اني سمعت الملائكة يقولون من أعطى
فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت فان كان كذلك فها أنا بين يديك لاجل العقد مع الله عز وجل ثم
التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيأ وقال له يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمني حتى نعست
فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق رضي الله عنه فقلت ارني كفك فأخذت كفه بكفي
فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من
يشفي قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء فقلت الهي
بقدر هذه الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجدمنك جد على عبدك الفقير بفضلك
واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم رضي الله عنه ومشى حتى دخل
المسجد الحرام وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنهما ان فلانا يصف من
قلبه منزلة ما أعرفها قال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ فقلت ان
تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي فقال له بعض اصحابه لا أبكى
الله عينيك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه
في الترك هو اذا ترك شيأ لم يعاوده ابدا وقال أحمد بن أبي الحواري اشتهى أبو سليمان
الداراني رضي الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف
وقال عجلت لي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال
احمد فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال أبو بكر بن الجلاء رضي الله عنه
أعرف انسانا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام واطعمني بعد ذلك شهوة

اشتهيها فيقول لها الا اريد ان اطوى عشرة أيام ولكن اترك هذه الشهوة وقال أبو سليمان رضى الله عنه ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال ابو حامد الغزالى رضى الله عنه وقد اشتد خوف السلف رضى الله عنهم من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا ان منع الله منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه رضى الله عنه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين فقال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وقال وهذا تنبيه على ان تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسباب ذلك ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغى ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه كسر عزم فينبغى ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد الرياضة عليه بالكلية هذا كلام أبى حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فليعتمد عليه ايها المريد وقد يعجل الله تعالى لبعض هؤلاء العقوبة رحمة له ومنة عليه قال ابو تراب النخشبى رضى الله عنه ما تمنت نفسى شهوة من الشهوات الا مرة واحدة تمنت خبزا وبيضا وانا فى سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بى وقال هذا كان مع اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفنى رجل منهم فقال هذا ابو تراب النخشبى فاعتذروا الى فحملنى رجل منهم الى منزله وقدم الى خبزا وبيضا فقلت فى نفسى كلى بعد سبعين درة وقال بعضهم اشتهى ابو الخير العسقلانى رضى الله عنه السمك سنين ثم ظهر له ذلك من وجه حلال فلما مد يده اليه ليأكل دخلت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت فى ذلك يده فقال يارب هذا لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى حرام وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه كنت جائعا فى الطريق فوافيت الرى فخطر ببالى ان لى بها معارف فاذا دخلتها اضافونى وأطعمونى فلما دخلت البلد رأيت فيه منكرا احتجت ان آمر فيه بالمعروف فاخذونى وضربونى فقلت فى نفسى من اين اصابنى هذا الضرب على جوعى فنوديت فى سرى انما اصابك ذلك لانك سكنت الى معارفك بقلبك وقلت انهم يطعمونى اذا دخلت البلد وحكى عن ابراهيم بن شيبان رضى الله عنه أنه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز والعدس فاتفق ذلك فما كدت حتى شبعت فرأيت على باب المسجد قوارير معلقة شبه خوخيات فتوهمتها خلا فقال لى قائل اما تنظر اليها انها خمر فقلت لزمنى فرض فدخلت الحانوت فلم ازل اصب دنا دنا حتى اتيت على الجميع فاخذونى وضربونى مائتى خشبة وطرحونى فى السجن أربعة أشهر حتى دخل استاذى ابو عبد الله المغربى البلد فمع جمالى فشفع لى فلما وقع بصره على قال ما شأنك قلت شبعة خبز وعدس وضربت مائتى خشبة

وبحثت أربعة أشهر فقال لي نجوت مجاناً أي وردت عقوبة هذه الاكلة على ظاهرك ولم
تقدح فيما كنت فيه من سرائرك فكان ذلك رفقاً من الله بك قال الامام ابو القاسم القشيري
وما اصدق ما قال فان من ادب في دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه
بل ظهر بالتأديب جوهره ومعناه وحكاية خير النساج رضي الله عنه المشهورة من معنى
ما ذكرناه فانظرها ففيها عبرة للمعتبرين قال الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر بن
محمد بن نصير في كتابه قال سألت خيرا النساج أكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن اين سميت
به قال عاهدت الله واعتقدت اني لا آكل الرطب أبداً فغلبتني نفسي يوماً فأخذت نصف
رطل فلما اكلت واحدة اذا برجل نظر الي وقال يا خير يا هارب مني وكان له غلام اسمه خير
فوقع علي شبهه وصورته فخنقني واجتمع الناس فقالوا والله هذا غلامك خير فبقيت متحيرا
وعلمت بماذا أخذت وعرفت جنايتي فحملني الى حانوته الذي كان ينسج فيه صناعه فقالوا
يا عبد السوء تهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وأمرني بعمل الكرباس
فدليت رجلي على ان اعمل فأخذت بيدي آلته فكأني كنت اعمل من سنين فبقيت معه
شهوراً انسج له فقمت ليلة فتمسحت وقمت الى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي الهي
لا اعود الى ما فعلت فأصبحت فاذا الشبه قد ذهب عني وعدت الى صورتي التي كنت عليها
فأطلقت فثبت علي هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعي شهوة عاهدت الله تعالى ان لا آكلها
فعاقبني بما سمعت وفي بعض الاخبار عن الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته
على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وسيأتي ان شاء الله تعالى كيفية مجاهدة النفس عند
قوله ولولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ولهذا المعنى كرهوا له التزويج من غير
ضرورة محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته وذلك في الضرر به بمنزلة السم
القاتل وقد قالوا من وافق شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من هم بشيء مما اباحه العلم تلذذاً
عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله
عنه ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امرأة او كتب الحديث
وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان ابراهيم بن أدهم رضي
الله عنه يقول من تعود افخاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصلح
الا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال ثم فيه من مكابدة أمر غيره ومن مراعاة توفية حقوقه
ومعاناة أخلاقه واتباع مرضاته ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له
في معاناة أمر نفسه أعظم شاغل من أن تضاف الى نفسه نفس أخرى مع ما يتسلط على
باطنه من خوف الفقر وخشية الجوع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من التأويلات والرخص
وذلك كله مضاد لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفي فقد ركب السفينة فاذا ولد له
فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافي رضي الله عنه يقول لو كنت أعول دجاجة خفت
أن أكون جلوازا على الجسر وفي الخبر في آخر الزمان قال وفي ذلك الوقت حلت

العزبة فقيل وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة وفي
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول
الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا أهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اياكم
والاستماع الى النساء والميل اليهن فان النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان
وهن مصايده وحظه من بني آدم فمن عطف اليهن بكليته فقد عطف على حظ الشيطان
ومن حاد عنهن يئس منه وما مال الشيطان الى أحد كميله الى من استرق بالنساء وان الشر
معهن حيث كن فاذا رأيتم في وقتكم من قد ركن اليهن فايأسوا منه قيل له فحديث النبي
صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث فذكر النساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم
معصوم وقد بلغكم ما كان فيه معهن هي عدوة الرجل ظاهرا وباطنا ان اظهرت له المحبة
أهلكته وان أضمرتها له أغوته وان الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن
انتهى كلام سهل رضي الله عنه وقال حذيفة المرعشي رضي الله عنه كان ينبغي للرجل لو
خير بين ان يضرب عنقه وبين ان يتزوج امرأة في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج
المرأة في الفتنة وانما قال ذلك لما يؤول اليه أمر المتزوج من اكتساب الحرام وارتكاب
الآثام في زمان الفتنة وضرب العنق أحسن حالا واحمد عاقبة من التعرض لارتكاب
شيء من معاصي الله عز وجل فان قارب شيأ من ذلك المريد فهو داء عضال في حقه فقد قالوا
زلة بعد الارادة أقبح من سبعين زلة قبل الارادة وفي المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في
الامانة وقال بعض الانبياء في مناجاته لربه لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم أملك فأوحى
الله اليه ليس الذنب في القرب كالذنب في البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصي حلاوة
الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظيم سوء أدب المريد ان يميل الى أهل الدنيا وان
يتقرب منهم او أن يصاحبهم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن شأن المريد
التباعد عن أبناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله
تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقد تقدم من كلام
المؤلف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك أيضا معاشرته للاحداث والشبان
وقبول ارفاق النسوان فان تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو اشد قال يوسف بن الحسين
الرازي رضي الله عنه رأيت آفات الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق
النسوان قال الامام ابو القاسم ومن اصعب الآفات في هذه الطريق صحبة الاحداث
ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع من الشيوخ ان ذلك عبد اهانه الله عز وجل
وخذله بل عن نفسه شغله ولو بالف ألف كرامة أهله ثم قال بعد كلام كثير فاحذر المريد من
مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ
بالله من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا ههنا على بعض ما يعظم فيه الخطار
والضرر ومما حذر منه اشياخنا رضي الله عنهم وبالغوا في التوصية به والنهي عنه وجميع ذلك

(اذا رأيت عبدا اقامه الله تعالى) أى جعله قائما (بوجود الاوراد) بأن أظهرها منه (وأدامه عليها) أى جعله مداوما عليها (مع طول الامداد) اى المعونة والتيسير وصرف الشواغل التى تشغله عن القيام بها والمراد بطول ذلك توالية عليه مع طول الزمان فطوله بطول الزمان الذى يحصل فيه وهذه صفة العباد والزهاد (فلا تستحقرن ما منحه) أى أعطاه (مولاه) وعلل الاستحقار بقوله (لانك) أى لكونك (لم تر عليه سيما العارفين) أى علامتهم من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات ودوام الحضور بين يدى الله (ولا بهجة المحبين) وهى ما يعلوهم من شواهد المحبة وآثارها فان محبة الله ٧٣ اذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على

يحتمل لان يكون مراد المؤلف رحمه الله تعالى فى قوله من جهل المريد ان يسئ الادب فرأينا أن لا يخلو هذا الموضع من هذا التنبيه لان ذلك يقع للمريدين كثيرا والله ولى التوفيق (اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الاوراد وأدامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد) عباد الله المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون هم الذين أخذوا عن حظوظهم وارادتهم واستعملوا فى القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وارادتهم وأقيموا فى الاعمال والطاعات ليجزون عليها برفيع الدرجات فى الجنات وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم محمد فى مقامه الذى هو فيه بمدد الهى اقتضى منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رأيت عبدا اقامه الله تعالى فى أعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وأمده فى ذلك بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تحتقرن ذلك لاجل انك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدى المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم والانبساط والادلال بين يدى حبيبهم فلولا الوارد الالهى الذى اورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم يخرج عن دائرة عنايته وحفظه ورعايته فلا تستحقر خطير ما منحه وتستقل كثير ماربحه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان عقلك وسيأتى من كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الوارد الا جهول ۞ (قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فطائفة اقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة خصهم بمحبته حتى صلحوا للقرب والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال

الجوارح كدوام ذكره والمسارعة لامتثال امره والسعى عن غيره فيجتهد فى خدمته ويتلذذ بمناجاته ويؤثره على كل ما سواه ثم علل عدم الاستحقار بقوله (فلولا وارد) الهى اورده الله على قلبه اى تجل الهى (ما كان ورد) وهو ما يقع بكسب العبد من انواع العبادات كصلاة وصيام وذكر الى غير ذلك أى فيكون استحقارك له قلة الادب معه والحاصل ان عباد الله المخصوصين ينقسمون قسمين مقربين وابرار فالمقربون هم الذين اخذوا عن حظوظهم وارادتهم وقاموا بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الباقون مع حظوظهم وارادتهم وقاموا بعبادة ربهم طمعا فى جنته وهربا من ناره وكل واحد منهم محمود فى مقامه الذى هو فيه بمدد الهى اقتضى منه القيام بحقوق ذلك المقام

١٠ عبا ل والى ذلك أشار بقوله (قوم اقامهم الحق) أى اختارهم (لخدمته) بطاعته الظاهرية حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما مر (وقوم اختصهم بمحبته) حتى صلحوا للقرب والدخول فى حضرته وهم المحبون والعارفون والكل مشتركون فى الانتساب اليه وخدمته لكن خدمة الاولين اكثرها بالجوارح والآخرين أكثرها بالقلب (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) اى ممنوعا فاذا شهد العبد ان مراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك عما ذكر من الاستحقار قال ابو يزيد اطلع الله تعالى على قلوب اوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة

(قلما تكون الواردات الالهية) أي قل حصولها (الابغتة) أي غير بغتة والمراد بها العلوم الوهبية والاسرار العرفانية التي يتحف الله بها عباده ولا تكون في الغالب الا بغتة أي فجأة من غير استعداد لها بعبادة من صلاة وصيام وغيرها (لئلا يدعيها العباد) أي يرون أنهم أهل لها (بوجود الاستعداد) لها بالاجتهاد في الاوراد والعبادات تمسكا بنحو قوله صلى الله عليه وسلم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه وغفلوا عن كون همتهم متعلقة بالدار الآخرة لا به فلا تحصل لهم معرفته الخاصة والواردات الالهية وحاصله أن الواردات هدايا من الله تعالى ومنح منه فلا تحصل عقب العبادات الصادقة وبفورها بل تحصل بعد ذلك بغتة وحصولها عقب العبادات نادر قليل (من رأيته) من المريدين او العارفين (مجيبا عن كل ما سئل) أي سئل عنه من العلوم التي يفيضها الله على قلوب السالكين والمواهب اللدنية التي يخص بها العارفين (ومعبرا عن كل ما شهد) أي شهده وذاقه بباطنه وهي تلك العلوم والمواهب (وذاكرا ٧٤ كل ما علم) من تلك العلوم (فاستدل بذلك على وجود جهله) لان اجابته عن كل سؤال تقتضي احاطته بكل المعلومات وذلك محال في حقه قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولانه يجب مراعاة حال السائل فقد لا يكون في بعض السائلين اهلية للمسؤل عنه فتكون اجابته مثله من الجهل وتعبيره عن كل مشهود له فيه نوع من افشاء السر الذي يجب كتمانه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة وايضا فالامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها اشهار لها وفيه ابتذالها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا فالامور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارات الناطقة وذكره لكل معلوم له دليل على عدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون من فيها ما لا يصح ذكره لما يلزم عليه من الضرر والفساد وانكار الناس له قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا اظهروه انكره اهل الغرة بالله * وقال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه يا رب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون اقبح ما يأتونه حسنا اني لاكتم من علمي جواهره * كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقال أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من العلم اما احدهما فبثثته للناس واما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا الحلقوم ولذا قتل الحلاج بافشاء شئ من ذلك حيث قال ما في الجبة الا الله وذلك أن اهل الله يدركون وجود الله في الاشياء اي قيامه بها وظهوره فيها وهذا غاية ما يمكن ان يعبر به عن مقصودهم والا فهو أمر لا يدرك الا بالذوق وقد ذقناه بحمد الله فصدق ما سئل وما شهد وما علم واحد وانما يختلف باعتبار السؤال عنه وافشائه بالعبارة وعموم ذكره

يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بحقه الاقامة والتخصيص منعه ذلك عن ذكر ما من الاستقرار وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار قال أبو يزيد رضي الله عنه اطلع الله تعالى على قلوب اوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فاشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ أبو نعيم في كتابه حلية الاولياء عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يطلع على اهل قرية او بلدة فيريد أن يقسم لهم من نفسه قسما فلا يجد في قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه فمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال أبو العباس الدينوري رضي الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته ولله عبادا لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمعرفته والاشارة بالآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله بينة في هذا المعنى وقال رضي الله عنه

❁ (قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد) الواردات الالهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكن في الغالب الا بغتة أي فجأة لئلا يدعوها ويرون أنفسهم اهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن أن تنال بامر ومنزهة عن ان تقابل باعمال بر بل هي محض كرم وفضل من الكريم المتفضل ❁ (من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) الاجابة عن كل سؤال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود جهل

من اتصف بها كما قال أما الاجابة عن كل سؤال فلاقتضائها منه الاحاطة بجميع المعلومات
وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور منه مع هذا
الاجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وأيضا فانه يجب عليه أن يراعي حال السائل من
وجود الاهلية لما سأل عنه فيمتنع عن اجابة من لا أهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه مع السائل الذي جاء يسأله أن يعلمه من غرائب العلم فانه
استفصله وقال له ما فعلت في رأس العلم وفي كذا وفي كذا فأجابه السائل فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هنالك ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم
وكما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يكتموا العلم عن أهله كذلك أخذ عليهم أن يصونوه عن
غير أهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل وأما التعبير بكل مشهود فلان فيه نوعا من
افشاء السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة
الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة والله تعالى لا يحب الخائنين وأيضا فان
الامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها افصاح
بها واشهار لها وفي ذلك ابتذالها واذاعتها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا
وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادراك حقائقها بالعبارات النطقية فيؤدي
ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الاخيار قال أبو علي الروذباري رضي
الله تعالى عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي وأما الذكر لكل معلوم فلعدم
تفريقه بين المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استغربه وان كان
ينتفع به هو فعدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من وجود جهله ۞(انما جعل
الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولانه
أجل أقدارهم عن ان يجازيهم في دار لا بقاء لها) انما جعل ثواب المؤمنين في الدار
الآخرة فيما ظهر لنا لوجهين أحدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم من أنواع
النعيم حسا ولا معنى أما الحس فلان الدنيا متدانية المسافات ضيقة الاقطار ويعطي الله
تعالى لآحاد المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة خمسمائة
عام فناظنك بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما المعنى فلان
الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والحقارة والاشياء التي يتنعم بها أهل الجنة
أمور شريفة رفيعة كما جاء في الاخبار ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وان
نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا ويكفي في ذلك قوله عز من قائل فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني
ان الله تعالى اجل اقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار فانية
منقضية متصرمة لان كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شئ بل أعطاهم الخلود في النعيم

(انما جعل) تعالى (الدار الآخرة
محلا لجزاء عباده المؤمنين لان
هذه الدار لا تسع ما يريد أن
يعطيهم) من أنواع النعيم حسا
ولا معنى اما الاول فلانها ضيقة
الاقطار ويعطي الله لآحاد
المؤمنين في الدار الآخرة في ملك
واحد منهم مسيرة خمسمائة عام كما
ورد في الخبر فما ظنك بخواصهم
فتضيق لا محالة مسافة الدنيا عن
كلية جزائهم وأما الثاني فلان
الدنيا موسومة بالدناءة والنقص
والاشياء التي يتنعم بها أهل الجنة
أمور شريفة رفيعة كما جاء
في الاخبار ان موضع سوط في
الجنة خير من الدنيا وما فيها وان
نور سوار حوراء يطمس نور
الشمس وما أشبه هذا (ولانه
أجل أقدارهم عن أن يجازيهم
في دار لا بقاء لها) لان كل ما يفنى
وان طالت مدته كلا شئ بل
أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء
الدائم في الملك المقيم

والبقاء الدائم في الملك المقيم وناهيك به شرفا تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت * جاء في تفسير قوله تعالى وملكا كبيرا أنه يرسل الله تعالى الملك الى وليه ويقول له استأذن على عبدي فان أذن لك فادخل والا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل عنوانه من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق الى أن يصل الى بساط اللقاء ﴿(من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا) ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والنعيم به ويتيسر ذلك في أكثر الاعمال بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين ليس شيء من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال عتبة الغلام رضي الله تعالى عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال ثابت البناني رضي الله تعالى عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه رضي الله عنهم ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تصدق الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن كأني أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وماذكرناه من الحلاوة والنعيم انما هو ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء والدعوى قال أبو تراب رضي الله تعالى عنه اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله واذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله تعالى وورد في الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء دليل خطابه أن العمل السالم من الرياء والسمعة مقبول من قوله عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول المؤلف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار الآخرة حسبما يأتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الآخرة فحصل من هذا ان وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا والجزاء ولذلك قال الحسن رضي الله تعالى عنه تفقدون الحلاوة في ثلاث فان وجدتموها فأبشروا وامضوا القصد كم وان لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات ولذاذة المناجاة والاستئناس بفنون المكاشفات وجنة

(من وجد) من المريدين (ثمرة عمله) أي من الحلاوة فيه والنعيم به (عاجلا) أي في الدنيا (فهو دليل على وجود القبول آجلا) أي قبول الله له قال أبو تراب اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله واذا اخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل وذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار الآخرة كما سيأتي واذا وجد تلك الحلاوة فلا ينبغي أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذا لا ينبغي أن يقصد بعمله حصولها لما فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته وليكن اعتناؤه بما لتكون ميزانا لاعماله وتصحيحا لاحواله فقط

موجلة هي فنون المثوبات وعلو الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في
مقام المعرفة الخاصة وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله تعالى فغضب
على السائل وقال أتراني أعبد من لا أعرفه فقال له أوتعصي من تعرفه وقيل لبعضهم
بم تعرف أنك عرفته فقال لم أقصد مخالفته الا ورد على قلبي استحياء منه وقال اسمعيل
ابن نجيد رضي الله تعالى عنه التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فان العصيان في حال
العرفان بعيد فان وقعت منه زلة أو هفوة بحكم وكان أمر الله قدرا مقدورا وجد لا محالة
لذلك مرارة وألما في قلبه فوجدان هذه المرارة والالم في المعصية علامة على صحة ما وجد
من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للاعمال المقبولة وغير
المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التي يجدها من دون أهل هذا المقام في بعض العبادات
فمدخولة معلولة الا ما فيها من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق
اذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها
وكذلك أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله الى نيل ما له فيها من اللذة والحظ فان ذلك ما يقدح
في اخلاص عبادته وصدق ارادته ولكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لاعماله
ومحكا لاحواله فقط * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه استحلاء الطاعات سموم
قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي فأقل ما في ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة
الطاعة تصير قائما فيها لطلب الحلاوة فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها وقد يصحب
دوامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما
لله وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته
في الدنيا فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك ﴿(اذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا
يقيمك) هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن
يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عز وجل ينزل العبد عنده
حيث أنزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى الاقامة
المذكورة اذ العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه انما
يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه
فاذا كان العبد ناظرا مولاه مكرما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان
الله عز وجل له في الآخرة لوجهه مكرما ولشأنه معظما والى مسرته من النعيم المقيم
مسارعا واذا كان العبد بحق مولاه متهاونا وبأمره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله
عز وجل له مهينا وبشأنه متهاونا والى ما يكره من العذاب الاليم له مسارعا والعياذ بالله من
ذلك وقال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم أطعني فيما
أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه
أمري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي ﴿(متى رزقك الطاعة والغنى

(اذا أردت أن تعرف قدرك
عنده) هل أنت من المقبولين
السعداء أو من المردودين
الاشقياء (فانظر فيماذا يقيمك)
من طاعة أو ضدها فان كان
من اهل السعادة والقبول
استعملك مولاه فيما يرضيه عنه من
أنواع الطاعات ومن كان من
أهل الشقاوة استعمله فيما
يسخطه عليه من أنواع المخالفات
وهذا يناسب العامة وأما الخاصة
فيقال فيه ان أردت أن تعرف
قدرك أي منزلتك عنده هل أنت
من المقربين أولا فانظر فيماذا
يقيمك اي يورده على قلبك من
ادراك جلاله وعظمته قال عليه
الصلاة والسلام من اراد ان يعلم
منزلته عند الله فليعلم منزلة الله
من قلبه (متى رزقك الطاعة) اي
امتثال الاوامر واجتناب
النواهي في ظاهرك (والغنى

٣٧٠٣

به عنها) بان لا تركن اليها فى نيل مطلوبك بل تعلق قلبك به ولا لك وتغيب عن كل شئ سواه (فاعلم انه قد اسبغ عليك نعمه ظاهرة) وهى تلك الطاعة (وباطنة) وهى معرفتك التى اوجبت لك الغيبة عنها وعدم رؤيتها (خير ما تطلبه منه) اى افضل الاشياء التى تطلبها منه (ماهو طالبه منك) من الاستقامة على سبيل العبودية له فهذا خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك دنيوية كانت او أخروية فان فى ذلك حظ النفسك (الحزن على فقدان الطاعة) بضم الفاء وكسرها اى عدم وجودها فى الحال (مع عدم النهوض اليها) فى المستقبل (من علامات الاغترار) اى التعويل على مالا حقيقة له وهذا هو الحزن الكاذب الذى يكون معه البكاء الكاذب كما قيل كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن مكر الله الخفى حيث منعه ما ينفعه واعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء فانه قد يستحسن بذلك حاله ويعد نفسه شيأ اما الحزن الصادق وهو الذى يبعث على الطاعات ويكون معه البكاء الصادق فهو من مقامات السالكين قال ابو على الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله فى شهر مالا يقطعه من فقد حزنه فى سنين

به عنها فاعلم انه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة) المطلوب من العبد شيآن اقامة الامر فى الظاهر والتعلق بالله فى الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد هذين الامرين فقد أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأوصله الى غاية الامل فى الدنيا والآخرة سبحانه جل وعلا وقال رضى الله تعالى عنه ﴿(خير ما تطلبه منه ماهو طالبه منك) ان كان لا بد من الطلب منه فاطلب ماهو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك لانك حينئذ تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تأخير وأما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل فى ذلك تأخير ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب فى الطلب * يحكى عن أبى الحسين الديلمى رضى الله تعالى عنه أنه قال وصف لى بانطاكية انسان اسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيأ من المباحات يريد ان يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الى ثم قال اقعد فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعناه ذا نعطيك من ثمنه شيأ قال فذهبت الى غيره وتغافلت كانى لم اسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين يديه ثم رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الى وقال اقعد فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيأ قال فوقع فى قلبى منه هيبة فلما باع ذلك أعطانى شيأ ومضى قال فذهبت خلفه لعلى استفيد منه شيأ قال فالتفت الى وقال اذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله الا أن يكون لك فيها حظ فتحجب بها عن الله تعالى ومن دعاء أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه اللهم وكل سؤال سألتك فعن أمرك لى بالسؤال فاجعل سؤالى اليك سؤال محابك ولا تجعلنى ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك ومن دعائه أيضا اللهم انى أسألك منك ماهو لك واستعيذك من كل امر يسخطك اللهم ولا تشغلنى بشغل من شغله عنك ما أراده منك الا أن يكون لك اللهم اجعلنى ممايذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك الا ماهو لك اللهم اجعل غاية قصدى اليك ماهو لك ولا تجعل قصدى اليك ما أطلبه منك ﴿(الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامات الاغترار) هذا هو الحزن الكاذب الذى يكون معه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن مكر الله تعالى الخفى حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة رضى الله تعالى عنها رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك ان تتنفس وأما الحزن الصادق فخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش فى الاعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله عز وجل فى شهر مالا يقطعه من فقد حزنه فى سنين وفى الخبران الله يحب كل قلب حزين وفى التوراة ان الله اذا أحب عبدا نصب فى قلبه نائحة واذا ابغض عبدا نصب فى قلبه مزمارا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

متواصل

(ما العارف من اذا اشار) الى شئ من أسرار الحق سبحانه (وجد الحق اقرب اليه من اشارته) بان كان حاضرا معه لم يغب عنه بل هو ملاحظه فى حال اشارته وأقرب اليه منها فهذا ليس بعارف حقيقة لبقائه مع نفسه لانه حينئذ ملاحظ ان هنا مشيرا ومشارا اليه ومشارا به وما دام يتعقل انه مشير والحق مشار اليه وذلك الكلام الذى صدر منه اشارة فهو الى الآن لم يفن عن نفسه ولم يخرج عن دائرة حسه والاشارة ألطف من العبارة لانها ايماء فقط وتلويح لا تصريح وهى التى يستعملها اهل الطريق رضى الله تعالى عنهم فيما بينهم عند ذكرهم لما يفتح الله به عليهم من الاسرار التوحيدية والعلوم اللدنية والمواجيد والاذواق فالمشير الى شئ من ذلك الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى أقرب اليه منها بأن لم يغب عنه فى حال الاشارة غير عارف على التحقيق لانه بوصف التفرقة بشهوده للاغيار (بل العارف) ٧٩ حقيقة (من لا اشارة له) أى من لا يشهد

متواصل الاحزان دائم الفكر وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فاذا الحزن الذى يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام السالكين الابرار

(ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) الاشارة ألطف من العبارة وهى كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهى التى يستعملها أهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما تقدم عند قوله من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى اقرب اليه من اشارته غير عارف على التحقيق لانه بوصف التفرقة بشهوده للاغيار بل العارف الفانى فى وجوده المنطوى فى شهوده الذى غاب عن الاشارة والمشير والمشار به * سئل الشيخ ابو على الدقاق رضى الله تعالى عنه عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله تعالى فيجد الله مع نفس الاشارة قيل له فالذى يستوعب حاله قال هو الذى يجد الله باسقاط الاشارة وسئل ابو على الروذبارى رضى الله تعالى عنه عن الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفى الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق وقال الشبلى رضى الله تعالى عنه وكل اشارة اشار بها الخلق الى الحق فهى مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال أبو يزيد رضى الله تعالى عنه ابعدهم من الله أكثرهم اشارة اليه (الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية) الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد فى الاعمال كما ذكرناه فى الحزن لان من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه واما الرجاء الكاذب الذى يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصى والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء ولكنه

ان له اشارة وان وقعت منه (لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) الضمير لذلك العارف وفى بمعنى عن اى لفنائه عن وجود نفسه وانطوائه عن شهودها وعقله عوده للحق سبحانه وتعالى أى ان العارف حقيقة هو الذى غاب عن الاشارة والمشير والمشار به فاذا وقعت منه اشارة لا يشهدها ولا يشعر بها لكون المشير والمشار اليه حينئذ هو الله تعالى لان العارف حينئذ فى مقام الجمع ومن كان كذلك فهو غائب عن رؤية نفسه قال الشيخ يوسف العجمى قدس الله سره من تكلم فى مقام الجمع فليس بمتكلم وانما المتكلم الحق سبحانه على لسان عبده وهو قوله فى الخبر القدسى فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق اه وسئل بعضهم عن الفناء فقال هو ان تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والاخرة والدرجات والاحوال والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء فيغرق فى التعظيم اه (الرجاء) أى الحقيقى (ما قارنه عمل) اى ما كان باعثا على الاجتهاد فى الاعمال كما مر فى الحزن لان من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه (والا) يقارنه عمل بل كان يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصى والذنوب (فهو أمنية) اى فليس برجاء حقيقة عند العلماء بل هو امنية واغترار بالله تعالى و يقال له أيضا رجاء كاذب قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والخلف الردىء من الناس وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى

امنيـة واغـترار بالله تعالى وقـد ذم الله قوما ظنوا مثل هـذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردىء من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهـم خلف ورثوا الكتاب يأخـذون عرض هـذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخى رضى الله تعالى عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال معروف الكرخى أيضا رضى الله عنه رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان وحمق واعلم انه ليس فى افعال الحق سبحانه ما يوجب أن يؤمن عقابه انما فى افعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن ان لا يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع فى جانبه ويؤمن اخذه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع الدينار لا يؤمن ان يكون عقابه غدا هكذا وقد قالوا من زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فليزعم ان طلب الربح فى القبر وقدح النار فى البحر صحيح وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الامانى وقال الحسن رضى الله تعالى عنه ان قوما الهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربى وهو يكذب لو أحسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قول الله عز وجل وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضى الله تعالى عنه عباد الله اتقوا هذه الامانى فانها اودية الهلكة تحلون فيها والله ما آتى الله عبدا بأمانيه خيرا فى الدنيا ولا فى الآخرة وكتب أبو عمر الصورى الى بعض اخوانه اما بعد فانك قد اصبحت تؤمل بطول عمرك وتتمنى على الله الامانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا ﴿(مطلب العارفين من الله تعالى الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية) مطلب العارفين من ربهم اعلى من مطالب غيرهم سواء كانوا عبادا او زهادا او علماء لان مطلب العارفين من ربهم انما هو الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والاغراض فى مطالبهم وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدى ابو مدين رضى الله تعالى عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور ﴿(بسطك كى لا يبقيك مع القبض وقبضك كى لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كى لا تكون لشىء دونه) القبض والبسط من الحالات التى يتلون بها العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين وسببهما الواردات التى ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات وضعفها والمقصود ههنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه قال فارس رضى الله تعالى عنه القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض

(مطلب العارفين من الله تعالى) او زاهدا او عالما لان مطلبهم انما هو (الصدق فى العبودية) وهو التزام آدابها والتخلق باخلاقها والقيام بحقوق الله فيها كالشكر على ما اولاه والصبر على ما ابتلاه ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وترك الاختيار عليه والتدبير معه ودوام المراقبة له والوقوف ببابه لابسا ثوب التواضع والذلة باسطا يد الفقر ماسكا حبل الرجاء متدثرا برداء الخشية الى غير ذلك من اوصاف العبودية واخلاقها فمن صدق فى ذلك كان موفيا بما عاهد الله عليه (والقيام بحقوق الربوبية) فى ظاهرهم بالطاعة وفى باطنهم بالمراقبة له ودوام الحضور معه اى انهم لا يطلبون منه الا هذين الامرين من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس بخلاف من عداهم فانه لم يفارق الحظوظ والاغراض فى مطلبه فلذا كان مطلبهم اعلى المطالب قال ابو مدين قدس الله سره شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك) أيها العارف (كى لا يبقيك مع القبض) الذى فيه قهر لنفسك وان كان فيه نفع لك كما سيأتى (وقبضك كى لا يتركك مع البسط) الذى فيه حظها (واخرجك عنهما) بفنائك عن نفسك وبقائك به (كى لا تكون لشىء دونه)

ولا

فلا تكون بإقبا مع شئ من أوصافك المؤلفة ولا المؤنسة فان ذلك حجاب لك عن ربك ويسمى حالك حينئذ لا قبضا ولا بسطا والمعنى أن عليك الاحوال لتتمكن وتفنى عنها فالقبض لاهل البدايات من العارفين ولولاه لما انجمعت حقائقهم وانكفت عن العوائد والشهوات والبسط لاهل الاشراق على مبادى الفتح كى تسترسل قواهم وتستعين عوالمهم بما ترتاح اليه من نسمات الحق وشواهد رضاه والاعتدال لاهل النهايات كى تستقيم أحوالهم وتصفو أعمالهم ويدوموا بين يدى مولاهم بلا علة ويؤخذ من ذلك ان القبض والبسط وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما لانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده لكنهما يتوصل بهما الى التمكن فمن لطف الله تعالى بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه 81 عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه فهما من احوال المبتدئين من العارفين يتلونون فيهما كما يتلون المبتدئون من المريدين فى الرجاء والخوف ويفترقان بأن الرجاء والخوف مصحوبان بتوقع أمر يحصل فى المستقبل فما معه توقع أمر محذور مخوف أو محبوب فرجاء وما لا توقع معه فقبض فى الاول وبسط فى الثانى وسببهما الواردات التى ترد على باطن العارف وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الوارد وضعفه فاذا تجلى للقلب وارد الجلال حصل فيه القبض واذا تجلى فيه وارد الجمال حصل فيه البسط فالقبض بوارد حاصل فى الوقت وكذلك البسط لان العارف لا يهتم لنفسه حتى يراعى مستقبلات الامور (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم) أى أكثر خوفا من أنفسهم (اذا قبضوا) وذلك لملائمة البسط لهوى أنفسهم فيخافون حينئذ من الوقوع فيما تدعو اليه من التحدث بالاحوال والكرامات وغيرها وربما كان فى ذلك الطرد والبعد وأيضا قد يصدر منه فى ذلك الوقت كلام لا يليق بحضرة الرب جل جلاله وحينئذ يتأكد عليهم فى ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسير فى هذا الحال ولذا قال (ولا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل) قال فى لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو فى أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هى وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى اهـ

ولا بسط لان القبض والبسط يقعان فى الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا وكان الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول الخوف يقبضنى والرجاء يبسطنى والحقيقة تجمعنى والحق يفرقنى اذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى واذا بسطنى بالرجاء ردنى على واذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى واذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه فهو فى ذلك كله محركى غير ممسكى وموحشى غير مؤنسى بحضورى لذوق طعم وجودى فليته أفنانى عنى فمتعنى أو غيبنى عنى فروحنى وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف فى القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله هنا اختصارا فمن أراده فلينظره هنالك ❁ (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل) انما اشتد خوف العارفين فى البسط ما لم يشتد فى القبض من قبل ملائمته لهوى أنفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف الآن فيخافون حينئذ من رجوعهم اليه وذوقهم لطعم نفوسهم وفى ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازى الى الجنيد رضى الله تعالى عنهما لا أذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا أبدا ومن ثم يتأكد عليهم فى ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسير فى هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط وقال رجل لابى محمد الجريرى رضى الله تعالى عنه كنت على بساط الانس وفتح على طريق البسط فزلت زلة فحجبت عن مقامى فكيف السبيل اليه دلنى على الوصول الى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال يا أخى الكل فى قهر هذه الخطة لكنى أنشدك أبياتا لبعضهم وانشأ يقول

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بربعها مستخبرا * عن أهلها او سائلا أو مشفقا

فأجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن هذه الزلة فقال انبساط مع الحق بغير أدب قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه ومن هذا خشى الاكابر والسادة قال فى لطائف المنن

البسط منزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة تلبثهم والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو فى أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هى وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى قال واخبرنى بعض الصوفية قال رأى شيخنا شيخه فى المنام بعد موته مقبوضا وقال له يا استاذ مالك مقبوضا فقال له يا بنى القبض والبسط مقامان من لم يوفهما فى الدنيا وفاهما فى الآخرة قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه فى حياته البسط انتهى ❁ (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه) فى هذا اشارة لما تقدم من ان مراعاة الادب فى البسط أمر عسير وذلك أن فى البسط وجود حظ النفس فيستولى عليها الفرح بذلك فلا تمالك حتى يقع فى سوء الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان اسلم وكان الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حق العبد منه ولان يكون بحقه منك أتم من ان يكون بحظك منه واما آداب القبض والبسط فلا أعلم الآن من استوفى الكلام فيهما من علماء الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك اشارات الى امور جملية كقول الامام ابى القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه بعد أن تكلم على لفظى القبض والبسط وتبيين معانيهما الى أن قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد فى قلبه قبضا لا يدرى ما موجبه وسببه وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضى ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه او استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد فى قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة و يصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان فى هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح على باب من البسط فزلت زلة فحجبت عن مقامى اه كلام الامام ابى القاسم وقد رأيت كلاما مبسوطا مستوفى فى آداب القبض والبسط لسيدى ابى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فاحببت أن اذكره ههنا لتتم به الفائدة التى تعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى وان كان كلام الشيخ ابى الحسن فى ذلك اعم مما هو عند غيره من ائمة الصوفية قال رضى الله تعالى عنه القبض والبسط قلما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضى منك العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو من أن يعلم سببه أولا يعلم واسباب القبض ثلاث ذنب أحدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت لك او ظالم يؤذيك فى نفسك او فى عرضك او ينسبك لغير دين او غير ذلك فاذا ورد عليك القبض من أحد هذه الاسباب فالعبودية تقتضى أن ترجع الى العلم مستعملا له كما أمرك الله تعالى أما فى الذنب فبالتوبة والانابة وطلب

(البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه) فى هذا اشارة لما تقدم من أن مراعاة الادب فى البسط من الامر العسير فلذا كان لا يقف عند حدود الادب فيه الا القليل بخلاف القبض فكأنه يقول انما كان كذلك لان النفس تأخذ منه حظها ومن شأن النفس اذا وجدت حظها الغفلة ونسيان الحقوق والدعوى باظهار ما عندها من العلوم والفهوم والاحوال والاسرار والتحدث بالخصوصية والتلذذ بنسبة الخوارق والاشارة الى الكرامات وادراك المقامات كل على حسب حاله وكل ذلك مناف للعبودية بخلاف القبض فانه لا حظ للنفس فيه فلا تمالك أن تظهر شيأ من ذلك فهو أقرب للسلامة ووجود القدرة على الوفاء بآداب العبودية ولذا آثره العارفون على البسط

الاقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبالتسليم والرضا والاحتساب وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك وما أحسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك درجات الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء بالنهار فاذا ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون على ثلاثة اشياء عن الاقوال والحركات والارادات فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع شمس نهارك أو يبدو نجم تهتدى به أو قمر تستضىء به او شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وان تحركت فى ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبودية فى القبضين جميعا واما من كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببا اولا والاسباب ثلاثة الاول زيادة فى الطاعة او نوال فى المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثانى زيادة من دنيا بكسب اوكرامة أو هبة او صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من الناس واقبالهم عليك بطلب الدعاء منك وتقبيل يديك فاذا ورد عليك البسط من احد هذه الاسباب فالعبودية تقتضى أن ترى اثر النعمة والمنة من الله عليك واحذر ان ترى شيأ من ذلك لنفسك وحسنها أن لا يلازمها خوف السلب عما به انعم عليك فتكون ممقوتا هذا فى جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا فهى نعمة ايضا كالاولى وخف مما بطن من آفاتها واما مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضى شكر النعمة بما ستره عليك وخف من الله تعالى ان يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك اقرب الناس اليك فهذه آداب القبض والبسط فى العبودية واما البسط الذى لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال والادلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا ان تقول سلم سلم الى الممات فهذه آداب القبض والبسط فى العبودية جميعا ان عقلت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن وكلامه فى ذلك حسن والحمد

لله الذى بيده سوابغ المنن ﴿ (ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك) منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والكون مع شيء من عاداته عطاء جزيل منه لانه ابقاه معه واقتطعه عن حظوظه واغراضه وجرده منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطاء فى الظاهر وقال الشيخ محيى الدين بن العربى اذا منعت فذلك عطاؤه واذا اعطيت فذلك منعه فاختر الترك على الاخذ فالواجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار ان

يجد ذلك فلن يعدم منه خيرا ﴿ (متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع عين العطاء)

(ربما أعطاك) شيأ من الدنيا ولذتها (فمنعك) التوفيق لطاعته والاقبال عليه والفهم منه (وربما منعك) من الاول (فاعطاك) الثانى فمنع الله لك من نيل شهواتك ولذاتك والكون مع شيء عاداتك عطاء جزيل منه لانه أبقاك معه واقتطعك عن حظوظك وأغراضك وعكس ذلك هو المنع على التحقيق وان كان عطاء فى الظاهر فلا تنظر لظاهر العطاء والمنع بل لحقيقة الامر وحينئذ فيجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار ولولاه (متى فتح لك باب الفهم فى المنع) بان فهمت أن ذلك المنع رحمة منه بك ولولا انه يعلم انه خير لك من العطاء ما أنزله بك (عاد المنع) اى صار (عين العطاء) ومن الفهم فى المنع ما سيأتى فى قوله ومتى منعك أشهدك قهره الخ

سيأتى بيان هذا من كلام المؤلف رحمه الله فى قوله متى اعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره الى آخره ﴿الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها﴾ الاكوان ههنا كل ما يمكن أن يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهى رائقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل

على وجه مى مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فهى من حيث ظاهرها محبوبة حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روى فى الكتب السالفة ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله صف لنا أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فأماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم فصار ذكرهم فيها قوتا وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت فى صدورهم فلم يحيوها بعد موتها وبنوا بها آخرتهم احيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض الاولياء يقول ما سطع لى فتنة من زخرف الدنيا الا كشف لى باطنه فظهر لى غرورها قال ابو طالب المكى فهذه عناية من الله تعالى ان وليه من اوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يحب بظاهرها ومن كشف له بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن

﴿ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى﴾ العز الذى لا يفنى هو الغنى عن الاسباب كلها بوجود مسببها لانه باق لا يفنى فالمتعلق به عز لا يفنى والعز الذى يفنى هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فالمتعلق بها عز فان لا يبقى والتعلق بالله عز لا يفنى وليس لك الا احدهما لانهما ضدان لا يجتمعان فان اخترت العز الباقى بالله تعالى لم يقدر أحد ان يذلك يحكى ان رجلا امر بالمعروف لهرون الرشيد فحرد عليه هرون الرشيد وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه فى بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرؤى فى بستان وباب البيت مسدود فأخبر هرون الرشيد بذلك فأتى بالرجل فقال من اخرجك من البيت فقال الذى أدخلنى البستان فقال ومن ادخلك البستان فقال الذى اخرجنى من البيت فقال اركبوه دابة وطوفوا به فى البلد وليقل قائل الا ان هرون قد اراد ان يذل عبدا اعزه الله

(الاكوان) أى المكونات التى للنفس فيها حظ من متاع الدنيا وزهرتها (ظاهرها غرة) بكسر الغين أى سبب فى الاغترار بها لحسنها وبهجتها (وباطنها عبرة) بكسر العين أى سبب فى الاعتبار بها والانكفاف عنها لقبحها وخستها والنظر الى عاقبتها وهى الفناء فهى حسنة الظاهر قبيحة الباطن فمن نظر الى ظاهرها وجدها حلوة نضرة فيغتر بها ويميل اليها ومن نظر الى باطنها وجدها جيفة قذرة فيعتبر بها وينكف عنها (فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها) أى زينتها الظاهرة فتغتر بها وتهلك صاحبها (والقلب ينظر الى باطن عبرتها) أى الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها ويسلم من شرها (ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى) بأن تستغنى عن جميع الاسباب بوجود مسببها لانه باق فيكون تعلقك به عزا لا يفنى (فلا تستعزن بعز يفنى) بأن تستغنى بها مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فيكون تعلقك بها عزا لا يبقى بل يزول بزوالها فان اعتززت بالله دام عزك ولم يقدر أحد أن يذلك وان اعتززت بغيره من مال أو جاه ونحوهما بأن ركنت اليه وجعلته معتمدك وغفلت عن مولاك فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لما أنت به معتز ولذا سمع بعض العارفين شخصا يبكى قال له ما شأنك فقال مات استاذى قال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت

(الطي الحقيقي ان تطوى) أيها المريد (مسافة الدنيا عنك) بأن لا تشتغل بلذاتها وشهواتها ولا تركن اليها بل تغيب عنها (حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك) أي تكون نصب عينيك ليست غائبة عن قلبك فهذا هو الطي الحقيقي الذي يكرم الله به أولياءه وبه تحقق عبوديتهم لربهم لا طي مسافة الارض بأن تكون من أهل

الخطوة لانه ربما كان استدراجا

فلم يقدر وان اردت العز بالاسباب خذلتك وأسلمتك احوج ما تكون اليها وكنت في غاية الذل والهوان * حكي عن بعضهم أنه قال رأيت رجلا في الطواف وبين يديه شاكرية يطردون الناس فبعد ذلك بمدة رأيت انسانا يتكفف الناس على الجسر ويسأل شيأ قال فنظرت اليه وشبهته بذلك الرجل فقال لاي شيء تنظر فقلت اشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال انا ذلك الرجل تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس قال في التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز قال وأنشدنا بعض الفضلاء لنفسه

اجعل بربك شأن عزك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يمو ت فان عزك ميت

قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك قال مات أستاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله تعالى فنقدته واستندت الى غيره فعدمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما ۞ (الطي الحقيقي ان تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك) طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره وتنطوي في اعتباره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده بل يراها أقرب اليه منه اذ ذاته فانية منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الغائب الفاني وهو الدنيا واستبداله بالحاضر الباقي وهو الآخرة ولذلك كان أصل الرغبة في الدنيا وايثارها على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم يشاهده احب الدنيا وهي لا شيء فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيأ فهذا هو الطي الحقيقي لمسافة الدنيا الذي يكرم الحق به أولياءه وبه تحقق عبوديتهم لربهم عز وجل لا طي مسافة الارض الذي ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالوصال للصيام وترك الشراب والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبرا وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها ۞ (العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان) عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسان لانه ألزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم في أخذ عطيتهم والمنع

ومكرا ولا طي الليالي والايام بالقيام والصيام لانه ربما قارنه رياء او عجب فتكون عاقبته الخسران ولا يمكن ان تطوى عن العبد مسافة الدنيا الا اذا أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده ومن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الفاني وهو الدنيا واستبدال الباقي وهو الآخرة اما اذا لم يشرق نور اليقين في قلبه كان راغبا في الدنيا مؤثرا لها على الآخرة راكنا اليها وغائبا عن مولاه لضعف يقينه وتقواه (العطاء من الخلق) أي اذا أعطوك شيأ فأخذته غافلا عن مولاك فهو وان كان اعطاء ظاهرا (حرمان) باطنا أي في الحقيقة ونفس الامر لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك (والمنع من الله) أي منع الله لك وعدم اعطائك (احسان) حيث لم يغب قلبك عنه فهو وان كان منعا ظاهرا عطاء باطنا لانه الزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم في أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعله المحبوب محبوب * وفي وصية علي كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما اهـ وهو يناسب المعنى الاول

(جل ربنا أن يعامله العبد نقدا) أي حالا بانواع الطاعات (فيجازيه نسيئة) بان لا يعطيه شيأ من جزاء عمله في الحال فان ذلك ليس شأن الكريم القادر فجزاء العمل لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الله تعالى منه لبعض أوليائه شيأ في الدنيا يحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون به قبولها ثم بين ذلك الجزاء المعجل بقوله (كفى من جزائه) أي مجازاته اياك (على الطاعة أن رضيك لها اهلا) أي توفيقك لها واقدارك عليها والا فصفتك الذاتية التكاسل عن الطاعة وعدم الاعتناء بها فاذا وفقك مولاك للقيام بها كان ذلك جزاء معجلا لك في الدنيا لما يترتب عليه من مزيد الزلفى وايضا فانت عبد حقير لا تستحق خدمة ملك الملوك فكونه قربك لخدمته ورضيك اهلا لها نعمة عظيمة منه عليك ثم ذكر جزاء آخر معجلا بقوله (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته) أي في حال طاعته من المواهب الالهية والالهامات اللدنية وحلاوة التملق بين يدي ملك الملوك قال بعضهم ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وهذه الحلاوة هي التي يعبر عنها أهل الطريق بالاحوال والمواجيد والاذواق (وما هو مورده عليهم) أي على قلوبهم (من وجود مؤانسته) أي الانس به بعد حصول العمل وانقضائه قال بعضهم الانس هو سرور القلب بشهود جمال الحبيب وهو حالة توجب انتعاش المحب وصفاء وقته ويخاف فيه غوائل الادلال

من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعل الحبيب محبوب ولله در من قال

فلا ألبس النعما وغيرك ملبسي * ولا أقبل الدنيا وغيرك واهبي

وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المن أثقل من الصبر على العدم وقال آخر عز النزاهة اشرف من سرور الفائدة وقال رضي الله عنه ﴿(جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة) جزاء المعاملة لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الحق تعالى منه لبعض أوليائه في الدنيا أنموذجا يحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون به وجود قبولها في كل الاحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله جل وعلا ﴿(كفى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا) هذا بيان جزائهم المعجل وهو أنه عرفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلا لان يكلفهم القيام بطاعته ويعدهم فيها بتيسيره ومعونته فسباهم حينئذ حبه واستولى عليهم قربه فانحنست اذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحياء كل مذهب وهذا هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذين يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره من الحظوظ الآجلة ﴿(كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته) هذا بيان آخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من أنواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الانس ويتنعمون به في حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذي يتلاشى دونه كل جزاء ويستحقر كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة ظهر لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال أحمد بن ابي الحواري رضي الله عنه دخلت على أبي سليمان الداراني رضي الله عنه يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا احمد ولم لا أبكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم أشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى ذكري واني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب احبابه أم كيف يجمل بي ان آخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا على

القيامة لا كشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم (من عبده لشيء يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه) عمل العاملين لاجل حصول الجزاء أو فرارا من عقوبة المولى مدخول معلول ليس من شأن الحاذقين المحققين لان قيام العبد بحق اوصاف مولاه يقتضي ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب أو دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء ولا يستحق هو عليه شيأ وهذا من أعلى المحبة لله تعالى لان الحب يجمع الهم بأمر محبوبه لا مراد له الا ما أراد فعلى العبد أن يعمل لربه عز وجل لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشاركه فيها فان خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم جهله بربه ومعرفته قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه ما طلعت شمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا وهم جهال بالله تعالى الا من يؤثر الله تعالى على نفسه وروحه ودنياه وآخرته وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه ان أود الاوداء الي من عبدني لغير نوال لكن يعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة او لنار ولو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع او كما قال عز وجل وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغوفا في طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كانهم الشنان البالية فقال من أنتم فقالوا نحن عباد الله تعالى فقال ولاي شيء تعبدتم قالوا خوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق على الله ان يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فرأى آخرين أشد عبادة منهم فقال لاي شيء تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان وما أعد فيها لاوليائه فنحن نرجوها فقال حق على الله ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فاقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر أنه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم وقال للآخرين أنتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وممن روي عنه هذا القول واقيم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم ابو حازم المدني كان يقول أني لاستحي من ربي ان أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل عبد السوء ان لم يخف لم يعمل واستحي ان أعبده لاجل الثواب فأكون كالاجير السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن أعبده محبة له قال الشيخ أبو طالب المكي وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجر لم يعمل وقال بعض اخوان معروف رضي الله عنه له أخبرني عنك يا أبا محفوظ اي شيء هاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكرت الموت فقال وأي شيء الموت قلت فذكرت القبر قال وأي شيء القبر

(من عبده) تعالى (لشيء يرجوه منه) وهو الثواب (او ليدفع بطاعته ورود العقوبة) أي حصولها له في الدار الآخرة وقوله (عنه) متعلق بيدفع (فما قام بحق اوصافه) بل هو قائم بحظ نفسه من جلب الثواب أو دفع العقاب بخلاف ما اذا عبده لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشاركه فيها اذ من كان كذلك يستحق ان يخدم بالعبادة فانه حينئذ يكون قائما بحق اوصافه اي موفيا لها حقها فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أود الاوداء الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الحديث لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل

فقالت خوف النار ورجاء الجنة فقال واى شئ هذا ان من ملك هذا كله بيده ان أحببته أنسالك جميع هذا وان كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال أبو طالب وحدثوا عن على بن الموفق قال رأيت فى النوم كانى ادخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد آخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت فى سرادقات العرش رجلا قد أشخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال هو معروف الكرخى عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حباله فقد أباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنهما قال أبو طالب المكى وروينا عن رابعة العدوية وكانت احدى المحبين وكان سفيان الثورى يجلس بين يديها ويقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم قولها وكان عالما زاهدا الا انه كان يؤثر كتب الحديث والاقبال على الناس وهى أبواب الدنيا وقال لها الثورى يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت الله خوفا من النار فأكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا للجنة فأكون كالاجير السوء ان أعطى عمل ولكن عبدته حباله وشوقا اليه والآثار والحكايات فى هذا المعنى كثيرة لا تنحصر فاذا علم المريد على ما ذكرناه كان عبدالله حقا فان طلب منه الثواب أو استعاذ به من العقاب فانما يطلبه أو يستعيذ به انتجازا لوعد ربه وفرارا من دعوى رؤية حظه واتباعا لما احبه منه واذن له فيه من طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما أشبهه هو المعنى بالحديث المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول فى الصلاة قال اتشهد ثم أقول اللهم انى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار اما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن الان يكون رجاؤه حصول ذلك وخوفه من فقده باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون عمله اذ ذاك مدخولا معلولا هذا هو مذهب العارفين والمحققين وعليه تنبنى قواعد التصوف كلها

(متى اعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك) المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام ثم هو على قسمين ما وافق الهوى والطبع ويسمى ذلك عطاء ومنحا وما خالفهما ويسمى منعا فبوجود العطاء تشهد صفاته البرية من الجود والكرم والاحسان واللطف والعطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد صفاته القهرية من الجبر والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغى لك أيها العبد أن لا تفرق بينهما ان أردت معرفة ربك ولم يستغرقك

(متى اعطاك) ايها العارف المتيقظ (اشهدك بره) أى صفات بره من الجود والكرم والاحسان واللطف والعطف وغير ذلك (ومتى منعك أشهدك قهره) أى صفاته القهرية أى التى تقتضى القهر والغلبة من الجبرية والكبرياء والعزة والاستغناء (فهو فى كل ذلك) أى فى كلتا الحالتين (متعرف اليك) أى مقبل عليك ومريد منك أن تعرفه فان الواحد منا اذا اراد ان يعرفه غيره فاما أن ينعم عليه واما ان يعاقبه فكل منهما سبب فى معرفة ذلك الغير له (ومقبل بوجود لطفه عليك) لان مشاهدة تلك الصفات بره وقهره لطف عظيم منه سبحانه ونعمة منه عليك فينبغى لك ان تشكره عليها والحاصل ان المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام سواء كان الحكم موافقا لطبعهم وهو الاعطاء او مخالفا له وهو المنع فمن كان عارفا بربه ولم يستغرقه حظ نفسه لم يفرق بين العطاء والمنع لان كلا منهما له طريق توصله الى معرفة صفات البرية من الجود ونحوه والقهرية وهذا من جملة فتح باب الفهم فى المنع كما مر

حب حظك اذا فنعه لك عطاء على التحقيق فهو في كلتا الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء والله أعلم قال سفيان الثوري رضي الله عنه أتيت أبا حبيب البدوي أسلم عليه ولم أكن رأيته فقال لي أنت سفيان الثوري الذي يقال قال فقلت نعم فنسأل الله عز وجل بركة ما يقال قال فقال لي يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من ربنا قلت اجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان منع الله اياك عطاء منه لك وذلك انه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه نظر منه واختيار يا سفيان ان فيك لانسا ويعجبك شغلا قال ثم أقبل على غنيمته وتركني (انما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه) اذا كان منع الله سبحانه وتعالى وعطاؤه نعمتين عظيمتين كما ذكرناه الآن فينبغي أن يكون في كليهما قرة عين المريد فان تألم بأحدهما وهو المنع وتلذذ بالآخر وهو العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه وانما الاكمل والافضل له أن يألم بالعطاء ويلذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله تعالى والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلي به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء لا يعرفه غير باريه الذي خصه بمعرفته وأياديه فهو لا يرى سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شيء له تابع وكل له خاضع اه (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول) ينبغي ان لا ينظر العبد الى صور الاشياء ولينظر الى حقائقها فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة في الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا يقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا في وصوله الى ربه وحصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك أنه يصحبه عند عمله بالطاعة أن يعجب بها و يعتمد عليها او يتكبر بفعلها او يستحقر من لم يفعلها و يصحبه عند وقوعه في الذنب اللجأ الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله * قال أبو حازم رضي الله عنه ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله له من سيئة أضر له منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله له من حسنة أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتجبر بها ويرى أن له فضلا على غيره ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها في جوفه لباق * ثم بين المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله ۞ (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا

(انما يؤلمك المنع) أيها المريد (لعدم فهمك عن الله فيه) اي في حال المنع اذ لو فتح لك باب الفهم حينئذ لتلذذت به فمن جملة الفهم في المنع ان تفهم انه يريد بذلك المنع ان يوقفك ببابه و يعلقك به ويصيرك من جملة احبابه فانه اذا احب عبدا حماه الدنيا ومن جملته ان تفهم انه سلك بك مسلك المقربين كما ورد عن الفضيل انه كان يقول الهي اجعتني واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي وانما تفعل هذا بخواص عبادك فبأي سبب استوجبت منك هذا اي من اعمال البر والخير ومن جملته ان تفهم ان الدنيا فانية ولذاتها منقضية فتفرح بما ادخر لك في الآخرة الى غير ذلك مما يفتح الله به على قلب المريد الصادق فاذا فتح عليه ذلك تلذذ بالمنع فصار المنع عين العطاء (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول) الاضافة فيهما بيانية أو من اضافة المشبه به للمشبه (وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول) وذلك أن الطاعة قد تقارنها آفات قادحة في الاخلاص فيها كالاعجاب بها والاعتماد عليها واحتقار من لم يفعلها وذلك مانع من قبولها والذنب قد يقارنه الالتجاء الى الله والاعتذار اليه واحتقار نفسه وتعظيم من لم يفعله فيكون ذلك سببا في مغفرة الله له و وصوله اليه فينبغي أن لا ينظر العبد الى صور الاشياء بل الى حقائقها فيخاف ان كان مطيعا و يرجو ان كان

١٢ عبا ل عاصيا ثم أوضح المصنف معنى هذه الحكمة بقوله (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة اورثت عزا

(واستكبارا) الذل والافتقار من صفات العبودية والعز والاستكبار مناقضان لها لانهما من صفات الربوبية ولا خير فى الطاعات اذ الزم عنها شئ مما يناقض صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها كالامبالاة بالمعصية اذ الزمتها صفات العبودية لانها أيضا تمحوها وتزيلها قال سيدى ابومدين رضى الله عنه انكسار العاصى خير من صولة المطيع وكان سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على قدر رتبتهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يعبأ به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل عليه بكثرة معاصيه وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فمن هذا المعنى ماروى عن أبان بن عياش أنه قال خرجت يوما من عند أنس بن مالك رضى الله عنه بالبصرة فرأيت جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله بسوق البصرة وجنازة مسلم لا يشهدها أحد فلاكونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا لى تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكترتنا تلك المرأة قال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهى تضحك فدخل قلبى شئ فقلت لا يخجلك الا الصدق اخبرينى ايش القصة فقالت ان هذا ابنى ماترك شيأ من المعاصى الا فعله فمرض منذ ثلاثة أيام فقال ياأماه اذا مت فلا تخبرى بوفاتى جيرانى فانهم لا يحضرون جنازتى ويشمتون بموتى واكتبى على خاتمى هذا لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفنى فلعل الله تعالى يرحمنى به وضعى رجلك على خدى وقولى هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتنى فارفعى يديك الى الله تعالى وقولى انى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصى به فلما رفعت يدى الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح انصرفى ياأماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان على فانما ضحكت من هذا ومن المعنى الآخر ماروى ان رجلا من بنى اسرائيل أتى عابدا من بنى اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله عز وجل أيها المتالى على بل أنت لا يغفر الله لك قال الحرث المحاسبى رضى الله عنه لانه انما تألى على الله عز وجل أن لا يغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده وأن الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده لانه عند نفسه عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع بين عجب وكبر واغترار بالله عز وجل ومن المعنيين جميعا ماروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من صالحى بنى اسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وتعالى وقال اللهم اغفر لى ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بينى وبين هذا العاصى فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام انى قد استجبت دعاءهما جميعا رددت

واستكبارا) ولاشك ان الذل والافتقار من اوصاف العبودية فالتحقق بهما مقتض للوصول الى حضرة الرب والعز والاستكبار من أوصاف الربوبية فالتحقق بهما مقتض للخذلان وعدم القبول قال أبو مدين قدس سره انكسار العاصى خير من صولة المطيع

ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم * وروى عن الشعبي أيضا عن الخليل بن أيوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر من بني اسرائيل يقال له عابد بني اسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله عز وجل أن يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في نفسه أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي فأنف منه وقال قم عني فأوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمن مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع قال الحرث المحاسبي وانما أراد الله عز وجل من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العالم أو العابد وأنف وتواضع الجاهل أو العاصي وذل هيبة لله عز وجل وفرقا منه فهو أطوع لله عز وجل من العابد أو العالم بقلبه

(نعمتان ماخرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد) نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود لانه في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد ازالت العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفنى * قال سيدي أبو مدين الحق تعالى مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهدم الوجود وهذا توطئة لما يريد بيانه من الفقر الذاتي للعبد

(أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد) هذا أحد جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغي أن يتغافل عنه من أنواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادهما وكذلك كراهة الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولي الله تعالى له بتينك النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات الضلالات وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة * قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ان من أفكر في صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة أغاليط الناس في البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم مختلف النحل والآراء ثم أفكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره في أحواله وشدة حاجته الى الاستعانة بأشكاله في أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفاء عين عرفانه عن رهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده وسعيه وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى ذكره وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بآلائه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في بقائها

(نعمتان ماخرج موجود عنهما) اى هما عامتان لكل موجود (ولابد لكل مكوّن) اى موجود (منهما) اى هما لازمتان لكل موجود لا ينفك عنهما موجود من الموجودات (نعمة الايجاد ونعمة الامداد) الاضافة للبيان فيهما فكل موجود في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت عنه العدم السابق فصار موجودا ولولا ذلك لم يزل معدوما والعدم ليس بشيء ولما كان دوام وجوده يحتاج الى امداد الهي له يقتضي بقاء صورته وهيكله أمده بجلب المنافع له ودفع المضار عنه فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ونعمة الامداد أزالت العدم اللاحق وأبدلته باستقرار الوجود فلولا نعمة الايجاد لم يخرج شيء من العدم الى الوجود ولم يزل معدوما ولولا نعمة الامداد لم يتم وجود الموجود ولم يصح بقاء موجود بل يختل في أقرب مدة ويضمحل ولا فرق في هذا بين المكونات العلوية والسفلية ثم ذكر جزئيا من جزئيات تلك الكلية فقال (أنعم عليك) أيها الانسان (أولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد) فاذا علم العبد أن ابتداء وجوده من الله ودوام وجوده كذلك علم أن فاقته ذاتية وأنه لا غنى له عن مولاه لافتقاره بعد وجوده في كل وقت الى الامداد ثم هذه الامدادات المتوالية عليه منها ما يكون قوتا لجسمه تقوم به بنيته كالاقوات ومنها ما يكون قوتا لعقله وروحه كالايمان والعلوم والمعارف فان الانسان شيئان روح وجسد والامداد الاول عام للمؤمنين والكافرين كنعمة الايجاد والثاني خاص بالمؤمنين * ثم ذكر ما هو كالنتيجة لما تقدم بقوله

(فاقتك لك ذاتية) اى اذ ثبت أن نعمتي الايجاد والامداد لازمتان لك وانك في ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك لاحتياجك الى المولى في ابتداء وجودك وفي ادامته عليك لكن هذا الاضطرار يخفى على غالب الناس و يغفلون عنه اذا دامت عليهم صحة أبدانهم وكثرة أموالهم فيغيبون حينئذ عن صفتهم الذاتية وعن مولاهم فيورد عليهم اسباب الاضطرار ليذكرهم ذلك كما قال (وورود الاسباب) أى اسباب الاضطرار وهى الامور القهرية من مرض وجوع وعطش وحر و برد وغير ذلك (مذكرات لك بما) الباء زائدة او بمعنى اللام (خفي عليك منها) اى الفاقة والاضطرار فاذا كنت في غفلة عن اضطرارك الذاتي وأورد عليك مرضا أو فقرا اضطررت اليه وظهرت لك صفتك الذاتية بعد أن كانت مغطاة عنك بالصحة والجدة فتقوم حينئذ بحق العبودية وتدعوه سبحانه برفع ذلك عنك قال بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الاعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته شقيقة ساعة واحدة أو المليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية وهذا في حق غالب الناس والا فالعارفون لا يفارقهم مشاهدة فقرهم الذاتي كما سيأتي في قوله العارف لا يزول اضطراره الخ فهؤلاء لا يحتاجون الى مذكر وانما يسلط الله عليهم هذه الاسباب القهرية لتظهر عليهم علامات الصدق في العبودية اذ لا يزيدهم البلاء الا تعلقا بربهم وطاعة له ورجوعا اليه وليكثر ثوابهم وتعظم منزلتهم عند الله تعالى بما يظهر عليهم من الرضا عن الله والتسليم اليه (والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) وهذا متعلق بقوله فاقتك لك ذاتية أى ان الاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضي والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية فما يحصل للعبد من الصحة والغنى والقدرة حتى تصير الاشياء كأنها طوع يده لا يزيل الفاقة الذاتية لانه يجوز في حقه تعالى أن يزيل ذلك ويبدله بضده المقتضي للافتقار والاضطرار

وحفظها عليه ولا يعتمد في ذلك على عقله وعلمه (قال) بعض العارفين من نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن ذي النون المصري رضي الله عنه ما هو قريب من هذا من كان في توحيده ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه في توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة * قال الشيخ أبو طالب المكي بعد أن ذكر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله أحبوا الله لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا فمن أفضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه ايانا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه في تصريف الاحوال اذ هو أصل الاعمال التي هي مكان النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا في الذنوب ولو قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب بناتنا في الاعمال أى شئ كنا نصنع وعلى أى شئ كنا نعول وبأى شئ كنا نطمئن ونرجو فهذا من أعظم النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام الشيخ أبي طالب رضي الله عنه وهو حسن في هذا المعنى

(فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) اذا ثبت أن نعمتي الايجاد والامداد لازمتان لك وأنك في ذاتك عدم لولاهما فالفاقة ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضي والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية وانما أورد عليك الاسباب التي تضاد وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفي عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك فتلازم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك (قال) بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الاعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة أو المليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية * قال في لطائف المنن الاضطرار نعت لازم حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممديه ومديمه وكما أن الحق سبحانه هو الغني أبدا فالعبد مضطر اليه أبدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله تعالى

تعالى فيها غير أنه غمس اضطراره فى المنة التى أفرغت عليه ملابسها وهذا هو حكم الحقائق اذ لا يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة فالعلم صفته الكشف أى علم كان فى أى وقت كان والارادة صفتها التخصيص اى ارادة كانت فى أى وقت كان ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله أقواما اضطروا اليه عند وجود أسباب ألجأتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال سبحانه واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه الآية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الآيتين الى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى ولما لم تصل عقول العوام الى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الهيته انتهى ۞ (خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترقيه الى وجود ذلتك) انما كان هذا خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك فهى لا محالة خير أوقاتك وهى مواسمك واعيادك حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا ۞ حكى عن عطاء السلمى رضى الله عنه انه بقى سبعة أيام لم يذق شيأ من الطعام ولم يقدر على شئ فسر قلبه بذلك غاية السرور فقال يارب ان لم تطعمنى ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهى لاى سبب وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما عاملت به أولياءك (وقال) بشر الحافى رضى الله عنه بلغنى أن بنت الفتح الموصلى عريت فقيل له ألا تطلب من يكسوها فقال لا أكسوها حتى يرى الله عريها وصبرى عليها قال فكان اذا كان ليالى الشتاء جمع عياله ومال بكسائه عليهم ثم قال اللهم أفقرتنى وأفقرت عيالى وجوعتنى وجوعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى بأى وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا بأوليائك واحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح وقيل ان الفضيل بن عياض رضى الله عنه بكى فى ليلة قرة ثم قال الهى أجعتنى وأجعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى واقعدتنى وأقعدت عيالى فى بيت ليس فيه مصباح وقد كنت تفعل هذا بأوليائك واهل طاعتك الهى فبأى عمل أستحق هذا منك حتى أدوم لك عليه ۞ وقيل للربيع بن خثيم رضى الله عنه قد غلا السعر فقال نحن اهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع اولياءه (متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به) فتح باب الانس بالله تعالى هو الاستيحاش من الناس ولذلك قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فاذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها وتحققت فى أنسك بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمئز بقلبك منهم وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا لك كما جاء عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه حين اطلع على انواع من العجائب ووجه بسنى الرغائب وكشف له عن الملكوت الاعلى فقيل له هل استحسنت منها شيأ فقال

(خيرا اوقاتك) ايها المريد الصادق (وقت تشهد فيه وجود فاقتك) بأن يزوى عنك الدنيا وشهواتها (وترقيه الى وجود ذاتك) بكسر الذال اى فقرك وانما كانت هذه خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك عنه بخلاف الوقت الذى تشهد فيه وجود غناك وعزك فان ذلك شر أوقاتك ۞ حكى عن عطاء السلمى انه بقى سبعة أيام لم يذق شيأ من الطعام ولم يقدر على شئ فسر قلبه بذلك وقال يارب ان لم تطعمنى ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله ويتضرع اليه ويقول الهى بأى سبب وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما عاملت به أولياءك وكذا وقع للفضيل بن عياض فقال فبأى عمل أستحق هذا منك حتى أداوم عليه الى غير ذلك مما وقع لاهل الله تعالى ولذا قال المصنف فيما سيأتى ورود الفاقات أعياد المريدين (متى أوحشك من خلقه) أى ما عدا الله تعالى بأن تشمئز منهم بقلبك وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا عن مولاك (فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به) فاذا فتح لك ذلك الباب وآنسك بالخطاب صرت له وحده وغبت عن غيره كما وقع لابى يزيد قدس الله سره انه اطلع على أنواع من العجائب وكشف له عن المكونات العلا فقيل له وهل استحسنت منها شيأ فقال لم أر شيأ استحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا

(متى أطلق لسانك بالطلب) اى بان حل عنه عقدة الصمت التى اوجبها الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الافتقار فاذا حل عنه
هذه العقدة بأن أشهدك فقرك وفاقتك حتى دعوته كنت اذذاك داعيا بلسان الاضطرار (فاعلم انه يريد أن يعطيك) اى يحصل
لك مطلوبك لصدق الوعد باجابة الدعاء من المضطر والله لا يخلف الميعاد ولقوله عليه الصلاة والسلام من اعطى الدعاء
لم يحرم الاجابة أى اما بعين المطلوب أو بغيره عاجلا أو آجلا قال بعضهم هذا اذا كان الدعاء صادرا عن اختيار وقصد أما اذا جرى على لسانه من غير قصد فان الاجابة بعين المطلوب لا تكاد تتخلف (العارف لا يزول اضطراره) أى احتياجه بل هو دائم مستمر لشهوده قبضة الله الشاملة المحيطة ولمعرفته بنفسه وبما هى عليه من الفاقة وتحققه بذلك فى كل نفس بخلاف غيره فانه تارة يضطر فيدعو وتارة يدعو من غير اضطرار وذلك أن اضطرار العامة بمثيرات الاسباب لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فاذا زالت زال اضطرارهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم (ولا يكون مع غير الله قراره) أى لا يركن ولا يستند بقلبه لغير الله تعالى لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم فكأنه يقول ان ما تقدم من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب نعتان من نعوت العارفين * ثم قال (أنار الظواهر) أى المكونات من السموات والارضين أى جعلها منيرة (بأنوار آثاره) أى آثار
أوصافه اى بانوار الكواكب من شمس وقمر ونجوم التى هى آثار لاوصافه من قدرة وارادة وغيرهما فتلك الظواهر بانوار
صارت مكشوفة لنا بانوار الكواكب وحينئذ نرى المكونات ونأخذ منها ما ينفع ونحترز عما يضر (وأنار السرائر) جمع سر
وهو باطن القلب كما مر

لم أر شيأ أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله فى حضرة القدس وسيأتى هذا المعنى فى قوله فى مناجاته أنت المؤنس لهم حيث اوحشتهم العوالم ۞ (متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد أن يعطيك) اطلاق اللسان بالطلب هو أن يحل عنه عقدة الصمت الذى اوجبه الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وأطلق لسانه بالطلب كان اذذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وأنشدوا

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب * من فيض جودك ما ألهمتنى الطلبا

وفى الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أذن له فى الدعاء منكم فتحت له ابواب الرحمة وما يسئل الله شيأ أحب اليه من ان يسئل العفو والعافية فى الدنيا والآخرة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة (قال) الشيخ ابو بكر الخفاف رضى الله عنه وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول الله دعوا عبدى فانى أحب ان أسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدى وسعديك لا تدعونى بشئ الا استجبت لك ولا تسألنى شيأ الا اعطيتك اما ان أعجل لك ما سألت واما أن أدخر لك عندى افضل منه واما ان أدفع عنك به من البلاء ما هو اعظم من ذلك ۞ (العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره) معرفة العارفين هى معرفتهم بأنفسهم وبما هى عليه من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار وبقدر ما يحققون بذلك من انفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء فى الخبر من عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار * قال سيدى ابو العباس المرسى رضى الله عنه فى قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه الولى لا يزال مضطرا قال الاستاذ تاج الدين بن عطاء الله قدس الله سره معنى كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمثيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله تعالى الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم وانما لم يكن لهم مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكأنه رحمه الله قصد بهذا أن يعلمك ان ما تقدم لهم من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين ۞ (أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر

(بانوار اوصافه) اى بالعلوم العرفانية والاسرار الربانية الناشئة عن تجلى اوصافه على قلوب العارفين فتلك السرائر اى سرائر العارفين صارت مكشوفة لهم بانوار العلوم والمعارف الناشئة عن اوصافه سبحانه اى بجليها على قلوبهم وحينئذ يشاهدون مافى سرائرهم من الاوصاف فيحترزون عما يضرهم منها ويتصفون بما ينفعهم (لاجل ذلك) اى كون الظواهر نارت بانوار آثاره والسرائر نارت بانوار أوصافه فالانوار الاولى ناشئة عن الحادث والثانية عن القديم (أفلت) أى غابت وذهبت (أنوار الظواهر) أى الكواكب فيذهب نور الشمس فى الليل ونور القمر والنجوم فى النهار ونسبة ذلك النور الى الظواهر باعتبار كونه منورا لها والافهو قائم بالكواكب (ولم تأفل) بضم الفاء أى تغيب وتذهب (أنوار القلوب والسرائر) أى الانوار الناشئة عن مشاهدة الصفات القديمة التى لا تزول وما ينشأ عن القديم لا يزول وانما يطرأ عليه تغطيته بالاوصاف البشرية بالنسبة للعارفين ثم تزول وذلك النور ثابت فى قلوبهم (ولذلك) أى لاجل أفول أنوار الظواهر وعدم أفول أنوار السرائر (قيل) أى قال الشاعر (ان شمس النهار تغرب بالليل) أى واذا غربت ذهب ضوءها (وشمس القلوب ليست تغيب) وهو بيت مدور نصفه الياء وقبله
طلعت شمس من أحب بليل فاستضاءت فمالها من غروب
وفى هذا تنبيه على أن الامور الباقية هى التى ينبغى أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين

بأنوار أوصافه لاجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ولذلك

قيل ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب)

أنوار الظواهر التى بها آثارها الحق تعالى هى الادراكات والاحساسات والحركات التى اتصف بها ظاهر العبد وأنوار السرائر التى بها أثارها الحق تعالى هى المعارف والعلوم ولطائف الادراكات والفهوم التى اشتمل عليها باطنه وسره فأنوار الظواهر متعلقة بانوار الآثار الحادثات وانوارها معانيها ولطائفها المستكنة فيها وأنوار السرائر متعلقة بانوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف التعلقين فى الحدوث والقدم والغنى والفقر والفناء والبقاء كان ماذكره المؤلف رحمه الله من أفول انوار ماتعلق بالحادث الفانى وعدم أفول انوار ماتعلق بالقديم الباقى ثم انشد المؤلف البيت المذكور مستشهدا به على ماذكره ومعناه بين وقبله

طلعت شمس من احب بليل * فاستضاءت فمالها من غروب

وفى هذا تنبيه على ان الامور الباقية هى التى ينبغى أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين ويروى ان رجلا سأل سهل بن عبد الله رضى الله عنه عن القوت فقال هو الحى الذى لا يموت فقال انما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم فقال سألتك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقال انما سألتك عن طعم الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وفى معناه أنشدوا

كمل حقيقتك التى لم تكمل * والجسم دعه فى الحضيض الاسفل
أتكمل الفانى وتترك باقيا * هملا وانت بأمره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة * مالم تحصله بها لم تحصل
يفنى وتبقى دائما فى غبطة * اوشقوة وندامة لا تنجلى
أعطيت جسمك خادما فخدمته * ان علك المفضول رق الافضل
شرك كثيف انت فى احباله * مادام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل * مابالة يرضى بادنى منزل

(وقيل فى هذا المعنى ايضا)

ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته * وتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها * فانت بالنفس لا بالجسم انسان

(ليخفف الم البلاء عليك علمك بانه سبحانه هو المبلي لك) اى استحضارك انه سبحانه هو المبلي دون غيره وأنه اعلم بمصالحك من نفسك فان ذلك سبب فى تسليمك وتسليمك ووجود صبرك (فالذى) أى لان الذى (واجهتك منه الاقدار) اى الامور المقدرة عليك من المرض وذهاب المال والولد ونحوهما (هو الذى عودك حسن الاختيار) اى اختيار الامر الحسن الذى يلائمك فان من كانت له عليك نعمة من المخلوقين ٩٦ وجرت عادته أنه يحب الخير لك على تقدير أنه أساء اليك فى بعض الاحيان تحمله لانه ربما كانت اساءته احسانا فى الباطن وكذلك العبد اذا علم انه سبحانه وتعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغى له أن لا يبالى به فانه يتعود منه الاخير فيحسن ظنه به ويعتقد أن ذلك اختياره وأن له فى ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم قال أبو طالب المكى فى هذه الآية فالعبد يكره العلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله وأسوأ عاقبة اه (من ظن انفكاك لطفه عن قدره) أى عما قدره الله عليه من البلايا والمحن (فذلك لقصور نظره) اذ لو كمل نظره لوجد نفسه قد حصل له فى تلك البلايا ألطاف كثيرة منها اقباله على المولى بتلك البلية فان البلايا التى يبتلى الله بها عباده مناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أنه يرد العبد الى الله ويلزمه بابه فيلتجئ اليه وهذا أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك فى نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية ومنها أن فى البلايا ضعف النفس وذهاب قوتها اعنا وبطلان صفاتها التى توقع العبد فى الذنوب والمعاصى وتقوى رغبته فى الدنيا ومنها أن العبد يحصل له عندها أعمال باطنة من أعمال القلوب كالصبر والرضا والتوكل والزهد وحب لقاء الله تعالى وذرة من اعمال القلوب خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح ومنها انه يحصل بها كفارة الذنوب والخطايا الى غير ذلك من الالطاف الالهية

﴿ (ليخفف الم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار) اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومستعطف عليه وناظر اليه فكل ما يورده عليه من انواع البلايا والرزايا ينبغى له ان لا يكترث بذلك ولا يبالى به فانه لم يتعود منه الا الخير له فليحسن به ظنه وليعتقد ان ذلك اختاره له وان فى ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم * قال أبو طالب المكى فى هذه الآية فالعبد يكره العلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى واسوأ عاقبة * وفى معنى ذلك قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلايا لانها نعمة فى الآخرة فاذا كل ما يصيب المؤمن فهو نعمة كائنا ما كان فله الحمد على نعمه قال فى التنوير انما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره وأنشد فيه لنفسه بقوله

وخفف عنى ما الاقى من العنا * بأنك انت المبتلى والمقدر
وما لامرئ عما قضى الله معدل * وليس له منه الذى يتخير

(وكان) الاستاذ ابو على الدقاق رضى الله عنه يقول جربت مرة وكنت فى صورة وحشة من ذلك فدخلت الحمام ففتح على قلبى بشئ من الرضا فكنت الثم كل واحدة من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها اثر (وقال) الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه سمعت الاستاذ ابا على الدقاق يقول فى آخر عمره وقد اشتدت به العلة من امارات التأييد حفظ التوحيد فى اوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة فى امضاء الاحكام قطعة قطعة وأنت ساكن خامد وقال الجنيد رضى الله عنه كنت نائما عند سرى السقطى رضى الله عنه فنبهنى وقال لى يا جنيد رأيت كأنى قد وقفت بين يديه فقال لى يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة اعشارهم وبقى معى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة اعشار العشر وبقى معى عشر العشر وخلقت النار فهرب منى تسعة اعشار عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة اعشار عشر عشر العشر فقلت للباقين معى لا الدنيا اردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون قالوا انك لتعلم ما نريد فقلت لهم انى أسلط عليكم من البلاء بعدد انفاسكم ما لا تقوم به الجبال الرواسى أتصبرون قالوا اذا كنت أنت المبلى فافعل ما شئت فهؤلاء عبادى حقا ﴿ (من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) قصور النظر فى عدم رؤية اللطف فى القدر

انما هو من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم ولو كل نظر العبد وقوى بصره لرأى فى ذلك من الفوائد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه أكثر ولهذا كان كما روى عن بعض الصالحين العارفين أنه قال لقد مرضت مرضة فأحببت أن لا تزول وكان عمران بن الحصين رضى الله عنه قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد وكان تحته نقب لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكى لما رأى من حاله فقال له لم تبكى قال لانى أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فانى أحب ما أحبه الله تعالى الى ثم قال أحدثك بشئ لعل الله تعالى ينفعك به واكتم على حتى أموت ان الملائكة تزورنى فآنس بها وتسلم على فأسمع تسليمها * وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلى فداؤك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا ما أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال ما يسرنى أنى نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء شاهدوا فى بلاياه عطاياه وفى محنه منحه وفى عنفه لطفه فأوجب لهم ذلك من الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على أن لا يحبوا زوال ذلك عنهم ولا انقصانه ووجوه الالطاف والمنن فى البلايا لا تحصى ولكنا نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التى يبتلى الله بها عباده مناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أن ذلك راده الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجا والافتقار وهذا هو أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية أو اصابته رزية وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد فى الذنوب والمعاصى وتتأكد منه الرغبة فى الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة أو عيلة أو ذلة أو فاقة أو قلة وفى الخبر عن الله تعالى الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس بذلك من أحببت من عبادى وفيها أيضا تحصل له طاعات القلوب واعمالها وذرة منها خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى قيل لعبد الواحد ابن زيد رضى الله عنه ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبى أخبرنى عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا انى أستحى منك لاخبرتك ان معاملتك له خمسين سنة مدخولة قال أبو طالب المكى رضى الله عنه اراد بذلك انه لم يرفعك باعمالك الى مقامات المقربين فيوجدك مواجد العارفين فيكون مزيدك منه أعمال القلوب التى يستعمل بها كل محبوب مطلوب لان القناعة به حال الموقن والانس به مقام المحب والرضا وصف المتوكل أى انما انت عنده فى طبقة أصحاب اليمين فمزيدك منه مزيد العموم من أعمال الجوارح

وهذه اشارة الى ماقلناه من أفضلية أعمال القلوب على أعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى
الى منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها فى البلايا النازلة به فقد حصل على كنوز البر وذكر
أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله فى كتاب النصائح له ان
عروة بن الزبير رضى الله عنه امتحن بقرحة فى ساقه بلغت به الى نشر عظم ساقه فى الموضع
الصحيح منها فقال له الاطباء الا نسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك فقال لا ولكن شأنكم
بها فنشرت الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا انكروا منه حتى مسته النار فما زاد
على ان قال حسبي وأصيب حينئذ بابنه محمد وكان من احب ولده اليه فلما رأى القدم بيد
بعضهم قال اما ان الله تعالى يعلم انى لم امش بها الى معصية قط ثم قال ياغلام اغسلها وكفنها
وادفنها فى مقبرة المسلمين ثم جعل يقول لئن اخذت لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد عافيت
ولئن اخذت لقد طالما اعطيت وذكر ابن قتيبة فى عيون الاخبار له عن المدائني قال قدم
رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فسأله عن سبب ضرره فقال بت ليلة فى
بطن واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل اذهب ما كان لى
من مال وأهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير والصبى معى فوضعته واتبعت
البعير لاحبسه فما جاوزت الا ورأس الولد فى بطن الذئب قد اكله فتركته واتبعت البعير
فاستدار فرمحنى رمحة حطم بها وجهى واذهب عينى فأصبحت لاذا مال ولاذا اهل ولاذا
ولد ولاذا بدن فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان فى الناس من هو اعظم بلاء منه
وروى عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه انه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من
نواحى البصرة فالجأهم السير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده
قيحا وصديدا فقالوا له يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الذى بك فرفع طرفه الى
السماء وقال ياسيدى بأى ذنب سلطت هؤلاء على ليسخطونى عليك ويكرهونك الى سيدى
لك العتبى من ذلك الذنب واستغفرك منه ولا اعود فيه ابدا قال ثم اعرض عنا بوجهه
فانصرفنا وتركناه وروى عن بشر بن الحرث الحافى رضى الله عنه انه قال رايت ببغداد
رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو مع ذلك كثير الذكر عظيم الشكر
لله تعالى قال واذا هو صرع من جنبه قال فوضعت راسه فى حجرى وجعلت اسأل الله تعالى
ان يكشف مابه وادعو فأفاق فسمع دعائى فقال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين
ربى ويعترض عليه فى نعمته على ونحى راسه من حجرى قال بشر فعاقدت الله تعالى ان
لا اعترض على عبد فى نعمة اراها عليه من البلاء وقد روى فى بعض الاخبار ان يونس
وجبريل عليهما الصلاة والسلام التقيا فقال يونس لجبريل دلنى على أعبد اهل الارض
فأتى به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذا هو يقول متعتنى بهما حيث شئت
وسلبتنيهما حيث شئت وابقيت لى فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس ياجبريل انما سألتك
ان ترينى صواما قواما قال ان هذا كان قبل البلاء هكذا وقد امرت أن اسلبه بصره فأشار

الى

الى عبد نفسه فسألناه فقال متعني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لي فيك
الامل يا بر يا وصول فقال جبريل هل تدعو وندعو معك أن يرد الله عليك يديك ورجليك
وبصرك فتعود الى العبادة التي كنت فيها فقال ما أحب ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته
في هذا فمحبته أحب الي من ذلك قال يونس يا جبريل والله ما رأيت أحدا أعبد من هذا قال
جبريل يا يونس ان هذا طريق ليس يوصل الى رضاه بشئ أفضل منه وفي الخبر اذا أحب الله
عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا
ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من أنواع
البلايا لان العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على نوافل
الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سيآته بها وان قدر عليها ولم
يتكاسل عنها لم يأمن تخليصها من الشوائب وتسليمها من الآفات والمعايب وحينئذ
يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به أمله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم ان ما اختاره له خير
له مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل
الذي قال له أوصني قال لا تتهم الله في شئ قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله من حديث
صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله
خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابه شر فشكر كان خيرا له وان أصابه ضر فصبر كان
خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي
الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المؤمن من وصب ولا
نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيآته وذكر أيضا من حديث
عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم
يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله تعالى عنه به سيآته كما تحط الشجرة أوراقها
وذكر البخاري ومسلم أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة
وذكر البخاري أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يصب منه وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها وروي
عن عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض
على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبار
كثيرة في الحمى والعمى وغير ذلك روى البزار من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها من
فوق اللحاف فقال ما أشدها عليك يا رسول الله قال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف
لنا الاجر قال يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون لئن كان أحدهم

ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يحويها وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء وقيل فى معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين أى من الآثام والذنوب بالحمى والامراض كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه للحمى اذهبى الى أهل قباء وقد روى فى بعض الاخبار بدلا من أهل قباء الانصار وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى يوما شخصا أسود فقال من أنت فقالت أم ملدم آكل اللحم وأشرب الدم وحرى من فيح جهنم صورة الحمى فقال عليه السلام اذهبى الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فأصبح النبى صلى الله عليه وسلم فلم ير أحدا من الانصار حضر الصلاة فطلبهم فقيل أخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم الحمى طهارة وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله لنا حتى يزيد نا منها وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال مالك يا أم السائب او يا أم المسيب ترفرفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبى الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخارى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدى المؤمن بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال فى آخر الحديث من قول أحد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان أيضا وروى ان أنس بن مالك وأبا ظلال رضى الله عنهما كانا فى بيت ثابت البنانى فقال أنس يا أبا ظلال متى فقدت بصرك قال وأنا صبى لا أعقل فقال الا أحدثك حديثا حدثنيه حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى ومن طريق هلال بن سويد وهو أبو ظلال المذكور أنه سمع أنسا رضى الله عنه يقول مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أحدثكم بما حدثنى به جبريل عليه السلام عن هذا واضرابه الذين ذهبت أبصارهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى جبريل ان الله عز وجل يقول حق على من اخذت كريمتيه ليس له جزاء الا الجنة وفى حديث بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اصيب عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد فصبر الا لقى الله ولا حساب عليه وذكر البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة سوداء اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اصرع وانى أنكشف فادع الله لى قال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك قالت أصبر قالت فانى انكشف فادع الله أن لا انكشف فدعا لها الى غير ذلك مما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب مما لا يحصى كثرة وفيها ايضا يحصل له تجديد التوبة

واداء

(لايخاف عليك) اذا كنت متلبسا بحال من الاحوال كطاعة أو معصية او نعمة او بلية (ان تلتبس الطرق عليك) اى طرق العبودية التى توصلك الى ربك عند تلبسك بحال من تلك الاحوال لان الشريعة مبينة لذلك فان من نظر فى الكتاب والسنة وجد مايرشده فعبوديتك فى الطاعة ان تشهد منته بها عليك وفى المعصية ١٠١ الاستغفار والتوبة منها وفى النعمة الشكر عليها وفى البلية الصبر عليها (وانما يخاف عليك) فى هذه الاحوال (من غلبة الهوى عليك) حتى يعميك عن رؤية طريق قصدك كما ذكر بأن تعجب بالطاعة وتصر فى المعصية وتستقل النعمة فلا تشكرها وتجزع فى البلية ويحتمل أن المعنى لايخاف عليك أيها المريد الصادق ان التبس عليك الطرق اى الاعمال الموصلة الى الله من صلاة وصيام وذكر اى يلتبس عليك الاولى منها فتصير تعمل هذا تارة وهذا أخرى وتنتقل فى أنواع العبادات لكونك لاتعرف الاولى منها من غيره اذا لم تكن تحت تربية شيخ وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصدك عن سلوك أى طريق من تلك الطرق فترجع عن التوجه الى مولاك بل الذى يلزمك ان تستعمل طرق القربات وان لم تعرف الاولى منها حتى يجمعك الله على شيخ ناصح يريك ذلك وتكون تحت تربيته (سبحان من ستر سر الخصوصية) اى سرا هو الخصوصية وهى العلوم والمعارف والاسرار الالهية التى يعطيها الله لاوليائه ويفيضها على قلوبهم (بظهور البشرية) أى الاحوال التى تعرض للبشر والامور الدنيوية التى يتعاطاها الناس فان بعض الاولياء قد يكون حدادا أو خواصا او نحو ذلك كافلا يعرفه غالب الناس ليستر خصوصيته بهذه الصنعة التى يتعاطاها ويخالطه الناس فى حال معاملته معهم وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس وهم الدعاة الى الله تعالى ليتكمل بهم غيرهم (وظهر) للعباد

وأداء الحقوق والتبعات والظلامات وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ الذاذ ابلغ مايذكر به فقد قيل الحمى بريد الموت وقد قيل فى قوله تعالى اولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون أى يختبرون بها وفى حديث عائشة وانس رضى الله عنهما قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفى لفظ الحديث الآخر من يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف رضى الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال ويقال لايخلو المؤمن فى كل أربعين يوما ان يراع بروعة او يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك فى هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بشئ وفيها ايضا يقع له خلف مايفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له فى مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك فى صحته وذلك أبلغ له فى الوصول الى غرضه لانه من اختيار الله تعالى له وهو خير مما اختاره لنفسه وفى الخبر يقول الله تعالى للائكته اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمله فى صحته فانه فى وثاقى ان اطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتى وفى الحديث الصحيح من حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا الى غير ذلك من الالطاف التى لايعلمها واغا ذكرنا هذه المعانى ههنا لانها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله وكأنها مفسرة له وايضا فان العبد محتاج اليها غاية الاحتياج لانه فى حال نزول البلايا يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه ويتزلزل ايقانه فيحتاج الى مذكر يذكره بامثال هذه المعانى ليحصل له بذلك من الرضا وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجى له بذلك ان مات من فوره حسن الخاتمة وحب لقاء الله تعالى والاعمال بخواتيمها وهذا الغرض هو الذى اوجب لنا فى هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة أكثر الاحاديث فيه الى رواتها الثقات لتطمئن قلوب اهل البلاء بذلك وتسلك الى الله واضحات تلك المسالك والله ولى التوفيق

(لايخاف عليك ان تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك) الطريق الى الله تعالى واضحة لائحة لان الحق تعالى هو الذى تولى ذلك وبه أنزل الكتب وارسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف على العبد من التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن ربه قال أحمد ابن خضرويه البلخى رضى الله عنه الطريق واضح والحق لائح والداعى قد أسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى

(سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر

(بعظمة الربوبية) أى بربوبيته العظيمة (فى اظهار) آثار (العبودية) عليهم وهى الاحوال التى تطرأ على العبيد فتقتضى افتقارهم للرب كالمرض والفقر فان العبد اذا قام به حال من تلك الاحوال التجأ الى الرب فى ازالته وظهر له عظمة ربوبيته اى ربوبيته العظيمة اى ان له ربا مالكا له يزيل عنه ما قام به ولولا ذلك لم يعرفه فعظمة الربوبية انما ظهرت للعباد من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر ولذا قال الشاذلى ١٠٢ قدس سره العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير

بعظمة الربوبية فى اظهار العبودية) سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التى اختص بها اهل ولاية الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود لغير ولا كون وذلك لما جعل فيهم من التهيؤ والقابلية فمن لطف حكمة الله تعالى أن ستر ذلك بما أظهره من البشرية التى من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا لاغير مصون كما قال فى لطائف المنن ولابد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ثم ان من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد والتأله فظهر لنا من ذلك لزوم وجود المعبود وهذه هى عظمة الربوبية التى ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال سيدى ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شئ قدير والتسبيح الذى ذكره المؤلف رحمه الله ههنا فى غاية المناسبة لما ذكره من المعنى ﴿(لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) اذا دعوت ربك وسألت منه مطلبا من المطالب ولم تظهر لك الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما شاء لا يسئل عما يفعل ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فانها اهل للمطالبة وسوء أدبها من وجوه احدها انك دعوت لتجاب فى دعائك فيحصل لك بذلك غرض وهذا مما يقدح فى كمال عبوديتك وسيأتى هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك سببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بأحكام الربوبية والثانى اعتقادك انه لم يستجب لك اذ ظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة ان تظهر لك بل له ان يخفيها عنك لما فى ذلك من المصالح والاجابة اليه امرها يجعلها ما شاء مما تعلمه أو تجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك الى آخره والثالث وهو أشدها اعتراضك على ربك فى حكمه ومطالبتك له اذا تأخرت اجابته عليك ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التى يكون عليها العبد قائما بحق الادب وواصلا الى غاية الارب فقال ﴿(متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لامره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك) هذان الامران هما اللذان يلزمانك فى اقامة العبودية لربك لا غير فحين يسرهما الله تعالى لك وأقامك فى مراعاة أحكامهما ووفقك لذلك فقد اعظم المنة عليك فلماذا تتشوف وما الذى تلتمس بعدهما ان كنت عبدا حقيقيا قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه صحبت انسانا فى الله تعالى فى البادية واعتزلنا فى مغارة

(لا تطالب ربك) اى تعترض عليه وتسئ الظن به (ب)سبب (تأخر مطلبك) اى مطلبته منه باطنيا كان كالخصوصيات أو ظاهريا كالاغراض الدنيوية فاذا طلبت منه شيأ ولم يسرع لك الاجابة فلا تسئ به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل (ولكن طالب نفسك بتأخر ادبك) اى عدم وجوده حيث طلبت منه اسراع اجابتك ولا يخفى ما فى ذلك من سوء الادب وأيضا مطالبتك له بالاجابة دليل على انك دعوت لتجاب فى دعائك فيكون دعاؤك لغرض وهذا مما يقدح فى كمال عبوديتك وايضا اعتقادك انه لم يستجب لك اساءة ادب اذ ليس من شرط الاجابة بأن تظهر لك بأن يجيبك بعين ما طلبت فى الحال بل له أن يخفيها عنك لما فى ذلك من المصالح فيجيبك بغير ما طلبت او بعينه لكن يؤخر ذلك لمصلحة يعلمها ثم اشار الى كمال الادب الذى اذا قام به العبد حصل له غاية مقصوده وهو المعبر عنه بالاستقامة وبالصراط المستقيم فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقال (متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لامره) بأن وفقك للقيام بطاعته ويسرها لك عمن سوى (ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره) أى الرضا بما يجرى عليك من مولاك (فقد اعظم المنة عليك) حيث جمع لك بين عبودية الظاهر وعبودية الباطن فهذان الامران هما اللذان يلزمانك فى اقامة العبودية لربك لا غير فلماذا تتشوف وما الذى تلتمس بعد حصولهما ان كنت عبدا حقيقيا وهل درجات اهل الكمال الا التقلب فى عبودية الظاهر وعبودية الباطن

عسى أن نكون من أولياء الله تعالى وأن يفتح الله علينا بما فتح الله عليهم فأقمنا زمانا نقول اهل في هذه الجمعة اهل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن كذلك واذا بشيخ على باب المغارة يستأذن فأذنا له فدخل فسلم ووقف فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يردّدها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه في هذه الجمعة أكون وليا في هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة يا نفس ألا تعبدين الله تعالى كما أمرك مخلصة لوجهه كما أمرك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من اين دخل علينا وعلمنا ان الله تعالى رحمنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من أنت وما عملك وما خطرك أنت لا شئ وتبنا واستغفرنا الله تعالى قال ففتح الله علينا بجوده وفضله ﴿ (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) التخصيص هنا هو ان يظهر الحق تعالى على بعض عباده أثر ته وعنايته وتولية لطفه ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن رؤية الاغيار والاكوان وهؤلاء هم خواص المقربين أهل العلم بالله والحب له ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه في حاله بما يليق به من علوم واعمال وهؤلاء عامة المقربين وخاصة أصحاب اليمين العباد الزهاد وأهل المجاهدة والاوراد وهؤلاء وان شاركوا الاولين فيما يخصهم الحق تعالى من لطائف الكرامات وفيما يخصهم اياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعاة حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب مرتبطون بوجود الحجاب وقد يختص الحق تعالى هؤلاء باظهار الكرامات على أيديهم وبسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشئ من معاني القدر افضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة اثر القادر ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر شيئا من القدرة ويرى القدرة تجلي له من سجف اجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلي رضي الله عنه وقيل له ان أباتراب ذكر انه جاع في البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو بلغ الى محل التحقيق لكان كمن قال ابيت عند ربي فيطعمني ويسقيني قال في لطائف المنن واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته وأحديته وأن قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسائط والاسباب حجب قدرته وسحب شمس أحديته فالواقف عندها مخذول والنافذ منها اليه من هو بالعناية موصول قال وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية تجمع لا يفترق وأمر لا يفقد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد لا يستوي من

(ليس كل من ثبت تخصيصه) باظهار أمر خارق للعادة على يده كطي الارض والطيران في الهواء والمشي على الماء (كمل تخليصه) من آفات النفوس وغوائلها ومايدعو اليه من الشهوات والمخالفات فكأنه يقول ليس كل مخصص بالآيات والكرامات مخلصا من الآفات بل قد يكون بعض من خصص بالكرامة لم تثبت له الاستقامة فالكرامة الحقيقية هي الاستقامة التي تضمنها ما تقدم بخلاف الكرامات التي هي خوارق العادات فانها قد تحصل على يد من لم يكن مستقيما استقامة تامة وكثيرا ما تظهر على ايدي المبتدئين ولا تظهر على اهل التمكين والكل من اهل الله تعالى فينبغي احترامهم وتعظيمهم لكن يعظم اهل الاستقامة أكثر من اهل الكرامة

تعرف الله اليه بنوره عن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبيت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهايات فى نهاياتهم اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضى الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى ظهور الكرامات الحسية لما اعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة فالكرامة رافعة لازالة الشك فى المنة ومعرفة تفضل الله تعالى فيمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس فى الكرامات على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها اعظموا من ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هى الكرامات انما هى خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا بها على حدودهم حتى لا يلحقوا مقاماليس هو لهم حتى قال ابو تراب النخشبى لابى العباس الرقى ما يقول اصحابك فى هذه الامور التى تكرم الله بها على عباده فقال ما رأيت أحدا الا وهو مؤمن بها فقال ابو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقال ما اعرف لهم قولا فقال أبو تراب بل قد زعم أصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع فى حال السكون اليها فأما من لم يقترح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبى تراب رضى الله عنه بعد أن عطش القوم وهم أصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال انى اريد ان اشرب به فى قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقانا قال أبو العباس الرقى ومازال القدح معنا الى مكة قال الشيخ أبو الحسن والقول الفصل فى ذلك انه لا ينبغى ان تطلب أدبا مع الله تعالى ومن ظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال والقسم الثالث وهو ان تظهر الكرامات فى الولى لغيره والمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذى شهدها بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان او شاكا فى خصوصية هذا العبد فأظهرت عليه ليعرف الله عبادة فيه من ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال أبو نصر السراج سألت ابا الحسن بن سالم فقلت له ما معنى الكرامات وهم قد أكرهوا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف اكرموا بان تجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال لا يعطيهم ذلك اقتدارا ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذى قسم الله لهم فيقولون الذى يقدر على ان يصير لك الحجارة ذهبا كما هو ذا ينظر اليه قادر على ان يسوق اليك رزقك من حيث لا تحتسبين فيحتجوا بذلك على تصحيح نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك حجج نفوسهم فيكون ذلك سببا لرياضة نفوسهم وتاديبا لها قال ابو نصر وقد حكى لنا ابن سالم فى معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه انه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحق بن احمد وكان من ابناء الدنيا فخرج من الدنيا أعنى من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا أبا محمد ان نفسى هذه ليست

تترك الصياح والصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما تأكله فقال له ومن امامي في ذلك حتى أفعل فقال امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي المعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من جبلتها الشك فقال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى حتى تطمئن نفسي فاني مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء يظهر الله لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام ابي نصر وقال بعض العلماء ما رأيت هذه الكرامات الا على ايدي البله من الصادقين وكان رجل يصحب سهل بن عبد الله رضي الله عنه فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من بين يدي قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل اما علمت أن الصبيان اذا بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وحكى جعفر الخالدي عن الجنيد رضي الله عنه قال جاءني ابو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد الله الرباطي وجماعة وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام فقال يوما لابي حفص قد كان فيمن مضى لهم الآيات الظاهرة يسمى بها الكرامات وليس لك شيء من ذلك فقال له ابو حفص رضي الله عنه تعال فجاء به الى سوق الحدادين الى كير عظيم فأحمى فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير فاخذ الحديدة المحماة فأخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا على حاله يخشى على حاله ان يتغير عليه ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه بل ربما يفر عنها العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف ألطف ما يخادع به الاولياء الكرامات والمعونات * وذكر عن ابي حفص او غيره أنه كان جالسا وحوله اصحابه قال فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم قال فبكى ابو حفص فسئل عن بكائه فقال كنتم حولي فوقع في قلبي ان لو كان لي شاة لذبحت لكم فلما برك هذا الظبي عندنا اشبهت نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى ان يجري معه النيل فاجراه معه فبكيت وسألته الاقالة ثم اقمت واطلقت الظبي ويحكى أن بعض الابدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ ابي مدين رضي الله عنه ما بالنا لا يعتاص علينا شيء وهو يعتاص عليه أقل الامور ومع انا نتمنى مقامه وهو لا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ ابا مدين فقال قل له تركنا مرادنا لمراده وعن بعضهم انه كان يسير في البادية فانتهى الى بئر فاذا الماء ارتفع الى رأس البئر فقال انا اعلم انك قادر على هذا ولكن لا اطيقه فلو قيضت لي بعض الاعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ماء كان أسلم لي ثم اني لا اعلم ان ذلك الرزق ليس من جهته قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه اذا رأيت الرجل يشير الى الآيات والكرامات فطريقه طريق الابدال واذا رأيته يشير الى الآلات والنغمات فطريقه طريق المحبة وهو اعلى من الذي قبله واذا رأيته يشير الى الذكر ويكون قلبه معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه طريق العارفين وهو اعلى درجة من جميع الاحوال * وقال ابو يزيد

قوله الآلات والنغمات في نسخة الآلاء والنعماء

رضى الله عنه كنت فى بدايتى يرينى الحق تعالى الآيات والكرامات فلم التفت اليها فلما رآنى كذلك جعل لى الى معرفته سبيلا ﴿(لايستحقر الورد الاجهول الوارد يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار واولى مايعتنى به مالايخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه واين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه) الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة او باطنة والوارد هو الذى يرد على باطن العبد من اللطائف وأنوار فينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد احق مايعتنى به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين احدهما أن الورد مختص بهذه الدار لايقع الافيها فهو منقطع بانقطاعها وفات بفناتها فينبغى للعبد أن يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذلايمكنه خلف مافات منها والثانى ان الورد هو حق للحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك اولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال فى لطائف المنن واعلموا ان الله تعالى أودع انوار الملكوت فى أصناف الطاعات فان من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقة جنس فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيأ من الطاعات ولاتستغنوا عن الاوراد بالواردات ولاترضوا لانفسكم بمارضى به المدعون من جرى الحقائق على ألسنتهم وفقد انوارها من قلوبهم لان الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستقرة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب لم يحجب الغيب عنه وانما حجاب الغيوب وجود العيوب والتطهر من العيب يفتح لك باب الغيب ولاتكن ممن يطالب الله لنفسه ولايطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولاواجههم المدد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب نفسه لربه ولايطالب ربه لنفسه فان توقف عليه الوقت استقط أدبه ولايستبطئ مطالبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفى كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على تأكد أمر الاوراد وعظم موقعها من الدين وان مراعاتها من احسن سمات العارفين وقد روى الجنيد رضى الله عنه وفى يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ماوصلنا لانتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورؤى بعد وفاته فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم ومانفعنا الاركيعات كنا نركعها فى السحر * وحكى ابو محمد الجريرى رضى الله عنه قال كنت عند الجنيد رضى الله عنه فى حال نزعه وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت فى هذه الحالة ياأبا القاسم فقال ومن اولى منى بذلك وحينئذ تطوى صحيفتى وقال أبو الحسن الدراج رضى الله تعالى عنه ذكر عند الجنيد

لايستحقر الورد) وهو الاعمال الصالحة التى تعمر بها الاوقات وتنكف بها الجوارح عن الوقوع فى المكروهات بأن لايعتنى به ولايواظب عليه (الاجهول) لما فيه من العبودية لله تعالى والحضور بين يديه والتنعم بذكره ولانه يورث تصفية الباطن وجلب الانوار وهى الواردات فالتشوف اليها مع عدم الاعتناء بما يجلبها من الجهل والحمق * ثم ذكر أن له مزية على الوارد من وجهين أشار الى الاول بقوله (الوارد) وهو مايرد على باطن العبد من المعارف الربانية واللطائف الروحانية وهى الانوار التى ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره (يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار) أى يفنى بفنائها (واولى مايعتنى به مالايخلف وجوده) أى فينبغى للعبد أن يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذلايمكنه خلف مافات منها والى الثانى بقوله (الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه) يعنى ان الورد هو حق الله منك والوارد هو حقك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى واليق بالعبودية من طلبك حظوظك ووقوفك معها وأتى المصنف بذلك ارشادا للمريدين الذين يتشوفون الى الواردات ويتركون الاوراد ويحقرونها وذلك من الجهل بثمراتها واذا لم يترك العارفون اورادهم مع تمكنهم فى احوالهم اكثر من المريدين

اهل

أهل المعرفة بالله تعالى وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعد ما لاطفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضي الله عنه العبادة على العارفين احسن من التيجان على رؤس الملوك * وقال ابو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من اصحابنا فرأيناه قاعدا يصلي ويثني رجله اذا اراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما فمد رجليه فرآه بعض اصدقائه ممن حضر ذلك الوقت وكانت رجلاه قد تورمتا فقال ما هذا يا ابا القاسم فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته قال له ابو محمد الجريري رضي الله عنه يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد هذا وقت وجود منة الله الله اكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه * وقال الحصري رضي الله عنه الناس يقولون الحصري لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني رضي الله عنهما لما حضرت ابي الوفاة جعلت ألقنه الشهادة فقال لي يا بني دعني فاني في وردي السابع * قال ابو طالب المكي رضي الله عنه ومداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان وفي خبر ان عائشة رضي الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وفي لفظ آخر كان اذا عمل عملا أتقنه واثبته وفي الخبر المشهور احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل وجاء في الاثر كلام تارة يروى عن الحسن بن علي وتارة يروى عن الحسن البصري ومرة عن عائشة رضي الله عنهم اجمعين وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون استحقار الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدأ ذلك ان تلوح له حالات وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته واختيار بطالته وفي ذلك رفض العبودية بالكلية وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد العماية والضلالة وقد قال الجنيد رضي الله عنه لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه راجعون فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وأنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي * قال السهروردي رضي الله عنه في كتاب عوارف المعارف فأما من تعوق بخيال اوقنع بمحال ولم يحكم اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة فيعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة

(وورود الامداد) من الله تعالى على عبده (بحسب الاستعداد) اى بحسب استعداد العبد بتطهير قلبه وملازمته لوروده ولذا قيل طهر قلبك من الاغيار تملأه بالمعارف والاسرار فالوارد تابع للورد كيفا وكما ودواما فان كان الورد كاملا بأن برز من قلب صاف كان الوارد مثله او ناقصا كان مثله وان كان كثيرا كان الوارد كثيرا والا فحسبه ويعتبر ذلك بمجموع العمر ولذا كان أحب العمل الى الله ادومه وان قل وان كان دائما كان الامداد دائما فالمواظبة على الورد من أهم المهم وهذا يصلح ان

يكون وجها ثالثا لمزية الورد على الوارد (و) قوله (شروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) تعليل لما قبله وايضاح له أى شروق انوار اليقين والعرفان وهى الامدادات المذكورة على حسب صفاء الاسرار من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار ولا يكون صفاؤها غالبا الا بملازمة الاوراد (الغافل) عن التوحيد وأن كل شئ بقضاء الله وقدره (اذا أصبح ينظر ماذا يفعل) اى ينسب افعاله الى نفسه فيقول ماذا افعل فى هذا اليوم مثلا (والعاقل) أى المستيقظ الذى لا يغفل عن التوحيد ولا يغيب عنه أن كل شئ بقضاء الله وقدره (ينظر ماذا يفعل الله به) اى ينسب افعاله كلها الى الله تعالى فيقول اذا اصبح ماذا يفعل الله بى فى هذا اليوم مثلا فنظر الغافل لنفسه فربما وكله الله اليها فلا تنجح مطالبه ونظر العاقل لربه فيكفيه ما اهمه وييسر له مطالبه فهذا ميزان يعرف به المريد حال نفسه فأول خاطر يرد عليه هو ميزان توحيده فلينظر اذا استقبله شغل فان عاد قلبه فى اول وهلة الى حوله وقوته فهو فيه منقطع عن الله وان عاد الى الله سبحانه فهو واصل اليه ويصح ان يكون معنى نظره الى ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله تعالى فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره

الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من ارباب الخلوة مداومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردى رضى الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وليس من هذا المعنى ما روى عن ابى سليمان الدارانى وأحمد بن عاصم الانطاكى رضى الله عنهما انهما قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما له فان ابا نصر السراج رضى الله عنه فسره بعد أن حكاه عن ابى سليمان الدارانى فقال وهذا الذى قاله ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما انه أراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر والعوائق المذمومة التى تشغل عن ذكر الله تعالى قلبه ويحتمل ايضا انه اراد بذلك أن يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادات ويصير وطنه ويستلذ بها بقلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الآلام التى كان يجدها قبل ذلك انتهى كلام ابى نصر ومعناه صحيح والله أعلم وبه التوفيق ۞ (وورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) وورود الموارد الامدادية من الله تعالى على قلب عبده بحسب القوة الاستعدادية المجبولة فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار ۞ (الغافل اذا اصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به) اول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده فالغافل اذا أصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا أفعل اليوم فهو مشتغل بتدبير نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو حقيق بأن يكله الله تعالى الى نفسه فتتشتت عليه عقله وينغض عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بى فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته أفلا جرم ان يكفيه الله تعالى تعلقات الامال ويفرغه من جميع الاشغال ويرضيه ويقر عينه بما يقيمه

فيه من اعمال او يورده عليه من احوال وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن
واليه من عباده جسيمة قال عمر بن عبد العزيز اصبحت ومالى سرور الا فى مواقع القدر
وقال ابو عثمان رضى الله تعالى عنه منذ اربعين سنة ما اقامنى الله فى حال فكرهته
ولا نقلنى الى غيره فسخطته ومن املح ما رأيت فى هذا المعنى الذى ذكره المؤلف رحمه الله
وما يجب ان يحتذو على مثاله كل عالم متصوف ما ذكره الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن الصقلى
رضى الله تعالى عنه فى كتابه صفة الاولياء ومراتب احوال الاصفياء مسنده الى أيوب
ابن بشر الطالقانى قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رأيت رجلا فى مرج الديباج ليس
معه شئ فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يرحمك الله اين تريد قال ما أدرى
قلت هل رأيت احدا يريد مكانا لا يدرى اين يذهب فقال نعم انا واحد فقلت فأين تنوى قال
الى مكة قلت تنوى مكة ولا تدرى أين تذهب قال نعم وذلك انى كم مرة اردت ان اذهب الى
مكة فيردنى الى طرسوس وكم مرة أردت طرسوس فيردنى الى عبادان فيبقى الى مكة ولا
ادرى قلت فمن اين المعاش قال لا ادرى قلت اخبرنى باسباب ذلك قال من حيث يريد
يجيعنى مرة ويشبعنى مرة ويكرمنى مرة ويهيننى مرة ومرة يقول لى ما على وجه الارض ازهد
منك ومرة يقول لى انت لص ومرة ينومنى على الفراش ويطعمنى الطيب ويدهن رأسى
ويكحل عينى ومرة يطردنى الطرد العنيف ولا ينومنى الا عند النواويس قلت يرحمك الله
من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال فالقانى فى حجر قلت فسر لى يرحمك الله كيف هذا
قال انا رجل اسير ناوى فايما جننى الليل بت فربما يأوينى الليل الى قرية فاذا نظر الى
اهلها قال بعضهم لبعض هذا لص لا تدعون هذا يأوى الليلة فى هذه القرية فاذا صليت
العشاء الآخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا نائم فأقول لبيك فيقول لى بالعنف قم من
ههنا ليس لك ههنا موضع فأقول له حبا وكرامة فاين ابيت الليلة فيقول خارج القرية عند
النواويس فاقول نعم وكرامة لا يكون لى مأوى الا عند النواويس تلك الليلة فاذا أصبحت
سرت فيأوينى الليل الى قرية فاذا رآنى اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل
زاهد خير فاضل فيقول هذا عندى يبيت ويقول هذا عندى يبيت فاذا صليت العشاء
الاخيرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فأقول نعم حبا وكرامة فأمضى معه الى المنزل
فيأتينى بالطعام الطيب ويدهن رأسى ويكحل عينى ويأتينى بالفراش اللين فينومنى عليه
ولا يدع شيأ من البر الا فعله بى حتى أصبح فهذا حالى مع سيدى فقلت رحمك الله متى قدر لك
ان تدخل بغداد فان منزلى فى موضع كذا وكذا قال فانا يوما قاعد واذا بانسان يدق الباب
فخرجت فاذا انا بصاحبى فسلمت عليه وأدخلته البيت فقلت له اى شئ صنع بك مولاك قال
آخر ما فعل بى ضربنى ضربا شديدا وقال لى يا لص ثم ارانى ظهره فاذا اثر الضرب عليه
فقلت ايش القصة قال كان اجاعنى جوعا شديدا فلما بلغت الانبار جئت الى مقثاة قد
نبذ منها المدود والمر فقعدت مقعدا آكل منه فنظرنى صاحب المقثاة فأقبل الى بعصا فجعل

يضرب ظهري و يقول يا لص ما خرب مقثأتي غيرك منذ كم ارصدك حتى وقعت عليك
واذا أنا بفارس قد اقبل مسرعا اليه فضربه بالسوط في رأسه وقال تعمد الى رجل زاهد
فتضربه او يقال لمثل هذا يا لص قال فما كان باسرع من ان كنت عنده لصا فصرت زاهدا
كما صدقتك قال فاخذ بيدي صاحب المقثأة فذهب بي الى منزله فما ابقى من الكرامة شيأ
واستحلني فخرجت من عنده وجئت اليك وقد يكون في معنى نظره الى ما يفعل الله به أن
ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن
توفيق وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين
رضي الله تعالى عنه احرص من ان تصبح وتمسي الامفوضا مستسلما لعل الله أن ينظر اليك
فيرحمك وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد
الى الله فانظر اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اول وهلة الى حولك وقوتك فانت
المنقطع عنه فان عاد قلبك الى الله فانت الواصل الى الله وكل العالم في قبضته وتخصيص
اهل الوصلة بأنهم في كنف ايوائه ولا يكلهم الى غيره واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من أن يتم بين
اظهرهم نسكه رجع في الحال عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل له به في الظاهر عزة
او نصرة بعدما كان دعا اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من
حاده من الكفرة وعمل في ذلك على ما اظهره الله له من آياته العظام عند بروك ناقته لما اراد
توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا لما قصده ومقررا لما اعتقده انما حبسها
حابس الفيل لا يدعوني اليوم قريش الى خصلة فيها صلة الرحم الا اجبتهم اليها فكان كما
قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين
امنقلبوا في الارض آمنين فلما استتب بينهم الصلح وانزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت
الفوائد التي تضمنها ذلك التدبير الحسن وقرت اعين الصحابة رضي الله تعالى عنهم بما
ابرزه الله اليهم من الطاف ومنن وقد صح بالمعنى جميع ما قلناه في الخبر ونقله الينا علماء
الحديث والسير وليكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ما يوافق عقده وقوله
في جميع تصرفاته اللهم اني اصبحت لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا
نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما تحبه
وترضاه من القول والعمل في طاعتك انك ذو الفضل العظيم ولنقل ايضا ما رأيته لسيدي
ابي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا اعلم
أمرا اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واحملني في اجل الامور عندك واحمدها عاقبة
في الدين والدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير ۞ (انما يستوحش العباد والزهاد من
كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء) العباد
والزهاد في حجبتهم عن ربهم لنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الاشياء

ويستوحشون

(انما يستوحش العباد) وهم المتوجهون الى الله بطريق العمل (والزهاد) وهم المتوجهون له بطريق التوكل (من كل شيء) فكل من الطائفتين يفر من الخلق لكونهم قاطعين عن الله وذلك (لغيبتهم عن الله في كل شيء) أي انهم محجوبون عن ربهم برؤية نفوسهم ومراعاة حظوظهم فيفرون من الاشيا ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم فيخافون منها أن تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم لميلهم اليها وافتتانهم بها (فلو شهدوه في كل شيء) كما شهده العارفون والمحبون (لم يستوحشوا من شيء) أي من أي شيء من الاشيا لرؤيتهم له مستظهرا في الاشيا كلها فيشغلهم ذلك عن رؤيتهم انفسهم فلا يكون لهم من الاشيا وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها صارت لاشية فانية بهذا الاعتبار

(أمرك) أيها العارف (في هذه الدار بالنظر في مكوناته) لتراه ظاهرا فيها بعين بصيرتك قال تعالى قل انظروا ماذا في السموات الى غير ذلك من الآيات (وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) لتراه بعين بصرك فرؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابهم وهو تلك المكونات ولذا أمرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه عيانا بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف والرؤية في الدنيا على الوجه المذكور خاصة بالعارفين وفي الآخرة عامة لجميع المؤمنين (علم منك انك لا تصبر عنه) أي عن مشاهدتك له كما هو شأن المحب فانه لا يصبر عن رؤية محبوبه لكن رؤيتك له في هذه الدار من غير حجاب متعذرة (فاشهدك ما برز منه) من الآثار والاكوان أي اشهدك اياها لتراه فيها بعين بصيرتك وان كانت تلك الاكوان حاجبة لك عن رؤيتك له بعين بصرك فقد رأيته ولو من وراء حجاب

وذلك كرامة من الله لك وعناية منه بك حيث لم يحجبك عنه في الدنيا ايضا (لما علم الحق منك) أيها المريد (وجود الملل) أي السآمة من ثقل العمل المؤدية الى تركه (لون) أي نوع (لك الطاعات) رحمة بك وتسهيلا عليك لانك اذا سئمت من نوع منها انتقلت الى غيره ولو كانت من نوع واحد لسئمته النفس وتركته استثقالا له بخلاف الانواع المتعددة فانها تستخفها وتستحليها لتنقلها من نوع الى نوع آخر وشأن النفس أن لا تدوم على حال واحد بل تتنقل في الاحوال ألا ترى ان الانسان اذا داوم على طعام واحد تسأمه نفسه كما وقع لبني اسرائيل (وعلم ما فيك من وجود الشره) أي مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص عليه فيؤديك الى أن لا تأتي به على وجه الكمال (فحجرها) بالتخفيف أي منعها (عليك في بعض الاوقات) فان الفرائض يمتنع فعلها في غير اوقاتها المحدودة والنوافل يمتنع فعلها في وقت الكراهة وفي بعض النسخ فحجرها عليك في الاوقات بالتشديد اي جعل لكل طاعة وقتا مخصوصا ولم يجعلها دائمة في جميع الاوقات لئلا يحصل منك شره يؤديك الى الترك والحاصل ان تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في الاوقات لوجود الشره نعمتان انعم الله بهما على عبده فان الملل والشره آفتان عظيمتان قاطعتان للعمل والموجب للملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس وتستثقلها فاذا نوّعت عليها استحلتها واستخفتها والموجب للشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير بأن يقرأ القرآن مثلا ولا يتدبر في معانيه ولا يحضر قلبه مع مولاه في حال قراءته فاذا عين لها اوقاتا تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الاوقات وقوله (ليكون همك اقامة

ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم والزهد في المزهود شاهد له بالوجود كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله تعالى عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون منها ان تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم عن مقاصدهم ويلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من اهل العلم بالله والمحبة لله لرأوه ظاهرا في الاشياء كلها ولكان لهم في ذلك من قرة اعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم انفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها فانية متلاشية بهذا الاعتبار ۞ (أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابها ولذلك امرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه معاينة بأنوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف ۞ (علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه) عدم الصبر عن الله تعالى من وجود الاحتظاء بمعرفته وهو حال شريف يقتضي دوام وجود المحبة الاختصاصية والمحبة الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة في هذه الدار لما هي عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان أشهده ما برز منه من الآثار والاكوان تسلية له بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المحبة الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا اقعده في مقعد الصدق وحصلت له عناية الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المحبة الحقيقية والمشاهدة السرمدية وما ذلك على الله بعزيز ۞ (لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكون همك اقامة

الصلاة لاوجود الصلاة فقط كل مصل مقيم) تلون الطاعات لوجود الملل وتجرها في الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان انعم الله بهما على عبده فان الملل والشره نقمتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل تكره يعرض للانسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا له وهو شئ يتعرض للطبع بعد ايثاره للشئ ومحبته له والشره مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص عليه والذي يوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس وتستثقلها فاذا الزمت عليها استحلتها واستثنتها وقد قال بعض الشعراء

لايصلح النفس اذ كانت مدبرة ❊ الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها فلذلك عين لها اوقاتا توقع فيها واوقاتا لاتوقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الاوقات فان كان الملل والشره واقعين في الصلاة لم يكن الا تحجيمها فيها لوقوع التقصير منه فيها ولم يرض الا باقامة الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدى ابو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة او بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال الله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وقال عز وجل أقم الصلاة واقام الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالاقامة أنه اذا صلى المؤمن صلاة فقبلت منه خلق الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء الله رضى الله تعالى عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا مع حفظ السر مع الله عز وجل لايختلج بسرك سواه وقال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فيحفظ عليه احكام الامر فيما يجرى عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف رحمه الله تعالى بالصلاة دون سائر العبادات حسن لان ذلك أكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطرادا الكلام على الصلاة حسبما يقوله بأثر هذا ❊ (الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب) كما روى في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك أيبقى من درنه شيأ ❊ (واستفتاح لباب الغيوب) لان القلوب اذا طهرت وتزكت رفع عنها الحجب والاستار فرأت ما غاب عنها من الاسرار

الصلاة لاوجود الصلاة فقط كل مصل مقيم) بنصب يكون بعد لام كي على انه تعليل لما قبله اي اعمالوت لك الطاعات حتى لا تمل وتجرها عليك في الاوقات حتى لا تشره لاجل ان يكون همك الخ فانهم حينما اذا انتفيا امكن توجيه الاهتمام الى حضور اقامة الصلاة لا الى مطلق وجودها وحصول صورتها بخلاف ما اذا وجدا فانه لا يكون معهما اتقان وفي بعض النسخ ليكن بالجزم فيكون كلاما مستأنفا واقامة الصلاة المرادة هنا حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل فلا يختلج فيه سواه وقيل هي القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتكون مستقبلا الى القبلة وقلبك مستغرق في حقائق الوصلة وخص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات لان ذلك اكثر ما يقع فيها ثم أشار الى فوائد صلاة المقيم لا مطلق الصلاة بقوله (الصلاة الحقيقية (طهرة للقلوب) من مكدرها بالآثار وتلوثها باقذار الاغيار ومن الاوصاف المبعدة لها عن مشاهدة العزيز الجبار وفي بعض النسخ من ادناس الذنوب من اضافة المشبه به للمشبه والذنوب مختلفة باختلاف القوم لها (واستفتاح) أي فتح أو طلب فتح (لباب الغيوب) أي ما غاب عنا من المعارف والاسرار شبهها لكثرتها بباب مغلق عليه والباب تخييل وهذا مرتب على ما قبله لان القلوب اذا طهرت رفع عنها الاستار فرأت ما غاب عنها من الاسرار

(الصلاة

(الصلاة محل المناجاة) لأن فيها يكون محل الثناء والدعاء والمناجاة مخاطبة الاسرار عند صفاء الاذكار للملك الجبار (ومعدن المصافاة) وهي زوال الاكدار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ شهوده ويجود لك وجوده (تتسع فيها ميادين الاسرار) حتى تتكاثر عليك في الظهور (وتشرق فيها شوارق الانوار) فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات الست معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى من فوائد الصلاة وأن المقصود منها انما هو تحصيلها كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله من أن المأمور به انما هو اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة أم العبادات وأساس الخيرات قال الله تعالى أقم الصلاة لذكرى فاخبر أن المراد من الصلاة الذكر وقد روى معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتي الكلام عليه حيث تعرض المؤلف له وفي بعض الاخبار أن العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى السماء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وأن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه ويناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وأن أبواب السماء تفتح للمصلي وأن الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين وفي التوراة يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري وكانوا يرون أن تلك الرقة والبكاء وذلك الفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه دعا الله تعالى الموحدين الى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها ألوان الضيافات لينال العبد من كل فعل وقول شيأ من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه حدثت أن المؤمن اذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الارض خوفا منه لانه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه الكريم فاذا قال الله أكبر اطلع الملك على قلبه فاذا كان ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر في قلبك كما تقول قال فيشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب نقطة العسل فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كل شئ في قلبه أكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت

(الصلاة محل المناجاة) أي مناجاة العبد لربه بإظهار صفاته الجميلة من رحمته للعباد وتربيته للعالمين وملكه يوم الدين الى غير ذلك من الصفات ومناجاة الرب له بما يلقيه في سره من العلوم الوهبية والاسرار العرفانية (ومعدن المصافاة) أي التودد أي مصافاة العبد لربه بتوجهه اليه بكليته واقباله عليه بجوارحه الظاهرة والباطنة حتى لا يختلج في سره غيره ومصافاة الرب لعبده بأن يمنحه شهوده ويفيض عليه فضله وجوده وهذه أعلى المصافاة ودونها مراتب وعلى قدر اقبال العبد يكون اقبال الرب جل جلاله (تتسع فيها ميادين الاسرار) أي تتسع فيها القلوب الشبيهة بالميادين للفرسان أي تنشرح بتوارد الاسرار أي العلوم والمعارف عليها وتسابقها فيها كتسابق الفرسان (وتشرق) أي تطلع (فيها شوارق الانوار) أي الانوار الشبيهة بالكواكب الشارقة وهو من عطف المسبب على السبب فان الانوار اذا أشرقت في القلوب انشرحت لما يرد عليها من العلوم والمعارف وذلك من ثمرات المناجاة والمصافاة وجميع ما ذكر كالدليل لما قبله من أن المطلوب اقامة الصلاة لا وجودها

(علم وجود الضعف منك) ايها المريد لان الطاقة البشرية لا تقدر على دوام التجلي الالهي (فقلل أعدادها) بجعل الخمسين خمسة (وعلم احتياجك الى فضله) باقباله عليك ومواجهته لك بمناجاته (فكثر أمدادها) بالفتح جمع مدد وهي الاسرار والعلوم والمعارف التي ترد على قلب المصلي بجعل امداد الخمسين في الخمس هذا بالنسبة للمريد ويقال بالنسبة لغيره علم وجود الضعف منك بتكاسلك عنها وكثرة اشتغالك وعلم احتياجك الى فضله أي كرمه فكثر أمدادها اى ثوابها بأن جعل للخمسة ثواب الخمسين (متى طلبت) أيها المريد من ربك (عوضا على عمل) صلاة كان أو غيرها بأن عملت ذلك لاجل ثواب آجل وهو الجزاء عليه في الدار الآخرة أو عاجل كالامدادات التي ترد ١١٤ عليك من قبل الحق سبحانه (طولبت) اى طالبك الحق تعالى (بوجود الصدق فيه) أي قال لك انك لم تصدق في كونك عملت العمل لاجلي بل عملته لحظ نفسك والصدق مطابقة الباطن للظاهر وهو مفقود في هذا العامل لان ظاهره أنه يعمل العمل لله قياما بحق الوهيته وباطنه أنه لم يعمل الا لحظ نفسه فيكفيه حينئذ سلامته من العقاب عليه كما قال (ويكفي المريب) أي المرتاب في كون مولاه يحصل له الثواب العاجل والآجل وان لم يقصده بعمله اذ لو كان جازما بذلك مستغنا بمقصوده سبحانه وتعالى لم يخطر بباله ذلك في حال عمله بل كان يخلص فيه لله تعالى فيكفيه حينئذ (وجدان السلامة) من العقاب على ذلك العمل المدخول اى فيقول له الرب هذا العمل الذى عملته لا تستحق عليه من جزاء بل يكفيك من الجزاء عليه سلامتك وعدم عقابك وهذا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل وبيان أن المنزل المقرب اللائق أن يعبد العبد ربه لما هو عليه من عظمة الالوهية ونعوت الربوبية لا لما يعود عليه في دنياه أو أخراه وقد ذكر المصنف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وأشار الى موضع منها أيضا بقوله (لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا) بل هو الفاعل له حقيقة وانما أنت محل لظهوره واذا كان الفاعل هو الله فكيف تطلب أنت الجزاء عليه أو يقال ان المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله وليس للعبد الا مجرد الكسب فكيف يطلب الجزاء على عمل ليس منسوبا اليه الا بطريق الكسب (يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) أي قبوله له والمراد به عدم مؤاخذتك عليه مع كونه مدخولا لا تقصد به طلب الثواب

ايس الله أكبر في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه فلا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الاخبار والآثار موافقة لمعنى ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى دالة عليه فلذلك أوردتها ههنا والله ولي التوفيق برحمته ۞ (علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر أمدادها) فهذا من فضل الله تعالى الذى عوده عبده فتقليل اعدادها بأن جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف منه لما علم من وجود ضعفه وتكثير أمدادها بأن جعل للخمسة ثواب الخمسين وذلك فضل منه عليه اذا كان محتاجا اليه فله الحمد والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسراء ۞ (متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة) تقدم أن العمل لاجل حصول الجزاء مدخول معلول وحكينا في ذلك من الآثار والحكايات عن العارفين وأرباب القلوب ما فيه مقنع وقد كرر المؤلف رحمه الله تعالى هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره ههنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكره أن العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق فيه الوفاء بحقه في العمل وأنى له توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها ۞ قال الواسطي رضي الله تعالى عنه العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب من هذا قول النصراباذي العبادات الى طلب العفو والصفح عن تقصيرها أقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها وقال خير النساج رضي الله تعالى عنه ميزان أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميزان فضله فانه أتم وأحسن قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ۞ (لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب العبد الجزاء على

عمل

(اذا أراد أن يظهر فضله عليك) أى تفضله عليك واحسانه لك (خلق) اى العمل فيك (ونسب اليك) اى نسبه اليك بأن قال فيك عند ملائكته انك مطيع ومتق ومجتهد وعامل أو نسبه اليك على ألسنة العباد بأن يطلق ألسنتهم بأنك مطيع ومتق الخ فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم لم ينسب لنفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن الاعمال لا حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب أنه يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف أنه من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله قدس الله سره اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له يا عبدى بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وانا أطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدى أنا وفقت وانا أعنت وانا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدى بل انت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يا رب أنا ظلمت وانا أسأت وانا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدى انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت اه (لا نهاية لمذامك ان أرجعك اليك) أى وكلك الى نفسك لانها مجبولة على الشر فاذا خلى الله بينك وبينها اى لم يعنك عليها وقع حكمك فيما غلبتك وتحكمت فيك فتوقعك فى أنواع القبائح حتى لا يبقى فى أعمالك ما يستحسن ولا فى احوالك ما يستحب وذلك من علامات الطرد والبعد عن الله (ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) بأن تولى عنايتك ونصرك على نفسك ولم يحكمها فيك فتصير أحوالك حسنة جميلة فلا تفرغ مدائحك ولا تنقضى محاسنك وذلك من علامات اصطفائك واجتبائك وقد علم انه لا طريق للنجاة من النفس وغوائلها الا التعلق بالله والالتجاء اليه

عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم ۞ (اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك) فضل الله تعالى عظيم فاذا أراد أن يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدى أنت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وسأثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم وانطلق لسانه فى هذه الحالة بالدعاء والسؤال وقال يا رب كما تفضلت على بخلق الطاعة لى وحليتنى بها ووصفتنى بصفات حميدة أنا خلى عنها فى الحقيقة ووعدتنى مع ذلك جزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل منى عملى وأنجز لى ما وعدتنى كان فى ذلك مصيبا والا فلا فحق العبد أن لا ينسب الى نفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن الاعمال حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب أن يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف بأن ذلك من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له يا عبدى بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدى أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدى بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يا رب أنا ظلمت نفسى وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدى أنا قضيت وانا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت ۞ (لا نهاية لمذامك ان أرجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) من أرجعه الحق الى نفسه ووكله الى عقله وخدمته فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وكانت أحواله مدخولة معلولة وأعماله مستقبحة مرذولة ومن آواه اليه وأظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها محمودة مقبولة كما قيل

لما انتسبت الى سواك تعرفت * ذاتى فصرت أنا وإلا من أنا

(كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا) التعلق بأوصاف الربوبية أن تشهد وجودك ولوازم وجودك لاشئ من جميع ذلك لك ولا منك وانما هي عوار عندك فلاترى وجودك الابوجوده ولا بقاءك الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولاغناك الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم لك ذلك الا بأن تحقق بأوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران مثلا زمان بل هما شئ واحد لا تعدد فيهما على التحقيق (منعك أن تدعي ماليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين) أورد هذا كالدليل على ماذكره آنفا من أنه لاحظ للعبد من صفات مولاه الا التعلق بها فقط وان ادعاء شئ منها من كبائر معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التي اتصف بها وأعلمنا بشأنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته أنه حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن تحريم ذلك على العبد والتحصيل عليه باستحقاق الطرد والبعد ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشركة في قلب العبد بادعاء شئ من أوصاف الربوبية لنفسه معتقدا أو قولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما ألقيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه تعالى انه لايرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى مانعا لك وحجرا عليك أن تدعي ماليس لك مما أعطى المخلوقين من الاموال وسمى ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له في ذلك لا أنت ولا غيرك فهو اذا من أعظم الظلم واشد العدوان عافانا الله من ذلك (قلت) وهذا المعنى الذي ضمنه المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسئلة هو الغرض الاقصى الذي هو مرمى نظر الصوفية وكل ماصنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه من افعال وأقوال وأحوال انما هي وسائل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشأنهم ابدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها بالكلية كما قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لايشاركونه في شئ منها البتة كما ذكرنا آنفا وهذا هو كيمياء السعادة الذي أعوز أكثر الناس ولم يحظوا منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبودية الله عز وجل الذي لامقام للعبد أشرف منه كما قال الشاعر

(كن بأوصاف ربوبيته متعلقا) لامتحققا اذ لاحظ للعبد في شئ من أوصاف مولاه الا التعلق به لا التحقق (وبأوصاف عبوديتك متحققا) ومعنى التعلق بأوصاف الربوبية النظر اليها وملاحظتها اي ملاحظة كونها له فلا يصح لك أن تتصف بشئ منها ومعنى التحقق بأوصاف العبودية النظر اليها وملاحظتها اي ملاحظة كونها له فهي التي ينبغي أن يتصف بها العبد حقيقة لا بأوصاف الربوبية وما وجد فيه من أوصاف الربوبية فهو عارية عنده وليس هو له حقيقة فاذا لاحظ كون الغنى والقدرة والعزة والقوة ليست الا للمولى ولاحظ أن الذي يتصف به العبد حقيقة هو اضدادها وهي الفقر والعجز والذل والضعف أمده الله تعالى باوصافه فيكون غنيا بالله قادرا بالله عالما بالله عزيزا بالله قويا بالله كما سيأتي في قوله تحقق باوصافك يمدك باوصافه ثم علل ذلك بقوله (منعك أن تدعي ماليس لك) أي حرم عليك أن تدعي شيأ ليس لك (مما أعطى للمخلوقين) من الاموال وسماه تعالى عدوانا وظلما (أفيبيح لك) سبحانه (أن تدعي وصفه وهو رب العالمين) أي فيكون ادعاؤك ذلك من اعظم الظلم واشد العدوان فاذا ادعيت أنك غني أو قادر أو عزيز أو قوي أو عالم كما يقع لبعض الناس كان ذلك من كبائر معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشركة في قلب العبد بادعاء شئ من اوصاف الربوبية لنفسه اعتقادا أو قولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفي الحديث الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما ألقيته في النار وفي رواية قصمته ومعنى المنازعة الدعوى بالعبارة أو الاعتقاد واضافة هذين الوصفين له تعالى كناية عن شدة الاختصاص بهما

ألست لي خلقا مني كفى شرفا * فما وراءك لي قصد ومطلوب

ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكل مايقتضي بقاء حظ النفس وثبوتها من صحبة المقامات وايثار الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمة وأخلاقا ذميمة لئيمة قادحة في صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شرهم ويخافون من مساكنته وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل

اذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ذكر أنه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على أشكاله وأقرانه فشكا أهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لمارأوا ميل الملك اليه فقال الملك دابعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام في الولاية فأمر بكتب المنشور وأمر باستقباله اذا وافى محل ولايته والمبالغة في الطافه بأنواع المكرمات والمبار ودس من يرش عليه ماء وردفيه سم ثم أمر من يقول اذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففي هذا عبرة لاولي الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المؤدي الى سواء السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه حدث يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه أنه رآه في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم عبدك خضرا فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت الي فرآني فقال يحيى قلت نعم ياسيدي قال مذ متى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدي حدثني بشيء فقال أحدثك بشيء يصلح لك أدخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي فأراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنات الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رأيت حتى أهبه لك فقلت ياسيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك اياه فقال أنت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن بك وذكر أشياء فقال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت ياسيدي لم لم تسأله المعرفة به اذ قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال ويلك اسكت ويلك غيرة عليه مني لا أحب أن يعرفه سواه قال الشيخ

أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه بعد ان ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد فات عن نفسه
مأخوذا اذ كان ربه عز وجل له موجدا اطال مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه
الصفات وحق له اذا نظر الى المحسن الذي حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت
الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال الذي تجمل الجمال والمتجملون بجماله
أن لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن أو تزين في عينه الا اياه أم كيف يطلب
غير ما أحب أو يصبر مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بعين
ما طلب ووصف مخصوص محبوب بعين ما أحب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
انتهى وفي الاشارات عن الله سبحانه يا عبدي اعزل نفسك يعزل معها الملك والملكوت
فتلحق الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عندي من وراء ما أبدي فلا
يستطيعك ما أبدي لانك عبدي واذا كنت عندي كنت عبدي حقا واذا كنت عبدي
كان عليك نوري فلا يستطيعك ما أبدي وان أرسلته اليك لان نوري عليك وليس نوري
عليها فاذا جاءك لم يطغك أو ذلك به فتأذن أنت له والعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة
عن الحصر وفيما ذكرناه منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى
من ان يتناولها كلام المؤلف رحمه الله تعالى لان مرجع أمره اليها اذا وقفنا في النظر
وتصرفنا فيه بوجوه العبر فكان باطنه هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية رضي الله عنهم
كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن
القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغاء اليهم ويشرح صدورنا باستحسان ما يرد منهم أو
يبدو عنهم بمنه وفضله ❁ (كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد)
خرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق تعالى به الا من خرق عوائد نفسه
وفني عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذه المقامات لا يطمع فيها وان ظهر له ما صورته
صورة الكرامة فينبغي له أن يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر حيث لا يحب ذلك ولا
يطلبه فان احبه أو طلبه فهو دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق
العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة وهل هذا الا محال لا يستقيم قال الشيخ ابو
طالب المكي رضي الله عنه وجميع الانوار من الغيوب التي وراء الحجب والاستار لا يظهر
عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون الا محجوبا وهو عن نفسه مسلوب فمتى بقيت عليه من
نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية فسترها عليه رحمة له لانه لو كوشف
بها هلك في حيرة الهوى وغرق في بحار الدنيا ونقص حبه وعين طلبه اياها هو حجابه عنها
واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها كراهيته ظهور الخلق على معصيته وخائفا
منها كخوفه على نفسه في ظاهرها عليه بهلكته فهذا حين يبتلى بها ويختبر ليظهر كيف
يعمل وكذا الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الآيات
وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه

(كيف تخرق لك) أيها المريد اي
تطمع ان تخرق لك (العوائد)
بان تظهر على يدك كرامة كطي
الارض (وانت لم تخرق من
نفسك العوائد) أي ما اعتدته
من الكبر والعجب والدعوى
وغير ذلك فخرق العوائد بظهور
شيء من عالم القدرة لا يكرم الله به
الا من خرق عوائد نفسه وفني
عن ارادته وحظوظه ومن لم يصل
الى هذا المقام لا يطمع فيها فان
ظهر له ما صورته كرامة فينبغي له
أن يخاف من الاستدراج
والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه
فان احبه أو طلبه كان ذلك دليلا
على بقائه مع ارادته وحظوظه
وعاداته فكيف تخرق العوائد
لمن هذه صفته على سبيل
الكرامة

رحمة فاذا من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شئ من الآيات وخوارق العادات له بل
تكون نفسه عنده أقل وأحقر من ذلك فاذا فنى عن ارادته جملة فكان له تحقق فى رؤية
نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف وسلك
الى مرتبة الصديقية المهيع الناهج وضرب مع أهل الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ
أبو العباس بن العريف أصبحت يوما من الايام مفتقدا للشيخ أبى القاسم بن رويبل حدثنى
بحكاية عسى الله أن يفرج ما بى فقال ثم وصف لى رجل ببعض السواحل يعرف بأبى
الخيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه حتى
اذا كان وقت الصلاة أقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه وتقدمهم
واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم احد منهم أحدا وجلس الشيخ مكانه وجلست
عنده حتى اذا كان وقت الصلاة حضر النفر فصلوا ثم انصرفوا حتى اذا كان وقت
العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا سير الصالحين ومقامات العارفين
والاولياء الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا المغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم
ثلاثة أيام وهم على ذلك ثم وقع فى نفسى ان أسأله عن مسئلة استفيدها فتقدمت اليه
فقلت أيها الشيخ مسئلة أسأل عنها فقال قل فنظر الجماعة الى كالمنكرين فنزعت فقلت
أيها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فقال فأعرض عنى ولم يجبنى فخفت ان أكون قد أغضبته
فقمت عنه فلما كان فى اليوم الثانى قلت لابد أن أسأله عن المسئلة وعزمت على ذلك
فتقدمت اليه وقلت له أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد فأعرض عنى كالاولى
ولم يجاوبنى فقمت وعدت فى الثالثة وسألته عن المسئلة بعينها فاجتمع وقال لا تقل
هكذا أظنك تريد أن تسأل عن أول قدم يضعه المريد فى الارادة فقلت نعم قال لى اذا
اجتمع فيه أربع خصال أحدها أن تطوى له الارض وتكون عنده كقدم واحد وأن
يمشى على الماء وأن يأكل من الكون حتى أراد وأن لا ترد له دعوة فعند ذلك يضع أول
قدمه فى الارادة وأما متى ما علم المريد عندنا أنه مريد سقط من حد الارادة قال الشيخ
أبو العباس بن العريف رضى الله عنه فصحت صيحة كادت نفسى تذهب معها ثم قلت له
أيستقام من الارادة يا أبا القاسم وتعجبت من علو همة هذا الشيخ انتهى واعلم انه أول
ما يخرق له من العادة تسميته باسم المريد مع كونه مطالب بالارادة وما أحسن ما قال
الشاعر تكون مريدا ثم فيك ارادة * اذا لم ترد شيأ فأنت مريد
والتحقيق فى هذا أن من محضت ارادته لعبودية الله عز وجل برعاية حقوقه لاجل
ما وجب عليه من ذلك لا يتوصل به الى نيل حظ ما هو الذى يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا انه
متصف بالارادة الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب ونهاية الآمال والمآرب وذلك
أمر وجودى يصح ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر الا انه سمى بذلك لاجل ما سلب
عنه من الارادة المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احداهما يقتضى وجود

(ما الشأن وجود الطلب) اى الدعاء بلسان المقال أى ليس الشأن المعتبر عند المحققين ان تطلب حوائجك وحظوظك من مولاك دون غيره ظانا ان طلبك ذلك منه دون غيره يوفي بما يجب عليك في الدعاء من الآدب فان ذلك لا يوفي به (انما الشأن ان ترزق حسن الادب) اى انما الشأن المعتبر عند المحققين ان تطلب جميع مطالبك منه دون غيره لا لقصد نيل حظك ومرادك فقط بل ان تطلب ذلك منه اظهارا للعبودية (١٢٠) وقياما بحقوق الربوبية فبذلك يحسن أدبك ويصح سؤالك وطلبك وذلك هو الوفاء على التحقيق بحق الادب في الدعاء ويحتمل أن يراد بالطلب الطلب بالقلب وتوجهه لشئ من الاغراض أى ليس الشأن ان تطلب شيأ من مولاك بقلبك مما لك فيه حظ سواء صاحبه طلب باللسان أولا بل الشان أن ترزق حسن الادب وهو ترك الطلب اكتفاء بنظره اليك فالادب الحسن في الدعاء على الوجه الاول ان يدعو اظهارا للعبودية وقياما بحق الربوبية لا لنيل حظ نفسه فقط وعلى الوجه الثاني ترك الدعاء والطلب اعتمادا على قسمته واكتفاء بمشيئته واشتغالا بذكره عن مسئلته (ما طلب لك) بالبناء للفاعل وهو (شئ مثل الاضطرار) أى ان احسن الطالبين لك هو الاضطرار فشبهه بشخص طالب والاضطرار اظهار غاية الفاقة فلا تتوهم من نفسك شيأ من الحول والقوة ولا ترى لها سببا من الاسباب تعتمد عليه أو تستند اليه وتكون بمنزلة الغريق في البحر أو الضال في التيه القفر لا ترى اغاثة الا مولاك ولا ترجى النجاة من هلكتك الا منه ويحتمل بناء طلب للمفعول والنائب قوله شئ أى ان اضطرار العبد هو أقصى أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شئ أجل منه وقوله (ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) من عطف الاذقم على الملزوم لان الذلة والافتقار لازمان للمضطر وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فلذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم

الاخرى كاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر أن يطلق اسم الارادة على من سلبت منه وتجرد عن وجدت فيه رشاقة وملاحة ونعمة وبهذا تبين لك صحة كلام أبي يزيد رضي الله عنه واستقامته حيث قيل له ماتريد فقال أريد أن لا أريد وأنه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم (قال) في التنوير واعلم أنه قد قال بعضهم ان أبا يزيد لما اراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك أن ابا يزيد رضي الله عنه انما أراد ان لا يريد لان الله تعالى اختاره للعباد أجمع عدم الارادة معه فهو لا يختار معه شيا ولا يريده فهو في ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله له ولذلك قال الشيخ ابو الحسن فكل مختارات الشرع ومرتباته هو مختار الله ليس لك منه شئ فاسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو أرض تنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله قال فأبان الشيخ بهذا الكلام أن كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار فلا يخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان الوظائف والارادات ورواتب السنن اراداتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ ان كل مختارات الشرع ومرتباته ليس لك منه شئ وانما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله تعالى ورسوله لك فافهم قال فقد علمت اذا ان أبا يزيد ما أراد أن لا يريد الا لان الله أراد منه ذلك فلم تخرج به هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه انتهى وقد طال بنا الكلام في هذا المعنى حتى آل الى بعد المناسبة بينه وبين المسئلة المتكلم عليها من الكتاب والحديث شجون يجر بعضه الى بعض لكن لما كان قصدنا في هذا التقييد استغنام ذكر الفوائد في مواضعها ومظان التفرع ومسائل هذا الفن الغريب أسماع من أراد الله تعالى توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرقين صح منا ذلك وكنا سائرين فيها على اوضح المسالك وبالله تعالى التوفيق ﴿(ما الشأن وجود الطلب انما الشأن أن ترزق حسن الادب) اذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يظنن انه وفى بما يجب عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشأن المعتبر عند المحققين وانما الشأن ان يتأدب العبد بين يدي مولاه ادبا حسنا بأن يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه ما ليس له كما سيقول المؤلف رحمه الله بعد هذا او يطلب عبودية منه لا لقصد نيل حظه فبهذين الوجهين يحسن ادبه ويصح سؤاله وطلبه وذلك هو الوفاء على التحقيق ﴿(ما طلب لك شئ مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) اضطرار العبد هو أخص اوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من

العبد

العبد شيء أجل منه قال ابو محمد عبد الله بن منازل رضي الله عنه العبودية الرجوع في كل شيء الى الله عز وجل على حد الاضطرار وفيه ايضا خاصية اجابة الدعاء قال الله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه ان لا يتوهم العبد من نفسه شيأ من الحول والقوة ولا يرى لنفسه سببا من الاسباب يعتمد عليه او يستند اليه ويكون بمنزلة الغريق في البحر او الضال في التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجو لنجاته من هلكته أحدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع يديه اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيأ فيقول هب لي يا مولاي بلا شيء والذلة والافتقار أمران لازمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم كما قيل

وإذا تذللت الرقاب تقربا * منها اليك فعزها في ذلها

(وقيل)

حيث أسلمني الى الذال واللا * م تلقفني بعين وزاي

قال في لطائف المنن والطالب للتوفيق وعلامة صدق الرجوع الى الله في أول كل فصل وترك تحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ من ذلك أبدا وقد قال الله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة عملك وحالك وما أعطيت من روح فتقول كما قال من خذل فأخبر الله عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم هنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية أخرى كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها صدق التبري من الحول والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته

(لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه أبدا ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه) الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب وشيء من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الارادة وعمله في تحصيل هذا الغرض بنفسه فهما من جملة المساوي والدعاوي المحتاج الى محوها قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى يعني انقطاع أدب لا انقطاع ملل (وقال سيدي) ابو الحسن رضي الله عنه ولن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته

(لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك) اي عيوب نفسك ومنها شهوة الوصول اليه (ومحو دعاويك) اي نسبة ما لا تستحقه اليك كالقوة والعزة والغنى والقدرة وفناء ذلك ومحوه بالرياضات والمجاهدات اي لا تعتقد انك لا تصل اليه الا بعد فناء ذلك برياضتك ومجاهدتك فان اعتقدت ذلك (لم تصل اليه أبدا) لان ذلك من الاوصاف الذاتية الجبلية التي لا ينفك عنها العبد وحينئذ فالوصول منة من الله عليك لا بكسبك كما أشار الى ذلك بقوله (ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه) اي الى حضرة قربه (غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته) اي ستر عنك أوصافك وأظهر عليك أوصافه فأفناك عنك وأبقاك به اي غيب صفاتك الدنية باظهار صفاته العلية عليك والى ذلك الاشارة بقوله في الحديث القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها (فوصلك اليه بما منه اليك) وهو اظهار صفاته عليك (لا بما منك اليه) من الاجتهاد في الاعمال قال الشاذلي قدس سره لن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته فاذا تخلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب صفات عبده ونعوته عنه وعند ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه وأراده اه

(ولولا جميل ستره) اى ستره الجميل (لم يكن عمل أهلا للقبول) لان العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وقد يكشف حجابه فيرائى به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفى القادح فى الاخلاص والاخلاص شرط فى قبول العمل كما مر (١٢٢) وحينئذ فيكون اعتماد المريد فى وصوله على فضل الله وكرمه لا على اجتهاده

ولو قال لولا فضله لكان أولى (أنت الى حلمه اذا أطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته) وذلك ان المطيع قد يعرض له عند طاعته احوال كرؤية نفسه والاعجاب والكبر وازدراء الغير واستحقاقه الجزاء الى غير ذلك من كبائر القلوب فيخاف عليه ان تنقلب طاعته معصية والعاصى ربما تحمله معصيته على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا اطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وهذا زيادة تحذير من رؤية استحقاق الوصول بالاعمال فان ذلك غلط وجهل (الستر على قسمين ستر عن المعصية) بأن يمنعه عنها ولا يهيئ له اسبابها (وستر فيها) أى بعد فعلها بأن لا يظهرها للناس حال فعلها او بعده (فالعامة) لعدم تحققهم بحقائق الايمان يغلب عليهم شهود الخلق ويتوقعون منهم حصول المنافع ودفع المضار فيراقبونهم ويتصنعون لهم ويتزينون ويطمعون فيهم ويتملقون بين ايديهم ويكرهون ان يطلعوا منهم على ما تسقط به منزلتهم من قلوبهم واذا (يطلبون من الله تعالى الستر) اى ان يستر عليهم (فيها) اى فى المعصية اى فى حال كونهم عاملين لها ومتلبسين بها وعجبين لها وانما طلبوا ذلك

خشية

أو اختيار من اختياراته فاوحقلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته له كما أشار اليه بقوله فى الحديث القدسى فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها وعند ذلك لا تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره له مولاه وأراده فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء

﴿وقال رضى الله عنه (لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول) العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا الامر له عنه الا ما شاء ربه وقد يكشف حجابه فيرائى به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفى القادح فى الاخلاص الحقيقى والاخلاص شرط فى قبول العمل كما تقدم (قال) يحيى بن معاذ رضى الله عنه مسكين ابن آدم جسم معيب وقلب معيب يريد أن يخرج من معيبين عمل بلا عيب فعمل العبد لما كان بهذه المثابة لم يكن فيه أهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت أعمالهم واذا تلاشت أعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرؤا عن كل شئ ومن كل شئ اليهم ومنهم

﴿(انت الى حلمه اذا أطعته أحوج منك الى حلمه اذا عصيته) شرف العبد ورفعة قدره انما يكون بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه ودناءته وخسته وسقوطه من عين الله تعالى انما تكون بنظره الى نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة معرض لهذه الاخطار من نظره الى نفسه واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وأيسره ما يسلم فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية فى جميع هذه الاشياء فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا اطاعه أحوج منه الى حلمه اذا عصاه وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء قل لعبادى الصديقين لا تغتروا فانى ان أقمت عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادى الخطائين لا تيأسوا من رحمتى فانى لا يكبر على ذنب أغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد رضى الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة الف توبة

﴿(الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها

خشية سقوطهم من أعينهم عند الخلق والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من
نظر الملك الحق) العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة حمدهم
وكراهية ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها
اى فى حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من أعينهم وفى أمثالهم قال الله
عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من
القول قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى هذه الآية الغالب على قلوبهم
رؤية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة
روى عدى بن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤمر يوم
القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا ريحها
وما أعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة
ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل ان تريتنا ما أريتنا من ثوابك
وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا قال ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتمونى
بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم
هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى
فاليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفى بعض الكتب المنزلة ان لم
تعلموا انى أراكم فالخلل فى ايمانكم وان علمتم انى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين
اليكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور
هو الرجل تمر به المرأة فى القوم فيريهم انه يغض بصره عنها ويود انه يطلع على عورتها
ويقدر عليها وقال فى رواية أخرى هو الرجل يكون فى القوم فتمر بهم المرأة
فيريهم انه يغض بصره عنها فاذا رأى من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف أن
يفطنوا اغضى بصره عنها فقد اطلع الله عز وجل على قلبه انه يود لو نظر الى عورتها
وهذا كله شأن المرائين الذين يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس أن يطلعوا عليهم
فيما يرتكبونه من الاوزار والخاصة من اهل الايمان واليقين برآء من هذا الوصف
الذميم لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهممهم مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد
عليهم فى نفع أو دفع ضر وحالهم الغناء والقناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم
يطلبون الستر من الله عنها فى أن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها
أنفسهم فيعملون بها فيقعون فى مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه
وشتان ما بين الحالين والى هذا المعنى أشار سيدى ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه
فى دعائه بقوله اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا
بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها
وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها

(خشية سقوط مرتبتهم عند
الخلق) اذا اطلعوا على حالهم
فيفوتهم ما كانوا يتوقعون
منهم من حصول المنافع ودفع
المضار وهؤلاء هم الذين يعتمدون
على غير الله وهم اهل الشرك
الخفى الذى يخرج صاحبه من
حقائق الايمان وفى مثلهم قال
الله تعالى يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معهم
(والخاصة) لتحققهم بحقائق
الايمان برآء من هذا الوصف
الذميم لا يلتفتون الى الخلق مدحا
ولا ذما ولا يتوقعون منهم نفعا
ولا ضرا ولا يعتمدون عليهم ولا
يسكنون اليهم وحالهم الغناء و
القناعة بنظر الله اليهم (يطلبون
من الله الستر عنها) بأن يغيبها عن
نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل
اليها نفوسهم ويعملونها وانما
طلبوا ذلك (خشية سقوطهم من
نظر الملك الحق) بمخالفته
والتعرض لسخطه وشتان ما بين
هذين الحالين وهذا هو الغالب
من حال القوم يقينا وقد تطلب
العامة الستر فيها امتثالا لامر الله
ورسوله بالستر ان ابتلى بشىء منها
ولا يكون عندهم استخفاف بها
ولا محبة لها وتطلب الخاصة الستر
فيما وقع منهم بأن لا يفضحهم بين
خلقه ولا بين يديه تخلصهم من
وقوع المعصية منهم ولا اساءة
الناس ظنهم بالمنسوبين الى الله
اذا اطلعوا عليهم

(من أكرمك) اى أقبل عليك باعطاء او محبة أو شكر (انما أكرم فيك جميل ستره) اى ستره الجميل عليك فلولا وجوده ما أقبلوا عليك ولا أحبوك ولا نظروا اليك بعين الرضا اذ لو اطلعوا على ما أنت عليه لاستقذروك ونفروا عنك وحينئذ (فالحمد) لا ينبغى ان يكون الا (لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) فلا تحمده الا من حيث اجراء الخير على يديه لا من حيث انه المكرم والمنعم حقيقة اذ ليس ذلك الا الله فمن أقبل الناس عليه وأكرموه فقد يغلط فيضع الحمد والثناء فى غير موضعه فيكون من الظالمين وقد يغلط فيرى لنفسه وصفا محمودا يستحق به الاكرام فيكون من الجاهلين بأنفسهم الناظرين الى عملهم الغافلين عن منة الله عليهم فحذره المصنف من هاتين الغلطتين (ما صحبك) اى ليس الصاحب الحقيق (الا من صحبك) اى اقبل عليك باحسانه (وهو بعيبك عليم) اى لم يمنعه من صحبته لك واقباله عليك ما يعلمه من تفاصيل عيوبك (وليس ذلك الا مولاك الكريم) وكذا من تخلق بأخلاقه من السادة الصوفية العارفين بالله تعالى اما الذى يصحبك مع جهله بها فليس بصاحب حقيقة لانه لا يثبت عند ظهورها له وان عزم على ذلك فليس فى مقدوره الصبر عليه وان صبر فلا بد من تأثر يلحقه من ذلك (خير من تصحب من يطلبك) اى يريدك ويؤثرك على غيرك ويعتنى بك (لا لشئ يعود منك اليه) اى وليس ذلك الا مولاك او من تخلق بأخلاقه اما من يصحبك لغرض منه ونفع لك فليس بصاحب حقيقة لان قصده مجرد قضاء وطره منك فاذا زال غرضه فارقك (لو أشرق لك نور اليقين) اى العلم بالله وبما وعد به على لسان نبيه اى لو كثر واضاء ذلك النور فى قلبك (لرأيت الآخرة) فى تلك الحالة (اقرب اليك من) نفسها فى حالة (ان ترحل اليها) اى فى حال ارتحالك اليها وحلولك فيها (ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء) اى الفناء الشبيه بالكسفة بفتح الكاف اى الكسوف والتغير اوكسرها وهى القطعة من الشئ التى يغطى بها الاناء فلا تلتفت اليه النفس ولا تنظر ما فيه (عليها) وذلك ان نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ما هى عليه فاذا أشرق فى قلب العبد رأى به الحق حقا والباطل باطلا والآخرة حق والدنيا باطل فيبصر الآخرة التى كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت اقرب اليه من ان يرتحل فيقبل عليها بالتهيؤ والاستعداد لها ويبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقينى الزهد فيها والتجافى عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل له يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعى نفسه فلا تأمره الا بخير ولا تطالبه بارتكاب منهى ولا تكون له همة الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره فى كل حين حلول الاجل وفوات صلاح الامل

(من أكرمك انما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) العبد محل الآفات والعيوب وستر الله الجميل هو الذى حبب الناس الى الناس فاذا أكرمك أحد فلا يذهبن ذلك بك الى أن ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك ايضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على أن تحمدهم عليه دون ربك الذى اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك وأظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا بنعمة ربك ظالما بوضع الحمد فى غير موضعه (ما صحبك الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك لا لشئ يعود منك اليه) الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه اليك وأسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك التى تكرهها منك وليس ذلك الا مولاك وخير صاحب لك ايضا من اعتنى بك وآثرك واراد لك من غير منفعة ينالها منك وليس ذلك ايضا الا مولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا (لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من ان ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها) نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ما هى عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والآخرة حق والدنيا باطل فاذا أشرق نور اليقين فى قلب العبد أبصر به الآخرة التى كانت غائبة

غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنه لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرحل اليها فحق بذلك
حقها عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب
فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له
هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ
لنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول الله
هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله او كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته
وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا يكون همه
الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره حلول
الاجل وفوات صالح العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله عنهما
روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله
شاب من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت
مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت نفسي
عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل
الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبد
نور الله الايمان في قلبه قال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول فارس
استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
أخبرني عن ابني حارثة فان يك في الجنة فلن أبكي ولن أجزع وان يك غير ذلك بكيت
ما عشت في الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة
في جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة
وروى أنس أيضا ان معاذ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال
له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت بالله مؤمنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل
قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما أصبحت صباحا
قط الا ظننت ان لا أمسي وما أمسيت مساء قط الا ظننت ان لا أصبح ولا خطوت خطوة
قط الا ظننت أن لا أتبعها أخرى وكأني أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها
وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل
الجنة قال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة بن سراقة
ومعاذ بن جبل الانصاريان رضي الله تعالى عنهما لما أشرق عليهما نور اليقين وتمكن من
قلوبهما أي تمكن صدر منهما ما صدر مما ذكرا من فنون العبر وشاهدا أمر الدارين

بمنزلة رأى العين فسلمت أعمالهما من العيوب والآفات وحفظا من الهفوات والسيآت وطهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا فى كل أمر محبوب وطارت أرواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت أنفسهما بالموت حتى صار عندهما أحلى من الشهد حبيب جاء على فاقة لاأفلح من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وأئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين

ولقد أجاب معبرعن حالهم * فاسمع مقالا صادقا مقبولا

ان الالى ماتوا على دين الهدى * وجدوا المنية منهلا معسولا

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه ان حرام بن ملحان رضى الله عنه وهو خال أنس طعن يوم بئر معونة فى رأسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على رأسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى ممن حضر بئر معونة مع عامر بن الطفيل ثم أسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعانى الى الاسلام أنى طعنت رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله قال فقلت فى نفسى والله مافاز أليس قتلته حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله المطعون ههنا والله اعلم هو عامر بن فهيرة رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الامراء الثلاثة يوم مؤتة أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه أظنه قال صلى الله عليه وسلم والله مايسرنا أنهم عندنا أوقال مايسرهم انهم عندنا وعيناه تذرفان دموعا فلله درهم لقد حازوا مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة وتبا لامثالنا الذين عميت بصائرهم وأظلمت سرائرهم فحجبت عنا شموس المعارف ووقعنا فى أودية المهالك والمتالف واغتررنا بهذه الدار الغرارة الفتانة السحارة فتشبثت مخالبنا بشباكها وارتبكنا فى مصايدها وأشراكها من غير شعور منا بحبالها وتزوير محالها فكنا فى قصدنا اليها وقدومنا عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب بسبسه ماء فلما جاءه لم يجد فيه هناء ولا غناء ثم مع هذا كله ننتسب الى الدين وندعى كمال المعرفة واليقين والدخول فى بحار أولياء الله المتقين مع أن أحدنا لوخير بين حلول الحين او البقاء فى الدنيا معلقا باشفار العين لاختار البقاء فيها على هذه الحال مع كونه لايحدث نفسه فى طاعة بازدياد ولا عن معصية بانتقال وهذه كلها أخلاق يهودية لاتليق بمن ينتسب الى هذه الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا لاسرارهم وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون فلو لم ينه العاقل عن محبة البقاء فى هذه الدار و يأمره بايثار دار القرار الا تشبهه باليهود الناقضين للعهود المتهاونين باوامر المعبود لكان ذلك ابلغ ناه وآمر فضلا عما ورد فى ذلك من مواعظ وزواجر نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور

وجعلنا

(ما حجبك) أيها المريد المحبوب (عن الله وجود موجود) من الاكوان الدنيوية والاخروية (معه) اذ لا وجود لما سواه على التحقيق (ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) اى توهمك ان ما سواه له وجود مع أنه فى ذاته عدم محض عند العارفين ووجوده كوجود ظلال الشجر على الماء فانه لا تمنع سير السفن فلا حاجب لك عن الله الا توهم وجود ما سواه لا غير وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هنالك فظنه زئيرا أى صوت أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هنالك أسدا وانما الريح انضغطت فى تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد ١٢٧ (ولا ظهوره فى المكونات) اى تجليه عليها بالوجود (ما وقع عليها وجود ابصار) اى لم توجد واذا لم توجد فلا تبصر فوجودها انما هو بطريق العارية وظهور الحق فيها كظهور الشمس فى الكوة ذات الزجاج والافهى فى ذاتها عدم محض لا وجود لها فى ذاتها كما تقدم غير مرة ويحتمل ان المعنى ان ظهور الحق تعالى انما من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا تجليه فى هذه المكونات بأن يحصل التجلى الحقيق الذى لا اختفاء معه لاضمحلت وتلاشت ولم يقع عليها ابصار بدليل قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا والى ذلك أشار بقوله (لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) بل لم يكن هنالك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث حجابه النور وفى رواية حجابه النار لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شئ أدركه بصره (أظهر كل شئ لانه الباطن) اى ان مقتضى اسمه الباطن ان لا يشاركه فى البطون شئ فلذا أظهر الاشياء كلها اى جعلها ظاهرة ولا باطن فيها غيره (وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) اى ان مقتضى اسم الظاهر أن لا يشاركه فى الظهور شئ فلذا طوى وجود كل شئ اى لم يجعل لغيره وجودا من ذاته بل المكونات جميعها عدم محض ولا وجود لها الا من وجوده وحاصله ان من أسمائه تعالى الظاهر الباطن فاسمه الظاهر يقتضى بطون كل شئ حتى لا ظاهر معه فينطوى حينئذ وجود كل شئ واسمه الباطن يقتضى ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فظهر اذ ذاك وجود كل شئ أى بوجوده فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار ولا وجود لغيره الا بطريق التبع عند أرباب البصائر بخلاف غيرهم من المحجوبين

وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور وحبب الينا لقاءه ورزقنا ما رزق أولياءه وأصفياءه وأحباءه بمنه وكرمه ۞ (ما حجبك عن الله وجود موجود معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) تقدم أن لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود ما سواه انما هو وهم مجرد فلا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير والتوهمات باطلة فلا حاجب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المؤلف رحمه الله تعالى ذكر جميع أنواع الاعتبارات فى هذا المعنى قبل هذا قال فى لطائف المنن وأشبه شئ بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لان الشئ انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك ايضا من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن الله تعالى فان ظلال الاشجار فى الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن ههنا يتبين لك ايضا أن الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى لزم ان يكون أقرب اليك منه ولا شئ أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هنالك فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هنالك أسدا وانما هو الريح انضغط فى تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد ۞ (لولا ظهوره فى المكونات ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود حجابيتها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلى الحقيقى كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن هنالك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث حجابه النار وفى رواية النور لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شئ أدركه بصره ۞ (اظهر كل شئ لانه الباطن وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) من اسمائه تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر يقتضى بطون كل شئ حتى لا ظاهر معه

(اباح لك) اى أمرك الله تعالى (أن تنظر ما فى المكونات) وهو جمال الحق سبحانه اى ان تتصدى بنظرك القلبى حتى تشاهد أنه الموجود فى المكونات اى الظاهر فيها (وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات) بان تحتجب بها عنه فلا تشاهده فيها ثم استدل على ذلك وبينه بقوله (قل انظروا ماذا فى السموات) فأتى بفى الظرفية المشعرة بأن الاعتبار بالمظروف دون الظرف قال فى لطائف المنن فما نصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها اه ١٢٨ وأشار الى ذلك هنا بقوله قل انظروا ماذا فى السموات (فتح لك باب الافهام) اى نبهك وأيقظك لما هو المطلوب منك وهو مشاهدة ما فيها كما يفهم من الظرفية (ولم يقل انظروا السموات فلا يدلك على وجود الاجرام) فتحتجب بها عنه ولا تشاهده فيها فتصير مقصدا مع انها وسيلة اذ ليست الامرائى ومجالى يتجلى فيها الحق سبحانه لارباب الشهود ويستدل بها عليه أرباب الحجاب ثم ذكر حاصل ما تقدم بقوله (الاكوان) من حيث ذاتها عدم محض وانما هى (ثابتة باثباته) اى انما حصل لها وصف الثبوت والتحقق باثبات الله لها اى ظهوره فيها فالثبوت لها أمر عرضى ولا ثبات حقيقة الا هو ولذا قال (وممحوة بأحدية ذاته) اى من نظر الى أحدية ذاته لم يجد للاكوان ثبوتا وتحققا حينئذ وانما لها ثبوت فى النظر الى الواحدية لان الاحدية عند العارفين هى الذات البحت اى المطلقة عن الظهور فى المظاهر وهى الاكوان والواحدية هى الذات الظاهرة فى الاكوان فيكون للاكوان حينئذ ثبوت باعتبار ظهور الحق فيها ولذا يقولون بلسان الاشارة الاحدية بحر بلا موج والواحدية بحر مع موج فان الحق سبحانه عندهم كالبحر والاكوان كالامواج التى يحركها ذلك البحر فهى ليست عينه ولا غيره هذا هو توحيد العارفين وقد كرر المصنف الكلام عليه فى هذا الكتاب وأبرزه فى عبارات مختلفة محاولة على أن يحقق عندك الحق ويبطل عندك الباطل وقد أفرده بعضهم بالتاليف وتكلم على وحدة الوجود بالامر بدعاية

فينطوى حينئذ وجود كل شئ واسمه الباطن يقتضى ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شئ فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله ۞ (أباح لك أن تنظر ما فى المكونات وما أذن لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا فى السموات فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) امر الله تعالى بالنظر فى المكونات ليس لذاتها الاتى فى ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يجى هذا وانما امرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى فى قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض فالمعنى المقصود فى وجود الظرفية ومنها يستفاد وهو معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا السموات لكان فيه دلالة على وجود الاجرام وهى اغيار له وفيها البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم يأذن فيه قال فى لطائف المنن فما نصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال وانا فى هذا المعنى

ما أبقت لك العوالم الا * لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من ليس يرضى * حالة دون أن يرى مولاها

۞ (الاكوان ثابتة باثباته وممحوة بأحدية ذاته) الاكوان من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها أكوانا فالثبوت لها امر عرضى والحق اللازم هو وجود احدية الله عز وجل والاحدية مبالغة فى الوحدة ولا تحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان يكون اثنان ولا اكل منها فمقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن احدية ولكان فى ذلك تعدد واثنينية كما قيل

رب وجد دون فقد * قلت له ليس ذا لك عندى
فقال ما عندكم فقلنا * وجود فقد وفقد وجدى
توحيد حق بترك حق * وليس حق سواى وحدى

وانشدوا ايضا

سر سرى من جناب القدس افنانى * لكن بذاك الفنا عنى قد احيانى
وردنى للبقا حتى اعاين عن * جمال حضرته لكل معانى
وطرت فى ملكوت من مجانبه * لم الق غير وجود ماله ثانى

(الناس يمدحونك لما يظنونه فيك) من الاوصاف الحميدة (فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها) أى فلا تغتر بمدح الناس لك وثنائهم عليك بل ارجع على نفسك باللوم والذم على تلبسها بخلاف ما يظن (١٢٩) الناس فيك ولذا قال على كرم الله وجهه اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون ويؤخذ من قوله فكن أنت الخ انه ليس مأمورا بتكذيب الناس ولا بالسعى فى تبديل ظنهم فيه وانما هو مأمور بعدم الاغترار وتقديم علمه على ظنهم ثم ان كان المادح كاذبا فى مدحه بارتكاب المبالغة والغلو تأكد تكذيبه وزجره وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين فالمدح حينئذ منهى عنه وكذا لو كان مدحه يورث عند الممدوح غرة ويغلطه فى نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لمن مدح عنده رجلا قطعت عنق صاحبك وقال اياكم والمدح فانه الذبح (المؤمن) الحقيق (اذا مدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه) أى لا يرى ذلك الوصف الذى مدح عليه من نفسه وانما يراه منة من الله عليه فلا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يثنى عليه وانما يشهد ذلك من ربه فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله استحياء تعظيم واجلال أن يثنى عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله اليه وشهود فضله فى اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذى به ينال المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء المثنى عليه

وانشد المؤلف رحمه الله تعالى لنفسه فى لطائف المنن يوصى رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال

حسن بأن تدع الوجود بأسره * حسن فلا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بأنه * لا ترك الا الذى هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم أنه * من وهمك الادنى وقلبك ذاهل
حسب الاله شهوده لوجوده * والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت الى الصريح من الهدى * دلت عليه ان فهمت دلائل
وحديث كان وليس شئ غيره * يقضى به الآن اللبيب العاقل
لا غير وان لا نسبة مثبوتة * ليتم ذو ترك ويحمد فاعل

وقال رضى الله تعالى عنه (الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها) ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحققه من عيوبها وآفاتها مطلوب منه لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بسبب ذلك أعماله وتصدق أحواله والافسدت عليه واعتلت لدخول الآفات عليها ولا يصده عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به فينبغى أيضا أن يقوم هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد أمكن الشيطان أن يدخل فى بطنه وقال آخر اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من ان يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فأشهدك على مقته وقال آخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام ابو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغى ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهى كلام ابى حامد رضى الله تعالى عنه (المؤمن اذا مدح استحيا من الله تعالى ان يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه) المؤمن الحقيق هو الذى لا يشهد من نفسه صفة محمودة

(أجهل الناس) اى أشدهم جهلا (من ترك يقين ماعنده) أى اليقين الذى عنده وهو علمه بعيوب نفسه وتقصيره مع ربه (لظن ماعند الناس) أى لاجل الظن الذى عند الناس وهو ظنهم صلاح حاله حتى مدحوه وأثنوا عليه فاذا اغتر ذلك الممدوح واعتقد استحقاقه لما مدح به واغتر بشهادة الخلق فيه بذلك كان أجهل الناس لانه ألغى اليقين وقدم الظن عليه وقدم ماعند غيره على ماعند نفسه وقد شبه ذلك بعضهم بمن يهزأ بك ويقول للعذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وأنت ترضى بالسخرية بك وتفرح بذلك ولاشك ان العيوب التى يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التى تخرج من جوفه (اذا أطلق الثناء) أى السنة الناس بالثناء (عليك ولست بأهل) أى والحال انك لست أهلا لما يثنون به عليك اما لعدم وجود ذلك فيك أو لكونك معيبا بالعيوب الاصلية والعارضة فلا تستحق ثناء عليك لولا فضل الله عليك وستره الجميل (فأثن عليه بما هو أهله) أى فالادب ان تثنى على سيدك بما هو أهله ليكون ذلك شكرا لنعمة ستره عليك واطلاق الالسن بمدحك مع عدم أهليتك لذلك ولا تغتر بأقوال المادحين (الزهاد اذا مدحوا) أى مدحهم أحد من الناس (انقبضوا لشهودهم الثناء) صادرا (من الخلق) وغيبتهم عن الرب وانما انقبضوا حينئذ خوف الاغترار بذلك الثناء فيفوتهم نصيبهم من ربهم (والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) فهم حاضرون مع ربهم لايشاهدون معه غيره فالسنة الخلق أقلام الحق فاذا مدحوا شهدوا الثناء منه فانبسطوا لذلك وكان مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم فلا يحصل عندهم اعجاب ولا اغترار قيل وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم اذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الايمان فى قلبه ولذا كان يمدح المصنف شيخه المرسى وهو ساكت ويقع عنده المدح موقعا عظيما وكذا وقع لغيره من العارفين وصاحب هذا المقام اذا ذمه أحد لايجد فى نفسه عليه ولايؤذيه لعدم شهوده الذم صادرا منه

يستحق بها ان يمدح أو يثنى عليه وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم واجلال ان يثنى عليه بصفة ليست فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله تعالى اليه وشهود فضله فى اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذى ينال به المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد ۞(اجهل الناس من ترك يقين ماعنده لظن ماعند الناس) الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية فى الجهل والغباوة وذلك من علامات المقت لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال أعلم بنفسه وقد شبه الحرث المحاسبى رضى الله عنه الراضى بالمدح بالباطل بمن يهزأ به ويقال له ان العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به قلت ولاشك أن الذنوب والعيوب التى يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التى تخرج من جوفه ولافرق بين الحالين الا انه فى حال المدح يعلم ان المادح لم يشاركه فى معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ المستهزأ به فى معرفة حال مايخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضى بأن يكون له فى قلوب العباد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين مولاه الذى يعلم من حاله مالا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضى بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهة هذا اذا كان المادح من اهل العلم والدين واما ان كان جاهلا او فاسقا فلا غباوة أعظم من الرضا بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه تزكية الاشرار هجنة بك وحبهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك فأظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم رأوا منى شيأ أعجبهم ولاخير فى شئ يسرهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه اتبكى وقد مدحك فقال له انه لم يمدحنى حتى وافق بعض خلقى خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة فى ذلك ۞(اذا اطلق الثناء عليك ولست باهل فاثن عليه بما هو اهله) المؤمن هو الذى لايرى نفسه اهلا لان يمدح أو يثنى عليه لان موجبات ذلك ليس له منها شئ كما تقدم فاذا اطلق الله تعالى السنة الناس بالثناء عليه ولا اهلية فيه لذلك فينبغى ان يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله تعالى بما هو اهله ليكون ذلك شكرا لنعمة اطلاق الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت اهلية ۞(الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) تقدم ان الزهاد فى غيبة عن الله تعالى فهم لايشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا

واثنى عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون فوات نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن انفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال وما علي من ذلك ولست أغلط في نفسي بل است في البين والمجري والمثني هو الله عز وجل وقيل هذا المعنى في الخبر المروي اذا مدح المؤمن في وجهه ربا الايمان في قلبه قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وفيه طريق للعارفين بأن يعلو الايمان الى الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه الى سيده الذي تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمؤلف رحمه الله قصائد في مدح شيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه وكان ينشدها كثيرا بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد منه بعضها ويقول له في بعضها أيدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت مع أن حب المدح عندهم من الرذائل التي تشبه الفضائل وبهذا النظر والشهود الجلي استقام لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد روي في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنهم وغيرهم شيء مع ان ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح وما ذلك الا لما ذكرناه ولا يتأول ما وقع لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه الصلاة والسلام لنفسه وثناءه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه في هذا المقام والله تعالى أعلم وعلامة الصادق في حب المدح وان كان صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لانهم مصرفون في قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم ولا يجد في قلبه عليهم ولا يصل بشيء من الاذى اليهم كما قيل

ربّ رام لي بأحجار الاذى * لم أجد بدا من العطف عليه
فعسى يطلع الله على * فرح القوم فيدنيني اليه

(متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك) القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته وانه طفيلي بين أهل الله تعالى في ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها والطفيلي هو الذي يأتي الولائم والضيافات فيدخل مع أهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرائس وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى اليها قاله صاحب الكتاب

(متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك) أي تطفلك على أهل الله ولست منهم بل أنت داخل معهم في أمر لا تستحقه كما ان الطفيلي يدخل مع الاضياف في ضيافتهم ولا يستحق الدخول معهم وهو منسوب لطفيل رجل من أهل الكوفة كان يأتي الولائم من غير أن يدعى اليها وكان يقال له طفيل الاعراس (وعدم صدقك في عبوديتك) لان القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف عدم صدقه في عبوديته وأنه طفيلي بين أهل الله في ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها بل الحاصل عنده مجرد دعوى نعم ان كان قبضه خوفا من عدم صبره ومقاومته للقهر الالهي فيحصل عنده بعض ضجر وكان بسطه لعدم وقوعه في ذلك فهذا اعتناء من الحق به حيث لم يوقعه في أمر يشوش عليه حاله ولم يكن داخلا على ما ذكر لان العارفين لا بد من بقايا شيء من بشريتهم يتمكنون به من مخالطة الخلق ومن لازم البشرية ذلك فالخطاب المذكور مع المريدين

اذا وقع منك ذنب) على حسب مقامك (فلا يكن سببا ليأسك) أى يقتضى يأسك (من حصول الاستقامة) أى اعتدال أحوالك (مع ربك) بأن تعتقد بسبب صدور الذنب ان حصول الاستقامة لك مستحيل فيحملك ذلك على تعاطى غيره من الذنوب وهذا غلط لان الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه والعزم على فعله ثانيا فالواجب عليك أن تتوب الى مولاك وترجع اليه ولا تيأس من رحمته (فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) ويقبل عليك المولى بعد ذلك بتوفيقه واحسانه ثم أشار الى ما يكون سببا فى الرجوع الى الله عند صدور الذنب فقال (اذا أردت أن يفتح) الله (لك ١٣٣ باب الرجاء) فيه (فاشهد) أى استحضر فى نفسك (ما) هو واصل (منه اليك) من جلب المنافع ودفع المضار من حين كونك فى بطن امك الى الوقت الذى أنت فيه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الرجاء فيه وعدم اليأس من رحمته ولو مع الوقوع فى الذنب (واذا) غلب عليك الرجاء وخفت أن يوقعك ذلك فى مخالفاته و (أردت أن يفتح لك باب الخوف) ليكفك عن ذلك (فاشهد) أى استحضر فى نفسك (ما) هو واصل (منك اليه) من المخالفات والعصيان وسوء الادب بين يديه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الخوف فتنكف عن مخالفته فالرجاء والخوف حالان ينشآن عن المشاهدتين المذكورتين وشبههما بشئ عليه باب مغلق استعارة بالكناية والباب تخييل والفتح ترشيح أو الاضافة للبيان (ربما أفادك) أيها العارف (فى ليل القبض) أى القبض الشبيه بالليل بجامع السكون فى كل (ما لم تستفده) أى علوما ومعارف لم تستفدها (فى اشراق نهار البسط) أى البسط الشبيه بالنهار بجامع الانتشار فى كل لما تقدم ان من حصل عنده البسط تهيج نفسه الى اظهار ما عنده من المعارف وغيرها فربما كان ذلك سببا لحجبه بخلاف من حصل عنده القبض فان نفسه تنكسر وتذل فيكون ذلك سببا فى افاضة الله الخير عليه ولذا كان العارفون يؤثرونه على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوقوف بآدابه دون البسط وقد يحصل عندهم فيه جزع وعدم صبر على مقاومة القهر الالهى بخلاف البسط فينبغى للعبد أن يعرف قدر نعمة الله عليه فى حال القبض كما يعرفها فى حال البسط وان يكل كل ذلك الى ربه ويحسن ظنه به فانه لا يدرى أيهما أقرب له نفعا كما قال تعالى (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا

هذا به قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه أكثر الخلق مع الله تعالى فى أحوالهم وارادتهم على الظنون ما تحقق منهم له الاقليل ألا تراه تعالى يقول وما يتبع أكثرهم الا ظنا فمن تحقق فى حاله مع الله تعالى غاب عن كل ما منه وله من الاحوال والاقوال والافعال نظرا الى ما اليه من رعاية الحق وحياطته وثوابه وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو للحق ولكن أكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفة ويظهرون حالة المحبة فاذا ورد عليهم وارد بلاء أو خلاف مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشفاق عليها والاهتمام بها ونسوا ما ادعوا به وما أشاروا اليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق انسوا فى جنب ما أشاروا اليه جميع الموارد سلاما مسرلان من حصل فى ميدان الوصول لا يعترض عليه عارض خلافه واذهله ما عما سواه وقال رضى الله عنه ۞ (اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغى له ان يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى انه طرده وأبعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله تعالى واليأس من روح الله تعالى لانه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه ۞ (اذا أردت ان يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا أردت ان يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه) الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف فيغلب عليه حينئذ حال الرجاء ومن أراد أن يفتح له باب الخوف فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فيغلب عليه حينئذ حال الخوف ۞ (ربما أفادك فى ليل القبض ما لم تستفده فى اشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) تقدم ان القبض يؤثره العارفون على البسط

مطالع الانوار) أى مواضع طلوع وشروق الانوار المعنوية وهى نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد (القلوب والاسرار) أى قلوب العارفين واسرارهم فهى كالسماء التى تشرق فيها الكواكب وتطلع فيها وتقدم ان تلك الانوار أشد اشراقا من أنوار الكواكب قال بعضهم لو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوار القلوب (١٤٣) فان ذلك النور يطرأ عليه الكسوف والغروب وأنوار قلوب أهل الله لا كسوف لها ولا غروب اه قال الشاذلى قدس سره لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن الطائع فمن لطف الله عدم الاطلاع على انوار العارفين فقد قال المرسى قدس سره لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته اه (نور مستودع فى القلوب) وهو نور اليقين المودع فى قلوب العارفين (مدده) أى يمتد ويتزايد ضياؤه (من النور الوارد من خزائن الغيوب) وهو نور الاوصاف الازلية فاذا تجلى الله عليهم بأوصافه تزايد ذلك النور الحاصل فى قلوبهم وذلك دليل على عناية الله بهم قال فى لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار اه ثم أشار الى أن النور المستودع فى القلب على قسمين بقوله (نور يكشف لك به عن آثاره) أى عن أحوال المكونات فتطلع على أحوال العباد وعلى ما فوق السماء وما تحت الارض وهذا يسمى كشفا صوريا وهو ليس معتنى به عند المحققين (ونور يكشف لك به عن أوصافه) أى أوصاف جلاله وجماله وذلك النور لا يحصل الا من تجلى تلك الاوصاف عليه وهذا يسمى كشفا معنويا وهو المعتد به عندهم ولم يقل ونور يكشف لك به عن ذاته لان تجلى الذات البحت الخالية عن الصفات مختلف فيه عندهم فبعضهم نفاه وبعضهم أثبته ويسميه الشيخ محيي الدين بالبوارق لكونه يطرأ ويزول سريعا لان القدرة البشرية لا تطيق دوامه

لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من أبواب المعارف ما لا ينفتح لهم فى البسط فينبغى للعبد أن يعرف نعمة الله تعالى عليه فى ليل القبض كما يعرفها فى اشراق نهار البسط لما يعلم ان فى الليل من المنافع ما ليس فى النهار فليتكل على ذلك الى ربه وليحسن ظنه به فانه لا يدرى أيهما أقرب اليه نفعا كما أشار اليه بالآية الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه فى كلام الاستاذ سيدى أبى الحسن رضى الله عنه ۞ (مطالع الانوار القلوب والاسرار) نجوم العلم واقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم وهذه هى الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار الحسية قال فى لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه تعالى قد حرس السماء بالكواكب والشهب كى لا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فانظر رحمك الله هذا الامر الاكبر الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع قال ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته قال ولقد أخبرنى بعض المريدين قال صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما بهر عقلى وذلك انى شهدت بدن الشيخ والانوار قد ملأته وانبثت الانوار من وجوده حتى انى لم أستطع النظر اليه قال فلو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أولياء الله تعالى لا كسوف لها ولا غروب كذلك قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليـ ـل وشمس القلوب ليست تغيب

۞ (نور مستودع فى القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب) نور اليقين المستودع فى القلوب يستمد ويتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن الغيوب وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه

۞ (نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن اوصافه) النور المدرك بالحواس

بكشف لك به عن آثاره وهى الاكوان الحادثة وليس لك الى ذلك كبير حاجة الامن حيث تستدل به على المؤثر والنور المستودع فى القلوب يكشف لك به عن أوصافه الازلية حتى تراها عيانا وفى هذا غاية رفعتك وبه شرف قدرك ومنزلتك اذ بذلك تتحقق فى المعرفة وترتفع فى المشاهدة ولا تحتاج الى دليل بذلك وهذا فرقان ما بين النورين قال فى لطائف المنن نور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين تشهد به المؤثر قال ولنا فى هذا المعنى

هذه الشمس قابلتنا بنور ＊ ولشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور لكن ＊ بهاتيك قد رأينا المنيرا

(ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار) القلوب نورانية فتحجب بوقوفها مع لطائف الاغيار النورانية من العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بحبها لكثائف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالانوار كما ان النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال أبو الحسن التسترى رحمة الله عليه فى قصيدته النونية

تقيدت للأوهام لما تداخلت ＊ عليك ونور العقل أورثك السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولها ＊ ومنبعها من أين كان فاهمنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما ＊ تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا

(ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار) أنوار السرائر انما خفيت عن العيان باستترها به من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغى أن يكون الا لها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا الستر فى قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية

م

تم الجزء الاول من شرح ابن عباد على الحكم ويليه الجزء الثانى أوله سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه

(ربما وقفت القلوب مع الانوار) اى فتحجب بها وتتعطل عن السير الى الله تعالى (كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار) اى بكثائف هى الاغيار أى الشهوات واللذات التى هى غير المولى سبحانه فالحجاب عن المولى قسمان نورانى وهو العلوم والمعارف اذا وقفت القلوب معها وركنت اليها وجعلتها غاية مقصدها وظلمانى وهو شهوات النفوس وعاداتها ووصفها بالكثافة لانها لا تزول الا بمعاناة ومشقة (ستر أنوار السرائر) أى أنوار قلوب أوليائه (بكثائف الظواهر) أى بالاحوال التى يتلبسون بها فى ظواهرهم ويتعاطونها من الصنائع وغيرها فان تلك الاحوال كثائف أى ساترة لغيرهم عن الاطلاع على أنوار قلوبهم وانما ستر تلك الانوار مع أن الظهور التام لا ينبغى أن يكون الا لها (اجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار) أى لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم هذا فى قوله سبحان من ستر سر الخصوصية الخ لكن أعاد ذلك هنا لاجل التعليل المذكور وأيضا سترها رحمة من الله بالمؤمنين اذ لو ظهرت اسرار الولاية على أحد لا وجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فاذا قصر وقع فى المحذور

الجزء الثاني من شرح العالم العلامه والبحر الفهامه وحيد دهره
وفريد عصره محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفزي
الرندي على متن الحكم للامام المحقق أبي الفضل
أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندري تغمدهما الله
بالرحمة والرضوان
وأسكنهما أعلى
الجنان
م

{ ولاجل تمام النفع وضع على هامش هذا الشرح شرح المحقق شيخ الاسلام }
{ الشيخ عبد الله الشرقاوي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين }

بسم الله الرحمن الرحيم

* وقال رضي الله عنه * (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه) * لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك أولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل أن يكون بطلب او سبب كان أولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك المخلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمنه الجسيمة فاصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته وأنسه وطهر أسرارهم من أنجاس الاغيار وصان قلوبهم بما أودع فيها من الانوار والاسرار فكانوا لذلك صفيته في عباده وخبايا في بلاده كما قال في بعض الاشارات عنه سبحانه أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم أحد غيري وهذا من غيرته عليهم لان الحق تعالى اغير على أوليائه من أن يظهرهم الى من لا يعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم في أعين الخواص والعوام فلم يكن لاحد دليل عليهم أو وصول بسببه اليهم * قال في لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته يقول يعني شيخه أبا العباس المرسي رضي الله عنه معرفة الولي أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وقال فيه واذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب أنوار القلوب لله سبحانه عباد ضن بهم عن العامة وأظهرهم للخاصة فلا يعرفهم الا شكل مثلهم أو محب لهم ولله

(سبحان من لم يجعل الدليل) أي الاهتداء والوصول والاستدلال (على أوليائه الا من حيث) أي من جهة (الدليل عليه) أي أنه عادل لذلك فكما ان الله محتجب بالاكوان عن المخلوقين فاهتداؤهم اليه ووصولهم الى معرفته أمر عسير يتعجب منه فاذا حصل ذلك لاحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يشكره عليها كذلك الولي مستتر بكثائف الظواهر من الصنائع الخسيسة وما يتعاطاه من مأكول ومشروب وغيرهما فيكون الاهتداء اليه والوصول الى معرفته أمرا عسيرا يتعجب منه فاذا حصل ذلك لاحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يشكره عليها والحاصل أن الوصول الى معرفة الله تعالى الخاصة عناية من الله تعالى لا بطلب ولا بسبب وكذلك الولي بل معرفته اصعب من معرفة الله لانه تعالى معروف بكماله وجماله والولي مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب فاذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولي من اوليائه لتنتفع به طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته (ولم يوصل اليهم) اي يعرفهم ويجمع عليهم (الا من أراد ان يوصله اليه) وذلك لانهم أحبابه فيغار عليهم ان يجمع عليهم غير أحبابه وهذا لبعض الاولياء وهم المسلكون لمن اراد ان يوصله اليه جمعه عليهم على وجه الصحبة الخاصة وهم قسمان قسم يظهر للعامة والخاصة وقسم لا يظهر الا للخاصة وهذا لا يظهر عليهم أحدا من خلقه حتى الحفظة ويتولى قبض أرواحهم بيده ولا يسلط التراب على ابدانهم تعالى

تعالى عباد ضن بهم عن الخاصة والعامة وعباد أظهرهم للخاصة والعامة ولله تعالى عباد
يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله عباد يظهرهم في النهاية ويسترهم في البداية
ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم الى الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه بما أودعهم
منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والصفيح الايمن من العرش الذين يتولى الله
قبض أرواحهم بيده فتطيب أجسادهم به فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة
بنور البقاء المجعول فيهم ببقاء الابدع الباقي الاحد عز وجل اه (وقال) أبو يزيد رضي
الله عنه أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس الا من كان محرما لهم واما غيرهم فلا
وهم مخدرون عنده في حجال الانس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة وقال أبو علي
الجرجاني رضي الله عنه الولي هو الفاني في حالة الباقي في مشاهدة الحق تولى الله سبحانه
سياسته فتوالت عليه أنوار التولي لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار
وفي الاشارات عن الله سبحانه انما سمي الولي وليا لانه يلي دون ما سواي فهم منزهون
بتنزيه الحق تعالى لهم من أن يوصل اليهم بغيره ولذلك صدر المؤلف كلامه بالتسبيح (ربما
أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على اسرار العباد) من لطف الله
تعالى اخفاء اسرار الناس بعضهم عن بعض لاسيما ما يقتضي وجود عيب وهو ظاهر
ما ذكره المؤلف هنا بدليل الكلام الذي عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من
الاسرار الملكوتية ووجه الفرق بينهما ما ذكره المؤلف الآن ويحتمل أن يريد ما هو أعم
مما ذكرناه ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذا اختص الحق تعالى بها بعض عباده ويكون
في ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء الولي حسبما ذكره المؤلف في المسئلة التي فرغنا
منها حتى يمتنع الوصول اليه بطلب او بسبب واخفاء ذلك أيضا عن عامة المؤمنين من
النعم العظيمة اذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد لا وجبت على من ظهرت له حقوقا
لا يقدر على القيام بها فان فرط في ذلك وترك القيام بتلك الحقوق رأسا وقع بسبب ذلك في
محذورات لا يقوم لها شيء وقد فهمت هذا المعنى من كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه
وقد سأله بعض تلامذته كيف تعرف أولياء الله تعالى فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا
لاشكالهم أو من أراد أن ينفعه بهم ولو أظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم
ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم حرج ولكن الله تعالى جعل اختيار تغطية
أمورهم رحمة منه لخلقه ورأفة ولكن الله تعالى قد أخبر بكرامتهم فقال جل وعز الله ولي
الذين آمنوا والله ولي المؤمنين فأفردهم به ولو أظهرهم حتى يعرفهم لكان في النظر اليهم
حجة وكان الاستماع لحديثهم فرضا انتهى والمعنى الذي ذكرته في هذه المسئلة فهمته من
الكلام الذي ذكره الشيخ أبو طالب رضي الله عنه في كتاب الشكر قال فيه ثم بعد ذلك
من لطائف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض وسترهم عند العلماء والصالحين منهم ولولا
ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون

(ربما اطلعك على غيب ملكوته)
أي ملكوته الغائب عنك
كالذي فوق السماء وتحت الارض
(وحجب عنك الاستشراف) أي
الاطلاع (على اسرار العباد)
أي ما في قلوبهم من خير او شر
وذلك من لطف الله بك لان

الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم ابطال ثواب المحسنين اليهم وحرم قبول احسانهم عليهم وحبطت أعمال المسيئين اليهم ففى حجب ذلك وستره ما يحمل العاملين لهم فى الخير والشر على الرجاء وحسن الظن من وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله عز وجل وجليل قدرهم ففى ستره ذلك نعمة عظيمة على الصالحين فى نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المتهتكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله من أجلهم اذ كانوا أساؤا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفى من لطف المنعم الوهاب كما جاء فى الخبر من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر لوليى فقد يكون مثل ذلك من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبر أنه رسول الله وان الله عز وجل نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة من كان أعلمه أنه نبى الله عز وجل لعظم حرمة النبى انتهى ما ذكره الشيخ أبو طالب والوجه الاول أولى فى تقرير معنى ما ذكره المؤلف والله تعالى أعلم * (من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه) * المطلع على السرائر التى تقتضى وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية فيرحم المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف بعباد الله أجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لان ذلك يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام أمرها والعجب بعمله والتكبر على غيره وهذا هو أعظم الفتنة ويكون ذلك سببا الى جر الوبال اليه من ادعائه لصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو أعظم الوبال وغاية الخزى والنكال وفى بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما نزعت الرحمة الا من قلب شقى وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وفى الاشارات عن الله تعالى أنه قال عبدى ان استخلفتك شفقت لك من الرحمة شقا فكنت أرحم بالمرء من نفسه وقد أدب الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام فى بعض مواطنه العظيمة المقدار وعلمه كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روى عن قسامة بن زهير رضى الله عنه أنه قال بلغنى ان ابراهيم عليه السلام حدثته نفسه انه أرحم الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى أشرف على أهل الارض فابصر أعمالهم وما يفعلون فقال يا رب دمرهم فقال الله تعالى أنا أرحم بعبادى منك يا ابراهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أرى الله ابراهيم ملكوت السموات والارض أشرف على رجل بمعصية من معاصى الله عز وجل فدعا الله عليه فهلك وكذلك على آخر وآخر فهلكوا فاوحى الله اليه ان يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعو على عبادى فانهم منى على ثلاث خصال اما ان يتوب العبد منهم فأتوب عليه واما ان أخرج منه نسمة تسبح لى واما ان يبعث الى فان

(من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية) بان يستر على المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف بعباد الله أجمعين فمن لم يتصف بذلك (كان اطلاعه فتنة عليه) لان ذلك يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام أمرها والعجب بعمله والتكبر على غيره وهذا هو أعظم الفتنة (و) كان أيضا (سببا لجر الوبال اليه) من ادعائه بصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزى والنكال * روى ان ابراهيم عليه السلام لما اراه الله ملكوت السموات والارض اشرف على رجل فى معصية من معاصى الله تعالى فدعا عليه فهلك وكذلك آخر وآخر فهلكوا فأوحى الله تعالى اليه ان يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادى فانهم منى على ثلاث خصال اما ان يتوب العبد منهم الى فأتوب عليه واما ان أخرج منه نسمة تسبح لى واما ان يبعث الى فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته قيل ان هذا سبب لامر الله له بذبح ولده لانه تعالى رحيم بعباده كشفقته على ولده والحاصل ان المكاشفة نعمة من الله على المريد وشكرها الستر والصفح

شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل ان سبب أمر الله له بذبح ولده هو هذا المعنى الذي ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة رحمته لهم وقد ذكر في بعض التفاسير أنه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشي على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا فاني طال ما رأيتهم عاصين فاهبط أري في المنام ما ذكر الله تعالى حيث يقول اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي وأحب الناس الي فسمع قائلا يقول اما تذكر الليلة التي سألتني فيها اهلاك عبدي أوما تعلم اني رحيم بعبادي كما أنت شفيق بولدك فاذا سألتني اهلاك عبدي أسألك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادي أظلم

(حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعات باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه) النفس من شأنها أبدا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها في الطاعات فضلا عن المعاصي ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد تجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا تجده في نوع آخر وان كان هذا النوع الآخر أتم فضيلة منه وما ذلك الا من أجل أن حظها فيه أكثر من الآخر فأهل الخبرة والبصيرة يتهمون أنفسهم اذا ألفت بابا من أبواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكايدها فيشوشون ذلك عليها وينتقلون منه * وقد حكي عن أبي محمد المرتعش رضي الله عنه انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سألتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بشوب وحظ من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين ان حظ النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل فلذلك تعسر مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك فلا يطلب بذلك آفات نفسه ولطائف خدعها وخفايا حظوظها الا من حصل على تصفية عمله من ذلك فلا جرم اذ كان متعذرا يجب عليه اتهام نفسه ومخالفتها في كل ما تدعو اليه كائنا ما كان قال الشيخ أبو بكر الخفاف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخي يقول عن أحمد بن أرقم البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى استحباب الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس فتستروح به وتتسامع الناس بها فيستقبلونها بالبر والتعظيم والاكرام فقلت لها الا تنزل العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فاسات ظني بها وقلت والله أصدق قولا فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتكوني أول قتيل فأجابت وعددت اشياء مما أراده بها فأجابت الى كل ذلك قال فقلت يا رب نبهني لها فاني لها متهم ولقولك مصدق فألهمت كأنها تقول لي انك تقتلني

(حظ النفس في المعصية) كالزنا (ظاهر جلي) وهو التذاذها بها فانها لا تطلب منك التلبس بالمعصية الا لاجل أن تلتذ بها فتحصل لك الوبال والنكال (وحظها في الطاعة باطن خفي) لا يطلع عليه الا أرباب البصائر وذلك لان في الطاعة مشقة عليها فاذا أمرتك بها لم تعلم حظها فيها الا بعد تفتيش فقد ترى ان حظها فيها التقرب الى الله تعالى وفي الباطن ليس لها حظ الا اقبال الناس عليك واشتهارك بينهم بالصلاح ومن حاسب نفسه وراقب خاطره تبين له مصداق هذا (ومداواة ما يخفى) أي زوال حظوظها الخفية (صعب علاجه) لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك فأهل البصائر يتهمون نفوسهم اذا مالت الى عبادة من العبادات ويفتشون عن سبب ميلهم اليها فان كان لحظ من حظوظها تركوها وعالجوا نفوسهم في حال فعلها حتى تكون خالصة لله تعالى كما وقع لبعضهم انه حدثته نفسه بالخروج الى الغزو وأظهرت له ان ذلك لله تعالى ففتش فاذا هو لاجل ان تستريح من تعب المجاهدة فانه كل يوم يقتلها مرات كثيرة بمنعها من شهواتها فأرادت ان تقتل مرة واحدة فتستريح وايضا لاجل ان تتسامع الناس بانه استشهد فيكون شرفا له وذكرا في الناس فترك الخروج الى الغزو وقد يجد الشخص من النشاط واللذة في نوع من العبادات ما لا يجده في نوع آخر وما ذلك الا لاجل ان حظها فيه أكثر من الآخر فاذا كان من أهل البصائر انتقل عما مالت اليه نفسه الى غيره فان

(١) عبارة نسخة طاوعته لم يكن لها في الاشتغال بذلك النوع حظ والا كان لاجل حظها

كل يوم مرات بهذا القتل اياى ومنع شهواتى ولا يشعر بى أحد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك و يتسامع الناس فيقال استشهد أحد فيكون شرفالى وذكرا فى الناس قال فقعدت ولم أخرج ذلك العام فهكذا انخداع النفس وغرورها أعاذنا الله من شرها وسيأتى من كلام المؤلف رحمه الله اذا التبس عليك أمران انظر اثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا ‹ (ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك) ‹ رياء العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج الى امارة عليه ورياؤه بعمله حيث لا يراه أحد أمر خفى لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو أخفى من دبيب النمل ومن اماراته أن يلتبس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه فى المحافل والمجالس ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر احدهم فى حقه الذى يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة سواه حتى ربما ظهر بعض حمقاء العقول ذلك على ألسنتهم فيتوعدون من قصر فى حقهم بمعاجلة الله له بالعقوبة وأن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم و يأخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات من نفسه فليعلم انه مراء بعمله وان أخفاه عن أعين الناس ‹ وقد روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة ألم تكونوا يرخص لكم فى السعر ألم تكونوا تبادرون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفى الحديث الآخر لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم (وقال) عبد الله بن المبارك روى وهب بن منبه رضى الله عنه ان رجلا من العباد قال لاصحابه انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف أن يكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على أهل الاموال فى أموالهم ان أحدنا اذا لقى أحب ان يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة أحب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيأ أحب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ما هذا فقيل له هذا الملك قد أتاك فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فأقبل يحشو شدقه و يأكل أكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفى حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا أنفسهم بسببه من الاشرار كما روى عن الفضيل بن عياض رضى الله عنه انه قال من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الى وسمع مالك بن دينار رضى الله عنه امرأة وهى تقول له يا مراء فقال لها يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ودخل رجل على داود الطائى رضى الله عنه فقال ما حاجتك قال زيارتك فقال اما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى أنا اذا قيل لى من أنت فتزار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله

(ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك) أى وانت فى مكان لا ينظر الناس اليك فيه يعنى ان الرياء كما يدخل فى العمل اذا عمله صاحبه عند الناس ويسمى الرياء الجلى يدخل فيه اذا عمله وحده بان يقصد به توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه فى المحافل ومسارعتهم فى قضاء حوائجه فاذا قصر أحدهم فى حقه الذى يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره وربما توعد من قصر فى حقه بمعاجلة الله له بالعقوبة وان الله يأخذ بثاره منه فاذا وجد العبد هذه الامارة فى نفسه فليعلم انه مراء بعمله وان اخفاه عن الناس ويسمى هذا الرياء الخفى ولا يسلم من الرياء الجلى والخفى الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين أظهر الناس ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو المرائى بعمله وان عبد الله فى جبل بحيث لا يراه أحد ولا يسمع به

من

من الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق الى غير هذا مما روى عنهم في هذا المعنى ولا يسلم من الرياء الخفي والجلي الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فاعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين اظهر الناس ويراها منهم ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء بعمله وان عبد الله تعالى في قنة جبل بحيث لا يراه أحد ولا يسمع به وقد تقدم قول يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي فكانه ينبت فيه على لون آخر * (استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك) * الخصوصية ههنا ما اختص الحق تعالى به بعض عباده من عمل نافع أو علم صالح وصدق العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعالى فيه بحاله ولا يتطلع الى أن يعرف بذلك أحد من الخلق فيشغله حينئذ اطلاعه من ربه والشكر له عن الاستشراف الى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية الاغيار له وهذا افضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه وليمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس رأوا انه لم يصم واذا أعطى أحدكم فليعط بيمينه وليخفه عن شماله واذا صلى أحدكم فليسدل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه من أحب أن يعرف بشيء من الخير ويذكر به فقد أشرك في عبادته لان من عبد الله على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدومه وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه كل من لم يقنع في أفعاله واقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة وقال بعضهم ما أخلص أحد قط الا أحب أن يكون في جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه من أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال أبو الخير الاقطع رضي الله عنه من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه لا تحب ان تعرف ولا تحب ان تعرف انك ممن لا يحب أن يعرف فعلى العبد اخفاء حاله جهده وان يبالغ في كتمانه أقصى ما عنده (قال) الحسن رضي الله عنه أدركت أقواما ما من أحد منهم يستطيع أن يسر شيأ من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه افقههم وما يعلم به حتى يقوم ولقد أدركت أقواما يأتي أحدهم الزور فيقوم فيصلي وما يشعر به الزور ولقد أدركت اقواما وما من عمل يقدرون أن يعملوه لله سرا فيكون علانية أبدا ولقد أدركت اقواما يجمع أحدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد أدركت أقواما يجتهدون في الدعاء وما يسمعهم احد وقال

(استشرافك) أيها المريد أي تشوفك وميلك الى (أن يعلم الخلق بخصوصيتك) اي بما خصك الله تعالى به من علم نافع او عمل صالح او احوال باطنية (دليل على عدم صدقك في عبوديتك) لان الصدق في العبودية هو طرح الاغيار وعدم الالتفات اليها رأسا فلو كنت صادقا في عبودية الرب لقنعت بعلمه بك ولم تحب أن يعلمك غيره فتغار على حالك من رؤية الاغيار له قال بعضهم من أحب ان يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب هذا في بداية السلوك فان تحقق العبد في المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة فلا بأس بالاخبار باعماله والاظهار لمحاسن احواله لمؤدي حق شكرها وليقتدي به غيره فمبنى امر اهل الطريق في البداية على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتمان الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص اعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الله اظهرهم وان شاء سترهم ولم تتعلق ارادتهم بظهور ولا اخفاء بل يردون الامر اليه في ذلك

محمد بن واسع رضي الله عنه أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجالا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جنبه وفي رواية عنه ان كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم فان وقع منه اعلان واظهار في وقت ما فليشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه عن أن يعمل فيه الفرح اطلاع الناس على حاله ولينكر ذلك على نفسه وليكرهه ولا يرضه منها وليجاهد نفسه في ذلك اشد المجاهدة فان خالف هذا واستشرف الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه في حال ظهور ذلك منه ولو في لحظة خيف عليه ان يعمل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان ضعيف الارادة لم يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي لان سببه قد استتب له وان كان قوي الارادة وسالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيفقد حينئذ الغيرة على الحال وينحط بذلك عن ذروة الكمال ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات سالكي هذه الطريقة كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فان تحقق العبد في المعرفة ومشاهدة الواحدانية الصرفة جاز له الاخبار بأعماله والاظهار لمحاسن احواله بناء منه على نفي الغير واداء الواجب حق الشكر وكان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رايتم من يرائي بفعل غيره وكان آخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول الم يقل الله سبحانه وتعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد من هذا حاله الى هداية عباد الله ودعائهم الى الله تعالى فأظهر احواله واعماله للاقتداء به والاهتداء بهديه فهو خارج عن النمط الاول كله وداخل في حكم هذا النوع الثاني وعلانية هذا افضل من سره لانه سلم من الآفات التي تعرض لها غيره وحصلت منه الفوائد التي تضمنها اظهاره وجهره وقد جاء في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء وهذا ارجح الوجوه عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي سأله عن فرحه باطلاع الناس على بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية وقد فصل ماذكرنا من اظهار الطاعة جماعة من الصحابة والتابعين منعنا من ذكر قاتهم خشية الاطالة وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقام هذا العبد مقام النصحاء لعباد الله والدعاة لهم الى الله فلاجرم كان له الدرجات العلا عند الله تعالى لانه من ائمة المتقين لله وقد اخبر الله تعالى بجزائهم وذكرهم عقيب دعائهم بذلك فقال عز من قائل اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال في لطائف المنن اعلم ان مبنى امر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فبنى امرهم

في

في بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتمان الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا في الرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الحق أظهرهم وان شاء سترهم ان شاء أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شئ اليه فظهور الولي ليس بارادته لنفسه ولكن بارادة الله تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد الله سبحانه اظهارهم فأظهرهم وتولاهم في ذلك بتأييده ووردت مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضى الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه انتهى ﴿غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك﴾ هذا المعنى هو حقيقة صدق عبودية الله الذي أشار اليه في المسئلة التي قبل هذه وهو أن لا يكون له شعور بما من الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون شعوره وتشوفه وطلبه مقصورا على ما من الله اليه من نظره اليه واقباله عليه فيغيب أدنى الحالين بأعلاهما وذلك بأن يعلم ان ما من الخلق اليه أمر وهمي باطل فينقاد اليه كل ذي عقل قاصر ويوجب له هذا الانقياد أنواعا من الكبائر والرذائل من الانحطاط في أهواء الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم وتربية الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان وتخالف الاسرار والاعلان وهذا عذاب أليم استعجله في دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه ويسلبه أثواب الغنى والعزة ويلبسه لباس الطمع والذلة فتردى بذلك همته وتقل قيمته ولعذاب الآخرة أكبر وقد قال الشاعر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

ورأى سهل بن عبد الله رضى الله عنه رجلا من الفقراء بمكة فقال له شيأ فقال له يا أستاذ لا أقدر على هذا من أجل الناس فالتفت سهل الى أصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون بأحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا هو وخالقه فان أحدا لا يقدر أن يضره ولا ينفعه أو تسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه انتهى ثم من له حصول ما أراده منهم فاغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة فربما استحسن من نفسه شيأ لم يستحسنه غيره وربما أرضى شخصا بما لا يرضى الآخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع مقاساة

ثم بين حقيقة صدق العبودية بقوله (غيب نظر الخلق اليك) أى لا تلتفت الى نظرهم اليك ولا تطلبه ولا تخطره ببالك بل اجعله غائبا عنك (بنظر الله اليك) فلا يكن التفاتك وتشوفك الا لنظر الله اليك وكذا يقال في قوله (وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك) فلا تلتفت الى اقبالهم عليك ولا تطلبه بل لا يكون التفاتك ولا طلبك الا لاقبال الله عليك فان اقبال الخلق على المريد قبل كماله يوجب له التصنع لهم ومداهنتهم وغير ذلك من الآفات وذلك يوجب انحطاط رتبته وسقوطه من عين الحق والعياذ بالله تعالى فلا يرضى باقبالهم الا ذو عقل قاصر وهمة دنيئة لان رضا الناس غاية لا تدرك وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك وأما من كان له عقل وافر فلا يحب الا اقبال الله من غير مبالاة بذم ذام ولا مدح مادح قال بعضهم الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثقال ذرة من صلاح عمله ولا يكره أن يطلعوا على السيئ من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاص الصادقين اه

التعب والنصب في نفسه * وفي الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه على هذا المعنى
ذكر أن لقمان دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس حين
رأوه شيخ لم يشفق على صبي فأركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار هلا زاد ثالثا فنزل لقمان
وبقي الولد فقالوا شيخ ماش وصبي راكب فنزل الولد يمشي مع والده وساقا الحمار جميعا
فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمان بهذا أن يري ابنه شأن الناس مع
من يراعي نظرهم فانه لا يسلم منهم على اي حالة تكون فرضا الناس غاية لا تدرك وأحمق
الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد الى الاوهام من ضعفاء العقول وسخفاء
الاحلام واما من كان له عقل وافر وحلم فاخر فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صدق
وهو ما من الله اليه من نظر واقبال وجزيل عطاء وعظيم نوال فهو يعمل فيما يؤديه
الى هذه المطالب من غير اكتراث بذم ذام أو عيب عائب ويقول بلسان حاله

ان الذي تكرهون مني * هو الذي يشتهيه قلبي

ويقول أيضا ما قاله محمد بن أسلم رضي الله عنه مالي ولهذا الخلق كنت في صلب أبي
وحدي ثم صرت في بطن أمي وحدي ثم دخلت الدنيا وحدي ثم تقبض روحي وحدي
وأدخل في قبري وحدي ويأتيني منكر ونكير يسألاني وحدي فان صرت الى خير صرت
وحدي وان صرت الى شر صرت وحدي ثم أوقف بين يدي الله وحدي ثم يوضع على
وذنوبي في ميزاني وحدي فان بعثت الى الجنة بعثت وحدي وان بعثت الى النار بعثت
وحدي فمالي وللناس وقد سئل الحرث بن أسد المحاسبي رضي الله عنه عن علامة الصادق
فقال الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج له كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه
ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على
السيء من عمله فان كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاق
الصادقين ۞ (من عرف الحق شهده في كل شيء) فلا يستوحش من شيء ويستأنس به كل شيء
كما تقدم من نعت العارفين (ومن فني به غاب عن كل شيء) فلا يكون منه على الاشياء
اعتماد ولا له اليها استناد (ومن أحبه لم يؤثر عليه شيأ) من مراداته وشهواته وهذه الامور
التي ذكرها المؤلف رحمه الله هي علامات بلوغ هذه المقامات العلية وبها تصح وتكمل
فمن لم يجدها في نفسه فلا ينبغي له أن يدعي تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما
يصححها ويكملها ۞ (انما حجب الحق عنك شدة قربه منك) شدة القرب حجاب كما أن
شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك والمضمحل الذاهب
لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود فكيف يراه * قال في لطائف المنن فعظيم القرب هو
الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب أن تغيب في القرب
عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما
دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين

(من عرف الحق) اي من تحقق في مقام المعرفة بالله (شهده في كل شيء) اي رآه ظاهرا في اعيان الموجودات فلا يستوحش من شيء ويأنس به كل شيء كما تقدم في نعت العارفين (ومن فني به) اي تحقق في مقام الفناء (غاب عن كل شيء) فلا يرى في الوجود ظاهرا الا الله ويغيب حتى عن نفسه وحسه فلا يشاهد له وجودا وتحققا بخلاف العارف فانه متحقق في مقام البقاء فيرى الخلق والحق ويرى الحق ظاهرا في كل الاشياء وقائما بها مع عدم غيبته عن نفسه وحسه (ومن احبه لم يؤثر عليه شيأ) اي من اراداته وشهواته فهذه علامات يعرف بها حال من ادعى بلوغ هذه المقامات

قول الهامش في الصحيفة الآتية انما حجب الحق الخ فقد حصل بينه وبين الذي في الصلب اختلاف بزيادة ونقص وتغيير واهو ر اه

حكم

(انما حجب الحق) اى الله (عنك لشدة ظهوره) ولان الحجاب كما يكون بشدة البعد يكون بشدة القرب فان اليد اذا قربت من البصر والتصقت به لم يرها بخلاف ما اذا كانت بعيدة عنه وكذلك الرب لم نره لاحاطته بنا احاطة تامة وقربه منا قربا معنويا ولا يدرك ذلك الا أرباب البصائر الذين تجلى الحق على بصائرهم فأزال عنهم الحجاب حتى رأوه اقرب الاشياء وشهدوه وأحاطها (و) انما (خفى عن الابصار) فى الدنيا فلم تدركه (لعظم نوره) وذلك كالشمس فان نورها أقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هو الذى حجب الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذى أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب منها على الحقيقة فان الظاهر لذاته لا يحتجب من ذاته وانما يطرأ الحجاب عليه من غيره وهو هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور وهذا الازم لما قبله (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه) اى لا تقصد بطلبك اى توجهك له بالدعاء والاعمال الصالحة حصول النوال منه وتعتقد أنه سبب مؤثر فى ذلك (فيقل فهمك عنه) أى عن الله اى فلا تفهم السر والحكمة فى أمر الله عباده بالطلب وهو ما ذكره بقوله (وليكن طلبك لاظهار العبودية) اى لاظهار كونك عبدا ذليلا ضعيفا لا غنى لك عن سيدك (وقياما بحقوق الربوبية) فان الربوبية تقتضى التذلل والخضوع من المربوب يعنى ان الله تعالى لم يأمر عباده بالطلب منه الا ليظهروا افتقارهم اليه وتذللهم بين يديه لا لأن يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوا فيه هذا هو فهم العارفين عن الله ومن هذا حاله لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان أعطاه كل مطلب وأناله كل سؤل ومأرب ولا يفرق بين العطاء والمنع فيكون عبد الله فى الاحوال كلها كانه ربه فى الاحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب مولاه لما فيه من شهوته وهواه (كيف يكون طلبك اللاحق) اى الموجود فيما لا يزال (سببا فى عطائه) أى اعطائه (السابق) اى الموجود فى الازل فان الاعطاء وهو تعلق الارادة فى الازل تعلقا تنجيزيا قديما لا يكون الطلب سببا فيه لتأخره عنه والسبب لا بد من تقدمه على المسبب ولذا قال

هكم ذا تقوه بالتعيين والعلم ٭ والامر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها ٭ وعن تهامة هذا فعل متهم

﴿(انما احتجب لشدة ظهوره وخفى عن الابصار لعظم نوره) هذه عبارة تداولها الناس وضربوا لها مثلا بالشمس وذلك أن الشمس نورها اقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هى التى حجبت الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذى أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقة منها فان الظاهر لذاته لا يحتجب من ذاته وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب هو هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق بشدة ظهوره وخفى عن الابصار لعظم نوره وأنشدوا فى هذا المعنى

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ٭ الا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا ٭ وكيف يعرف من بالعزة استترا

وأنشدوا أيضا

بالنور يظهر ما ترى من صورة ٭ وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره ٭ حسا ويدركه البصير من الورى
فاذا نظرت بعين قلبك لم تجد ٭ شيأ سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره ٭ فبذيل جهلك لا تزال معثرا

﴿وقال رضى الله عنه (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية) لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب له والسؤال منه الا ليظهروا افتقارهم اليه ومشواهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك اظهارا لعبوديتهم وقياما بحقوق ربوبيته لا لأن يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو فهم العارفين عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما يذكره المؤلف الآن قال أبو نصر السراج رضى الله عنه سألت بعض المشايخ عن الدعاء ما وجهه لاهل التسليم والتفويض فقال تدعو الله على وجهين أحدهما تريد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء لان الدعاء ضرب من الخدمة فيريد أن يزين جوارحه بهذه الخدمة والوجه الثانى ان تدعو ائتمارا لما أمر الله تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والافلرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا أن لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان أعطاه كل ما طلبه وأناله سؤله وأربه وأن لا يفرق بين العدم والوجود والمنع

(حل حكم الازل) اى ما حكم به فى الازل وتعلقت ارادته به وهو الاعطاء (أن ينضاف الى العلل) اى أن ينسب لعلة وهو الطلب اى أن يكون سببا ومؤثرا فيه ان قيل قد يكون ذلك الاعطاء معلقا على الطلب فيكون سببا فيه أجيب بأن السبب فى الحقيقة هو تعلق ارادة الله فى الازل أنك تدعوه فيما لايزال لانفس الطلب المتأخر (عنايته فيك) اى اعطاؤه اياك ماتطلبه منه اى تعلق ارادته فى الازل بالاعطاء (لالشئ منك) أى وقع منك اقتضى حصول تلك العناية كالدعاء والاعمال الصالحة ١٢ (واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته) وهى بمعنى العناية اى انك كنت معدوما فى الازل ويلزم من ذلك عدم مايصدر منك (لم يكن فى ازله اخلاص أعمال) اى أعمال خالصة كالدعاء والصلاة والصوم (ولا وجود أحوال) مرادف لما قبله (بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال) مرادف لما قبله فالدعاء ليس سببا مؤثرا فى المطلوب والاعمال الصالحة ليست سببا مؤثرا فى عناية الله اى دخول الجنة والنجاة من النار (علم أن العباد يتشوقون الى ظهور سر العناية) السر هو الشئ المغطى لانه مخفى عنا والعناية هى تعلق الارادة بحصوله فى المستقبل فلما علم أننا نتشوف الى حصوله فنطلبه بالدعاء والاعمال الصالحة ونعتقد تأثير ذلك فيه (فقال يختص برحمته من يشاء) زجرا لنا وقطعا لاطماعنا الاحتمال ان سر العناية خاص ببعض الناس كما ان النبوة لما تشوف الناس الى ظهورها آخر الزمان ادعاها جماعة فزجرهم الله بقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته (وعلم انه لو خلاهم وذلك) اى مع ملاحظة ان العناية الازلية خاصة ببعض الناس وليست عامة (لتركوا العمل اعتمادا المنسوب على الازل) قائلين ان كان سبق فى الازل أنا من اهل العناية ومن اهل الخصوص فنجونا من النار ودخلنا الجنة من غير اعمال فلا حاجة الى الاعمال ولا الى الدعاء بحصول المطالب (فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) بالاعمال الصالحة فهى علامة وامارة على تلك العناية الازلية وان لم تكن علة موجبة لها فلا ينبغى تركها اعتمادا على ما فى الازل وان لم يكن لها تأثير فى حصول المطلوب

والاعطاء فيما يرجع الى اظهار الفاقة والفقر فيكون عبد الله فى الاحوال كلها كان ربه واسع الفضل فى الاحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب مولاه ما يليه من شهواته وهواه * قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه لا يكن همك بدعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا وليكن همك مناجاة مولاك * قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه شر الناس من يبتهل الى الله تعالى عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فاذا زالت شكايته ورفعت عنه آفته ضيع الوفاء ونسى البلاء وقابل الرفد بنقض العهد وأبدل العقد برفض الود أولئك الذين أبعدهم الله فى سابق الحكم وخرطهم فى سلك أهل الرد وقد قيل بلاء يلجئك الى الانتصاب بين يدى معبودك خير لك من عطاء ينسيك اياه ويقصيك عنه ۞ (كيف يكون طلبك اللاحق سببا فى عطائه السابق) هذا دليل على نفى السببية المذكورة لان ماطلبه العبد أمر سابق فى الازل تقديره وطلبه أمر لاحق فيما لايزال وكيف يكون اللاحق سببا فى وجود السابق وهل السبب أبدا الا متقدم على المسبب ۞ (جل حكم الازل أن ينضاف الى العلل) هذا دليل آخر على ماذكره وهو أن حصول ماطلبه الداعى حكم من الله تعالى فى الازل فلا يكون سببه الدعاء والسؤال لان أحكام الله تعالى تجل عن أن تنضاف الى علة أو سبب من قبل أن له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة فمشيئته علة لكل شئ ولا علة لمشيئته كما قاله العارفون المحققون ۞ (عنايته فيك لالشئ منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال) عناية الله تعالى بك فى الازل حين لم تكن شيئا لا حين غيره معلقة بشئ كان منك من اخلاص أعمال ولا وجود أحوال تتوسل بجميع ذلك اليه وأين كنت اذ ذاك وأنت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير قال الواسطى رحمه الله تعالى أقسام قسمت ونعوت وأحكام أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات ۞ (علم ان العباد يتشوقون الى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) ظهور سر العناية التى مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشيئة فى قوله عز من قائل يختص برحمته من يشاء ولا علة له من العبد والاحسان

(الى المشيئة يستند كل شئ) اى ان كل موجود يستند الى مشيئة الله من حيث تعلقها به ازلا (وليست تستند هى الى شئ) من الموجودات والمراد بالمشيئة فى مرجع الضمير ما تعلقت به ازلا وهو مطالب العباد التى سبق بها العلم فان طلبها بالدعاء والاعمال الصالحة ليس سببا فى ثبوتها وهذه العبارات التى ذكرها المصنف فى غاية الحسن وفيها اشارة الى التعلق بأحكام الازل وطرح الاسباب والعلل فعلى العبد ان يلزم العبودية والافتقار ويترك التدبير والاختيار * قال ابو بكر الواسطى ان الله لا يقرب فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والآخرة ما أوصلت اليه بهما ولو اخذتهما ما كانهما ما قطعت بهما قرب من قرب من غير علة وابعد من أبعد من غير علة قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) يعنى ان بعض العارفين قد يغلب عليهم التفويض والتسليم فيترك السؤال والطلب اعتمادا على القسمة الازلية وممن رأيناه متحققا فى هذا المقام العارف بالله تعالى الغارف من بحر الحقيقة الشيخ مصطفى أفندى التركى القسطمونى الجركسى فسح الله فى مدته ورزقنا دوام مودته واختلف القوم هل الافضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء أفضل لانه فى نفسه عبادة لقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والاتيان بما هو عبادة أولى من تركه ومنهم من قال السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم وأرضى لان ما سبق من اختيار الحق لك أولى من اختيارك وقد ورد فى الحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين ومنهم من فصل فقال الاوقات مختلفة فان وجد الداعية فى قلبه اشارة الى الدعاء كالانبساط وتوجه القلب فالدعاء اولى وان وجد فيه اشارة الى السكوت كالقبض وعدم توجه القلب فالسكوت اولى فان لم يجد فى قلبه شيأ من ذلك كان الدعاء وتركه سواء نعم ان كان الغالب عليه حقيقة المعرفة كان السكوت اولى * ثم علل ما ذكره من كون الادب قد يكون فى ترك الطلب فقال

المنسوب اليه فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين أمارة وعلامة على تلك العناية وليس بعلة موجبة وانما أسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذى هو مقتضى العبودية الواجبة لله تعالى عليهم ﴿(الى المشيئة يستند كل شئ) لان وقوع ما لم يشأ الحق تعالى محال (ولا تستند هى الى شئ) لاستحالة وجود النقص فيما يجب له الكمال وهذه العبارات التى ذكرها المؤلف رحمه الله من أول الفصل الى هنا بلغت الغاية فى الحسن واستغنت بترددها وتكرارها عن البيان والشرح وفيها اشارة الى أحكام الازل وفقد الاسباب والعلل فيجب على العبد ان يبنى عليها أعماله وأحواله فيلتزم العبودية والافتقار ويدع التدبير والاختيار ان يعد ذلك وهذا هو أدب التوحيد جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه وفضله * قال ابو بكر محمد بن موسى الواسطى رضى الله عنه ان الله لا يقرب فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والآخرة ما أوصلت اليه بهما ولو أخذتهما ما كانهما ما قطعت بهما قرب من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال أيضا رضى الله عنه ما خالفه أحد ولا وافقه وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته أنى يكون له الوفاق والخلاف وهو يقلب الليل والنهار بما فيهما وهو قائم على الاشياء وبالاشياء فى بقائها وفنائها لا يؤنسه وجد ولا يوحشه فقد بل لا فقد ولا وجد انما هى رسوم تحت الرسوم وقال رضى الله عنه ﴿(ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) قد يكون من الادب ترك السؤال والطلب ان هو مستغرق فى الاذكار راض بما يجرى عليه من تصاريف الاقدار وهو أحد مذاهب القوم * قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه واختلف الناس فى أى شئ أفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء فى نفسه عبادة قال النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة أولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق الربوبية لان الدعاء اظهار فاقة العبودية وقد قال أبو حازم الاعرج لان أحرم الدعاء أشد على من ان احرم الاجابة وطائفة قالوا السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطى اختيار ما جرى لك فى الازل خير لك من معارضة الوقت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتى

بالامرين جميعا قال الامام أبو القاسم والاولى أن يقال ان الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك في الوقت لان علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء به اولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت له اولى ويصح ان يقال ينبغي للعبد ان لا يكون ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب ان يراعي حاله فاذا وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له اولى وان عاد الى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالاولى ترك الدعاء في هذا الوقت وان لم يجد في قلبه لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان وان كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء اولى لكونه عبادة وان كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت اولى ويصح ان يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب اوللحق سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء اولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت اتم واولى وفي الخبر المروي ان العبد ليدعو الله عز وجل وهو يحبه فيقول الله يا جبريل اخر حاجة عبدي فاني احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول الله يا جبريل اقض لعبدي حاجته فاني اكره ان اسمع صوته انتهى كلام الامام ابي القاسم القشيري وهو حسن بديع وهو اوفق بما ذكره المؤلف رحمه الله فلذلك اوردته هنا بكماله ۞ (انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال) * اورد هذا كالدليل على ما ذكره من ان ترك الطلب قد يكون من الادب وذلك لان في الطلب اشعارا بتجويز الاغفال عليه فيقع بذلك التذكير وتلويحا باحتمال وجود الاهمال منه فيكون ذلك تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلاجل هذه العلل كان ترك الطلب عند هؤلاء ادبا وقد سئل الواسطي رضي الله عنه ان يدعو فقال اخشى ان دعوت ان يقال لي ان سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك عندنا فقد اسأت الثناء علينا وان رضيت اجرينا لك من الامور ما قضينا لك في الدهور وروي عن عبد الله بن منازل رضي الله عنه انه قال ما دعوت الله منذ خمسين سنة وما أريد أن يدعو لي احد لانه ماض على ما سبق ۞ (ورود الفاقات اعياد المريدين) * الاعياد عبارة عن الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح وهم مختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهواته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه واعواز أمانيه واغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لان مدار أمرهم انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار والآثار ولا يتأتى لهم ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضروب الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم لانها

(انما يذكر) بالدعاء (من يجوز عليه الاغفال) اى السهو بان يكون عنده غفلة وعدم علم بحال السائل فيذكره بالسؤال (وانما ينبه) بعني يذكر (من يمكن منه الاهمال) اى عدم الاعتناء بحال السائل مع علمه بحاله فهذا مستحيل على الله تعالى ولذا كان ترك الطلب عند هؤلاء أدبا وقد سئل الواسطي ان يدعو فقال اخشى ان دعوت أن يقال لي ان سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك فقد أسأت الثناء علينا وان رضيت أجرينا لك من الامور ما قضينا لك في الدهور اه (ورود الفاقات اعياد المريدين) الاعياد جمع عيد وهي الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح فالمريدون يسرون بالفاقات لانها تسرع بوصولهم لمقصودهم لما فيها من الذل وقهر النفس كما تسر العوام بالاعياد لما فيها من نيل شهواتهم من ملابس وغيرها

من وجودهم اقرب بهم ورؤيتهم له في حال فقدان حظهم وكلما ازدادوا فاقة وبلاء زادهم مولاهم قربة وولاء كان بعضهم يطوف حول الكعبة الشريفة وهو يقول

مؤتزر بشملتي كما ترى * وصبيتي باكية كما ترى
وامرأتي عريانة كما ترى * يامن يرى الذي بنا ولا يرى
أما ترى ما حل بي اما ترى * أما ترى الذي بنا أما ترى

فسمعه بعضهم فجمع له كسرا ودفعها اليه فقال له اليك عني لو كان معي شيء لما أمكنني ان أقول هذا القول * قال في التنوير وفي البلايا والفاقات من اسرار الالطاف ما لا يفهمه الا أولوا البصائر ألم تر أن البلايا تخمد النفوس وتذهلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجدان الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال ابو اسحق ابراهيم الهروي رضي الله عنه من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير ان يختار الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على الرفيع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عند قول المؤلف رحمه الله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره الشفاء في هذا المعنى فواجب اذا ان يكون ورود الفاقات اعياد المريدين كما قال فاذا افقدوا ذلك بمواتاة الاسباب استشعروا بذلك وجود الحجاب وبعدهم من محل الاقتراب فحزنوا لذلك وتأسفوا وودوا لو عاد اليهم الحال الاول ومن هذا المعنى ما حكى عن خير النساج رضي الله عنه قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما رآني تعلق بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت وما هي قال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه شيء من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغني يحترز من الفقر حذرا ان يدخل عليه الفقر فيفسد غناه عليه وقد تقدم من حكايات عطاء السلمي وفتح الموصلي والفضيل بن عياض والربيع بن خيثم رضي الله عنهم ما يوافق ما ذكرناه وانشدوا في ذكر اعياد المريدين والعارفين وقيل انها لابي علي الروذباري رضي الله عنه

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه * فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما * قلب يرى الفه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلق الحبيب به * يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم ان غبت يا املي * والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

(ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة) وورود الفاقات يحصل للمريد بها مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لان الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يؤمن عليه

(ربما وجدت) ايها المريد (من المزيد) اى الزيادة في حالك من طهارة السر وحصول أنوار ومعارف (في الفاقات) اى في حال ورودها عليك (ما لا تجده في الصوم والصلاة) لانه قد يكون قيامك بهما الشهوة نفسك وحظوظها ومن كان هذا سبيله فلا يؤمن فيه دخول الآفات فلا يفيدك تزكية ولا تصلية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال

فيه من دخول الآفات فلا يفيده تحلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك الى آخره ﴿(الفاقات بسط المواهب)﴾ الفاقات تحضره مع الحق وتجلسه على بساط الصدق وناهيك بما يكون في تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ﴿(ان أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء)﴾ هذا مثل ما ذكره الآن وذكر الآية عقيبه اشارة بديعة وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقق بأوصاف العبودية المذكورة في المسئلة التي تأتي باثر هذه ومما يتعلق بظاهر الآية التي استشهد بها المؤلف رحمه الله على طريقة القوم ما قال بعضهم صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لا ممن يقبل اليه على يده فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لانه جعلها لهم فان قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع رداءة همته ﴿(تحقق باوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته)﴾ هذا مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا * قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى واضدادها أوصاف الربوبية فمالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كأنها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام سيدي أبي الحسن وهو معنى ما ذكره المؤلف ههنا واكثر كلام المؤلف جار على منهاج كلام أبي الحسن رضي الله عنهما ونفع بهما وقال رضي الله عنه ﴿(ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة)﴾ الكرامة الحقيقية انما هي حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد ان لا يحرص الا عليهما ولا تكون له همة الا في الوصول اليهما وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة * قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب ليس ذا حظ في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص او هالك مثبور * وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي

(الفاقات بسط المواهب) اى كالبسط التي ترد عليها المواهب الالهية لكل من جلس عليها كما ان الملك اذا جلس احد على بساطه اعطاه شيأ من مواهب الدنيا فالفاقات ١٦ تحضرك مع الحق وتجلسك على بساط الصدق وناهيك بما يكون في تلك الحضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ولذا قال (ان اردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك) بأن تحقق بهما في نفسك تحققا تاما فلا يكون عندك استغناء بغيره بوجه من الوجوه فحينئذ ترد المواهب الالهية عليك لقوله تعالى (انما الصدقات للفقراء تحقق بأوصافك يمدك) بضم الياء وفتحها مع كسر الميم على الاول وضمها على الثاني (بأوصافه) ثم فصل ذلك بقوله (تحقق بذلك يمدك بعزه) فتصير عزيزا به لا بنفسك (تحقق بعجزك يمدك بقدرته) فتصير قادرا به لا بنفسك (تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) فتصير قويا به وكذا ان تحققت بفقرك يمدك بغناه فاذا جلست على بساط الذل وقلت يا عزيز من للذليل غيرك وعلى بساط العجز وقلت يا قادر من للعاجز غيرك وعلى بساط الضعف وقلت يا قوي من للضعيف غيرك وعلى بساط الفقر والفاقة وقلت يا غني من للفقير غيرك وجدت الاجابة كأنها طوع يدك فقوله تحقق بأوصافك الخ مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب لان من جملة المواهب الامداد بضد الوصف الذي تحققت به (ربما رزق الكرامة) اى الامر الخارق للعادة (من لم تكمل له الاستقامة) فلا ينبغي للمريد ان يعتني بها ويغتر بظهورها على يده لانها حينئذ ربما كانت معونة او استدراجا لا كرامة فالكرامة الحقيقية هي كمال الاستقامة ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على المريد ان لا يحرص الا عليهما ولا يكون له همة الا في الوصول اليهما واما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين

رضي الله عنه ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه * وذكر عند سهل بن عبد الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات هي شئ تنقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيأ فيدخل يده في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيأ فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لابي محمد المرتعش رضي الله عنه ان فلانا يمشي على الماء فقال عندي ان من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء والهواء * وقال أبو يزيد رضي الله عنه لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي وقيل له ان فلانا يقال انه يمر في ليلة الى مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وقيل له يقال ان فلانا يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون الى الكرامات وقد تقدم مثل هذا عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه *(من علامات اقامة الحق لك في الشئ اقامته اياك فيه مع حصول النتائج)* لا اعتبار بما يقوم فيه العبد بنفسه من عمل أو حال وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله عبده في الشئ ان يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته ويبنى على هذا آداب ومعاملات وقد أشرنا الى نحو من هذا عند قول المؤلف رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب الى آخره *(من عبر من بساط احسانه أصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا أساء) من شاهد احسان نفسه وعمل بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فاذا وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء وهذه طريقة أهل التعسف الذين ينظرون الى ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح أو طالح ومن شاهد احسان الله اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه في الحالين من غير فرق لانه مشاهد لوحدانية ربه وقيوميته في الحالين أوجبت جراءته على ذلك وقد قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة أهل المعرفة الذين ينظرون الى ما من الله تعالى اليهم قلت وما ذكره هنا من اطلاق التعريف والتكليف وما نبهت به عليه من الكلام اللطيف أشرت به الى مسئلة عظيمة مهمة ينبني عليها آداب وأحكام جمة وهي مسئلة اختلاف الناس في معاملاتهم لربهم بحسب نياتهم في مراقبتهم ومن أحكامها مسئلة التعبير التي اقتصر المؤلف عليها في هذا الفصل ولم يذكر مما سواها مما ينبني على ذلك الاصل وقد نبه عليها في لطائف المنن وأتى فيها بكلام مستوعب حسن فرأينا أن ننقله هنا بكماله ليتبين به مقصدنا في تفصيل اجماله * قال فيه وقال رضي الله

(من علامات اقامة الحق) أي الله (لك في الشئ) كالاكتساب أو التجريد (اقامته اياك فيه) أي تيسير أسبابه لك وادامته عليك (مع حصول النتائج) أي ثمرات ذلك الشئ كسلامة الدين ووجود الربح من الكسب كما مر (من عبر) أي تكلم في علوم القوم وأفادها للمريدين (من بساط احسانه) أي ملاحظا أن تعبيره وافادته تلك العلوم نشأ من احسانه أي أعماله الصالحة المشبهة بالبساط الذي يجلس عليه عند ورود المواهب (أصمتته الاساءة) أي أسكتته اساءته ومخالفته لربه فينقبض عن ذلك التعبير لما يعتريه من الخجل والحياء بسبب المعصية التي صدرت منه وبسبب ذلك مشاهدته احسان نفسه (ومن عبر من بساط احسان الله اليه) أي ملاحظا ان تعبيره وافادته تلك العلوم ناشئ من احسان الله اليه غائبا عن رؤية نفسه (لم يصمت اذا أساء) أي لم يسكت عن ذلك التعبير اذا صدرت منه معصية لان همته عن نفسه ومشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته أوجبت جراءته على ذلك ولذا قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان

عنه يعني شيخه أبا العباس الناس على ثلاثة أقسام عبد هو بشهود ما منه الى الله وعبد
هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو بشهود ما من الله الى الله قال ومعنى كلام الشيخ هذا
أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدي
الله تعالى وتلازمه الاحزان وتعانقه الاشجان ويستولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة
أو كشف له من نفسه عن أوصاف سوء وعبد آخر الغالب عليه شهود ما من الله اليه من
الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله
قال الله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول
حال العباد والزهاد والثاني حال أهل العناية والوداد الاول شأن أهل التكليف والثاني
شأن أهل التعريف الاول حال أهل اليقظة والثاني حال أهل المعرفة فلذلك قال الشيخ
أبو الحسن رضي الله عنه العارف من عرف شدائد الزمان في الالطاف الجارية من
الله عليه وعرف اساءته في احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وقال رضي
الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثرة العمل مع رؤية التقصير من النفس
وقال بعض أهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير وقال الشيخ أبو
الحسن رضي الله عنه قرأت ليلة من الليالي قل أعوذ برب الناس الى أن انتهيت الى
قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة
والناس فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة
ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك
عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ
منه كثير من الزهاد والعباد وأهل الجد والاجتهاد ولذلك قل أن تجد الزاهد
والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم ان الله تعالى طالبه بالعبودية وحمله أعباءها والزمه
ما اشفقت السموات والارض والجبال من حمله قال الله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الحامل للاثقال عن
عباده المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن واهل المعرفة بالله علموا
انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به حتى وكلوا الى
نفوسهم قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله تعالى
حمل عنهم ما حملهم قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق
اللجا فحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله محمولين في محفات المنن تروح عليهم نفحات
اللطف والآخرون ساروا الى الله حاملين لاثقال التكاليف فتلازمهم المشقات وتطول
بهم المسافات فان شاء ادركهم بلطفه فأخذ بايديهم من شهود ما منهم الى شهود سابق
توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات واشرقت فيهم العنايات واما القسم الثالث وهم الذين

أملهم

أمدهم الله تعالى بشهود ما من الله الى الله هؤلاء هم أهل التوحيد والداخلون في ميدان
التفريد وأهل القسم الاول وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا عن
باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين
لتقصيرهم واساءتهم فلو لم يشهدوا الفعل لها لما توجهوا اليها بالتوبيخ اذا قصرت
فلذلك قال ذلك العارف الذي سبق قوله لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير فان
قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة الشرك فكيف تصنع والله تعالى قد ذم
النفس وأمرنا بتوبيخها اذا قصرت ووبخها هو اذا كانت كذلك فالجواب أن ذمها لان
الله تعالى أمرك بذمها من غير أن تشهد لها قدرة أو تضيف اليها فعلا فلا تراها هي الفاعلة
له وأما القسم الثاني وهو الذي يشهد ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول
لكنه ما سلم من اثبات لنفسه اذا رأى نفسه مهداة اليها مواهب الحق فلولا اثباته لنفسه
ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين آثر أهل الله تعالى القسم الثالث وهو أن يكون بشهود
ما من الله الى الله فافهم اهـ كلامه رحمه الله تعالى ولاجل ما تضمنه من الفوائد الجليلة
والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة الى ذكره على ما هو عليه في هذا الموضع والله الموفق
لا رب غيره * (تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير) الحكماء هم
العارفون بالله تعالى العاملون به والانوار المنسوبة اليهم هي أنوار معرفتهم وهي قوة
يقينهم فان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله تعالى
ونصحهم باذن الله تعالى سبقت أنوار قلوبهم الى الله تعالى بالالتجاء والافتقار اليه في أن يتولى
لهم أمر قلوب عباده بان يجعل فيها أهلية واستعداد القبول ما يريدون ايراده عليهم من
كلام الحكمة فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل اليها أنوار أسرار
الحكماء كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع وقد اوصى لقمان
الحكيم ابنه فقال يا بني ما بلغت من حكمتك قال لا أتكلف ما لا يعنيني قال يا بني انه قد بقي
شئ آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي
الارض الميتة بوابل السماء وانما قلنا ان الحكماء هم العارفون بالله تعالى العاملون به لانهم
خائفون من الله تعالى وفي بعض الآثار رأس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات العلم
بالله وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله
فقط فالحكماء هم العالمون بالله تعالى وان كانوا ضعفاء في سائر العلوم الرسمية كليلة ألسنتهم
في البيان عنها * (كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز) اللسان ترجمان القلب
فاذا صفا من الاكدار وزكى من الاغيار واشرقت فيه الانوار كانت ترجمة لسانه على
حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج آذان السامعين فتفتح بسببه اقفال
قلوبهم ويستجيبون به لنداء الحق حبيبهم وروى الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن سعيد بن
عاصم قال كان قاص يجلس قريبا من مجلس محمد بن واسع فقال يوما وهو يوبخ جلساءه

(تسبق أنوار الحكماء) وهم
العارفون بالله تعالى العاملون
به (أقوالهم) وأنوارهم هي أنوار
معرفتهم وهي قوة يقينهم بان
الامور كلها بيد الله تعالى
لا شريك له فيها فاذا أرادوا
ارشاد عباد الله ونصحهم باذن
من الله تعالى توجهوا الى الله
والتجؤا اليه في أن يتولى لهم
أمر قلوب عباده بان يجعل فيها
أهلية واستعداد القبول ما يرد
عليها فيخرج من قلوبهم حينئذ
نور ناشئ من نور سرائرهم يصل
الى تلك القلوب (فحيث صار)
أي حصل (التنوير) أي النور
أي استقر في قلوب عباد الله
الذين يريدون ارشادهم (وصل
التعبير) أي تلقته تلك القلوب
بالقبول كما تتلقى الارض الميتة
وابل المطر فينتفعون بذلك أتم
انتفاع ثم علل ذلك بقوله (كل
كلام يبرز وعليه) الواو للحال وفي
بعض النسخ اسقاطها (كسوة
القلب الذي منه برز) فاذا كان
القلب منورا اكتسى الكلام
نورا فلا تمجه الاسماع ولا تنكره
القلوب فكسوته هو ذلك النور
وكلام الحكماء يبرز مكسوا بكسوة
الانوار فتنفتح به أقفال القلوب
ويستجيبون لنداء حبيبهم وكلام
المدعين يبرز وعليه الظلمة فلا
ينتفع به أتم انتفاع وقد ينتفع به
من جهة حقيقته ومضمونه
لا من جهة قائله ان الله ليؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر

مالي أرى القلوب لا تخشع ومالي أرى العيون لا تدمع ومالي أرى الجلود لا تقشعر فقال
محمد بن واسع يا عبد الله ما أرى القوم أوتوا إلا من قبلك إن الذكر إذا خرج من القلب وقع
على القلب قلت وقد حاز المؤلف قصب السبق في هذا المعنى الذي ذكره ومن مارس كلامه
في هذا الكتاب وفي غيره وحصل له منه التأثير المحمود سلم ما قلناه وكفى بشهادة شيخه أبي
العباس المرسي رضي الله عنه على عظم قدره ودعائه له برهانا على ذلك قال في لطائف المنن
وكنت قد قلت لبعض تلامذة الشيخ يعني أبا العباس أريد لو نظر إلي الشيخ برعايته
وجعلني في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضي الله عنه لا تطالبوا
الشيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار
ما يكون عندكم تكونون عنده ثم قال أي شيء تريد أن تكون والله ليكونن لك شأن عظيم
والله ليكونن لك كذا وكذا والله ليكونن لك كذا وكذا لم أثبت منه إلا قوله ليكونن لك
شأن عظيم قال فكان من فضل الله سبحانه ما لا أنكره قال فأخبرني سيدي جمال الدين
والد الشيخ قال قلت للشيخ يريدون أن يصدروا ابن عطاء الله في الفقه فقال الشيخ هم
يصدرونه في الفقه وأنا أصدره في التصوف قال ودخلت عليه فقال إذا عوفي الفقيه
ناصر الدين نجلسك في موضع جدك وتجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية وتتكلم إن
شاء الله في العلمين فكان ما أخبر به رضي الله عنه قال وسمعته يقول أريد أن أستنسخ
كتاب التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته
بالجزء الأول فقال ما هذا قلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فأخذه فلما نهض ليقوم
قال اجعل بالك إلي لا يقفل عليه أحد حتى هذا إن شاء الله في ميزانك فلما أتيته بالجزء
الثاني التقى بعض أصحابه عند نزولي من عنده قال قال الشيخ عنك والله لأجعلنه
إماما من عيون الله يقتدى به في علم الظاهر والباطن فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت
من عنده لقيني بعض أصحابه وقال طلعت عنده الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء فقال
هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما أرضى له بجلسة جده ولكن بزيادة
التصوف قال وأخبرني بعض أصحابه قال قال لي الشيخ يوما إذا جاء ابن فقيه الإسكندرية
فأعلموني به فلما أتيت الشيخ أعلموا الشيخ بذلك فقال تقدم فتقدمت بين يديه ثم قال جاء
جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته
قريش فقال له هذا ملك الجبال قد أمره الله أن يطيع أمرك في قريش فسلم عليه ملك
الجبال ثم قال يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئا
فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يخرج من أصلابهم كذلك صبرنا على
جد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه قال وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الأسمر وخرج
معي أبو الحسن الجوهري وكان من أصحاب الشيخ أبي الحسن فسلمت عليه وسلم علي

بشاشة

ببشاشة واقبال فقلت له من أين تعرفني فقال وكيف لا أعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ
ابي العباس وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له ياسيدي انه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان
وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم ثم قال فقال الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب
حتى يكون داعيا يدعو الى الله فكان ما قال الشيخ رحمه الله تعالى قال وكنت كثيرا
ما يطرأ علي الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني ان بك وسواسا في الوضوء
قلت نعم فقال رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت
اياما ودخلت عليه فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان كنت لا تترك الوسوسة
لا تعد تأتينا فشق ذلك علي وقطع الله ذلك الوسواس عني قال وكان رضي الله عنه يلقن
للوسواس سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك
على الله بعزيز قال وعملت قصيدة أمدحه بها فقال من أنشدت أيدك الله بروح القدس
قال ثم عملت قصيدة اخرى بإشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلاد العجم فلما
قرأت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد
أن يجلس ويتحدث في العلمين يشير الشيخ الى مرض الوسواس قال فلقد انقطع عني ببركة
الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون اشدة التوسعة التي أجدها قد تساهلت في بعض
الامر والمرض الآخر كان بي البرامي فشكوت ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله تعالى
وشفاني (قال) وبت ليلة من الليالي مهموما فرأيت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا
فيه فقال اسكت والله لاعطلك علما عظيما قال فلما انتبهت جئت الى الشيخ رضي الله عنه
فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون ان شاء الله تعالى قال وجاء يوما من السفر فخرجنا
للقائه فلما سلمت عليه قال لي يا احمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وحال بك
بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق واني
من ادبهم اقوالهم وبهالك بين خلقه قال وكنت أنا لامره من المنكرين وعليه من المعترضين
لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين بعض اصحابه وذلك قبل
صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون امورا عظاما
وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ يوم
تخاصمنا فقلت لا قال دخلت عليه فأول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما
اصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بامرنا ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت
منه شيئا ينكره ظاهر الشرع من الذي كان ينقله عنه من يقصد الاذى قال وكان سبب
اجتماعي معه ان قلت في نفسي بعد ان جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعني أذهب
فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له امارات لا يخفى شأنه قال فأتيت الى مجلسه فوجدته
يتكلم في الاقسام التي امر الشارع بها فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث
احسان وان شئت قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت

الاول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق ونحو هذا فمازال يقول وان شئت قلت الى ان بهر عقلى وعلمت ان الرجل انما يغرف من فيض بحر الهى ومدد ربانى فأذهب الله ما كان عندى ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد شيأ منى يقبل الاجتماع بالاهل على عادتى ووجدت معنى غريبا لا ادرى ما هو فانفردت فى مكان انظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملنى ذلك الى العود اليه مرة اخرى فاتيت فاستؤذن لى فلما دخلت عليه قام وتلقانى ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسى ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت له يا سيدى انا والله احبك فقال احبك الله كما احببتنى ثم شكوت اليه ما اجده من هموم واحزان فقال احوال العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده وكانما كانت تلك الهموم والاحزان ثوب انزعته قال ثم سألنى بعد ذلك بمدة كيف حالك فقلت افتش على الهم فلا اجده فقال

ليلى بوجهك مشرق * وظلامه فى الناس سارى
والناس فى سدف الظلا * م ونحن فى ضوء النهار

الزم فوالله ان لزمته لتكونن مفتيا فى المذهبين يريد مذهب اهل الشريعة اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وانما اوردت ذلك ههنا على طوله ليعرف به قدر المؤلف ولندفع بواضح برهانه طعن الطاعن وتعسف المتعسف ولنتعرض بذلك لنزول الرحمة من الله تعالى علينا وموالاة فضله وعطاياه لدينا فقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة مع ما فى ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورده المؤلف من الكلام الحائز به قصب السبق بين من عاصره من الائمة الاعلام واما شيخه ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن فحالهما اوضح من نار على علم ولقد طرزت بكلامهما الكتب والدفاتر وزهت بمآثرهما وعلومهما الالسنة والاقلام والصحف والمحابر ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة لذكرنا من ذلك ما يبهر عقول السامعين والمطالعين ويرغم آناف الحاسدين والمعاندين

سيكفيك من ذلك المسمى اشارة * ودعه مصونا بالجلال محجبا

* (من اذن له فى التعبير فهمت فى مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته) المأذون له فى التعبير هو الذى يتكلم لله وبالله وفى الله ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد رضى الله عنه الصواب كل نطق عن اذن اشار بهذا والله اعلم الى قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قرع اسماع السامعين كلامه فهمت فى مسامعهم عبارته فلم يفتقروا الى معاودة ولا تكرار وجليت اليهم اشارته فلم يحتاجوا معها الى اطناب ولا

(من اذن له) من العارفين بالله تعالى (فى التعبير) عن الحقائق وهى علوم الوهب والفتح المأخوذة عن الله تعالى بلا واسطة وعلامة الاذن له فى ذلك تيسير التعبير عليه وسهولته وعدم احتياجه فى القاء المعارف الى كلفة بل يجد لسانه منطلقا بها او يجد عليه باعثا الى التعبير عنها مع السلامة من آفات النطق وعلامة ذلك بالنسبة للسامعين ما ذكره بقوله (فهمت فى مسامع الخلق عبارته) فلم يفتقروا الى معاودة وتكرار وجعل الاسماع محلا للفهم مبالغة والا فمحله حقيقة هو القلب (وجليت) بضم الجيم وتشديد اللام اى ظهرت (اليهم اشارته) وهى ألطف من العبارة التى يستعملها اهل الطريق فى الاخبار عن العلوم الباطنية والحقائق العرفانية اى فلا يحتاجون الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له فى ذلك ثم قال

(ربما برزت الحقائق) وهي العلوم العرفانية (مكسوفة الانوار) بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فمجتها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم (اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار) قال أبو العباس المرسي قدس الله سره كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام غير المأذون له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد على الآخر (عباراتهم) التي يعبرون بها عن العلوم والمعارف التي يجدونها في باطنهم (اما لفيضان وجد) أي لفيضان ما يجدونه في قلوبهم من ذلك فقلوبهم ضيقة يفيض عنها ما يحل فيها قهرا عنهم كالاناء الضيق اذا وضع فيه ماء كثير فانه ٢٣ يفيض منه قهرا (أو لقصد هداية مريد) وان كانت قلوبهم متسعة عكس ما يرد ما يستقر فيها فلا يفيض منها شيء (فالاول حال السالكين) أي من أهل البداية فهم معذورون في التعبير لوجود الغلبة عليهم (والثاني حال ارباب المكنة والمحققين) من أهل النهاية فيلزمهم ذلك لما فيه من الارشاد والهداية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وأيضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم (العبارات) التي يعبر بها أهل هذه الطريقة عن العلوم والمعارف (قوت لعائلة المستمعين) الاضافة للبيان أي هي من حيث معناها قوت لارواح العائلة وهم المستمعون القاصدون الى ما يلقى اليهم من المواعظ والحكم كما ان الاطعمة الحسية قوت لابدان المحتاجين اليها (وليس لك الا ما أنت له آكل) أي كما ان الاقوات الحسية مختلفة فلا يصلح للواحد منها ما يصلح للآخر لاختلاف طباعهم وأمزجتهم كذلك الاقوات المعنوية التي تفهم من العبارات مختلفة فلا يصلح للواحد منها ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فقد تلقى العبارة على جماعة فيفهم كل واحد منها ما لا يفهمه الآخر وقد يفهم بعضهم من الكلام الذي يسمعه معنى لا يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا ويفهم منه ضد ما قصده المتكلم به فقد سمع بعضهم قائلا يقول اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب باقداح صغار * فان الوقت ضاق عن الصغار فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات

الكبار بخلاف غير المأذون له في ذلك قيل لحمدون بن أحمد بن عمارة القصار رضي الله عنه ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق * (ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار) من لم يستكمل الاوصاف المذكورة لم يؤذن له في اظهار شيء من الحقائق الربانية فان أظهرها برزت مكسوفة الانوار بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فمجتها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة أن يفتح له باب التعبير مع وجود السلامة من آفات المنطق قال في لطائف المنن ان من أجل مواهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة حتى اذا أعطي العبارة كان كالاذن من الله له في الكلام قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد على الآخر (عباراتهم اما لفيضان وجد او لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثاني حال أرباب المكنة والمحققين) انما يقع التعبير منهم عما يطالعون به من الامور الغيبية والعلوم الالهية لاحد معنيين اما لحال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من أهل البداية واما لقصد هداية مريد فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الارشاد والهداية وهذا حال اهل التمكين والمحققين من اهل النهاية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم فكيف يسعد منهم نطق او تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من آداب الحضرة قال الله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا * (العبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك الا ما أنت له آكل) المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم كما ان المستطعمين والسؤال

موسومون بالفقر والحاجة الى قوت ابدانهم وكان اقوات هؤلاء مختلفة فلا يصلح لواحد من هؤلاء ما يصلح للآخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف طباعهم وامزجتهم فكذلك اقوات الآخرين مختلفة فلا يصلح لواحد منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم أو عارف أو أحد من أهل هذا الطريق ولم تحظ منها بشيء فاعلم انها لا تصلح اقواتك وغذائك وهي صالحة لقوم آخرين ومما ينتظم في هذا السلك أن تقرع أسماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا وقد يقع ذلك لجملة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الآخر ويحصل لهم بذلك التأثر مع أن المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما كان ذلك مضادا له وقد يسمع ارباب القلوب من الجمادات ويستفيدون به لبعض الحالات قال في لطائف المنن وربما فهم من اللفظ ضد ما قصد واضعه كما أخبرنا الشيخ الامام مفتي الانام تقي الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله قال كان ببغداد فقيه يقال له ابن الجوزي يقرأ اثني عشر علما فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشدا يقول

إذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار * فإن الوقت ضاق عن الصغار

فخرج هائما على وجهه الى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات قال وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر قول القائل

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني * لما انتظرت لشرب الراح افطارا
الراح شيء شريف أنت شاربه * فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية * خذ الجنان ودعني أسكن النارا

فقال انسان هنالك لا تجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين الاسمر للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين الاسمر هذا هو الذي شهد له الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بانه من السبعة الابدال قال ويكفيك في هذا أن ثلاثة سمعوا مناديا ينادي يا سعتر بري ففهم كل واحد منهم مخاطبة خوطب عن الله بها فسمع الواحد اسع ترى بري وسمع الآخر الساعة ترى بري وسمع الآخر ما أوسع بري فالمسموع واحد واختلفت افهام السامعين كما قال سبحانه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال سبحانه قد علم كل اناس مشربهم فاما الذي سمع اسع ترى بري فمريد دل على الله تعالى بالنهوض الى الله بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصلة وأما الثاني فكان واصلا الى الله تعالى طاولته الاوقات فخاف أن تفوته المواصلة فقيل له ترويحا على قلبه لما أحرقته نار الشغف الساعة ترى بري وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهد فسمع ما أوسع بري قال وقال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وحضروا

(وربما عبر عن المقام) اى عن أى مقام من مقامات اليقين كمقام الزهد ومقام الورع ومقام التوكل الى غير ذلك (من استشرف عليه) أى اطلع عليه وقارب الوصول اليه ولم يظفر به ولم يتحقق فيه (وربما عبر عنه من وصل اليه) وتحقق فيه (وذلك) أى ماذكر من الحالين (ملتبس) أى يلتبس الفرق بين حال هذا وحال هذا (الاعلى صاحب بصيرة) فانه لايخفى عليه لانه يرى فى الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وعلامة الاول أن يجد الفرح والاستبشار عند التعبير واستعظام الامر واستحسانه لكونه فى مباديه وقريب عهد بغيره بخلاف الثانى فانه يتكلم فيه كعادته فى كلامه

بغيره وربما عبر عن المقام من نقله من كتاب وحفظ أقواله من ممارسته لكلام القوم وحفظه اخبارا تهم وقد يوهم مع ذلك أنه واصل متمكن وعلامته التى تبين حاله أن يجشمه على مقتضى قواعد فنون العلم فان صار يتكلف الاجوبة ويشم منه رائحة التعصب والانتصار للنفس والانفة من العجز فهو مدع كاذب (لاينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته) أى ما يمنحه الله له من العلوم الوهبية والاسرار التوحيدية فلا ينبغى له أن يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع عليها أحد الا شيخا مرشدا له (فان ذلك يقل عملها فى قلبه) أى فلا يحصل له كمال الانتفاع بها وهو تمكنها فى القلب وثبوتها (ويمنعه وجود الصدق مع ربه) اذ لا يخلو التعبير عنها عن شهوة نفسانية لان النفس تجد عند التعبير عنها لذة وانشراحا وذلك يقوى صفاتها وقوة صفاتها مانعة له من وجود الصدق مع ربها (لاتمدن يدك) أيها المريد المتجرد (الى الاخذ) من الخلائق مما يعطونه لك من الارزاق على وجه الرفق الا بشرطين أشار الى الاول بقوله (الا أن ترى) أى الا بعد ملاحظتك (أن المعطى فيهم مولاك) فلا ترى العطاء الذى يصل اليك الا منه وان الخلق أسباب ووسايط ولا يكفى فى تلك الرؤية أن تكون علما وايمانا فقط بل لابد أن تكون حالا وذوقا فان ذلك هو اللائق بحال المتجرد والى الثانى بقوله (فاذا كنت كذلك أى ملاحظا مولاك

الاوعية وهذا الوعاء زجاج قد اتخذ للبول ولم يستعمل فقرب فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول منذ أكرمنى الله بأكل هؤلاء السادة منى لا أرضى لنفسى أن أكون بعد ذلك اليوم محلا للاذى ثم انكسر نصفين فقال الشيخ محيى الدين فقلت للجميع سمعتم ما قال الوعاء فقالوا نعم قال فقلت ما سمعتم فأعادوا القول الذى قد تقدم قال فقلت قال قولا غير ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد أكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله وإياكم من أولى النهى عنه والتلقى منه قلت وهذه المنازع كلها مما يستطاب ويستظرف وتتأثر بها القلوب السليمة وتتقاداها النفوس الكريمة وقد جرت عادة أئمة هذه الطريق باستعمالها وايرادها فى محالها فلا حرج علينا اذن فى ذكر بعض ذلك اذا كانت له مناسبة تامة ووجدت فيها فائدة خاصة أو عامة وبالله التوفيق لا رب غيره ﴿(وربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة) كما أن الواصل الى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والمواصلة والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهر وأما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى فى الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وقد قيل تكلموا تعرفوا ﴿(لاينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها فى قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه) الواردات الالهية لاينبغى للسالك أن يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع عليها أحدا الا شيخا مرشدا لان نفسه تجد فى ذلك لذة وانشراحا فتقوى به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات فى قلبه من التأثير المحمود ولاجل غلبة أحكام نفسه وايثار حظه يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى فى قوله استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك ﴿(لاتمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك فاذا كنت كذلك

٤ عبا فى

نفسـذما وافقك العلم) هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون ليبنوا عليها أحوالهم فيما يصل اليهم من الرفق على أيدى الخلق وقد ذكرها المؤلف رحمه الله بعبارات بديعة محمودة وجيزة جمع فيها جملة المعانى التى يحتاج اليها من ذكرناه فلنبسط كلامه فى ذلك على حسب عادتنا معه على الوجه الذى ذكرناه فى مقدمة هذا التنبيه وهذا قصدنا فى جميع ما تكلمنا عليه من مسائل كتابه فنقول على حسب ذلك أرزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى قسمين أحدهما رزق يصلون اليه بأسباب وأعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا حال أهل الاسباب والثانى رزق يصل اليهم على ايدى الخلق من غير عمل ولا سعى وهذا حال أرباب التجريد وكل واحد من القسمين له آداب وأحكام تخصه فأحكام القسم الاول وآدابه لم يتعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى وهى مذكورة فى فن الفقه وغيره فواجب على كل من دخل فى شئ من الاسباب تحصيل علمه وطلبه من حيث هو وأحكام القسم الثانى وآدابه هى التى تعرض لها المؤلف وأجمل رحمه الله تعالى جميع ذلك فى مراعاة شرطين وجعلهما من شروط صحة الاخذ الشرط الاول ان لا يرى العطاء الا من مولاه عز وجل وهذا هو الاصل وانما اشترطه على الآخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وخلاص التجريد وبه يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط من قلبه هم الرزق وتزول به عنه علاقات الخلق وان لم يكن على هذا الوصف كان عبد الناس مولها قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما فى أيديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك فى كبائر الذنوب من معاصى القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله عز وجل (قال) يحيى بن معاذ رضى الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين ولا يكتفى فى تلك الرؤية المذكورة أن تكون علما وايمانا فقط بل لا بد أن تكون حالا وذوقا * دعا بعض الناس شقيقا البلخى رضى الله عنه وكان فى طبقته من أصحابه نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وأنفق نفقة كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم يرنى صنعت هذا الطعام وأنى أقدمه اليه فطعامى عليه حرام قال فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمك الله ما أردت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابى أى كلهم لا يرونه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل وحده وانما اشترطنا فى رؤية العطاء من الله تعالى ان يكون حالا وذوقا لان ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرناه لان التجريد حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتعمد لان ذلك من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق تعالى فيه من أراده به من أهل التقوى والمراقبة بعد كمال شغله بالله تعالى وجده فى الهرب عن كل ما يقطعه عن الله تعالى فحينئذ يسلبه الحق من تدبيره واختياره ويكاشفه بوحدانيته فى ايراده واصداره ويكون تركه للاسباب بحكم الوقت

واشارة

تخذ ما وافقك العلم) على أخذه وحاصله أن لا تأخذ الا ما وافقك العلم على اخذه واباح لك اخذه والمراد علم الظاهر بأن لا تأخذ الا من يد مكلف رشيد تقى وعلم الباطن بأن لا تأخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونة اى لا تأخذ الا ما انت مفتقر اليه فى الحال لتنفقه فى ضروريات وحاجاتك من غير اسراف ولا اقتار كما كان عليه الصلاة والسلام فى اكله وشربه ولباسه ومسكنه وغير ذلك فلا تأخذ ما يأتيك قبل وقتك ولا زائدا على حاجتك الا ان يكون فى خلقك سخاء ولا تأخذ ما تعطاه على جهة الاختبار من الله بأن أعطيت شيأ كنت قصدت تركه لله من شهوة كنت مبتلى بها فصلكتك ومنعتك القيام بحقوق ربك ولا تأخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا ممن يثقل على قلبك قبول عطيته فقد قيل لا تأكل الا ممن يرى لك الفضل عليه فى اكله

واشارة الحال كما روى أن أبا حفص النيسابورى رضى الله عنه كان حدادا وكان غلامه يوما ينفخ عليه الكير فأدخل الشيخ يوما يده فى النار وأخرج الحديدة من النار فغشى على غلامه وترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره وكان يقول رضى الله عنه تركت العمل فرجعت اليه وتركنى العمل فلم أرجع اليه (وقال) ابراهيم الخواص رضى الله عنه لا ينبغى للصوفى أن يتعرض للقعود عن الكسب الا أن يكون رجلا مشغولا بالله قد أغنته الحال عن المكاسب وأما من كانت الحاجات به قائمة ولم يتم له عزوف يحول بينه وبين التكلف فالعمل أولى به والكسب بسعى أحل له وأبلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه مادامت الاسباب قائمة بالنفس فالاكتساب أولى وقال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فأريد منى تركها فجال فى صدرى من أين المعاش فهتف بى هاتف لا أراك تنقطع الى وتتهمنى فى رزقى على أن أخدمك وليا من أوليائى أو منافقا من أعدائى وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحة قبول العطاء عدم الاستشراف الى الناس ولا يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرناه من أهل التجريد الا بهذه الرؤية المذكورة روى زيد عن خالد الجهنى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من وجه اليه شئ من هذا الرزق من غير مسئلة ولا استشراف فليأخذه وليوسع فى رزقه فان كان عنه غنى فليدفعه الى من هو أحوج منه (وقال) عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول له أعطه يارسول الله من هو أفقر اليه منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيأ ولا يرد شيأ أعطيه فالاستشراف الى الناس مذموم قادح فى التوحيد فلا ينبغى ان يأخذ المريد عطاء على هذا الوجه روى ان احمد بن حنبل رضى الله عنه خرج ذات يوم الى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن فى الموضع من يحمله فوافى ايوب الحمال فحمله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق ان أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه ايوب وكان يصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ايوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما فقال احمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما والحقه بهما فلحقه فأخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له احمد اتعجبت من رده واخذه قال نعم قال هذا رجل صالح لما راى الخبز استشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه مع الاستشراف رده ثم يئس فرددناه اليه بعد الاياس فقبله واما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق فلا يضره ذلك لانه خلق ضعيف ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه فاستشرافه الى الرزق

في الحقيقة استشراف الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية ولكن ان كثر منها الاستشراف الى الرزق وشغلت صاحبها عن دوام المحاضرة والمناجاة من الحق فليصرفها عن ذلك صرفا جميلا ولينهج لها من التعلق والتوثق بالله سبيلا (قال) الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كنت في بدايتي واقفا بين العشاءين أصلي وأنا فارغ بلا سبب حتى جاءتني النفس فقالت لي السلام عليك قلت لها وعليك السلام قالت العشاء فأدهشتني بداهية فتوقفت ثم ألهمني الله تعالى أن قلت لها أتدرين له موضعا قالت لا قلت لها ايش هو ومتى هو قالت لا قلت لها أنا رب أو عبد قالت عبد قلت لها فالعبد يقدر على شيء ماهذا الكفر والشرك اللذين أتيتني بهما اهربي الى خالقك فاطلبي منه العشاء لانه خالقك والقادر على كل شيء فيعطيك ويجيب لك ما طلبت فتطعمني وتأكلي فمالك واياي وماهذه الحيرة قال فذهبت الى خالقها فجاء عشاء متمكن كثيرا كان قال وكذلك يحتج عليها ومن هنا تثبت الاقدام * وذكر أيضا مسئلة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال الفقير بالنسبة الى الرزق وما تحتاج اليه بنيته من الرزق وجعلها من قواعد الفقر والارادة فرأينا ذكرها في هذا الموضع من الواجب المتعين ليتحقق في العمل بها كل من يقف عليها من مريد مبتدى * قال رضي الله عنه اعلم أن الفقير لا يخلو اما أن يكون جالسا أو ماشيا أما قاعدة الجالس فان جلسته موضع أليته وهو مكانه و زمانه طرف سجادته لا يتعداها ولا يكون التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم لانه لا يدري الاوقات ماهي ولا يحدها ولا يدري متى هي ولا وقتها و يعلم أن جميع الاشياء تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من أجله وهو خليفة فيها وقد فرغ من جميعها فالالتفات والامل له اذا بل يكون هدفا للاقدار تجري عليه ولا كسب له ولا سبب في التحصيل ثم قال وأما الماشي من الفقير الذي يكون في سفر أو غيره فلا تعدو زهمته خطوته مثاله أن يكون ماشيا فخطر له التفكر والالتفات اليه من بلد أو شخص أو طعام أو شرب فيهلك و يظفر به العدو وتزل قدمه فان تمادى في التعلق بشيء من هذه القواطع والشواغل ومشى الى الشيء منها وفقده ومات مات قاتل نفسه وذلك أنه يكون في يوم صائف وهج وقد أصابه العطش الشديد فيعرض له خيال ماء فيجيء العدو فيزين عليه أن أسرع تلحق ذلك الماء فتشرب منه فيزول عطشك فان مشى راكنا لهذا الخاطر حتى الموضع فيجده سرابا فهنالك يظفر به و يقول له الآن تموت فيقتله من ساعته فيموت قاتل نفسه اذ كان جاهلا بربه وآياته ولم يعرف دواءه من دائه ولا تعلم العلم ولا سأل العلماء ليقاتله مع نفسه قال فحكمه اذا جاءه هذا الخاطر بالترويج من العدو فيسفره من السرعة الى الماء والركون الى الاغيار من منازل أو اشخاص أو غير ذلك أن يعرض على العدو و يقول ان الله تعالى يمكن ان يتوفاني قبل لحوقه فيالضر و يقطعه في ذلك و يسلبه و يقول له ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا وقال من تأنى اصاب أو كاد ومن تعجل اخطأ أو كاد والعجلة من الشيطان

ومن هذا كثير فلا يشك شاك أنه كما يحتج للنفس والشيطان بهذه القواعد من العلم أنهم
ينقطعون ولا حجة عندهم بعد الاستعانة بالله تعالى والتعلق به ثم يقول له أيضا أتنكر أن الله
تعالى قادر على أن يطعمني ويسقيني ان شاء الله تعالى ينبع لي عينا الساعة قبل وصولي
لذلك الماء فيقول الشيطان بالضرورة نعم فاذا كان هذا كذلك فالله سبحانه أعلم بمصالحي
ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل هذا العلم رجع بشئ مما أباحه مع خلوته ناظرا الى ما يرد
عليه من ربه فان وصل اليه ما خطر له أولا أو رآه من بعد ولم يجد ما تعلق به خاطره أولا من
صاحب أو طعام بقي على أصله لا تغير عنده ولا تردد فظفر بالمدد وقتله كما قتل أيضا الشيطان
بغيره الشئ أو ضعه انتهى ما أردنا ذكره من كلام هذا الامام وهو عندي من أنفس الكلام
المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة والانفاس الرفيعة ولما فيه من تجريد
التوحيد والآداب المرضية مع العبيد فهو جدير بأن يكتب ويرسم ويكمل به الغرض
الذي تقدم والله تعالى أعلم وحكم الشرط الثاني أن لا يأخذ الا ما يوافق العلم وهذا شرط
لازم للمتجرد أيضا (قال الشيخ أبو طالب المكي) رضي الله تعالى عنه وينبغي لمن لا معلوم
عنده من الاسباب أن يتورع في أخذها ويتخير المعطي لها كما يتخير أهل المكاسب في
الاكتساب لان لله تعالى في كل شئ حكما والقعود عن المكاسب لا يسقط أحكامها والقاعد
عن الطلب لا يسقط أحكام المطالب ولان ترك العمل على يحتاج الى علم ولم تكن سيرة الفقراء
الصادقين أن يأخذوا من كل احد ولا في كل وقت ولا يأخذوا كل ما يعطون مما يزيد على
كفايتهم الا ان يكونوا ممن يخرجونه الى غيرهم انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المؤلف رحمه
الله على قسمين موافقة العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة العلم الظاهر فبأن لا
يأخذ الا من يد بالغ عاقل تقي وقد جاء في الحديث لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك
الا تقي فلا تأخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب
ولا تأخذ من يد صبي ولا عبد غير مأذون له ولا معتوه واما موافقة العلم الباطن فبأن لا يأخذ
الا ما كان على وجه الرفق والمعونة فلا يأخذ الا ما هو مفتقر اليه في الحال ولا غنى له
عنه من قوت وكسوة وحاجاته من غير اسراف ولا اقتار ولا بأس ان يأخذ ما زاد على ذلك
بأن كان في خلقه سخاء وبذل وايثار وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الى حظ عاجل
من جاه أو رياسة أو قبول عند الناس ولا يأخذ ما يعطاه على جهة الابتلاء والاختبار
اما الابتلاء فأن يأتيه قبل وقته او زائدا على حاجته فان اخذه فليخرجه في السر ليأمن
بذلك من آفة الاظهار واما الاختبار فان لا يأخذ شيئا قد نوى تركه لله تعالى من شهوة
كان مبتلى بها قد ملكته واسرته ومنعته القيام بحقوق ربه فلو فتح بها الله تعالى
وليدفع ذلك عن نفسه ان خاف انحلال عزمه وفساد نيته فان لم يخف على ذلك فليأخذه
وليخرجه الى غيره وهذا اشد شئ على النفس وهو من اعظم درجات الزهد ولا يأخذ من
منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا يأخذ ممن يثقل على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تأكل

الاطعام من يرى لك الفضل عليه في أكله ولا تأكل الاطعام من يرى أنه وديعة عنده
ولا تأكل الاطعام زاهد لانه يسر بأكلك ولا تأكل الا طعام امرئ صاحبه أفضل من
الطعام وقد روي أنه أهدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل
السمن والاقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت
أن لا أقبل الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي قال أبو طالب المكي رضي الله عنه
وفعل هذا جماعة من التابعين جاءت الى فتح الموصلي رضي الله عنه صرة فيها خمسون
دينارا فقال حدثني عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة
فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة وأخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن
يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه أن رجلا أهدى اليه
كيسا فيه ألوف ورزمة فيها من دقيق خراسان فرد ذلك فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال
من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيأ مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وماله
عند الله من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي رضي
الله عنه يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذ وكان بعض
العباد اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا الشئ قال ضعه عندك واعرض على قلبك حالي كيف
انا عندك بعد الاخذ افضل أو دون ذلك واصدقني فان قال انت عندي الآن افضل منك
قبل ذلك او قال له انت عندي بعد الاخذ مثل ما كنت قبل ذلك قبل منه وان اخبره
بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على اكثر الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال
ما ارد عليهم الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم
وتحبط اجورهم ويروى عن الاعمش انه قال جاء شاب من العرب الى ابراهيم التيمي بالفي
درهم فقال يا ابا عمران خذ هذه الدراهم والله ماهي من ذي سلطان ولا من كذا ولا من كذا
فقال له ابراهيم بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى قلت له يا ابا عمران ما منعك ان تاخذها
والله ما لامرأتك قميص فقال صدقت يا سليمان ولكن هذا شاب من العرب لم يحنكه
السن ولم تحنكه الآداب فكرهت ان يجلس في حيه فيقول اعطيت ابراهيم الفي درهم
فيحبط الله اجره وتذهب دراهمه وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري رضي الله عنه كان
يشترط على بعض من كان يأخذ منه أن لا يذكره لاشفاقه عليه لا من اجله بل من ذهاب
اجره لانه قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان يذكره
والاذى ان يظهره وقال الجنيد لرجل خراساني الذي جاءه بالمال وسأله ان يأكله فقال
الجنيد بل أفرقه على الفقراء فقال الرجل انا اعلم بالفقراء منك ولم اختر هذا فقال له الجنيد
وانا أؤمل ان اعيش حتى آكل هذا فقال اني لم اقل لك أنفقه في الخل والبقل وانما قلت
أنفقه في الطيبات والوان الحلاوات وكلما نفد اسرع كان احب الي فقال الجنيد ومثلك
لا يحل ان يرد عليه فقبله فقال الرجل ما ببغداد احد اعظم منة علي منك فقال الجنيد

وما ببغداد أحد ينبغي أن يقبل منه شيء الا من كان مثلك وكان السري السقطي يوصل
الى أحمد بن حنبل رضي الله عنهما الشيء فيرده فقال له يا أحمد احذر آفة الرد فانها أشد من
آفة الاخذ فقال أحمد أعد علي ما قلت فأعاده فقال له أحمد ما رددت عليك الا وعندي قوت
شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي * وعلى الجملة فلا ينبغي أن يأخذ
المريد الا من يد زاهد عارف فبذلك يسلم من الآفات ويكفى من جميع المؤنات وقال أبو
بكر الدقاق رضي الله عنه منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء فما رأيت رفقا لاصحابنا الا من
بعضهم لبعض أو ممن يتهمهم ومن لم تصحبه التقوى والورع في هذا الامر أكل الحرام
الصرف وان أراد أن يسأل من مثل هؤلاء فليفعل قال أبو طالب المكي رضي الله عنه
كان بشر بن الحرث رضي الله عنه لا يقبل من الناس شيأ وكان بعضهم يقول أحب أن
أعلم من أين يأكل فقال له من يخبر أمره أنا أدرى من أين يأكل كان له صديق عاقل
يعني نظيره في العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا من النظراء ولا يقبل من الاتباع
وهذا الصديق العاقل الذي كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر أمره ولا يلتفت بعده هو
السري بن مغلس السقطي رضي الله عنه * قال بشر رضي الله تعالى عنه ما سألت أحدا
قط شيأ من الدنيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج
الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون قد أعنته على ما يحب وكان سري رضي الله عنه
يوجه الى احمد بن حنبل في حاجاته فيقبل منه وكان اذا ذكر عند احمد بن حنبل رضي الله
عنه يقول ذلك الشيخ المعروف بطيب الغذاء انه ليعجبني امره وان بلغت به الحاجات
كل مبلغ واشرف على التلف وتحققت الضرورة وسأل مولاه فلم يقدر له بشيء ووقته
يضيق عن الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسأل من دون هؤلاء ممن
جهل حاله فانه جاء في الاثر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار وقد سأل الناس عند الحاجة
الفاقة نبي الله تعالى موسى والخضر عليهما السلام لقوله تعالى استطعما اهلها وكان
ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رضي الله عنهما يسأل من باب او بابين بين العشاءين
ويكون ذلك معلوما عند الحاجة من يوم او يومين وكان له مقام في الزهد والتوكل
قال ابو طالب ولم يعب هذا عليه عموم ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخراز رضي الله
عنه انه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه
انه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة افطاره يطلب
من الابواب وكان الثوري يسأل في البوادي من الحجاز الى صنعاء اليمن قال كنت اذكر
لهم حديثا في الضيافة قال فيخرجون الي طعاما فاتناول حاجتي واترك ما بقي واجتنب
المريد الاكل بالدين وقبول ارفاق النسوان فان قيل كيف يرد ما يعطاه في الوجوه التي
ذكرتم عليه من الاخذ فيها وهو اغنى ما يغتني به كما تقدم وهل المراد بذلك الا الاعتماد على
الله تعالى فكيف يستقيم ذلك فالجواب ان القيام بحق الشريعة والطريقة لا يتم منه

والتوحيد لا ينافي ذلك وقد قيل الكامل من لا يطفي نور معرفته نور ورعه وكل باطن من العلم يخالف ظاهرا من الحكم فهو مردود ووجه صحة الرد للعطاء عند مشاهدة التوحيد ظاهر اذ لا فرق في ذلك بين يد المعطي ويد الآخذ فكما يشهد الآخذ يد الله تعالى في العطاء عند يد المعطي فيأخذ ما يعطاه عند موافقة العلم اتباعا لاذن الله تعالى وأمره يشهد يد الله تعالى في المنع عند يد نفسه بالرد عند مخالفة العلم فلا يأخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تعالى عن ذلك وعدم اذنه فيه كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي أهدى اليه مع السمن والاقط وكما فعله فتح الموصلي وحسن البصري رضي الله عنهما مع روايتهما الحديث الذي ذكر فيه أن رد الهدية رد على الله تعالى وقد تقدم ذكره بلفظه فبهذا يدفع ذلك الخيال والله تعالى الموفق لصالح الاعمال وانما أطلت الكلام في هذه المسئلة لان الحاجة ماسة اليها وليعلم من ذلك أن جميع تفاريعها ومسائلها داخل في كلام المؤلف رحمه الله تعالى على حكم الايجاز والاختصار وكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه ولشيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه في معنى ما ذكره كلام بديع مختصر منتزع من كتاب الله عز وجل نقله عنه في لطائف المنن قال رضي الله عنه الناس أسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقد جوّد المؤلف رحمه الله صناعته وأحسن سياقته في مقصد الارشاد والهداية والله أعلم ﴿(ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته الى مولاه لاكتفائه بمشيئته فكيف لا يستحي أن يرفعها الى خليقته)﴾ قد تقدم أن من الادب ترك الطلب والسؤال من الله تعالى اكتفاء بمشيئته ورضا بسابق قسمته وأن العارفين المحققين يستحيون من الله تعالى في ذلك فكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند سؤالهم للمخلوقين وهل أدبهم في ذلك واستحياؤهم من ربهم الا واجب عليهم فلا يسألون منهم شيأ ولا يرفعون اليهم حاجة لانهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغني الحميد وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعدين همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه ما من نفس ولا قلب الا والله مطلع عليه في ساعات الليل والنهار فايما نفس أو قلب رأى فيه حاجة الى سواه سلط عليه ابليس وقال الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلت أو كثرت الا من الله سبحانه وتعالى مثل موسى عليه الصلاة والسلام اشتاق الى الرؤية فقال رب أرني أنظر اليك واحتاج مرة الى رغيف فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير وذكر الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه أن بعض الفقراء كان يأتي كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد ما يطوف ما شاء الله تعالى ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات فجاء بعض من يرمقه ونظر في الرقعة فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا قال فكان الرجل أصابته الفاقة فصبر ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات وقال أبو بكر الجوهري رحمه الله تعالى كنت بمسقلان

(ربما استحيا العارف) الحق (أن يرفع حاجته الى مولاه) فلا يطلب منه شيا (لاكتفائه بمشيئته) أي بما تعلقت به مشيئته من اعطاء أو منع أو ضر أو نفع قال الشاذلي قدس الله سره لما سئل عن الكيمياء اخرج الخلق من قلبك واقطع يأسك من ربك ان يعطيك غير ما قسم لك (فكيف لا يستحي ان يرفعها الى خليقته) فلا يسألون منهم شيأ ولا يرفعون اليهم حاجة لانهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغني الحميد فرفع الهمة عن الخلق وعدم التعرض لهم بما يحتاجه سالكو هذه الطريق فان من خلعت عليه خلعة الملك فتحفظها وصانها حري أن تدام له ولا تسلب عنه والدنس لخلع المواهب حري أن لا تترك له فلا تدنس ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعل اعتمادك الا على رب العالمين واتبع ملة ابراهيم في رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض له جبريل وقال له ألك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى فقال له سل الله فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وخرج بالعارف باقي الفقراء وهم أقسام ثلاثة منهم من يصبر فاذا احتاج سأل الناس وقبل منهم مع كونه لا يرى ان المعطي فيهم الا مولاه ومنهم من لا يسأل واذا اعطي قبل على الوجه المذكور ومنهم من لا يسأل واذا اعطي لا يقبل قال بعضهم وهذا من الروحانيين اذا سأل الله تعالى أعطاه وان أقسم عليه أبر قسمه

على برج احرس فرأيت رجلا عليه جبة صوف متخرقة فقمت اليه مسلما وعانقته وأجلسته
وجاريته معه في فنون من العلم وكان قدماه حافيتين فقلت له ألا تسأل أصحابنا في نعل تقيك
من الحفاء فقال يا أخي لرد أمس بالجبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر
بالغربال أهون علي من موقف السؤال وارتجائي من المخلوقين النوال ثم أخرجني من
باب المدينة فانتهى بي الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب كل من كد يمينك وعرق جبينك
فان ضعف يقينك فاسأل المولى يعينك قال في التنوير واعلم رحمك الله أن رفع الهمة
للسالك طريق الآخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم أزين لهم من الحلي للعروس وهم
أحوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فخليق بها وما أ
حرى بأن تدام له ولا تسلب عنه والدنس خلع المواهب حري أن لا تترك له فلا تدنس
أيها الأخ ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا على رب العالمين وكن أيها
الأخ ابراهيميا فقد قال أبوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا أحب الآفلين وما سوى
الله آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال سبحانه ملة أبيكم ابراهيم أي اتبعوا ملته فواجب
على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم ومن ملته رفع همته عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق
تعرض له جبريل عليه السلام فقال له ألك حاجة فقال له أما اليك فلا وأما الى الله فبلى
قال فاسأله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها
الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال من الله بل رأى ربه أقرب اليه
من جبريل عليه السلام ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وأنعم عليه بنواله وافضاله
وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى
الله لقوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين والفتى ان أردت الدلالة عليه فهو في الناس
من الناس ولقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أيست من نفع نفسي لنفسي
فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وهذا
هو الكيمياء والاكسير الذي من حصل له حصل له غنى لا فاقة بعده وعز لا ذل معه وانفاق
لا نفاد له وهو كيمياء اهل الفهم عن الله قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه صحبني انسان
وكان ثقيلا علي فبسطته وما انبسط فقلت له يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني فقال يا سيدي
قيل لي انك تحسن الكيمياء فصحبتك لأتعلم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من حدثك
ولكني أخالك لا تقبل فقال بل أقبل فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء
وأحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت انهم لا يستطيعون أن يشوكوني بشوكة لم يردني الله بها
فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالاحباء فوجدتهم لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يردني
الله به فقطعت نظري عنهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر
حتى تقطع يأسك منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك في الأزل وقال مرة
أخرى للسائل عن الكيمياء أخرج الخلق من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك

غير ما قسم لك قال وليس يدل على فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على
نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية
الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم
هو ما ذكرناه من الاعتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام
بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام صاحب
التنوير وهو من الكلام النفيس الخطير وأنت رحمك الله اذا تأملته بعين بصيرتك
ناصحا لربك في علانيتك وسريرتك علمت منه ان ما تضمنه عظيم الموقع وانه مستحسن هنا
ايراده في هذا الموضع اذ هو منوط بالايمان والتوحيد محتاج اليه كل سالك ومريد فمن
راعاه حق رعايته وصرف الى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق بمحاسن الايمان
وكان من ولاية الله تعالى بمكان ومن أهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه خيف
عليه الوقوع في الشرك الخفي والجلي واستحق بذلك ان يطرد عن باب مولاه العلي
فيقوى طمعه في الخلق ويضيق عليه متسعات أبواب الرزق كما قال بعض العارفين
المكاشفين رضي الله عنه قيل لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة الى غيري
فأضاعفها عليك مكافاة لسوء أدبك وخروجك عن حدك في عبوديتك انما ابتليتك
بالفاقة لتفزع الي منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقة لتصير
ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنى فان
وصلتها بي وصلتك بالغنى وان وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي وحسمت أسبابك
من أسبابي طردا لك عن بابي فمن وكلته الي ملك ومن وكلته اليه هلك انتهى
ومنهم من يأنف من قبول الرفق على ايدي الخلق وترتفع همته عن ذلك وان لم يكن
سؤال ولا طلب ويحكى عن حماد بن سلمة رحمه الله أنه قال كان في جواري امرأة ارملة
لها ايتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت صوتها تقول يا رفيق ارفق قال فخطر ببالي انها
أصابتها فاقة فصبرت حتى احتبس المطر فحملت معي عشرة دنانير ودققت عليها الباب
فقالت حماد بن سلمة فقلت نعم كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر ودفئ الصبيان
فقلت خذي هذه الدنانير وأصلحي بها بعض شأنك قال فصاحت بنية لها خماسية أتريد
يا حماد أن تكون بيننا وبين معبودنا واسطة ثم قالت لامها لما رفعت صوتك باظهار السر
علمت ان الله يؤدبنا باظهار الرفق على يدي مخلوق وذكر الشيخ عبد الرحمن السلمي عن ابن
عباس بن دهقان قال كنت عند بشر بن الحرث رضي الله عنه وهو يتكلم في الرضا والتسليم
فاذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا أبا نصر انقطعت عن أخذ البر من أيدي الخلق
لاقامة الجاه فان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من أيديهم لينمحي جاهك
عندهم واخرج ما يعطونك الى الفقراء وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب

(اذا التبس عليك) أيها المريد (أمران) واجبان او مندوبان فلم تدر أيهما أولى أن تشتغل به كطلب ما لا بد منه من العلم والسعي على العيال وكطلب علم زائد على ما لا بد منه واشتغال بنوافل وكصلاة النوافل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) أي أولى لانها مجبولة على الجهل فشأنها أبدا اتباع هواها وطلب الحظوظ والفرار من الحقوق فاذا وجد المريد من نفسه خفة وميلا عند بعض الاعمال دون بعض اتهمها وترك ما خف عليها ومالت اليه وعمل بما استثقلته فان عمل بالاخف كان ذلك معدودا عندهم من نفاق القلب هذا ان لم تصر نفسه مطمئنة فان صارت كذلك عمل بما خف عليها ومالت اليه لكن ينظر حينئذ الى ما هو أكبر فائدة وأعظم مزيدا في حاله فيقدمه على غيره وهناك ميزان آخر تميز به الاولى من غيره مما التبس عليك وهو ان تقدر نزول الموت بك فأي عمل سرك ان تكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل فان العبد في هذه الحالة لا يقصد منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء ومجازفة حظ النفس واتباع الهوى فاذا التبس عليك الاشتغال بالعلم أو بطريق القوم فانظر أيهما تحب ان تكون عليه حال خروج روحك فاشتغل به فان كنت تحب أن تخرج روحك وبيدك الكراس لاخلاصك في طلب العلم وقصدك به وجه الله فاشتغل به وان كنت تكره ذلك وتحب ان تكون في ذلك الوقت مشتغلا بذكر الله مثلا لا بطلب العلم فلا تطلب العلم بل اشتغل بغيره لان ذلك دليل على عدم اخلاصك فيه والكلام في القدر الزائد على ما لا بد منه من العلم

فاشتد ذلك على أصحاب بشر فقال بشر اسمع أيها الرجل الجواب الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطي لا يأخذ فذلك من الروحانيين اذا سأل الله تعالى أعطاه وان أقسم على الله أبر قسمه وفقير لا يسأل وان أعطي قبل فذلك من أوسط القوم عقده التوكل والسكون الى الله تعالى فهو ممن توضع له الموائد في حظيرة القدس وفقير اعتقد الصبر وموافقة الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله بالسؤال فكفارة سؤاله صدقة فقال الرجل رضيت رضي الله عنك * وقال رضي الله عنه

(اذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة على الجهل والشره فشأنها أبدا اتباع هواها وطلب الحظوظ والفرار من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخف عليها وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكون القلب الى النفس هو اتباعه لما خف عليها دون الاثقل وهو معدود عندهم من نفاق القلب ومن بقي عليه شيء من دواعي الهوى وان قل لا يؤمن عليه من مثل هذا لخفة العمل على النفس انما تكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليك أمران واجبان أو مندوبان ولم تعلم أيهما أوجب أو أفضل لتقدمه على الآخر فانظر أثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب الانفس لان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره فقد يخف عليها العمل ولا يدل ذلك على أنه باطل فليكن نظر العبد حينئذ الى ما هو أكثر فائدة وأعظم مزية فليقدمه على غيره وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه حكاية عجيبة في شره النفس وكونها لا تميل الا الى الباطل قال حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من بابنا جملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة من أصحابنا فلما مد يده أخذ لقمة وجعلها في فمه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا أنتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا لا نأكل ان لم تأكل فقال أنتم أعلم اما أنا فغير آكل ثم انصرف قال فكرهنا ان نأكل دونه فقلنا ادعوا الشواء فسألناه عن أصل هذا الجمل فلعل له سببا نكرهه فدعوناه فلم نزل به نسأله عنه حتى اقر أنه كان ميتة وأن نفسه شرهت الى بيعه مشويا على غفلة فشراه ادروافق انكم اشتريتموه قال فرميناه للكلاب قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسألته لاي معنى تركت أكله وبأي عارض فقال أخبرك انه شرهت نفسي الى طعام منذ عشرين سنة للرياضة التي ريضتها بها فلما قدمتم الي هذا شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت

ان في الطعام علة فكرهت أكله لاجل شدة شره النفس اليه قال الشيخ أبو طالب رضي
الله عنه فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس على قصة واحدة ثم اختلفا بالتوفيق
والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك ابتذاله مع شره النفس بالحرص وترك
المراقبة أعني البائع للجهل وعصم الآخرون للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس
عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه بصدق المشتري وحسن نيته انتهى
وثم ميزان آخر اصح وأكثر تحقيقا من الاول وهو أن يقدر نزول الموت به فأي عمل سره
أن يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل قال في لطائف المنن والموت ميزان على
الافعال والاحوال كما هو ميزان في دائرة الوقت أما الوقت فكما تقدم يعني انه علامة صحة
مرتبة الولاية وأما الافعال والاحوال فاذا التبس عليك أمر لا تدري هل يرضى الله
فعله أو تركه أو حالة أنت بها لا تدري هل قمت فيها بحق أو قمت فيها بهوى فأورد الموت على
ما أنت فيه من أفعال وأحوال فكل حالة وعمل تثبت مع تقدير ورود الموت عليها ولم تنهزم
فهي حق وكل حالة وعمل هزمها الموت فهي باطلة اذ الموت حق والحق يهزم الباطل
ويدمغه لقوله عز وجل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما كنت فيه قائما
بحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق (قال) وقد تجاذبت الكلام
أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي اخلاص النية فيه وأنه لا يشتغل به الا لله تعالى
فقلت له الذي يقرأ العلم لله هو الذي اذا قلت له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده انتهى قلت
وهذا هو فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل
الصالح الخالص من شوائب الرياء وممازجة حظ النفس واتباع الهوى فهذا هو المطلوب
من العبد ولا يستتم له ذلك الا أن يتحقق بما قدره من حلول الموت وحصول الفوت
وهذا هو معنى قصر الامل الذي هو أصل حسن العمل وهو أن لا يقدر لنفسه وقتا ثانيا
يكون فيه حيا وعند ذلك يخلص عمله من الآفات ويتطهر من أنواع الرعونات لان توقع
الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وكل عمل
استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع ذلك ان لم يكن محققا به لم يسلم مما ذكرناه فاذا
بعد من الاخلاص من يأخذ في علم غير متعين عليه الاخذ فيه ولا يجتني ثمرته الا في ثاني
حال ويكون في الحالة الراهنة متمكنا من ايقاع طاعة تزيد مصلحتها على مصلحة ما أخذ فيه
من العلم فيفوز بثوابها ويتنجز له حصول التقرب بها الا ان في ذلك فوت نفسه ووفارة حظه
وآية ذلك أنه قد يعرض له في حال أخذه فيه غرض دنيوي يكون احتظاء نفسه به أكثر
فيقدمه على ما كان آخذا فيه ويتشاغل به من غير مبالاة بما يفوته من ذلك وانما عبرنا
بالاخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص
فيه ليس بالله ولا لله مردود على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور أكثر

الخلق

الخلق في علومهم وأعمالهم الامن رحم الله تعالى ولهذا نشاهد أكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما أسلفوه من عمل ويودون ان لو أنسئ لهم في الاجل وهيهات هيهات فنعوذ بالله من الغفلة في زمان المهلة فانها مبدأ كل عمل فاسد ومنشؤ وجود الفترة والجهالة لكل عالم وعابد وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات الصالح لتقدم الفاضل فيها على المفضول لا يصلح الا لمن أيده الله بنور اليقين وجبله على النصيحة له في الدين وكان له حظ وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورود وصدر ولا شك أن هذه المرتبة عزيزة المنال متعذرة ادراكها الا على الآحاد من الرجال وسبيل من لم يصل اليها من ذكرناه اذا كان منصفا أن يستفتي بقلبه من هو اصح منه حالا وأصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع أموره اليه ويعتمد اشارته في كل ما يشير به عليه وعلامة انصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحدسه ومن لم يكن منصفا فالكلام معه هذيان فاسد وضرب في حديد بارد وسيأتي مزيد تنبيه على غرور الآخذين في الطرق موضع ألبق من هذا والله ولي التوفيق ﴿من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات﴾ هذه من الصور التي يتبين بها خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال أكثر الناس فترى الواحد منهم اذا اعتقد التوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما أشبه ذلك من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا ممتثل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا انهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يعظوا بمجاهدة أهوائهم التي استرقتهم وملكتهم ولو أخذوا في ذلك لكان لهم فيه أعظم شغل ولم يجدوا فسحة لشيء من الطاعات والنفل قال بعض العلماء من كانت الفضائل أهم اليه من أداء الفرائض فهو مخدوع وقال محمد بن أبي الورد رضي الله عنه هلاك الناس في حرفين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه وانما حرموا الوصول بتضييعهم الاصول (وقال) الخواص رضي الله عنه انقطع الخلق عن الله بخصلتين احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا أعمالا بالظاهر ولم يأخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله أن يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق ❁ قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه فأفضل شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده واحكامه للحال التي أقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه المنهي عنه بعلم يديره في جميع ذلك وورع يحجزه من الهوى في ذلك ولا يشتغل بطالب نفل حتى يفرغ من فرض لان النفل لا يصح الا بعد صحة السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حوز رأس المال فمتى تعذرت عليه السلامة كان من الفضل أبعد والى الاغترار أقرب انتهى (قال رضي الله عنه) ﴿قيد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود

(من علامات اتباع الهوى) أي المسارعة الى نوافل الخيرات) أي العبادات (والتكاسل عن القيام بالواجبات) فهذا من الصور التي يخف فيها الباطل ويثقل فيها الحق وانما كانت النوافل تخف على النفس دون الفرائض لان العادة انه لا مزية في القيام بالفرائض لاستواء الناس كلهم فيها بخلاف النوافل فانها تذكر بها ويحصل لها بها مزية وجاه ومنزلة في القلوب وهذا هو حال أكثر الناس فتجد الواحد منهم اذا اعتقد التوبة أي صمم عليها لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما أشبه هذا من النوافل ومع ذلك هو غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا ممتثل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا انهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يشتغلوا بمجاهدة أهوائهم التي أسرتهم وملكتهم (قيد) الله تعالى (الطاعات) الواجبة عليك كالصلوات الخمس (بأعيان الأوقات) أي بأوقات معينة ولم يطلق وقتها (كي لا يمنعك عنها وجود

التسويف) فانه تعالى لو أطلقها ولم يعين لها أوقاتا لحملك التسويف على تركها فانك تتكاسل وتقول حتى أفرغ من حاجتي أصلي لاتساع وقتها فربما تمضي يومك أو ليلتك ولم تفعلها بخلاف تقييدها بأوقات معينة فان ذلك يلجئك الى قضائها ويعجزك عن تفويتها (ووسع عليك الوقت) أى وسع اوقاتها عليك ولم يضيقها (كي تبقى لك حصة الاختيار) فيمكنك فعلها في أول وقتها او وسطه او آخره ولا تعد من المضيعين لها اذا أتيت بها في آخر وقتها مثلا ولتتمكن ايضا من الاتيان بها على الوجه الاكمل وهو مواطأة القلب الجوارح فان الوقت اذا كان متسعا يمكنك أن تتخلى عن الشواغل والقواطع المانعة من اجتماع الفكر والحضور مع الله تعالى حال العبادة واستعمال الآداب اللائقة بين يدى الله تعالى حينئذ (علم قلة نهوض العباد الى معاملته) أى الاقبال عليه بطاعته والقيام بحقوق ربوبيته طوعا منهم لما هم عليه من وجود الضعف ولما في نفوسهم من وجود الكسل (فأوجب عليهم وجود طاعته) اى ألزمهم بذلك قهرا عنهم وخوفهم بدخول النار ان لم يفعلوها (فساقهم اليه) اى الى الاقبال عليه بطاعته وفي نسخة اليها اى الى الطاعة (بسلاسل الايجاب) اى الايجاب الشبيه بالسلاسل التى توضع في عنق الاسير يجره بها قهرا عنه من أسره الى الموضع الذى يريده وكذلك الايجاب يسوقهم الله تعالى به الى الطاعة التى يحصل لهم بها ما يسرهم في المستقبل وان كانت شاقة عليهم في الحال فهو يفعل بهم ٣٨ كما يفعل الولى بالصبي الاتراه كيف يؤدبه ويضربه على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزمه أمورا شاقة عليه فعلها وهو كاره لذلك لاجل تحصيل منافعه في المستقبل الذى هو جاهل بها الآن فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا (عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل) كما يفعل بأسارى الكفار حين يراد منهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا معنى حديث قاله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر ولفظه عجب الله من اقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل والعجب والتعجب استعظام امر خفي سببه وهو مستحيل عليه تعالى ففيه المذهبان السلف يقولون ان لله عجبا ولا نعلم حقيقته وهو منزه عن معناه المشهور والخلف يؤولون ذلك فيقولون معنى التعجب المنسوب الى الله اظهار عجيب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة شانها أن يسارع اليها لنفاستها وهؤلاء يرغبون عنها ويمتنعون منها حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقادون الى الامر المكروه وقيل المراد بالتعجب لازمه وهو الاحسان الى المتعجب منه فانك اذا اقلت ما اعجب زيدا يلزمه انك تريد الاحسان اليه واكرامه فالمعنى احسن ربك الى هؤلاء القوم حيث دعاهم الى الجنة وساقهم اليها كرها وهذا في حق العامة اما الخاصة فلا يحتاجون الى الايجاب والتخويف والتحذير لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعات وبغض اليهم العصيان فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك لقيام سر يتهم من الاغيار التى تملك القلوب فهم ملازمون لطاعته طوعا بل لو اكرهوا على تركها لم يستطيعوا الصبر عنها وفائدة تكليفهم حينئذ اظهار محبتهم كما يأمر الملك وزراءه الملازمين لحضرته بخدمته زيادة في القرب والتشريف

التسويف ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار) انعم الله عليك فيما أمرك به من الطاعات المؤقتة بالاوقات بنعمتين عظيمتين احداهما تقييدها بتعيين الاوقات لتوقعها فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل هذا التوقيت بها ولم تعمل بها حتى تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسيع أوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تأتى بالطاعات في حال سكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق فلله الحمد على نعمه (علم قلة نهوض العباد الى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليها بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل) لما علم الله تعالى قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية لمشاهدة الربوبية في حال طواعية منهم اذ في ذلك قرة أعينهم وغاية نعيمهم أوجب عليهم وجود طاعته على حال كراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل تخويفه وتحذيره ايهم واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به وفعل بهم ما يفعل بالصبي الاتراه كيف

يؤدب ويضرب على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزم أمورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما هو حمله على منافعه التي هو جاهل بها فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما فعل بأسارى الكفار حين يراد بهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا عجب الله من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف رحمه الله بالسلاسل والسوق بها واستعماله ذلك في التكاليف الواجبة التي ألزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات كما قال الشاعر وهو أبو خراش الهذلي

وليس كعهد الدار يا أم مالك * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة به الى مقصوده في غاية الحسن * قال بعض العلماء يجوز أن يكون معنى التعجب المنسوب الى الله تعالى فيه اظهار عجيب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشأن وهو أن الجنة التي أخبر الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم والخلود فيها الذي من حكم من سمع به من ذوي العقول أن يسارع اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشقات لنيلها هؤلاء يمتنعون عنها ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم الذي تنفر منه الطباع وتألم منه الابدان وتكرهه النفوس وقد قرأ جماعة من القراء بل عجبت ويسخرون بضم التاء وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة في قصة الانصاري الذي قال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور فالتعجب منسوب الى الله تعالى وقد ورد في الكتاب والسنة فهو اذا من الصفات السمعية ﴿(أوجب عليك وجود خدمته وما أوجب عليك الا دخول جنته) هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بأن الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما أوجبها عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير قلت وما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هو حال عامة الناس الذين من شأنهم التأبي وعدم الانقياد للاوامر والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحذير والموالاة للحض والمبالغة في التكرير وأما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات واجتناب المحظورات فقط بل أضافوا الى ذلك المبادرة الى أعمال الطاعات والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة صارت أعمالهم كلها قربات وذلك لقيام حق ربهم وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قال) في التنوير وانما جعل الحق سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما علم فيه من وجود الشفقة وبما

(أوجب عليك وجود خدمته) في الظاهر (وما أوجب عليك) في الحقيقة ونفس الامر (الا دخول جنته) لانه تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وانما أوجب الاعمال عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم وهو دخول الجنة لا يحصل الا بشرف بذلك وهذا تصريح بما علم قبله لان حاصله انه تعالى انما أوجب على عباده طاعته لقلة نهوضهم اليها فساقهم اليها بسلاسل الايجاب وسوقهم اليها بذلك انما هو لاصل ربح اليهم وهو دخول الجنة فلعل الحديث وهو عجب ربك الخ فقوله الحق الى أن سوقهم الى طاعته وهو ايجابها عليهم سوق الى الجنة فلم يوجب عليهم الا دخولها وهو ما صرح به هنا

نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما أوجبه لانه لو خيرهم فيما أوجب
عليهم لم يكونوا به قائمين الا القليل وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفى التحقيق
ما أوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم
يساقون الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله انا لما عنا الواجبات فرأينا الحق
سبحانه جعل فى كل ما أوجبه تطوعا من جنسه فى أى الانواع كان ليكون ذلك التطوع
من ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل فى قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء فى
الحديث أنه ينظر فى مفروض صلاة العبد فان نقص منها شئ كمل من النوافل فافهم
رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل اتكن فيك ناهضة حب توجب
اكبابك على معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون فى موازينهم
الا فضل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا
يحرزه حارز فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمهيئ لهم أسباب المواصلة قال واعلم ان
الحق سبحانه علم ان فى عباده ضعفاء وأقوياء فأوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء
اقتصروا على القيام بما اوجب والترك لما حرم وليس فى قلوبهم من سلطان الحب ووجود
الشفق ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فلهم كمثل العبد يعلم السيد منه أنه ان لم
يحاربه لم يجد اليه شيأ فلذلك وقت سبحانه الاوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك
بالطالع والغارب والزوال وصيرورة ظل كل شئ مثله فى الصلاة وبالحول فى الاموال
النامية المعين والماشية وبوقت حصول المنفعة فى الزرع وآوا سقه يوم حصاده وبعشر
ذى الحجة فى الحج وبشهر رمضان فى الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس
فيها فسحة الحظوظ والسعى فى الاسباب وأهل الله هم أهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها
وقتا واحدا والعمر كله شيئا الى الله تعالى قاصدا فعلموا أن الوقت كله لله فلم يجعلوا شيئا
منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى
ومحبة المولى أبت المحبة ان تستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه وعلموا أن الانفاس أمانات
الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون برعايتها فوجهوا همهم لذلك وكما أن له
الربوبية الدائمة كذلك تحقيق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته غير مؤقتة بالاوقات فحقوق
ربوبيته عليك ينبغى أن تكون ايضا كذلك ٭ لذلك قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه
ان لكل وقت سهما يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى ۞ (من استغرب ان ينقذه
الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله على كل
شئ مقتدرا) من استرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغى له أن يستغرب أن
ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام ذلك فيه
فان فى ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله تعالى متصف بالاقتدار على كل شئ وهذا
من الاشياء واعلم العبد ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب

(من استغرب أن ينقذه الله
من شهوته) التى استرقته
(وان يخرجه من وجود غفلته)
التى استولت عليه اى من
استحكمت فيه الشهوة والغفلة
واستغرب أن يخرجه الله منهما
(فقد استعجز) أى فكأنه
استعجز (القدرة الالهية) أى
القدرة الالهية وفى بعض النسخ
قدرة الالهية أى نسبها الى العجز
(وكان الله على كل شئ مقتدرا)
أى مع أنه تعالى وصف نفسه
بالاقتدار على كل شئ واخراجه
من ذلك من جملة الاشياء فينبغى
له ان يقصد باب مولاه بالذلة
والافتقار فسبحانه يسهل عليه ما
يستصعبه ويظهر فيه ما يستغربه
معرفا المعنى بالحكايات التى
تروى عن الصالحين الذين تقدمت
لهم فى بدايتهم الزلات ووقعت منهم
في نهايتهم الهفوات فتداركهم
الله بلطفه واصلح أعمالهم وصفى
احوالهم كفضيل بن عياض
وعبد الله بن المبارك وأبى عقال بن
علوان وغيرهم رضى الله عنهم

مولاه

مولاه بالذلة والانكسار والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغربه
وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين
تقدمت لهم في بداياتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى
بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح أعمالهم وصفى أحوالهم وأبدل سيأتهم
حسنات ورفعهم من أسفل سافلين الى أعلى الدرجات كل ذلك في أقرب زمان واقصر مدة
وأوان والحكايات في هذا المعنى عن الشيوخ مثل سيدي الفضيل بن عياض وعبد الله بن
المبارك وأبي عقال بن علوان وغيرهم رضي الله تعالى عنهم معروفة مشهورة * ومن أغرب
ما رأيته في هذا المعنى ما رواه عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنهم ان
رجلا قتل نفسا فجاء الى سائح من سائحي بني اسرائيل فسأله عن ذلك قال فرفع له السائح
من الارض عرجونا أبيض قد يبس ثم قال له اذا اخضر هذا العرجون قبلت توبتك
وأراد السائح بذلك أن يؤيسه من التوبة لعظم ذنبه فأخذ الرجل العرجون وهو يطمع
في التوبة ويعزم فتاب وجعل يعبد الله تعالى زمانا ويدعو حتى اخضر ذلك العرجون
باذن الله تعالى وقدرته وأغرب من هذا وأعجب ما خرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل
قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد اهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال قتلت
تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن اعلم اهل
الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول
بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد
الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا اتى نصف الطريق اتاه
الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا
مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي
فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه
ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه لما اتاه
ملك الموت نأى بصدره * (وقال) عيسى بن دينار كان يقال ما وفق الله عبدا العمل الا
وهو يريد أن يقبله منه ولا وفق الله عبدا النزوع عن ذنب الا وهو يريد ان يغفره له * وقد ذكر
القاضي يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبب والتيسير لصالح
العمل أنه اخبره ثقة من اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب يجمعهم
مجالس مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما منعك من اجابتنا فقال دخلت
البارحة في الاربعين وانا استحي من سني ثم لزم الخير والعبادة (قال) وروي عن عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه انه قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر فيه ايضا عن
مغيث بن سمي قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو يسير ذات يوم ذكر

ماسلف من عمله فقال اللهم غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له وذكر فيه أيضا عن رجل من العلماء انه رأى فى منامه شيخا وجماعة من الشعراء قعدا حدقوا به يسألونه قال فقلت له أيها الشيخ أخبرني بأحكم بيت قالته العرب فأنشدني

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

قال فوالله لقد نفعني الله عز وجل بهذا البيت ماذكرته بعد ذلك عند شهوة أو خطيئة الا ارتدعت عنها وأرجو أن لا يفارقني الانتفاع به ما بقيت ان شاء الله تعالى وفى الكتاب المذكور حكايات مستحسنات فى هذا المعنى فطالع ذلك فيه والله المستعان الموفق لا رب غيره ﴿(ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك)﴾ الظلم اضداد الانوار فما من نور الا وفى مقابلته ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها والشئ يعرف بضده كما قيل

وبضدها تتبين الاشياء * فما أورده عليك من ظلمات الحجبة والغيبة فى ليالى الهجر والفرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك من انوار التجلى والحضور فى نهاية القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك ﴿(من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها)﴾ أكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها وذلك لاجل غلبة الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قال سرى السقطى رضى الله عنه من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم * وقال الفضيل رضى الله عنه عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال آخر شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفى معنى هذا قيل انما يعرف قدر الماء من بلي بالعطش فى البادية لا من كان على شاطئ الانهار الجارية وقيل ايضا الولد العاق المصر على تأبيه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة أبيه وقيل نعم الله مجهولة وتعرف اذا فقدت ومن دعاء بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفها النا بزوالها قلت ولاجل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها من العبد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل منا لئلا نزدرى نعمة الله علينا والسعيد من وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضى الله عنه انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وروى ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه قال الشيخ ابو حامد رضى الله عنه وكان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم ان يحضر دار المرضى فيشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم فى التعرض لاقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد اصحاب العزاء وتأسفهم على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى عما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه فى تخلصه من تلك البلايا انتهى وكان الربيع بن خثيم رضى الله عنه حفر فى داره

(ربما وردت الظلم) اى الشهوات والمعاصى والغفلات (عليك ليعرفك) حال ورودها (قدر ما من) الله (به عليك) أى ما كان قد من الله به عليك سابقا من الانوار والاقبال على مولاك فتحمده عليها واذا رجعت الى حالك عرفت أن ذلك نعمة عظيمة فيكثر منك الحمد والشكر فقد صارت النقمة نعمة وقد يكون سبب ورودها ما حصل منك من الاعجاب بطاعتك فوردها عليك لتعرف قدرك ولا تتعدى طورك فلا تتكبر ولا ترى نفسك على أبناء جنسك وهذه نعمة أيضا وقد ترد عليك عقوبة وامتحانا وعلامة ذلك انك كلما خرجت من معصية وقعت فى أخرى وهكذا ولا توفق للتوبة ولا تعتقد التقصير من نفسك (من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها) هذا تعليل لما قبله كأنه قال انما كان ورود الظلم معرفا بقدر النعم لان الاشياء انما تتبين باضدادها فعند وجود النقص يظهر فضل المناقص فانما يعرف قدر نعمة البصر مثلا من ابتلى بالعمى وقد قيل انما يعرف قدر الماء من ابتلى بعطش البادية لا من كان على شاطئ الانهار والاودية الجارية

(لاتدهشك واردات النعم) أي النعم الواردة أي المترادفة عليك (عن القيام بحقوق شكرك) أي شكرك المولى عليها بأن ترى عجز نفسك عن توفية ذلك فتترك الشكر (فان ذلك مما يحط من وجود قدرك) أي ان الله تعالى قد رفع قدرك وجعل القليل منك كثيرا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فلا تبخس نفسك (٤٣) حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر بسبب كثرة النعم وذلك من الجهل كالو تركت الشكر عليها استقلالا لها في نظرك فالحامل على ترك الشكر على النعمة أحد أمرين وكل منهما مذموم ومن شكر اللسان ذكر الله ومنه الباقيات الصالحات التي تذكر عقب الصلوات (تمكن حلاوة الهوى) الهوى ميل النفس والمراد به الهوى وهو الشهوات أي تمكن حب شهوات الدنيا (من القلب هو الداء العضال) أي الذي لا تنفع فيه الحيل والاسباب والادوية كالايمان والمعرفة واليقين فان الداء اذا تمكن من القلب لم يبق للدواء محل فلذا أعضل أمره وتعذر برؤه فلا ينفع فيه الا وارد الهي كما أشار اليه بقوله (لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج) يرد على القلب من شهود صفات الجلال ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعد للعصاة وتذكره نزول الموت به ودخوله القبر وحده وسؤال الملكين مع أهوال الحشر والمعاد الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ويجعل الولدان شيبا الى غير ذلك (أو شوق مقلق) يرد على القلب من شهود صفات الجمال ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعد لاهل الطاعات وتذكره ما أعد لاوليائه من النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى غير ذلك والمواظبة على حضور مجالس الذكر والتذكير علاج كبير ونفع كثير في حصول ذلك اذ لا يزال ذلك يحصل في القلب شيأ فشيأ الى أن يسكنه الخوف والشوق أما اذا لم يكن الاول مزعجا والثاني مقلقا فلا يفيدان تحركا ولا توجها

قبرا او كان يضع في عنقه غلا و ينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ثم يقوم و يقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديثين المذكورين ولا طريق للعبد الغافل الى تعرف النعم الموجودة لديه أبلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى عليه اشتغل بالشكر عليها من قبل أن تزال عنه فلا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ۞ (لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك) اذا ترادفت نعم الله تعالى عليك فلا ينبغي أن تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك وأن لا قبل لك به فتتركه فان الله تعالى رفع قدرك وأعلى امرك وجعل القليل منك كثيرا وأشهدك من حسن ثوابه لك ونسبة أفعالك اليه ما يؤذن بعظم سيادتك ورفعة قدرك فلم تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الامر لا على وجه الادب والاتيان من الشكر بما وجب كان الامر في ذلك اليها قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما من نعمة الا والحمد أفضل منها والنعمة التي الهم بها الحمد أفضل من الاولى لان بالشكر يستوجب المزيد وفي أخبار داود عليه السلام الهي ابن آدم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يكافئك فاوحى الله تعالى اليه يا داود اني أعطي الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم أن ما بك من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اليه اني بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد أشفقت على من قبلي ضعف الشكر فكتب اليه عمر اني كنت أراك اعلم بالله مما انت ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله تعالى عليها الا كان حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده الى أي نعمة اعظم من دخول الجنة ۞ (تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال) القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هي الادوية لامراضه التي اوجبها وجود الهوى والشهوة فاذا تمكن الداء من القلب لم يبق للدواء محل فلذلك اعضل امره وتعذر برؤه ۞ (لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق) الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها الا وارد قوي قاهر غالب

(كما لا يحب العمل المشترك) وهو المشوب بالرياء والتصنع (كذلك لا يحب القلب المشترك) وهو الذى فيه محبة غير الله والسكون اليه والاعتماد عليه ولما كانت المحبة بمعنى ميل القلب مستحيلة فى حقه تعالى أوّلها على طريقة الخلف بقوله (العمل المشترك لا يقبله) أى لا يثيب عليه لعدم الاخلاص فيه فعدم محبته بمعنى عدم اثابته عليه (والقلب المشترك لا يقبل عليه) أى لا يرضى عن صاحبه ولا يثيبه لعدم وجود الصدق منه فعدم محبته بمعنى عدم الرضا عن صاحبه وعدم اثابته فمن صحح أعماله بالاخلاص وأحواله بالصدق كان محبوبا لله أى مثابا مرضيا عنه والافلا اما السلف فيثبتون لله محبة لكن لا نعلم حقيقتها (أنوار اذن لها فى الوصول وأنوار اذن لها فى الدخول) أى الانوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب وهى معارف واسرار الهية تنقسم الى قسمين أنوار اذن لها فى الوصول الى ظاهر القلب فقط وأنوار اذن لها فى الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد القلب معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وتارة يحب آخرته وتارة يحب دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع ربه ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه ثم فرّع على ما تقدم بقوله (ربما وردت عليك الانوار) أى العلوم والمعارف الالهية (فوجدت القلب محشوا بصور الآثار) أى متعلقا بصور المكونات من اموال وأولاد وغيرهما (فارتحلت من حيث نزلت) اى من المكان الذى نزلت فيه وهو القلب لانها طاهرة مقدسة فلا تحل فى القلب الدنس بالاغيار (فرّغ قلبك من الاغيار) اى التعلق بغير مولاك وامح عنه صور الآثار بأن لا تتوجه بسرك الى غير ربك فلا يكون لك انس الا به ولا اعتماد الا عليه (يملأه بالمعارف والاسرار) قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وتقدم فى كلام المصنف كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته واذا كان كذلك

يرحل عنه وذلك اما خوف مزعج أو شوق مقلق وما عدا هذين الامرين لا استقلال له بذلك

﴿كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه﴾ العمل المشترك هو المشوب بالرياء والتصنع والقلب المشترك هو الذى فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه والاعتماد عليه فالعمل المشترك معتل بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك معتل بنظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب عليه لفقد الاخلاص منه والقلب المشترك لا يحبه ولا يقبل عليه ولا يرضى عنه لعدم وجود الصدق فيه فمن صحح أعماله بالاخلاص وأحواله بالصدق كان محبوبا لله تعالى مثابا مرضيا عنه والا فلا وقال رضى الله عنه ﴿أنوار اذن لها فى الوصول وأنوار اذن لها فى الدخول﴾ الانوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين أنوار اذن لها فى الوصول الى ظاهر القلب فقط وأنوار اذن لها فى الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد العبد معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يسعى فى العمل لآخرته وطورا يعمل فى أمور دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه * قال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه وفى لفظ آخر اذا كان الايمان فى ظاهر القلب يعنى اعلى الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان فى باطن القلب وكان فى سويدائه أحبه الحب البالغ * قال الشيخ أبو طالب المكى رضى الله عنه ومحنة العبد ذلك أن ينظر فان كان يؤثر الله تعالى على جميع هواه ويغلب محبته على هواه حتى تصير محبة الله هى محبة العبد من كل شئ فهو محب لله تعالى حقا كما أنه مؤمن به حقا وان رأيت قلبك دون ذلك فالك من المحبة بقدر ذلك * قال بعض العلماء ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه مكان الايمان فى هذا تفاوت المحبون فى المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر ﴿ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت فرّغ قلبك من الاغيار يملأه بالمعارف والاسرار﴾ الانوار الالهية قد ترد على القلب فلا تجد

فلا تستبطئ منه النوال) أي اعطاء المعارف والاسرار (ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال) عليه بمحو صور الاغيار من مرآة قلبك بالمجاهدة والرياضة ثم قال (حقوق) كائنة (في الاوقات) أي الازمنة وتلك الحقوق هي وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما (يمكن قضاؤها) أي ان من فاته شيء من ذلك ٤٥ في وقته المعين له امكنه قضاؤه في وقت آخر

(وحقوق الاوقات) هي ما يرد على العبد من قبل الرب من الاحوال فوقت كل عبد ما هو عليه من تلك الاحوال وأوقاته أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية وسمي ما ذكر وقتا لانه يرد في وقت مخصوص تسمية للشيء باسم زمنه وحقوقها الواجبة عليك فيها هي المعاملات الباطنية التي تقتضيها تلك الاحوال فحقه عليك في النعمة الحمد والشكر وفي البلية الصبر والرضا وفي الطاعة شهود المنة وفي المعصية الاستغفار والتوبة ولذا يقولون الفقير ابن وقته أي يتأدب معه ويعطيه حقه كما يتأدب الولد مع أبيه وتلك الحقوق (لا يمكن قضاؤها) اذا فاتت (اذ ما من وقت) أي حال (يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد) هو بمعنى ما قبله أي فلا يسعك الآن في حقه فيمنعك اشتغالك بحقه عن اشتغالك بحق ما فاتك ولذا قال (فكيف تقضي فيه حق غيره) مما فاتك (وأنت لم تقض حق الله فيه) وهو الحق المتعلق بذلك الوقت ولو قال وانت لم تقض حق ذلك الوقت لكان أوضح وحينئذ

٦ عبا في يجب عليك أن تكون مراقبا لقلبك حتى تقوم برعاية تلك الحقوق التي لا يمكنك قضاؤها ان فاتت ولا تشغل اوقاتك بشهوات نفسك ورعونات بشريتك حتى تضيع حقوق الله الواجبة عليك التي ليس لها خلف يقوم مقامها واذا فاتت لا يمكن قضاؤها ولذا قال

فيه موضع الاستقرار لما غلب عليه من رعونات البشرية واستحكم فيه من صور الآثار الكونية فترحل من حيث تنزل لانها مقدسة مطهرة فاذا أردت حلول الانوار فيه وتجلي المعارف والاسرار له ففرغه من الاغيار وامح عنه صور الآثار قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته ﴿(لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال) تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك والعبارتان متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا ﴿(حقوق في الاوقات يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه) الحقوق الكائنة في الاوقات هي وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما فمن فاته شيء منها في وقته المعين له أمكنه قضاؤه في وقت آخر اذ قد جعل له في ذلك مجال رحب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق والحقوق المضافة الى الاوقات هي المعاملات الباطنة التي تقتضيها أحوال العبد وواردات قلبه المتلونة عليه ووقت كل عبد ما هو عليه من ذلك فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى على كل عبد عند كل حال يحل به وارد يرد عليه حق جديد وامر أكيد ولا يسعه الآن وفيه اذا الذي فاته لم يجد مجالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد أن يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم برعاية تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاؤها ان فاتت * قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله تعالى عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصية فمقتضى الحق منه وجود الاستغفار والندم ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضا رضا النفس عن الله والصبر مشتق من الاصطبار وهو نصب الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما ذا له يا رسول الله فقال أولئك لهم الامن وهم مهتدون أي لهم الامن في

الآخرة وهم المهتدون في الدنيا ۞ (مافات من عمرك لاعوض له وما حصل لك منه لاقيمة له) عمر العبد ميدان لاعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى والموجبة لجزيل الثواب في الدار الآخرة وهذه هي السعادة التي لها يكدح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها الاما سعى كما قال تعالى وأن ليس للانسان الاما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره ولاعوض له منه قال الجنيد رضي الله عنه الوقت اذا فات لايستدرك وليس شيء أعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذلك يتوصل به الى ملك كبير لايفنى ولاقيمة لما يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لولاهم الابالجد والتشمير وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقية عمر المرء مالها ثمن يدرك فيها مافات ويحيي ماأمات وقد نظم بعض الشعراء في المعنى رحمه الله وأرضاه فقال

بقية العمر عندي مالها ثمن * وان غدا غير محبوب من الزمن
يستدرك المرء فيها كل فائتة * من الزمان ويمحو السوء بالحسن

وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه وهو يريد الجمعة قف حتى أكلمك فقال له لولا اني أبادر لوقفت لك قال له وما تبادر قال أبادر خروج روحي * وقال الحسن البصري رضي الله عنه أدركت أقواما كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لايخرج أحدكم دينارا ولادرهما الافيما يعود عليه نفعه فكذلك لايحبون أن تخرج ساعة من أعمارهم الافيما يعود عليهم نفعه * وقال السري السقطي رضي الله عنه خرجت من بغداد أريد الرباط الى عبادان لاصوم بها رجب وشعبان فاتفق لي في طريق علي الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت افطاري وكان معي ملح مدقوق وأقراص فقال ملحك مدقوق ومعك ألوان من الطعام لن تفلح ولن تدخل في سنن المحبين فنظرت الى مزود كان معه فيه سويق الشعير فسف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني حسبت ما بين المضغ والسف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وفي الخبر مامن ساعة تأتي على العبد لايذكر الله تعالى فيها الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزائنه من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به في الدنيا ساعاته التي لم يذكر الله فيها رآها في الآخرة خزائن فارغة لاعطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر عليه كيف فاته حيث لم يدخر فيها شيأ فيرى جزاء مدخورا ثم يلقي في نفسه الرضا والسكون وجاء في الخبر ان أهل الجنة بينما هم في نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوق اضاءت

(مافات من عمرك لاعوض له) أي لاعودة ولارجوع له فاذا خلت منه من العمل الصالح الذي هو وظيفة ذلك الوقت فاتك من السعادة بقدره ولايمكنك تداركه (وما حصل لك منه لاقيمة له) اى لايمكن أن يقاوم بشيء لعظم قدره لانك تتوصل به اذا اشتغلت بحق الله فيه الى ملك كبير في الآخرة وشرف عظيم كثير لايفنى ولذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من أنفسهم لولاهم الابالجد والتشمير وفي الحديث مامن ساعة تأتي على العبد لايذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة وندامة ويقال ان العبد يوم القيامة تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وجزاء لما كان أودعه في تلك الخزانة من الاعمال الصالحة والتي لم يعمل فيها شيأ يراها فارغة فيتحسر ويندم حيث لاينفعه الندم ثم يلقي عليه الرضا والسكون

منه منازلهم كما يضيء الشمس والقمر لاهل الدنيا فينظرون الى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرون الكوكب الدرّى فى أفق السماء وقد فضلوا عليهم فى الانوار والجمال والنعيم المقيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون اليهم ويطيرون على نجب تسرح بهم فى الهواء يزورون ذا الجلال والاكرام فينادونهم هؤلاء يا اخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذى فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل الله تعالى انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون ويذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال أبو على الدقاق رضى الله عنه رؤى بعضهم مجتهدا فقيل له فى ذلك فقال ومن أولى منى بالجهد وأنا أطمع أن ألحق الابرار والكبار من السلف قال الله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وفى معناه أنشدوا

السباق السباق قولا وفعلا * حذر النفس حسرة المسبوق

(ما أحببت شيأ الا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا) المحبة للشئ تقتضى الانقياد له وشدة العلاقة به وأن لا يبغى به بدلا كما قيل حبك للشئ يعمى ويصم وذلك معنى استعباده للمحب له فمن أحب غير الله عز وجل فقد استعبده ذلك الغير كائنا ما كان والله لا يحب أن تكون لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والخميصة والقطيفة والزوجة وقال محمد بن السماك كتب الى أخ ان استطعت أن لا تكون لغير الله عبدا او جدت العبودية بدا فافعل وقال الجنيد رضى الله عنه انك ان تكون على الحقيقة له عبدا وشئ مما دونه لك مسترق وانك ان تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديتك بقية وسئل عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم * ومن الحكايات فى هذا المعنى ما ذكر عن أبى عبد الله الرازى نزيل نيسابور قال كسانى ابن الانبارى صوفا ورأيت على رأس الشبلى قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت فى نفسى أن يكونا جميعا لى فلما قام الشبلى من مجلسه التفت الى فتبعته وكان من عادته اذا أراد أن أتبعه أن يلتفت الى فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح عليه القلنسوة ودعا بنار فأحرقهما ومثل هذا انما كان ينكره عليه من لم يعرف مقصوده وفى ذلك شئ كثير ورد عنه

(لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك) الحق تعالى غنى عن أعمال العاملين لانه منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع فى الدارين لا غير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل قال فى لطائف المنن اعلم رحمك الله

(ما أحببت شيأ) من امور الدنيا (الا كنت له عبدا) لان محبتك للشئ تقتضى انقيادك له وشدة علاقتك به وأن لا تبغى به بدلا كما قيل حبك للشئ يعمى ويصم وهذا معنى استعباده لك فان احببت غير الله فقد استعبدك ذلك الغير كائنا ما كان (وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا) اى لا يرضى بذلك وفى الحديث تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والزوجة والخميصة تعس وانتكس وقال الجنيد انك لن تكون على الحقيقة له عبدا وشئ مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية المكاتب عبد ما بقى عليه درهم (لا تنفعه طاعتك) لانه غنى عن العالمين واعمالهم (ولا تضره معصيتك) لتنزهه تعالى عن ان يصل اليه مكروه من خلقه (وانما امرك بهذه) اى الطاعة (ونهاك عن هذه) اى المعصية (لما يعود عليك) من المنافع والمصالح فى الدارين وذلك على سبيل التفضل منه لا على وجه الايجاب عليه

(لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه) لان عزه صفة من صفاته الجامعة كالالوهية والكبرياء والعظمة وصفاته تعالى في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وهذا تعليل لما قبله من كونه لا يعود عليه نفع من عمله ولا يلحقه ضرر منهم (وصولك الى الله) الذي يشير اليه اهل هذه الطريقة هو (وصولك الى العلم به) اى الى مشاهدته بعين بصيرتك مشاهدة تغنيك عن الدليل والبرهان ويعبر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين وبالتجلي وبالفيض الرحماني والتعرف العياني (٤٨) والذوق الوجداني واهل الشهود متفاوتون فمنهم من يحصل له تجلي الافعال وهو اول التجليات عندهم فيفنى فعله وفعل غيره في فعل الله تعالى فلا يرى فاعلا الا هو ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه اول مراتب الوصول ومنهم من يحصل له تجلي الصفات فيقف في مقام الهيبة والانس بما يشاهده قلبه من الجلال والجمال وهذه رتبة ثانية من رتب الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة فيغيب في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهو ايضا رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهو من أعلى رتب الوصول قال في عوارف المعارف فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه في اول المنزل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الآباد في عمر الآخرة الابدي فكيف في العمر القصير الدنيوى اه (والا) نرد بالوصول ما ذكر وهو العلم المحقق بالله تعالى بطريق الذوق والوجدان بان اردنا به الوصول المتعارف وهو وصول الذوات والاجسام فلا يصح (فجل) اى لانه تعالى (ربنا أن يتصل به شئ او يتصل هو بشئ) لا حسا وهو ظاهر ولا معنى اذ كيف يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير وشرط الاتصال المداناة في الوصف ولا نسبة بين كامل على الاطلاق وناقص على الاطلاق

محشي

ان الله لم يأمر العباد بشئ وجوبا أو يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شئ تحريما أو كراهة الا والمصلحة لهم في ترك ما أمرهم بتركه وجوبا أو ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وشرعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعري اذا قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم انا نظرنا فرأينا كل ما هو واجب أو مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها والمعصية هي أسباب التفرقة ووسائلها فلذلك نهى عنها انتهى ۞ (لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من أدبر عنه) عزة الله تعالى صفة من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وسبقية العلل وقال رضي الله عنه ۞ (وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا أن يتصل به شئ أو يتصل هو بشئ) الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه أهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم المحقق بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السائرين وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه وقال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا ادراك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف رحمه الله واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليهما الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرتقي الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى

تحلى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من اعلى مراتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه فى أول المنزل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لاتنقطع أبدا الآباد فى عمر الآخرة الأبدى فكيف بالعمر القصير الدنيوى

۞ (قربك منه ان تكون مشاهدا لقربه والا فمن اين أنت ووجود قربه) القرب الحقيق قرب الله منك قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وقال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون وقال عز من قائل ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وحظك من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتأدب بآداب الحضرة وأما انت فلا يليق بك الا وصف البعد وشهوده من نفسك كما يقول المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا الهى ما أقربك منى وما أبعدنى عنك

۞ (الحقائق ترد فى حال التجلى مجملة وبعد الوعى يكون البيان فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) حقائق العلوم اللدنية التى يقذفها الحق تعالى فى أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحررهم من رق الاشياء وتعرضهم باللجا والافتقار لما يفتح عليهم المولى يكرمهم الحق تعالى بها تحقيقا لوعده اياهم من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون مجملة لاتتبين لهم معانيها ولا يدركون جهات حقيقتها فاذا وعوها وتصرفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما يجرى على لسانه وبنانه كلام كثير من غير أن يلتفت له بالا فاذا فرغ من ذكره أو رسمه يتصفحه ويتأمله فيجده صحيحا مستقيما وقد أخبرنى بنحو ذلك من له قدم صدق فى هذا الطريق عن نفسه قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه وأصحاب الحقائق يجرى بحكم التصرف عليهم شئ لاعلم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجرى على لسانهم شئ لايدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه من شواهد العلم اذ تحقيق ذلك بجريان الحال فى ثانى الوقت انتهى كلام الامام أبى القاسم وهو موافق لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم وكأنهما أشارا بذلك الى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل عبد الله بن طاهر الابهرى رضى الله عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسئل عن العلم فقال العلم كله حقيقة وقال الشبلى رضى الله عنه الالسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما تأدى الينا بالوسايط ولسان الحقيقة ما أوصله الله الى الاسرار

(قربك منه) الذى تشير اليه أهل هذه الطريقة هو (أن تكون مشاهدا لقربه) منك قربا معنويا فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة فى التأدب بآداب الحضرة (والا) نقل ذلك بل أردنا القرب الذى هو من صفات الاجسام (فمن أين أنت ووجود قربه) قربا حسيا فهذا الابهج (الحقائق) اى العلوم اللدنية التى يقذفها الله تعالى فى أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحررهم من رق الاغيار وتعرضهم بسرهم الى نفحات الحق (ترد فى حال التجلى) اى تجلى الله على قلوبهم (مجملة) لاتتبين لهم معانيها ولا يدركون جهات حقيقتها لعظم التجلى على قلوبهم (وبعد الوعى) بزوال ذلك التجلى (يكون البيان) أى تتصرف فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل فيتبين لهم معناها ويظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية حتى انه ربما يجرى على لسان بعضهم كلام كثير لا يلقى له بالا فاذا فرغ من ذكره وتأمله وجده صحيحا مثال ذلك ما وقع من الحلاج من قوله ما فى الجبة الا الله فان هذا قاله لعظم التجلى عليه فاذا زال وتأمل فيه وجد معناه صحيحا لأن معناه انه لاقائم بالاشياء الا هو سبحانه وهذا معنى صحيح يوافق الشريعة وكذا قول بعضهم أنا اللوح أنا القلم فان ذلك لعظم التجلى عليه وغيبته عن حسه يرى أن نفسه عين تلك الاشياء فاذا زال وتأمل فيه وجد معناه صحيحا اى ان التجلى على وهو الله سار سره فى اللوح والقلم

وغيرهما وأشار بذلك الى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة حيث قالوا حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (فاذا قرأناه) اى أقرأناه لك على لسان جبريل (فاتبع قرآنه) اى فاستمع اقراءه ثم اقرأه بعد ذلك (ثم ان علينا بيانه) اى بيان معانيه لك فقد جعل بيان المعنى بعد قراءته المقارنة للتجلى الالهى

(متى وردت الواردات) وهي التجليات (الالهية) ويعبر عنها بالاحوال ايضا وقوله (اليك) متعلق بوردت اى وردت على قلبك من قبل الحق فأحدثت فيه أحوالا اسنية (هدمت) اى أزالت (العوائد عليك) اى الامور التى كنت معتادا لها وهي رعونات نفسك لان لها سلطنة عظيمة فاذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك وأثبتت عوضا منه أحوالا علية واوصافا مرضية (ان) اى لان (الملوك) اى جنودهم (اذا دخلوا قرية أفسدوها) اى ازالوا ما تلبس به اهلها من النعيم وكذلك الواردات الالهية شبيهة بجنود الملك اذا حلت قلبا قهرت ما فيه وازالته وهذا جواب عما يقال ان العوائد مما جبلت عليه الطبائع فكيف ٥٠ تزيلها الواردات وحاصل الجواب أن الوارد له القهر كجند الملك

و وضح ذلك بقوله (الوارد يأتى من حضرة قهار) اى ان له القهر والغلبة لوروده من حضرة اسمه القهار والقهار هو الغالب الذى لا يغلب (لاجل ذلك لا يصادمه شئ) من رعونات البشرية (الا دمغه) اى ازاله ومعناه فى الاصل اصاب دماغه بالضرب ويلزم منه اتلافه واذهابه وهو ايضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كيف يحتجب الحق) اى الله (بشئ) من الموجودات العلوية والسفلية (والذى) اى والحال ان الذى (يحتجب) الله تعالى (به هو) اى الله (فيه ظاهر) اى ظاهر فيه تشاهده ارباب البصائر (وموجود حاضر) مدرك لهم فكيف يكون ما هو ظاهر فيه حجابا له حتى يستدل عليه به هل ذلك الا من عمى البصائر وعدم رؤيته فى كل شئ كما تقدم (لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور) بقلبك مع الله حال فعله بان تكون ثمرته لاحظا أنك حاضر بين يديه غير غائب عنه كانك تراه كما فى الحديث فان ذلك دليل على قبوله ولا يلزم من فقد الدليل فقد المدلول ولذلك قال (فربما قبل من العمل مالم تدرك ثمرته) اى ثمرة قبوله اى علامته (عاجلا) اى حال فعله ومن لامة قبوله أيضا وجدان حلاوته واستلذاذ قلبه به حال فعله كما مر وقوله كيف يحتجب الحق الى هنا معترض بين الكلام فى الوارد ثم تممه بقوله

بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق وقال رويم رضى الله عنه أصح الحقائق ما قارن العلم وقال أبو بكر الوراق رضى الله عنه كنت فى تيه بنى اسرائيل فوقع فى قلبى ان علم الحقيقة بخلاف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة أم غيلان صاح بى وقال يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهى كفر واشارة المؤلف رحمه الله بالآية التى ذكرها الى هذا المعنى بينة ۞ (متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) الواردات الالهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه مستقر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا وردت على قلب مشحون بانواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك عنه بمرة وأثبتت عوضا عن ذلك أحوالا علية وأوصافا مرضية أنشدنى سيدى ابو العباس المرسى رضى الله عنه فى هذا المعنى

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت * أرض النفوس ودكت الاجبال
لرأيت شمس الحق يسطع نورها * حين التزلزل والرجال رجال

الارض ارض النفوس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة بالآية الى هذا المعنى بينة ۞ (الوارد يأتى من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شئ الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار الغالب على أمره لاجل ذلك لا يصادمه شئ من رعونات البشرية الا دمغه وأزاله وهو أيضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق والاشارة بالآية الى هذا المعنى بينة ۞ (كيف يحتجب الحق بشئ والذى يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر) قد أشبع المؤلف رحمه الله تعالى الكلام على هذا المعنى فى أول الكتاب وأتى فيه بالعجب العجاب وقد نبهنا عليه هنالك ۞ (لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل مالم تدرك ثمرته عاجلا) العمل الذى لا يجد صاحبه حضورا فيه ينبغى له أن لا ييأس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل مالم تدرك

ثمرته عاجلا من وجدان حضور أو حلاوة أو غير ذلك ولو لم يكن الا قصد التقرب به وسقوطه عن نظره وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا عمل أرجى للقلوب

❁(لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار) الوارد مراد لثمرته لا لوجدان حظ نفسك منه كما ان السحابة مرادة لوجدان الاثمار الذى اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وثمرة الوارد انما هى تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجود هذا فيك فلا تزك الوارد ولا تفرح به فان فى ذلك نوعا من الاغترار واتخاذا عابلبسة الاظهار فكن على حذر منه

❁(لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك فى الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ) أنوار الواردات المنبسطة على العبد هى تكيف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية وأسرارها المودعة فيه ما لاح له من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه فى حال كونه ولا تأس على فقده اذا فقدته فان لك فى الله غنى عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى فى شئ من الاشياء كما قال الشاعر

لكل شئ اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

قال أبو عبد الله بن عطاء الله رضى الله عنه اياك أن تلاحظ مخلوقا وأنت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل فى هذا المعنى الذى ذكره ابن عطاء الله رضى الله عنه جميع الاغيار والانوار والمقامات والاحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة والظاهرة فلا تلاحظ شيأ من ذلك ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه بقى او ذهب فان ذلك قادح فى اخلاص التوحيد قال فى التنوير واعلم أن البارى سبحانه انما يدخلك فى الحال لتأخذ منه الا لتأخذ منك وانما جاءت تحمل هدية التعريف من الله اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبدئ فأبدأها وأبقاها حتى اذا أوصلت اليك ما كان لك فيها وأدت الامانة توجه اليها باسمه المعيد فأرجعها وتوقاها فلا تطلبن بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا امين بعد أن ابلغ أمانته وانما يفتضح المدعون بزوال الاحوال وبعزلهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار وتنهتك الاستار فكم من مدع الغنى بالله وانما غناه بطاعته او بنوره او فتحه وكم من مدع العز بالله وانما اعتزازه بعزلته وصولته على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد الحال وكما كان الله لك ربا ولا علة فكن عبد اله ولا علة لتكون له كما كان لك انتهى * وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه عبد هو فى الحال بالحال وعبد هو فى الحال بالمحول فالذى هو فى الحال بالحال عبد الحال والذى هو فى الحال بالمحول عبد المحول وامارة من هو فى الحال بالحال أن يأسى عليها اذا فقدها

(لا تزكين واردا) اى لا تفرح به وتمدحه فى سرك (لا تعلم ثمرته) فاذا ورد عليك وارد الهى اى تجل الهى ملك قلبك ويعبر عنه بالحال لكن لم يتأثر قلبك به بحيث تحب الاقبال على المولى وتنهض لطاعته وتقوم بحقوق ربوبيته فلا تفرح بذلك الوارد لان ثمرته انما هى تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما مر فان لم يوجد هذا عندك فلا تفرح به فان فى ذلك نوعا من الاغترار (فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار) اى انها مرادة لوجود الاثمار الذى اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وكذلك الوارد مراد لثمرته لا لوجود حظ نفسك فيه فان كثيرا من يحصل عندهم تلك الاحوال القلبية يفرحون بها وربما تركوا الاعمال الظاهرة مع وجود عقلهم (لا تطلبن بقاء الواردات) اى التجليات والاحوال القلبية (بعد ان بسطت أنوارها) عليك وأنوارها هى تكيف ظاهرك وباطنك بكيفيات العبودية (وأودعت) فيك (اسرارها) وهى ما لاح فى قلبك من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه حال وجودها ولا تحزن على فقده اذا فقدته (فلك فى الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ) كما قيل

لكل شئ اذا فارقته عوض
وليس لله ان فارقت من عوض

فالله تعالى انما أدخلك فى الحال لتأخذ منها لا لتأخذ منك لانها جاءت حاملة هدية التعريف من الله اليك فاذا أوصلت اليك ما كان فيها فلا تطلب بقاءها اذ لا يطلب بقاء رسول بعد ان بلغ رسالته ولا أمين بعد أن أدى أمانته فان طلبت بقاءها كنت عبد الحال لا عبد المحول * ثم اقام دليلا على ذلك بقوله

ويفرح بها اذا وجدها والذى هو فى الحال بالحول لا يفرح بها اذا وجدت ولا يحزن عليها اذا افتقدت وفى الاشارات عن الله سبحانه لا تركنن الى شئ دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تتبعناه عليك وان أويت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك معه وان أنست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأى حيلة لك وأى قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا ❁ (تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان ماسواه دليل على عدم وصلتك به) وجدان العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى آماله وما ربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هى صفة اهل التفريد الذين استتروا فى ذكر الله المجيد كما روى عن ابى عبد الله البسرى رضى الله عنه قال سألت رجلا بالسكام ما الذى أجلسك فى هذا الموضع فقال لى وما سؤالك عن شئ ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه قلت تخبرنى ما هو قال على بأن مجالسة الله تستغرق نعيم الجنان ثم قال أواه قد كنت اظن أن نفسى ظفرت ومن الخلق هربت فاذا انا كذاب فى مقالتى لو كنت محبا لله صادقا ما اطلع على احد فقلت أما علمت أن المحبين خلفاء الله فى ارضه مستأنسين بخلقه يحثونهم على طاعته فصاح صيحة وقال لى يا مخدوع لو شممت رائحة الحب وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت أن ترى فوق ما رأيت ثم قال يا سماء ويا ارض اشهدا أنى ما خطر على قلبى ذكر الجنة والنار قط ان كنت صادقا فأمتنى فوالله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت أن يسىء الى الظن من الناس من قتله فتركته ومضيت فبينما أنا على ذلك واذا أنا بجماعة فقالوا ما فعل الفتى فكنيت عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن انتم قالوا ويحك هذا رجل به كان قد عطر المطر قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أما رأيته يخبر عن نفسه ان ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه فهل كان احد كذا الا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقلت من أنتم قالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال قلت علمونى شيأ قالوا لا تحب أن تعرف ولا تحب أن يعرف أنك ممن يحب أن لا يعرف وفى مثل هذا الحال انشدوا

كانت لقلبى أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

وقد سئل أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه عن أقرب ما يتقرب به العبد الى الله تبارك وتعالى فقال أقرب ما يتقرب به اليه أن يطلع الله على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره فهذه هى العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقق بهذا المقام العظيم فان كان له شعور بشئ من الاغيار المحبوبة فتطلع الى بقائها واستوحش لفقدانها فذلك

(تطلعك الى بقاء غيره) من الواردات المذكورة وغيرها كالانوار والمقامات والنعم الباطنة والظاهرة (دليل على عدم وجدانك له) اذ لو وجدته فى قلبك وانجمع عليه سرك لم تطلب بقاء غيره (واستيحاشك لفقدان ماسواه) كالواردات المذكورة (دليل على عدم وصلتك به) اى وصولك اليه اذ لو وصلت اليه انسيت كل محبوب ولم تستوحش عند فقد شئ سواه فالسالك اذا وردت على قلبه واردات الهية وبسطت فيه أنوارها واودعت فيه أسرارها وحدثته نفسه بأنه من الواصلين فان كان يتطلع ويتشوف الى شئ من الاغيار المحبوبة أو يستوحش لفقدانه فذلك دليل على عدم تحققه بهذا المقام الشريف قال الجنيد قدس سره انك ان تكون له على الحقيقة عبدا وشئ مما سواه لك مسترق وانك ان تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية

(النعيم) اى نعيم الدنيا والآخرة اى التنعم والتلذذ بما فيهما من الملابس والمطاعم والحور والولدان والقصور (وان تنوعت مظاهره) اى مواضع ظهوره وهى الامور المذكورة التى يتنعم بها ظاهرا (فانما هو) اى النعيم بمعنى التنعم والتلذذ (بشهوده) تعالى (واقترابه) اى انما يكون نعيما حقيقيا اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء مشاهدا له وحاضرا معه فان لم تكن بتلك الحالة فليس ذلك بنعيم حقيقة بل هو عذاب (والعذاب) اى التألم (وان تنوعت مظاهره) من الضرب والجحيم والسلاسل وغيرها (انما هو) اى العذاب بمعنى التألم (بوجود حجابه) تعالى اى انما ٥٣ يكون تألما حقيقة اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء محجوبا عنه وكان غائبا عنك فان كنت مشاهدا له فليس ما انت فيه عذابا حقيقة بل هو نعيم (فسبب العذاب) اى التألم (وجود الحجاب واتمام النعيم) اى النعيم التام اى التلذذ (والتنعم) (بالنظر الى وجهه الكريم) اى مشاهدته بعين البصيرة فى الدنيا وبالبصر فى الآخرة وحاصله ان النعيم محصور فى شهود الرب والتألم فى الحجاب عنه واما ما يتنعم به ظاهرا او يعذب به ظاهرا فليس بنعيم ولا عذاب بالنظر الى ذاته (ما تجده القلوب من الهموم والاحزان) الدنيوية (فلاجل ما منعت من وجود العيان) أى معاينة الرب ومشاهدته بعين البصيرة والا لم يحصل عنده هم ولا حزن على فوات شئ من الدنيا فوجدانهما من نتائج رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها فلو غاب الشخص عن رؤية نفسه بمعاينة سيده لكان دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا فمن استنار قلبه بنور المعرفة لا يكون عنده غم أبدا لكن فى وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عنه فوائد جليلة لانها توجب خمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا والهم ما يتعلق بما يكون فى المستقبل والحزن ما يتعلق بما يكون فى الماضى ويصح أن يكون هذا شاملا للامور الاخروية ايضا فأهل النار لا يحصل لواحد منهم هم ولا حزن الا اذا لم يشاهد مولاه فان شاهده لم يحصل عنده ذلك بل يكون العذاب فى حقه عذوبة

دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل فى تصحيح هذا المقام جهده

وقال رضى الله عنه ۞ (النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم) مظاهر النعيم المتنوعة هى ما ورد من انواع الثواب فى الدار الآخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والمآكل والمشارب والملابس الى غير ذلك من انواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هى ما ورد من انواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من انواع الآلام والعقوبات وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود هذه الاشياء ومباشرة المنعم والمعذب وانما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم او وجود حجابه واعراضه عن المعذب فهذان الامران هما يقع النعيم والعذاب على التحقيق ۞ (ما تجده القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعت من وجود العيان) وجود الهموم والاحزان الدنيوية والاخروية من نتائج رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها وهو الذى منع العبد من وجود العيان فلو فنى عن رؤية نفسه وذهب عن مراعاة حظه لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البتة بل يكون متصل الحبور دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا فالمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهم وهى ما قلناه من وجود العيان والعيان والله اعلم درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر

كبر العيان علىّ حتى انه ۞ صار اليقين من العيان توهما

(قال) الشبلى رضى الله عنه من عرف الله لا يكون له غم ابدا وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ياداود ان محبتى فى خلقى أن يكونوا روحانيين والروحانية علمهم أن لا يغتموا وأنا مصباح قلوبهم ياداود ولا تدخل الهم قلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين وسيأتى فى كلام المؤلف رحمه الله اوحى الله الى داود عليه السلام بى فافرح وبذكرى فتنعم فباستنارة القلب بنور المعرفة واحتظائه بوجود العيان والرؤية

يخرج منه الهم ويحل محل الروحانية على أن في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا
المقام اذا لم يقدر على دفعها عن نفسه فوائد جزيلة لاينبغي أن يستحقر من قبل انها موجبة
لخمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا ثم هي كفارات ان كانت
في الامور الدنيوية ودرجات ان كانت في الامور الاخروية والهم متعلق بما يكون
في المستقبل والحزن متعلق بما يكون في الماضي ۞ (من تمام النعمة عليك أن يرزقك
مايكفيك ويمنعك مايطغيك) وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان
منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد لماله في ذلك من حصول جميع المصالح
الدينية والدنيوية أما مصالح الدين في عدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها ربما
اوجب له ذلك طغيانا كما قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فالاستغناء
هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان اصل كل معصية لله عز
وجل وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرزقه الله
مالا وما آل اليه امره امر مشهور وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق مايكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث ابي
الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ماطلعت شمس ولاغربت الا بجنبها
ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين ياايها الناس هلموا الى ربكم فان ماقل وكفى
خير مما كثر والهى أو كما قال صلى الله عليه وسلم وأما مصالح الدنيا في ذلك فسيأتي التنبيه
عليها في قول المؤلف رحمه الله تعالى ليقل ماتفرح به يقل ماتحزن عليه واما مصالح
الدين عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن أجل توصله بذلك الى الاستعانة
بها على طاعة الله تعالى ولاجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ
فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا اى لاتنس نصيبك في الآخرة
أن تتوصل اليه بما آتاك الله من الدنيا وأما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لايحتاج الى التنبيه
عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل المسئلة
عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة ويقنع
بما أباح له من هذه المنة الجسيمة فيستعمل بذلك راحة نفسه والاستغناء عن بني جنسه
ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب عن زهراتها فان طالب
الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك اذ يجره الحرص
والطمع الى ذلك (قال) بعض العارفين كل من لايعرف قدر مازوى عنه من الدنيا يبتلى
بأحد وجهين اما بحرص مع فقر يتقطع به حسرات او رغبة في غنى تنسيه شكر ما أنعم به
عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى
غنى النفس وغنى النفس عن الدنيا شرف الاولياء المختارين وعز أهل التقوى من المؤمنين
المحسنين ولقد صدق الشاعر في قوله

(من تمام النعمة عليك أن يرزقك
مايكفيك) من غير زيادة ولانقصان
(ويمنعك مايطغيك) اى يوقعك
في الطغيان وهو كثرة المال قال
تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن
رآه استغنى وفي الحديث ماقل
وكفى خير مما كثر والهى أما مانقص
عن الكفاية فقد يكون معه اشتغال
عن طاعة الرب فليس ذلك من تمام
النعمة ولما كان ذلك هو المناسب
لحال المريد الصادق لم يقل
ويمنعك مايطغيك أو يقال رزقك
عن كفايتك

غنى

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة ٭ فان زدت شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

(يحكى) عن بنان الحمال رضى الله عنه أنه قال كنت مطروحا طاويا على باب بنى شيبة سبعة ايام لم أذق شيأ فنوديت فى سرى أن من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله عين قلبه وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه ذكر لى ان فى خراب أيلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم أزل أطلبها حتى وجدتها فى خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهى محلوقة الرأس فلما نظرت الى قالت لى من غيران أكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد قال فقلت لها رحمك الله بك وعجبت من معرفتها بى ولم ترنى قبل ذلك فقالت ما الذى جاء بك ههنا قلت جئت لتعظينى قالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم أن العبد اذا كان فى كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله سبحانه وتعالى حلاوة الزهد فظل حيران والها فان كان له عند الله نصيب عاتبه وحيا فى سره فقال عبدى اردت أن أرفع قدرك عند ملائكتى وحملة عرشى واجعلك دليلا لاوليائى واهل طاعتى فى ارضى فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتنى فورثتك بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدى ارجع الى ما كنت عليه أرجع اليك ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتنى وولت عنى فانصرفت وبقلبى حسرة منها وفى بعض الكتب ان أهون ما أصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان أسلبه حلاوة مناجاتى ٭ وذكر ابو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبى القرطبى المالكى رحمه الله فى كتاب النصائح له عن ابى عبد ربه الشامى ثم الدمشقى انه كان من أكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فأمسى الى جانب نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله تعالى فى ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا ملفوفا فى حصير فسلمت عليه فقلت من أنت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت فما حالك هذه قال حال نعمة يجب على حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما أنت فى حصير قال ومالى لا أحمد الله تعالى وقد خلقنى فأحسن خلقى وجعل منشئى ومولدى فى الاسلام وألبسنى العافية فى أركانى وستر على ما أكره ذكره ونشره فمن أعظم نعمة ممن أمسى فى مثل ما أنا فيه فقلت له ان رأيت رحمك الله أن تقوم معى الى المنزل فانا نزول على النهر هنالك قال ولم قلت لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال مالى فيه من حاجة فراودته على أن يتبعنى فأبى فانصرفت وقد تقاصرت فى نفسى ومقتها اذ لم أخلف بدمشق رجلا يكاثرنى فى غنى وأنا التمس الزيادة فقلت اللهم انى أتوب اليك من سوء ما انا فيه فبت لا يعلم اخوانى ما أجمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا كنحو رحلتهم فيما مضى وقدموا الى دابتى فصرفتها الى دمشق فقلت ما أنا بصادق فى التوبة ان مضيت الى متجرى فسألنى القوم فأخبرتهم وعاتبونى على المضى فأبيت فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال يفرقه فى سبل الخيرات حتى افتقر فاوجدوا عنده الا قدر ثمن الكفن زاد غير أبى ابراهيم وكان يقول يعنى ابا عبد ربه المذكور والله لو ان نهركم يعنى نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت

اليه ولا أخذت شيأ منه ولو قيل لي من مس هذا العمودمات لقمت اليه وعانقته شوقا الى الله ورسوله ﷺ (ايقل ماتفرح به يقل ماتحزن عليه) درء المفاسد عند العقلاء أهم من جلب المصالح فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل

ومن سره أن لايرى مايسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

فان صلاح المرء يرجع كله * فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لانى لا أقتنى ما يغمنى فقده فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما قيل

على قدر ما أولعت بالشئ حزنه * وبعد نزع السهم مهما تمكنا

يحكى أن رجلا حمل الى بعض الملوك قدحا من فيروزج مرصعا بالجوهر لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة وفقرا قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لاجبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل الى الملك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وأمثال هذه المصيبة وأعظم منها نازلة بكل من له علاقة بشئ من أسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب أو سرقة او جائحة نازلة فلا بد أن يؤخذ هو عنها بالموت الهاذم للذات المنغص للشهوات فان كان له ألف محبوب مثلا نزل به عند الموت ألف مصيبة في وقت واحد لانه كان يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة ولذلك كان الزهد في الدنيا من قضايا العقل * قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل ألف اسم ولكل اسم منها ألف اسم وأول كل اسم منها ترك الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يمسى ويصبح في الدنيا ويباهي اهلها في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون وأولئك هم الغافلون وأولئك هم الجاهلون وانشدوا

أيها المرء ان دنياك بحر * طافح موجه فلا تأمنها

وسبيل النجاة فيها مبين * وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقال أبو علي الثقفي رضي الله عنه أف من اشغال الدنيا اذا أقبلت وأف من حسراتها اذا أدبرت والعاقل من لا يركن الى شئ اذا أقبل كان شغلا واذا أدبر كان حسرة وقد قيل في معناه

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(ايقل ماتفرح به) من المال وغيره (يقل ماتحزن عليه) فمن زوى الله عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عنها مفسدة وجود الحزن بتركه ولم ينظر الى حصول مصلحة الفرح بوجود الذي يزول عن قريب ودرء المفاسد مقدم عند العقلاء على جلب المصالح فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير

وقيل

وقيل لابي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال اذا كان للامور مميزا ولها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي هو أولى ليعمل به ويؤثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد احكام العمل بما فرض الله عليه وليس من صفة العقلاء اغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد احكامه لما يجب عليه من عمله وترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة لكل ما احتوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد سرورها ويتصل بقاؤها وذلك أن الدين يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك ومفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه كذلك صفة العاقل لتصفحه الامور بعقله والاخذ منها بأوفرها قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب بذلك وصفهم الله تعالى وذوو الالباب هم ذوو العقول وانما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للاخذ بأحسن الامور وعند استماعها وأحسن الامور وأفضلها وأبقاها على اهلها نفعا في العاجل والآجل والى ذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه انتهى كلام الجنيد رضي الله عنه وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده من التنبيه على كلام المؤلف رحمه الله تعالى فرأيت ذكره ههنا الاتقاء والله تعالى الموفق للعمل بمنه وكرمه ۞(ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك) هذه من امثلة ما تقدم لان الولاية مآلها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها لئلا يقع في العزل المحزون به ۞(ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن) بدايات الامور ظواهرها ترغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رائقة الحسن مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرره وهلاكه ونهايات الامور بواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها لما شهده من سماجتها وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ويسلم من شرها وقد تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قال وهب بن منبه رضي الله عنه صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيأ فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير والتوفيق فيها نجاح كل بر فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع الى ربك أن يهب لك نجاح كل بر قال وكيف أعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء شبهها بالماء المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق الخلب يضر ولا ينفع وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام

(ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك) هذه من افراد ما قبلها لان الولاية مآلها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها بموت أو غيره ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها لئلا تقع في العزل عنها فيحصل عندك غاية الهم والحزن (ان رغبتك) في الولاية (البدايات) أي بداياتها من كونها رائقة الحسن مليحة الظاهر وان كل من تلبس بها حسن حاله ومنظره بين الناس وتيسر معاشه (زهدتك) فيها (النهايات) فان نهايتها مفارقتها بعزل أو موت فيحصل لك منها الضرر دنيا وأخرى لان الولايات قل من يسلم فيها بدينه وذلك مما يحمل العاقل على الزهد فيها والهرب منها (ان دعاك اليها ظاهر) اي ظاهر حالها من تيسر الملابس والمآكل عند التلبس بها (نهاك عنها باطن) أي باطن حالها من كونها شاغلة عن الله ومن حصول الضرر لكل من تلبس بها وهذا في المعنى يرجع لما قبله فالظاهر يرجع للبدايات والباطن للنهايات

النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يجد فى يده شيأ الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل فدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا نشبهتها بالغول التى تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت جدى فى النوم فقال لى يابنى أنت منى وانا منك قال فبأى شئ يكون الزهد فى الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها ولا أراك تلقى الا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به * وقال محمد بن على الترمذى رضى الله عنه لم تزل الدنيا مذمومة فى الامم السالفة عند العقلاء منهم وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضين وما قام داع فى أمة الا وقد حذر من متابعة الدنيا وجمعها والطلب لها الا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد وقال انما هذه الحياة الدنيا متاع أى لن تصل الى سبيل الرشاد وفى قلبك محبة الدنيا وطلب لها والحكايات والآثار فى أحوال الدنيا وغرورها وشرورها اكثر من أن تحصى ولا شئ أبين فى ذلك من قول الله تعالى فى صفتها اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ۞ (انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا للاكدار تزهيدا لك فيها) ورود الاغيار والاكدار الدنيوية على العبد نعم من الله تعالى عليه لان ذلك لا محالة يدعوه الى الزهادة فى الدنيا والتجافى عنها ويصرف عنه وجود الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال وما يستضر به فى الحال والمآل لان الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير تكدر ولا منغص ولو تصور له حصوله على هذه الاشياء على حسب ما يحبه ويهواه كان ينبغى له أن يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لان مآل أمرها الى الفناء والزوال والافتقار والانقضاء والارتحال وقد قالوا شر لا يدوم خير من خير لا يدوم وقال الشاعر

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه ارتحالا
أرى الدنيا على من كان فيها * تدور فلا تديم عليه حالا

ثم هى مانعة له من سعادة الآخرة والقرب من الله عز وجل الذى هو غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها لانواع المصائب والفجائع ووقوع الاغيار والاكدار فما من أحد فيها الا وهو فى كل حال ووقت غرض لاسهم ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شأن الدنيا أبدا فلا يفى مرجوها بمخوفها ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر فى قوله

ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

(انما جعلها) اى الدنيا (محلا للاغيار) كالامراض والمحن والبلايا وقوله (ومعدنا للاكدار) بمعنى ما قبله (تزهيدا لك فيها) لان الموجب لرغبتك فيها انما هو ما تتوهم من حصول أغراضك ومطالبك فيها من غير تكدير ولا تنغيص وهو لا يكون أبدا حتى لو فرض ذلك لكان اللائق بك الزهد فيها والرغبة عنها لان مآل امرها الى الفناء والزوال ولشغلها اياك عن الباقى الله تعالى لا يقال الزهد فيها يحصل بنصح الواعظ وتذكيره لانا نقول

وصدق ايضا من قال

ماقام خيرك يازمان بشدة * اولى بنا ماقل منك وما كفى
زمن اذا اعطى استرد عطاءه * واذا استقام بداله فتحرفا

وقد كتب علي بن أبي طالب الى سلمان رضي الله عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون فيها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه * وقال بعض البلغاء دار الدنيا كاحلام المنام وسرورها كظل الغمام وأحداثها كصوائب السهام وشهواتها كشؤم السمام وفتنتها كالامواج الطوام وقال أبو العتاهية

هي الدار دار الاذى والقذى * ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول البقا * وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وفات الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

وانشد أبو منصور الثعالبي رحمه الله في ذم الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها * ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها ان ما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنس الناس حسنه * ولكن له أسرار سوء قبائح

فاذا علم العبد هذا كله علم اليقين وتمكن من قلبه غاية التمكن لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة لانه اذ ذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين ويأتيه الموت وهو صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين * قال أبو هاشم الزاهد رضي الله عنه ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها وأهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الآخرة مشتاقون وقيل أوحى الله تعالى الى الدنيا تضيقي وتشددي على أوليائي وترفهي وتوسعي على أعدائي تضيقي على أوليائي حتى لا يتعززوا بك عني وتوسعي على أعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا لذكري

﴿(علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها)﴾ النصح المجرد لا يقبله الا من لم يتحكم فيه حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية وكان كريم الطبع سهل القياد وأما من رسخت فيه تلك الخبائث وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب القيادة فلا بد في قصد هدايته وارشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو وجود ما يقهره ويجبره وليس ذلك الا ما ذكرناه فاعرف قدر النعمة

(علم) الله (أنك لا تقبل النصح المجرد) عن الامراض والبلايا والمحن لان النصح المجرد لا يقبله الا من لم يتحكم فيه حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية أما من كان كذلك فلا بد في قصد هدايته من زيادة على النصح والوعظ (فذوقك من ذواقها) أي ما شأنه ان يذاق فيها وهو تلك الامراض والبلايا والمحن (ما يسهل عليك فراقها) فان العبد اذا نزل به شيء من ذلك تمنى الموت ومفارقة الدنيا فهو نعمة من الله عليه وان لم يعرف ذلك لغلبة طبعه عليه وقد تقدم مثل هذا فقوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان

عليك بذلك واعمل بمقتضاها وسلم لربك في حكمته وقدرته وحسن ظنك به وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفة الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان

﴿ (العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه) العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فيتسع وينشرح للاسلام ويكشف عن القلب قناعه فتزول عنه الشكوك والاوهام وفي حكمة داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام العلم في الصدر كالمصباح في البيت وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه العلم النافع هو الذي قد تمكن في الصدور وتصور وذلك ان النور اذا أشرق في الصدور تصورت الامور حسنها وسيئها ووقع بذلك ظل في الصدور فهو صورة الامور فيأتي حسنها ويجتنب سيئها فذلك العلم النافع من نور القلب خرجت تلك العلائم الى الصدور وهي علامات الهدى والعلم الذي قد تعلمه فذلك علم اللسان انما هو شيء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه قد احاطت به وأذهبت بظلمتها ضوأه وقال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه والعلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد عن النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وطهارتها وهو النور المشار اليه انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم اللسان المنقول والمعقول وقال مالك بن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى وانما منفعة العلم أن يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رضي الله عنه العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها رحمه الله مقصود علم الصوفية وهي معرفة الله تعالى وحسن الادب بين يديه وهذه هي العلوم التي ينبغي للانسان أن يستغرق فيها عمره الطويل ولا يقنع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم قد لا يحتاج اليها وربما اضر بصاحبها اوعنه عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور منه من علم لا ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى عبارة أخرى في بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال ﴿ (خير العلم ما كانت الخشية معه) خير العلوم ما يلزم وجود الخشية لله تعالى لان الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه فلا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع بن أنس رحمه الله في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء من لم يخش الله فليس بعالم ألا ترى ان داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال ذلك بانك جعلت العلم خشيتك والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يؤمن بك قال في لطائف المنن فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله تعالى وشاهد الخشية

(العلم النافع) وهو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا هو العلم (الذي ينبسط في الصدر شعاعه) فيتسع وينشرح للاسلام (وينكشف به عن القلب قناعه) اي غطاؤه وغشاوته فتزول عنه الشكوك والاوهام قال مالك ابن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب وانما منفعة العلم أن يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته وقال المهدوي قدس سره العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما يقرب الى الجنة ويبعد عن النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وطهارتها وهو النور المشار اليه انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم اللسان والمعقول والمنقول اه وجمع ذلك الجنيد قدس سره في قوله العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك أي هو معرفة الله وحسن الادب بين يديه ثم ذكر المصنف عبارة أخرى في بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال (خير العلم ما كانت الخشية معه)

موافقة الامر انما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والقلق لاربابها وصرف الهمة
لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان
الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشئ
الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه
الاوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله
العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا فى تكثير العقوبة لديه انتهى وكان سهل
ابن عبد الله رضى الله عنه يقول لا تقطعوا أمرا من أمور الدنيا والدين الا بمشورة العلماء
تحمدوا العاقبة عند الله تعالى قيل يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على
الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وصيته
وشاور فى أمرك الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطى رضى الله عنه ارحم الناس
العلماء لخشيتهم من الله تعالى واشفاقهم مما علمهم الله عز وجل وقال فى التنوير فى قوله
صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله له برزقه اعلم أن العلم حيثما تكرر فى الكتاب
العزيز أو فى السنة انما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال
الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان
العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والراسخون فى العلم
وقل رب زدنى علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله
العلماء ورثة الانبياء وقوله هنا طالب العلم تكفل الله له برزقه انما المراد بالعلم فى هذه
المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك يتعين بالضرورة لان كلام الله
تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك فى غير
هذا الكتاب والعلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من
الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم
بما أمر الله به اذا كان تعلمه لله تعالى انتهى وقد تقدم المعيار الصادق على صحة دعوى
التعلم والتعليم لله عند قوله اذا التبس عليك أمران وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى
رضى الله عنه كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة
عليهم ولا يحمله على حسن معاملة الله تعالى ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ
الجوارح وأداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذى لا ينفع
وهو الذى استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بك من علم لا ينفع ووصف
الله تعالى العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رجل للشعبى
أيها العالم فقال انما العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما فليزدد
خشوعا وقال رجل للجنيد أى العلم أنفع قال ما دلك على الله تعالى وأبعدك عن نفسك قال
والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية السر ومراقبة

والخشية الخوف مع الاجلال
وقيل هى الاجلال مع التعظيم
وقيل الخوف مع العمل أى خير
العلوم ما تلازمه خشية الله تعالى
وتصاحبه وهو العلم المتقدم لان
الله تعالى أثنى على العلماء بذلك
فقال تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء فكل علم لا خشية
معه لا خير فيه ولا يسمى صاحبه
عالما على الحقيقة ويلزم من
مصاحبة الخشية له الوقوف على
حدود الله وملازمة طاعته
والوثوق به والاعراض عن الدنيا
وعن طالبيها والتقليل منها
ومجانبة أبواب اربابها والنصيحة
للخلق وحسن الخلق معهم
والتواضع ومجالسة الفقراء
وتعظيم اولياء الله تعالى بخلاف
العلم الذى لا تصاحبه الخشية فانه
يكون معه الرغبة فى الدنيا
والتملق لاربابها وصرف الهمة
لاكتسابها والجمع والادخار
والمباهاة والاستكثار وطول
الامل ونسيان الآخرة فان العالم
اذا أحب الدنيا وأهلها وجمع
منها فوق الكفاية يغفل عن
الآخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك
ثم ذكر عبارة أخرى من معنى
ما تقدم فقال

الظاهر والخوف من الله والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة أبواب اربابها وترك مافيها على من فيها من اهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى والاقبال على ما يعنيه فان العالم اذا أحب الدنيا واهلها وجمع منها فوق الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله تعالى بقدر ذلك قال الله عز وجل يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن احب آخرته أضر بدنياه ألا فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال فضيل بن عياض العالم طبيب الدين وداء الدنيا داء الدين فاذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه فتى يبرئ غيره فاذا وفق الله العالم من العلماء للاقبال على الله وعلى أوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها ومن فيها فاول ما يلزمه أن يعرف نعم الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا واجتهادا ويعلم أنه محمول على ذلك وأن ذلك توفيق من الله تعالى لا بجاهدة منه فان مجاهدته أيضا ومعرفته انعم الله عليه زيادة توفيق الله فاذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما يقتدى به في احكام الظاهر وأحوال الباطن يهتدى بنوره كل من صحبه ويستضيء بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة لله على عباده وبركة في بلاده ومن قاده علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب اتباع الرياسة واستتباع الخلق فهو العالم الذي هو غير نافع وهو العلم المغتر به ولا حسرة أعظم من أن يهلك العالم بما يرجو به نجاته ونحن نعوذ بالله من الخذلان انتهى ثم عبر المؤلف رحمه الله تعالى بعبارة اقوى من معنى ما تقدم فقال ﷺ (العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك) العلم الذي تلازمه الخشية لك لانك تنتفع به في دنياك وآخرتك وليس ذلك الا ما ذكرناه والعلم الذي لا خشية فيه عليك لانك تستضر به فيهما وهذا هو الفرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا من حيث ان علماء الآخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلماء الدنيا موسومون بالامن والعزة وقد بين علماؤنا رضي الله عنهم حال الفريقين وأوضحوا أمرهم بالنعوت والعلامات وأطالوا في ذلك النفس لما شاهدوا من انتشار الفساد في الارض بسبب جهل الناس بالعلم النافع أي شيء هو فمن أراد الشفاء في ذلك واستيفاء الكلام عليه وما في ذلك من الاخبار والآثار فعليه بالنظر في كتاب العلم من كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي رضي الله عنه ولباب ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود أن يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس قال هذا في زمانه الصالح فكيف لو أدرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم أنه قد ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة ولا يرجى حصول ذلك الا لمن صحت فيه نيته وصحة نيته في ذلك أن يكون غرضه فيه طلب مرضاة الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده وايثاره الخروج عن

(العلم ان قارنته الخشية فلك) (والا فعليك) منفعته في الدنيا والآخرة (والا فعليك) مضرته فيهما قال سفيان الثوري انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا القصد وفسدت نية طالبه بان استشعر به التوصل الى منال دنيوي من مال أو جاه فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية اهـ

ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد عاقبتها آجلا وتجتنى ثمرتها في طاعة الله عاجلا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل يوم لا أزداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن رضي الله تعالى عنه كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له لتضعها في الآخرة وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك لم ينفع فيه الا دعاء كدعاء الغريق * وقال سفيان الثوري رضي الله عنه انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا القصد وفسدت نية طالبه بان يستشعر به التوصل الى منال دنيوي من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها وكان الحسن رضي الله عنه يقول والله ما طلب هذا العلم أحد الا كان حظه منه ما أراد به وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب فقيل له وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة فاذا انضاف الى هذا الغرض أن يتصدى به الى تولي الاعمال السلطانية كائنة ما كانت أو يتوصل به الى اكتساب مال من حرام أو شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه وباء باثمه وآثام المقتدين به وكان الجهل اذذاك خيرا له من العلم وأحمد عاقبة وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى وروينا عن الاوزاعي رضي الله عنه قال شكت النواويس الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله تعالى اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه قال وروينا عن الفضيل ابن عياض وأسد بن الفرات قال بلغني ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان قال فضيل بن عياض رضي الله عنه لان من علم ليس كمن لم يعلم قلت والغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار هذا الوصف المذموم لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص على التقدم والترؤس قد ملكهم فأصمهم وأعماهم ولذلك امارات وعلامات لا تحصى ولا تخفى وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تبارك وتعالى أبي تغترون أم علي تجترئون فبي حلفت لابعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انزل الله تعالى في بعض الكتب أو أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء

عليه الصلاة والسلام قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر أبأي يخادعون وبي يستهزءون لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة من أبدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود واعلم أن العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف إنما هو العلم الذي يؤدي صاحبه إلى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الإيمان ويوافق الإسرار والإعلان إلى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وإيثار الآخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على التفطن للأسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الأدب بين يدي الله تعالى فيراعيها حفظا وطلبا ومعرفة الأسباب المضادة له عن ذلك فيرفضها رفضا ويهرب إلى غيرها من الصفات العلية والمناحي السنية فبهذا كله يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنيوية والأخروية فإذا أخلى طالب العلم عنها أو عن بعضها فإن كان ما يطلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وإن كان وهميا كان وبالا واصلا إليه والعياذ بالله من ذلك * قال في لطائف المنن وما غر الغافل من طلبة العلم من قال طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله وليس في قول هذا القائل ما يستروح إليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة به وإنما أخبر هذا القائل عن أمر من به عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن في المعى أعيا علاجه الأطباء وضاق عليه خلقه فأخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وإن نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين أنفسهم إلى التهلكة * ليس المخاطر محمودا وإن سلما * وقال في موضع آخر ولا يغرنك أن يكون به انتفاع للبادي والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل إليه ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم فمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة فلم يصل صلاة واحدة إذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة ولقد سأل رجل الحسن البصري رضي الله عنه عن مسئلة فأفتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزجره الحسن وقال ويحك وهل رأيت فقيها إنما الفقيه الذي فقه عن الله أمره ونهيه قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الفقيه من انفتق الحجاب عن

عن قلبه والرجل الذي سأل الحسن البصري هو فرقد السبخي والله أعلم وقد روى عنه في صفة الفقهاء كلام أتم مما ذكره صاحب كتاب لطائف المنن * قال فرقد السبخي سألت الحسن عن مسئلة فأجابني عنها فقلت له ان الفقهاء يخالفونك فقال لي ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقيم على سنة المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يغبط من هو فوقه ولا يسخر من هو دونه ولا يأخذ على علم علمه الله له حطاما قلت وعلى المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح اذ بذلك تستقيم له النيات والمقاصد التي ذكرناها ولا يبذله لمن سوى هذا من علم حاله أو جهله قال رجل لسفيان الثوري رضي الله عنه الك ان نشرت ما معك من العلم رجوت أن ينفع الله به بعض عباده وتؤجر على ذلك فقال سفيان الثوري والله لو أعلم بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت أنا الذي آتيه في منزله فأحدثه بما عندي من أرجو أن ينفعه الله به وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال له السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من النار فقال له اترك اللجام واذهب فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به وفي قوله عز من قائل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن حفظ العلم عمن يفسده ويستضر به أولى كما قيل

ومن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقد حكي عن بعض الامم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في أخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديا منعوه من العلم أشد المنع وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى اخلاق الردىء فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي اذا للعالم أن لا يمهله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهم لانهم ربما لا يحصلوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح ان كانت لهم ولا يحكم أو غير ذلك فان المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة أنفسهم والمفاسد التي تتعدى منهم الى غيرهم أكثر وجودا والمفاسد أهم عند العقلاء من جانب المصالح أما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة بما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال والتمام فاذا استشعروا بذلك توجهوا بهممهم اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فاذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم الى أغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا علما ازدادوا

فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم منهم لان ذلك متعلق بأسباب الدنيا وهي بمنزلة السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وقسوتها وبعدها عن التأثر بالمواعظ والحكم كما قيل

اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة ❊ كالارض ان سبخت لم ينفع المطر

وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتقوى صفاتها وتظهر آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هي عنده من أبنائها المترفين وليس لهم ما يتوسلون به اليهم سوى علومهم فيحتالون على تحصيل اقبالهم عليهم وصرف وجوههم اليهم بالتفنن عندهم بأنواع من الحيل ولا يبالون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق والدهان ويجرهم ذلك الى أنواع من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يحصل بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك أو بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم فخرجوا من الحرية الى استعباد الاغيار واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام وأهله ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيدي الناس فذلوا وهانوا على الناس انتهى ولله در الشاعر رحمه الله حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما ❊ رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد أرى ❊ ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ❊ لاخدم من لاقيت الا لاخدما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة ❊ اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ❊ ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ❊ محياه بالاطماع حتى تجهما

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه لعطاء الخراساني كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصري رضي الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على علمه ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد في الباطن والظاهر فانظر رحمك الله الى ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما لطلبة هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع هذه القبائح منهم وتوغلهم بها في سوء أدبهم

يتعذر عليهم بعد ذلك سلوك طريق الحق لما استحكم في قلوبهم من علامات سوء الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع عنه فكل ما كان بعد المسافة من الحق أتم كان اليأس من الرجعة أوجب وأعظم الوبال عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم لسيئ أعمالهم واعتقادهم أنهم سالكون سبيل النجاة في الدار الآخرة ونيل الثواب فيها وأنهم هم الذين حازوا الرتب الشريفة والمناقب المنيفة التي اختص بنيلها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وليس عندهم من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لأنهم لم يسلكوا طريق ذلك ولم يهتدوا لمسالكه فهذا هو الفساد الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه وأما الفساد الذي يتعدى إلى غيرهم فأظهر من كل ظاهر وناهيك بمن ملكته نفسه أشد التملك واستعبدته أشد استعباد هل يبقى عليه شيء من الشر أو نوع من أنواع الفساد إلا ويقع فيه إذا تمكن منه ومن دقيق ما يسري عنهم من الفساد من غير قصد منهم لذلك وقوع الاغترار للجهلة والأغمار بمشاهدة حالهم فإنهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما أرادوه ويتوهمونهم نالوا شرف الآخرة بما أفادوه واستفادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم إن كانوا ممن فيه قابلية لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك أو يؤديهم ذلك إلى محبتهم ومودتهم واتخاذهم أربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في أوامرهم ونواهيهم ثم يخرج بهم استحسان حالهم إلى الداء الدفين وهو مسارقة طباعهم الدنيئة وأخلاقهم الرديئة فإن نفوس العامة قابلة لذلك ومهيئة له بمنزلة الصبي الذي ترسخ فيه أخلاق آبائه ومنازعهم ومذاهبهم وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود من بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وحب الفقر والمسكنة وإيثار التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الإيمان والإسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي والآثام ثم يؤول ذلك بهم إلى الشرك الخفي والجلي ثم يحيق بهم المكر السيئ والعياذ بالله تعالى ويكون وبال جميع ذلك راجعا إلى العالم لتيسير أسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك رحمه الله حيث يقول

وهل أفسد الدين إلا الملوك ٭ وأحبار سوء ورهبانها

فباعوا النفوس ولم يربحوا ٭ ولم تغل في البيع أثمانها

لقد رتع القوم في جيفة ٭ يبين لذي العقل إنتانها

وروى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال إن هذا الدين قد استضاء إضاءة هذه ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن أقوام يدفنون العلم هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القدم بالقدم والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها وانكساف أنوار الإيمان فيها وإفلاسهم من حقائق ذلك وعدم اختصاصهم بشيء منه فصاروا بذلك

مأسورين لاهوائهم منقادين لاغراضهم وآرائهم فتفسد بذلك نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات صالحة كانت الاعمال صالحة وترتب عليها آثار الصلاح وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد أخلاق يؤذن ذلك بوجود القرب من الله ونيل درجة الطرب منه فاذا كانت النيات فاسدة كانت الاعمال أيضا فاسدة وترتب عليها آثار فاسدة وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة تقتضي البعد من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال معرض للصحة والاعتلال وليت شعري هؤلاء الذين استغرقوا أعمارهم في طلب العلم والاثر واتعبوا أنفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا أيامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمحت نفوسهم بفراق ملذوذاتها والبعد عن جميع مألوفاتها هل بعثهم على ذلك باعث الدين أو باعث الهوى ولاشك ان باعث الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قدمناه من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخلصهم من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وان ادعوا أنهم على أحوال لا يجب عليهم فيها حكم يحتاجون الى تعرفه والقيام به فهم مخدوعون ومن أين لهم ذلك والعلم به لا يحصل ضرورة فلا بد لهم من استفادته ولا عناية لهم بهذا أيضا وانما كان يتصور منهم باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم بسبب تام من أسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من أوقاتهم عن محاولة هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبها ويدعوه فراغه من أشغال دنياه الى قطع ذلك الوقت بلهو ولعب أو ارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي يكون فيها استراحة لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذه الحال قد يصح باعث الدين من أمثال هؤلاء وأما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الا الدنيا المجردة المجاوزة للحد في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الاتساع في الدنيا والحصول على غاية ملاذها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يامله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على سد الرمق والاقتصار على البلغ والعلق فكذلك هؤلاء الذين كلامنا فيهم لو لم يتصوروا في خواطرهم الحصول على غايات اغراضهم من اتساع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك المبلغ في الاجتهاد والاقتصروا على بعضه وهذه كلها أمور بينة لا اشكال فيها عند من له أدنى تمييز وفهم وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرناه خفاءه عليهم كيف وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته في الاحايين عندما يخلى عن قلوبهم بعض ظلماتها وتنزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير مذكر من الخلق أو وعظ واعظ في قلوبهم من قبل الحق ثم يرجعون في سائر أوقاتهم الى

مألوفاتهم

ما ألوفاتهم ومعتاداتهم وانما المانع لهم من ذلك انفراد الله تعالى بالمشيئة والقدرة واستئثاره بالخذلان والنصرة فاذا أراد الله تعالى أن يضل عبدا من عباده لم ينفعه عقل ولم ينفعه علم قال الله عز وجل "ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا" وفي مثل هذا الموطن تبطل أحكام الاسباب وتحقق أرباب الحقائق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر بما ذكرناه أرباب الابصار وليسلوا أحكام الواحد القهار لعلهم بذلك يهتدون الى منهج التحقيق حين يضل غيرهم عن سواء الطريق

مصائب قوم عند قوم فوائد * وليقل العبد المؤمن اذا نظر اليهم واعتبر بما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به هذا وفضلني عليه وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه السالم في عقله وحدسه العامل على تصحيح أعماله وهمه المشفق على دينه الذي هو مسوط بلحمه ودمه أن يتأمل هذه المفاسد ويقيس بها ما توهمه من المصالح الناشئة عن تعليمه بزعمه ويدقق النظر في ذلك كما يدققه في أكثر المسائل التي لا يحتاج اليها ولا يقدم على التعليم في هذه الازمنة ذوات العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز بوقوع خطأ في نظر ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه خلاف ذلك اذا كان منصفا قال بعضهم رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته عن ذلك فقال وهو نادم ما صرنا الا متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا أحدهم حتى اذا عرف بنا وحمل عنا وجعل عاملا أو حاجبا أو قهرمانا أو جابيا يقول حدثنا سفيان الثوري وعليه أيضا أن يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعو اليه من التعليم لان كل ما تستحليه النفس وتوافق غرضها محفوف بالآفات والعلل التي تقدح في اخلاص الاعمال واخلاص الاعمال شرط في وجود القبول وعند ذلك يذهب عمله باطلا ولا ينال بسعيه طائلا وقد تقدم من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل عند قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد وتقدم أيضا الكلام على اتهام النفس في دعائها الى ما ظاهره خير عند قوله اذا التبس عليك أمران واتفق الحزم في ذلك من بشر بن الحرث الحافي رضي الله عنه كان يقول أنا اشتهي أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب الحديث انه سمع أبا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه كان يقول الاكثار من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فلما سمعه منه قال انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث وأقبل على العبادة وروي أيضا مثل هذا الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من طلب الحديث بهذه المثابة عند امامي المحدثين في زمانهما مع ما فيه من الفوائد الاخر وتعلقاته بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد ذكر الشيخ الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله

(متى آلمك) اى اوجد عندك الالم والغم (عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله) اى اقنع بعلمه (فيك) واكتف به عن علمهم بحالك المقتضى (٧٠) لاقبالهم عليك وعدم ذمهم لك فان كنت عند الله مخلصا فى اعمالك مقبولا فاى شئ يضرك من كونك عند الخلق ليس على ذلك الوصف حتى يتوجهوا اليك بالذم والاذى وان كنت حقيرا عنده تعالى لعدم اخلاصك فاى شئ ينفعك من اقبالهم عليك ورضاهم عنك وثنائهم عليك (فان كان لا يقنعك علمه) بان احببت ان تدخل مع علمه علم غيره حتى يطلع على اخلاصك واعمالك فيعظمك ويقبل عليك (فمصيبتك) الحاصلة لك (بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك) الحاصلة (بوجود الاذى منهم) بذمك والاعراض عنك لان عدم القناعة بعلمه تعالى يردك اليهم فهو مصيبة ولا يقوّ اذاهم يردك اليه فهو فائدة فى الواقع ونعمة وان كان مصيبة فى الظاهر فلا ينبغى للمريد ان يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا باعراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين فى اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيأ فمن آلمه عدم اقبالهم عليه او توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه وليكتف بعلمه بحاله ولا يحب ان يدخل مع علمه علم المخلوقين حتى يعظموه وقال ابراهيم التيمى لبعض اصحابه ما يقول الناس فى قال يقولون انك مراء فقال الآن طاب العمل قال بشر اكتف والله بعلم الله فلم يحب ان يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافى سكون القلب الى قبول المدح له اشد عليه من المعاصى

باسناده الى عبد الله بن مسلمة القعنبى رحمه الله قال دخلت على مالك بن انس رضى الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد على السلام ثم سكت عنى يبكى فقلت له يا ابا عبد الله ما الذى ابكاك فقال لى يا ابن قعنب ابكى لله على ما فرط منى ليتنى جلدت بكل كلمة تكلمت بها فى هذا الامر بسوط ولم يكن فرط منى ما فرط من هذا الرأى وهذه المسائل ولقد كان لى سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما كان آخذا فيه من المسائل المحققة المبنية على اصول صحيحة غير ملفقة فما الظن بما انتشر بعده من الهذيان الذى صار بحكم العادة واقتضاء العصبية وتمالى الناس على الضلال وتقليد الرؤساء الجهال دينا قويما وصراطا مستقيما وعلى كل واحد من العالم والمتعلم ان يشتغل بما هو اهم عليه مما هو مأمور به ومسؤل عنه من مراقبة ربه واصلاح نفسه وقلبه فله فى ذلك شغل شاغل عما يفرق همه ويقسى قلبه وينسيه ذكر ربه عز وجل قال وهب بن منبه كرطالب العلم عند مالك بن انس فقال ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ماذا يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى ومن حين تمسى الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيأ وكان سفيان الثورى يقول لاهل العلم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل به الرجل وكان يقول لولا ان الشيطان فيه حظا ما ازدحم عليه بقى العلم فهذه نبذة قصدت الى ثبتها فى الموضع اللائق بها من هذا التنبيه لننتفع بها من سبق له من الله زوال العمى عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من العالمين والمتعلمين وليتبين بها كلام المؤلف رحمه الله غاية التبيين والله الذى لا اله سواه نستعين ﴿(متى آلمك عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم) العبد لا ينبغى ان يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا باعراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين فى اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيأ وقد تقدم هذا المعنى فى قوله رحمه الله غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك فمن آلمه عدم اقبالهم عليه او توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قائما بعمله راضيا بقسمته كان له فى ذلك اعظم سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين بل لا يجد وقعا فى قلبه لما عسى ان يكون منهم من اقبال او اعراض وان لم يكن راضيا ولا قائما فمصيبته بذلك اعظم من مصيبته باذى الناس له بل لا مصيبة له فى اذى الناس البتة عند من عرف سر ذلك على ما ذكره المؤلف الآن رحمه الله تعالى قال ابراهيم التيمى رضى الله عنه لبعض اصحابه ما يقول الناس فى فقال يقولون انك مراء فقال الآن طاب العمل فقال بشر رضى الله عنه اكتف والله بعلم الله فلم يحب ان يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافى سكون النفس الى قبول المدح لها اشد عليها من المعاصى

انما

﴿إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكناً إليهم أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء﴾ وجود أذى الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما من اعتاد منه الملاطفة والإكرام والمبرة والاحترام لأن ذلك يفيده عدم السكون إليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الأنس بهم فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه آذاني إنسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم وقال بعض العارفين الصيحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب إذا ساكنت غيره ولولا ذلك لرقد العبد في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدي أبو محمد عبد السلام شيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما في دعائه اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم إني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون لي ملجأ إلا إليك وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري رضي الله عنه الأنس بالخلق وحشة والطمأنينة إليهم حمق والسكون إليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع وإذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وتوكله عليه وصان سره عن النظر إليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد قالوا الزهاد يخرجون المال من الكيس تقربا إلى الله تعالى وأهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل قال في لطائف المنن اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا وكي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا إليهم باستناد ومن أحسن إليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا الله له كل ذلك ليتخلص القلب من رق إحسان الخلق وليتعلق بالملك الحق قال وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو تصل به إلى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله وعد إقبالهم عليك بلاء وإعراضهم عنك نعماء ألا تراهم إذا أقبلوا افتتنوا قال وتسليط الخلق على أولياء الله في مبادي طرقهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك قال ومما يدلك على أن ذلك سنة الله في أحبابه وأصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الآية وقوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل الآية وقوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا الآيتين وقوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى انتهى وكذلك من استحلى حالا أو ساكن مقاما فمن سنة الله تعالى مع أوليائه تشويش ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تستأنس بغيره ولئلا تقف بسواه قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن القواطع المشكلة السكون إلى استحلاء

(إنما أجرى الأذى على أيديهم) (كي لا تكون أنت أيها المريد ساكنا إليهم) أي معتمدا عليهم في تحصيل نفع أو دفع ضر تاركا لجناب مولاك وقوله (أراد أن يزعجك عن كل شيء) بتوجه الخلق إليك بالأذى (حتى لا يشغلك عنه شيء) هو بمعنى ما قبله قال في لطائف المنن اعلم أن أولياء الله حكمهم في بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا ولئلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا إليهم باستناد ومن آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه ومن أحسن إليك فقد استرقك بوجود امتنانه ثم قال وتسليط الخلق على أولياء الله في مبادي طرقهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه اهـ وقال الأستاذ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره آذاني إنسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم اهـ

ما يلاقيك به من فنون تقريبك وكأنه في خلال ما يناجيك يناغيك فانه بكل لطيفة يصفيك ويطربك ويحميك من خدع ثنائه ومن أدركته السعادة كاشفه بشهود جلاله وجماله لا باثباته في لطيف أحواله وما يخصه به من افضاله واقباله وأداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدود عندهم من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه لما دخل على شيخه أبي محمد عبد السلام في أول ما لقيه وسأله عن حاله قال له أشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو انت من حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ ابو الحسن أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه فقال أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله سبحانه (وقال) سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه اللطف حجاب عن اللطيف يعني السكون اليه والوقوف عنده وشدة الفرح به ولذلك قال سري السقطي رضي الله عنه لو أن رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الاشجار عليها من جميع ما خلق الله من الاطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان في أيديهم أسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله أرض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه في جميع أموره الى الحق وقيل الفقير من لا دنيا له ولا آخرة فان عرض على مالك قال ليس من رجالي وان سلم الى رضوان قال لا أهتدي اليه وليس من رجالي وان قلت من هو وما الذي يدعي به قال ليس ممن يدعي بشيء وقال محمد بن الحسين رضي الله تعالى عنه بينا أنا أدور في جبل لبنان اذ خرج شاب قد أحرقه السموم والرياح فلما نظر الي ولى هاربا فتبعته وقلت له عظني بكلمة فقال احذره فانه غيور ولا يحب أن يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضي الله عنه الى بعض اخوانه من أشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما أشار اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه وألبسه لباس الطمع فتزداد رغبته فيهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده أسفا ونحن نعوذ بالله من السكون لغيره ﴿ (اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) الشيطان عدو مسلط على الانسان ومقتضى ذلك ان لا يوجد منه غفلة لا فترة عن التزيين والاغواء والاضلال قيل لبعضهم أينام ابليس فقال لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت أنه لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك عليه وافتقارك في كل أحوالك اليه واستعاذتك به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته وتنجو من غائلته قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه واللجا والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون لعدو الله عليه سلطان والله

(اذا علمت) أيها المريد أن الشيطان لا يغفل عنك) أي عن اضلالك واغوائك وخداعك لقوله تعالى لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقد ورد أن لكل احد من الناس شيطانا واضعا خرطومه على قلبه فاذا غفل عن ذكر الله تعالى وسوس له واذا ذكر خنس أي تأخر واستتر (فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) وهو الله تعالى أي عن الاعتصام والالتجاء به سبحانه وتعالى فانه يكفيك همه لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة به كيف لا ينصره على عدوه قال ذو النون المصري ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الارواح فيهم فقال له الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني

حبيبه وولي حفظه ونصره ولولا ما أمرهم الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه * قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فقوم فهموا من هذا الخطاب انهم أمروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو أي وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه وقال أبو حازم رضي الله عنه ومن الشيطان حتى يهاب والله لقد أطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان منديل هذه الدار يعني يمسح به أقذار النسب وهي نسبة الشرور وأنواع المعاصي والفساد اليه أدبا مع الله عز وجل وهذا سر ايجاده كما قال الله تعالى وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقوله تعالى هذا من عمل الشيطان وأما ان له حولا وقوة يضر بها أو ينفع فلا * قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله عز وجل خلقا أهون علي من ابليس ولولا ان الله أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبدا وقيل لبعض العارفين كيف تجاهد نك الشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا همنا اليه فكفانا من دونه وسئل بعضهم بم تدفع ابليس فقال لا أدفع من لا أعرف فأما ان أهملت ذلك وغفلت عنه ولم تر أنه غلبك لاجحالة لثبوت سلطنته عليك ووصوله بالوسوسة اليك قال أهل العلم ان لكل أحد من الناس وسواسا موكلا به مستبطنا قلبه واضعا رأسه أو قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر الله خنس أي تأخر واستتر وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الشيطان قديم وأنت حديث والشيطان كبير وأنت سليم الناحية والشيطان لا ينساك وأنت لا تزال تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل صدر ابن آدم مسكن له ومجراه من ابن آدم مجرى الدم وأنت لا تقاومه الا بعون الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله وفيه يقول القائل

أشكو عدوا كيده يراني * ولا أراه حيثما يراني

وعندما أنساه لا ينساني * ياسيدي ان لم تغث سباني

وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم مادامت الارواح فيهم قال له ربه وعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني ﷺ (جعله لك عدوا ليحوشك به اليه وحرك عليك النفس ليدوم اقبالك عليه) عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك اذ من مقتضاها كما قلناه ان لا يغفل عنك وان يبذل جهده في محاربتك ومقاتلتك بنفسه وجنده وبخيله ورجله ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال لاجحالة الى الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين فيوجد منك حينئذ الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك فعداوة الشيطان هي التي ردتك الى الحق تعالى بها اليه وجعلتها عليه وهذا هو غاية المقصود وكذلك حركة

(جعله) الله (لك عدوا) قال تعالى ان الشيطان لكم عدو الآية (ليحوشك به اليه) لانك اذا عرفت أنه لا طاقة لك على مقابلته بنفسك لما أنت عليه من غاية الضعف والعجز اضطررت لاجحالة الى الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين ووجد منك الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك فعداوة الشيطان هي التي ردتك الله بها اليه وجعلتها عليه وهذا هو غاية المقصود وهذا في حق غير المحبوبين الذين صرفوا همتهم الى جناب الحق اماهم فلا يحتاجون الى عدو يحوشهم لان تعلقهم به كالطبيعي فيهم فلا يلتفتون الى ابليس ولولا أمر الله تعالى لهم بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه (وحرك عليك النفس) بطلب متابعة الهوى والشهوة (ليدوم اقبالك عليه) لانك لا تقدر أيضا على مجاهدتها وقمع هواها الممتزج بلحمك ودمك الا بعون هو أقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهم عليه لانها وهي أعدى أعدائك اذ بواسطتها يتوصل اليك ولانها عدو من داخل البيت وعداوة العدو الذي من داخل البيت أشد ولذا سمى صلى الله عليه وسلم جهادها بالجهاد الاكبر

النفس بالحمل على متابعة الهوى والشهوة بما جعل فيها من الطبع والجبلة نعمة عظيمة أيضا وان كانت أعدى الاعداء لك اذ بواسطتها يتوصلون اليك ويأمرها يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل انك لاتقدر على مجاهدتها وقمع هواها الممتزج بلحمك ودمك الا بمن هو أقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهم عليه وكان المؤلف رحمه الله تعالى قصد في هذه الكلمات الى ذكر الاعداء الاربعة المذكورين في قول الشاعر

انى بليت باربع يرمينني * بالنبل عن قوس لها توتير

ابليس والدنيا ونفسي والهوى * يارب أنت على الخلاص قدير

وبين في كلامه وجود عداوتهم ووجوه الاحتراز منها وتمم ذلك ببيان أن تلك العداوة وان عظمت من أعظم الوسائل الى أسنى المطالب لمن أريد بذلك ووفق له وأتى بجميع ذلك في ألفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف قدر هذا الفصل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل وقال رضي الله عنه ۞ (من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر) اثبات التواضع يقتضي وجود الرفعة لامحالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا ينتفي عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لايحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه فالتواضع الذي أثبته العبد لنفسه لا ينتفي عنه وجود التكبر بالضرورة وأيضا فان لفظة التواضع تؤذن بذلك فان التواضع تفاعل من الضعة وأكثر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليست كذلك كالتناوم والتناكر والتفارج والتفاوت وغير ذلك فصيغة التواضع لاتقتضي حقيقة الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب من العبد انما هو أن يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا فقط بان ينتفي عنه وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرأ العبد من التكبر ولا يكون له وجود البتة ۞ (ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع) هذا بيان آخر لما ذكره من ان العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي وهو شهوده لذلك ووجدانه وظهور آثاره على ظاهره بل شهوده لذلك ووجدانه مما يقدح في حقيقة تواضعه كما قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من وجد ذوق ذله في ذله فهو متعزز وفيه بقية فهذا العبد المتصف بهذه الصفة لو فعل من أفعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود والوجد عليه فان أثبته لنفسه ورأى ان نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه يوما في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع

(من أثبت لنفسه تواضعا) بأن خطر بباله أنه متواضع (فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع) أي ليس اثباته ناشئا (الا عن) شهود (رفعة) كان يستحقها وأنه تنازل عنها الى مادونها (فمتى أثبت لنفسك رفعة) في ضمن اثبات التواضع (فأنت المتكبر حقا) ولا ينتفي عنك التكبر الا بوجود الضعة حقيقة بان لاترى لنفسك مرتبة ولا قيمة ثم قال (ليس المتواضع الذي اذا تواضع) أي فعل افعال المتواضعين بأن جلس في أسفل المجلس مثلا (رأى أنه فوق ما صنع) أي انه يستحق الجلوس في صدر المجلس مثلا (ولكن المتواضع) هو (الذي اذا تواضع) أي فعل افعال المتواضعين بأن جلس قريبا من صدر المجلس مثلا (رأى أنه دون ما صنع) وانه يستحق ان يجلس في أسفل المجلس مثلا والحاصل ان المتواضع حقيقة هو الذي لا يثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك ومن كان متصفا بهذه الصفة لو فعل من أفعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود عليه فان أثبته لنفسه ورأى نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذا قال الشبلي من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال ذلي عطل ذل اليهود ومن علامة المحقق بهذا الخلق ان لا يغضب اذا عيب أو انتقص ولا يكره أن يذم أو يقذف بالكبائر ولا يحرص على ان يكون له عندهم قدر وجاه ولا يرى لنفسه موضعا في قلوب الناس

نفسه وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه لا يتواضع العبد لله حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد رضي الله عنه ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل أحد على قدر معرفته بربه وبنفسه * وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال أبو يونس بن عبيد الله رضي الله عنه وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال يا ليتني لم أكن أنا سبب هلاككم ومن علامات التحقق بهذا الخلق أن لا يغضب إذا عيب أو تنقص ولا يكره أن يذم ويقذف بالكبائر ومن علامات تحققه به أيضا أن يشتد حرصه على أن لا يكون له جاه وقدر عند الناس ويلتزم الصدق في حاله بأن لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه وحكي عن أبي الحسين بن السكوني أستاذ الجنيد رضي الله عنهما أن رجلا دعاه ثلاث مرات إلى طعامه ثم يرده فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله داره في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبتك قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وحدثت عن بعض الصوفية أنه وقف على رجل وهو يأكل فمد يده وقال إن كان ثم شيء لله تعالى فقال اجلس فكل فقال أعطني في كفي فأعطاه في كفه فقعد في مكانه يأكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال إن حالي مع الله تعالى الذل فكرهت أن أفارق حالي قال وكان هذا ربما مد يده إلى الهراس فيجعل فيها هريسة ومن أغرب ما رأيت في التواضع ما ذكره صاحب كتاب عوارف المعارف قال رأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه في سفر إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رؤوس الأسارى من الإفرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والأسارى ينتظرون الأواني حتى تفرغ قال للخادم احضر الأسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم وقعد بينهم كأنه واحد منهم وأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله تعالى والانكسار في نفسه والانسلاخ من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله * وأغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية الطالب ومنية الراغب أبو الحسن علي بن عتيق بن يوسف القرطبي رحمه الله عن أبيه أنه رأى الشيخ الفقيه أبا محمد بن عبد الله عبد الرحمن بن مفيد وكان من الفقهاء العلماء وهو يمشي في يوم شات كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها قال فرأيته قد التصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره يجوز وحينئذ يمشي هو فلما قرب منه الكلب قال فرأيته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي

التواضع الحقيقي هو ما) أي انكسار وانضمام (كان ناشئا عن شهود عظمته تعالى وتجلي صفته) يعني ان شهود عظمة الله تعالى
وتجلي صفاته على العبد هو الذي يوجب له وجود التواضع الحقيقي لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذهبها ويبطل امانيها فاذا
تجلي الله تعالى لشيء الاخضع له فلا ينقطع من القلب شجرة الكبر وحب الرياسة الابه وخرج بالحقيقي التواضع المتقدم وهو الذي
ينشأ من النظر لنقص النفس وعيوبها فانه ليس حقيقيا لانه قد يكون مشوبا بشيء من الكبر والعجب ولذا قال الجنيد قدس
الله سره التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال الغزالي ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها
شيأ حتى يضعها اه فهو غائب عن
نفسه وحسه بما يشاهده من عظمة
ربه قال في عوارف المعارف لا يبلغ
العبد حقيقة التواضع الا عند
لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند
ذلك تذوب النفس وعند ذوبانها
صفاؤها عن غش الكبر والعجب اه
ثم علل ما تقدم بقوله (لا يخرجك
عن الوصف) أي عن أوصاف
نفسك كالكبر والعجب (الا شهود
الوصف) أي شهود صفات ربك
كعظمته فالوصف المذكور أولا
هو وصف العبد والمذكور ثانيا هو
وصف الرب وهذه قاعدة كلية
شاملة لما تقدم ولغيره فلا خروج
للعبد عن صفات نفسه الا بشهوده
لصفات ربه فمن شهد كبرياء الحق لم
يبق به كبر ومن شهد غناه لم يبق له
غنى ومن شهد قدرته لم تبق له قدرة
فيبقى بربه لا بنفسه فان من شهد
أوصاف ربه لم يبق له خبر عن نفسه
(المؤمن) الكامل (يشغله الثناء
على الله) أي وصفه بالاوصاف
الجميلة ونسبة الاوصاف الحميدة اليه (عن ان يكون لنفسه شاكرا) اي معظما لها بنسبة الافعال الجميلة وهو
والاحوال الحميدة اليها فاذا قال انا صليت او صمت ونسب الافعال الجميلة اليه لم يكن مؤمنا كاملا لان ذلك فعل الله تعالى
والعبد مظهر لذلك فقط ظهر فيه الفعل فلا معنى لاشتغال بالثناء على المظهر عن الثناء على الفاعل المعطي المنان فالمؤمن
الكامل لا ينسب الافعال الحسنة والاحوال السنية الى نفسه ولا يلتفت اليها فيكون لها شاكرا اي معظما بل يغيب عن ذلك
بنسبتها الى موجدها ومنشئها وهو الله تعالى (وتشغله حقوق الله) اي الحرص على توفية حقوقه تعالى (عن ان يكون لحظوظه
ذاكرا) اي ملتفتا اليها بأن يعبد الله تعالى لذاته لا لطمع في جنته او هرب من ناره فانه

فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت اليه فوجدته وعليه كآبة فقلت له يا سيدي اني رأيتك
صنعت الآن شيأ استغربته كيف رميت بنفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في
الموضع النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا تحتي تفكرت فقلت ترفعت على الكلب
وجعلت نفسي أرفع منه بل هو والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى وانا
كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الآن اخاف
المقت من الله الا ان يعفو عني لاني رفعت نفسي على من هو خير مني ۞ (التواضع الحقيقي
هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته) شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو
الذي يوجب للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذيبها
ويبطل امنيتها فاذا تجلي الله تعالى لشيء الاخضع له فلا تنقلع من القلب شجرة الرياسة والكبر
الا به لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال قال الجنيد رضي الله عنه
التواضع عند اهل التوحيد تكبر وقال الشيخ ابو حامد رضي الله عنه ولعل مراده ان
المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها او يرفعها
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها
تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة
عند هيبته ومن اشرف التواضع ان لا ينظر الى نفسه دون الله تعالى وفي كتاب عوارف
المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند
ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق
بمحو آثارها وسكون وهجها وغليانها ۞ (لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف)
هذه عبارة مليحة موافقة لمعنى ما تقدم الآن والوصف المذكور اولا وصف العبد
والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تبارك وتعالى ۞ (المؤمن يشغله الثناء على الله تعالى
عن ان يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا) شكر
النفس رؤية نسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة اليها وذلك ثناء عليها وهو
مضاد للثناء على الله تعالى وذكر حظها من اعتقاد ان لها حقا على ما يفعله من الطاعات

وهو مضاد القيام بحقوق الله تعالى فالمؤمن الحقيق لا يلتفت الى نفسه فى نسبة شئ من المحاسن اليها وفى طلب حظ عليه لها بل يشغله الثناء على الله تعالى والحرص على توفية جميع حقوقه عن جميع ذلك ﴿ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضا ولا يطلب منه غرضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له﴾ المحبة تقتضى من المحب بذل كلياته وجزئياته فى مرضاة محبوبه من غير طلب حظ يناله منه فهذا مما يلزم وجود المحبة كما قيل

ان المحب اذا أحب حبيبه * تلقاه يبذل فيه ما لا يبذل

بل يرى ما فضل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضا محبوبه نهاية السعادة والجنة كما قال أبو حفص عمر بن الفارض رحمه الله تعالى

مالى سوى روحى وباذل روحه * فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتنى * يا خيبة المسعى اذا لم تسعف

ولذلك قيل المحبة الايثار وهو ان لا يدع لمحبوبه ميسورا الا بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقى لنفسه ولا لحظه نفسا ولا سكنة ولا يستثنى من كل ما لا بد منه نسمة وأنشدوا

لئن بقيت فى العين منى قطرة * فانى اذن فى العاشقين ذليل

وقال أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببته حتى لا يبقى لك منك شئ وقال أبو يعقوب السوسى رضى الله عنه حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله تعالى وينسى حوائجه اليه وقيل لبعض المحبين وكان قد بلغ المجهود فى بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه فى المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق لخلق عملت فى هذا البلاء فقيل وما هى قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبى كله وأنت تعرض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبنى فأى شئ تنفق على فقال يا سيدى املكك ما أملك ثم أنفق عليك روحى حتى أهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذى ذكرناه من لوازم المحبة الحقيقية وأما رجاء العوض وطلب الغرض فهذا حال من مقامه الرجاء وليس من مقام المحبة المخصوصة فى شئ قال الشاعر

من لم يكن بك فانيا عن حظه * وعن الهوى والانس بالاحباب
فلأنه بين المراتب واقف * لمنال حظ أو لحسن مآب

وقال آخر وما أنا بالباغى على الحب رشوة * ضعيف هوى يرجو عليه ثوابا

(قال) أبو محمد رويم من أحب العوض بغض العوض اليه محبوبه وقيل أوحى الله عز وجل الى عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام انى اذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وقال بعض المحبين كوشفت بأربعين حوراء ورأيتهن يتساعين فى الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنين

(ليس المحب) الحقيقى (الذى يرجو من محبوبه عوضا) على عمل يعمله فلا يقصد بأعماله الصالحة جنة ولا نجاة من نار (أو يطلب منه غرضا) من الاغراض الدنيوية والاخروية (فان المحب) أى الحقيقى (من يبذل لك) أى يعاملك (ليس المحب) الحقيقى (من تبذل له) لان المحبة الحقيقية أخذ خصال المحبوب لمجامع القلب فلا يصير عند المحب التفات لغير محبوبه فمن عبده تعالى لجنته فليس محبا له بل للجنة

فنظرت اليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا أنظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهن فلم أزل أتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عني وذكر الشيخ الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه قال ميسرة الخادم غزونا في بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع بالحديد فحمل على الميمنة حتى ثناها وعلى الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم أنشد يقول

أحسن بمولاك سعيد ظننا * هذا الذي كنت له تمنى

تنحي يا حور الجنان عنا * ما لك قاتلنا ولا قتلنا

لكن الى سيدكن اشتقنا * قد علم السر وما أعلنا

قال فحمل فقاتل حتى قتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو قد حمل على الناس وأنشأ يقول

قد كنت أرجو ورجائي لم يخب * أن لا يضيع اليوم كدي والطلب

يا من ملا تلك القصور باللعب * لولاك ما طابت ولا طاب الطرب

فحمل وقاتل فقتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة على الناس ثم أنشأ يقول

يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي * ما لك قاتلنا فكفي وارجعي

ثم ارجعي الى الجنان واسرعي * لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي

فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ولاجل ما ذكرناه من اقتضاء مقام المحبة بذل كلية البذل من المحب لزم وقوع الابتلاآت والمطالبات به حتى يحصل له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم أول ما يقول الله عز وجل للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال وغير ذلك فان قال لا ما أريد الا أنت قال له من دخل معي في هذا فليدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحدوث وثبوت القدم وذلك يوجب له العدم وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد أن يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه طولعت بشيء من المحبة فقال له يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرته عليه فقال لا قال لا تطمع نفسك في المحبة فانه لا يعطيها أحدا حتى يبلوه وقال بعض علمائنا رضي الله تعالى عنهم كل أهل المقامات يرجون أن يعفو عنهم ويسامح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة وخطرة لله ومع الله وقال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه وكان له مقامات في المحبة رفيعة قلت ذات يوم رب ان كنت أعطيت أحدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرأيت في النوم انه أوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسألني ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء حبيبه أم هل يستريح المحب الى غير معشوقه قال

فقلت

فقالت يارب تمت فى حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لى وعلمنى كيف أقول فقال قل اللهم رضنى
بقضائك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك انتهى فللمحبين دقائق خطرات
ولطائف ملاحظات يظهر لهم بذلك الشوق فى صفائهم والبعد فى مواطن قربهم فهم
يفرون منها و يخرجون عنها مخافة ان تسترق بشئ من ذلك قلوبهم بأدنى ميل أو مساكنة
فيوجب لهم ذلك السقوط من مقامهم الرفيع الذى أهل لهم وأهلوا له ولذلك قال
محمد بن سهل بن عبد الله رضى الله عنه جناية المحب عند الله تعالى أشد من معصية العامة
وهو أن يسكن الى غير الله أو يستأنس بسواه وقيل أوحى الله تعالى الى داود على نبينا
وعليه الصلاة والسلام يا داود انى حرمت على القلوب أن يدخلها حبى مع حب غيرى
ويحكى ان الله تعالى قال لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام نعم العبد أنت لولا
الأن فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يجيه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن أحبنى
لم يسكن الى شئ (ويروى) ان عابدا عبد الله فى غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر قد
عشش فى شجرة يأوى اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدى الى تلك الشجرة
فكنت آنس بصوت ذلك الطائر قال ففعل فأوحى الله الى نبى ذلك الزمان قل لفلان العابد
استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لاتنالها بشئ من عملك أبدا ﴿ لولا ميادين النفوس

ما تحقق سير السائرين اذ لامسافة بينك و بينه حتى تطويها رحلتك ولاقطعة بينك و بينه
حتى تمحوها وصلتك ﴾ السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثارها ودواعيها
وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى
وتصل الى سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق
تعالى أقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسى وهو المسافة التى تطويها رحلته والبعد
المعنوى وهى القطعة التى تمحوها وصلته محالان فى حقه تعالى لنفى المثلية فى الاول
وعدم الضدية فى الثانى وهذه الالفاظ التى عبر عنها المؤلف رحمه الله تعالى من السير
والميادين والرحلة والوصلة وفى معناها السير والسلوك والذهاب والرجوع هى عبارات
استعملها الصوفية فى أمور معنوية تجوزوا بها عن امور حسية ومرجع جميع
ذلك كله الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لاغير وهذا الكلام الذى ذكره المؤلف
ههنا وما تقدم له ولغيره ما مر من ان النفس هى الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى
وان مجاهدتها وقهرها ومخالفتها ينال سعادة لقاء الله تعالى صحيح المعنى (قال) بعضهم
ما الحياة الا فى الموت اى ما حياة القلب الا فى اماتة النفس وقيل الهمة العظمى الخروج
عن النفس لان النفس اعظم حجاب بينك و بين الله تعالى وقال سيدى ابو مدين رضى الله
عنه من لم يمت لم ير الحق وقال سيدى ابو العباس رضى الله عنه لاتدخل على الله الا من
بابين من باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعى ومن باب الفناء الذى تعنيه هذه الطائفة
وعن حاتم الاصم رضى الله عنه انه قال من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه اربع

(لولا ميادين النفوس) أى شهواتها وعاداتها وألوفاتها الشبيهة بالميادين أى مواضع ركض الخيل بجامع الجولان فى كل فكما ان الخيول تجول فى الميادين كذلك النفوس تجول فى مشتهياتها والمعنى لولا هذه الشهوات التى تخوض فيها النفوس وتعشقها (ما تحقق سير السائرين) أى ما تصور سير ولا سلوك الى حضرة ملك الملوك لانه تعالى أقرب لكل أحد من نفسه قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فالبعد الذى يوجب السير الى المحبوب وسلوك الطريق للوصول اليه قائم بك أيها العبد وهو شهواتك ولو عدمت منك لم تحتج الى سير ولا سلوك لان البعد الذى يحتاج الى ذلك منتف عنه سبحانه وتعالى حسيا كان أو معنويا كما أشار الى ذلك بقوله (اذ لامسافة) حسية (بينك وبينه حتى تطويها رحلتك) أى ارتحالك لان المسافة الحسية لاتكون الا بين شيئين يصل أحدهما الى صاحبه (ولاقطعة) بضم القاف أى انقطاعا وعداوة (بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك) لان الانقطاع والعداوة لايكونان الا بين متضادين متعاديين فيحتاج أحدهما الى الوصلة والمودة وأين أنت من الله حتى تعاديه والحاصل أنك عند انتفاء الشهوات منك لاتحتاج الى السير لان السير الى الله تعالى هو

خصال من الموت موت أحمر وموت أسود وموت أبيض وموت أخضر فالموت الابيض الجوع والموت الاسود احتمال أذى الناس والموت الاحمر مخالفة النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه للنفس سر ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه الا على فرعون فقال أنا ربكم الاعلى ولها سبعة حجب سماوية وسبعة حجب أرضية فكلما يدفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصل بالقلب الى العرش يعنى اذا خالفها وفارقها وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس انما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه فى ان يعينه ويقويه على أمر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه ويستعمل هذا فى كل حال ووقت وليجعله عمدته فيما هو سبيله وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله ما توقف طالب أنت طالبه بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يكون الخروج من النفس بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة فى ظاهره وباطنه والتزام آدابهما ولكل عبد عمل مخصوص يقتضى لا محالة حكما مخصوصا يقوم بحقه وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس فحركات العبد وسكناته هى أعماله الظاهرة ومقصوده وهمه وارادته هى أعماله الباطنة وكل واحد من القسمين ينبغى أن يأخذ فيه بعزائم الامور ويجتنب الرخص التى هى من شأن العامة والجمهور حسبما تقدم عند قوله من جهل المريد أن يسىء الادب فتؤخر العقوبة عنه فعمل الظاهر ان كان واجبا فليبادر الى فعله ولا يتوان عنه وليقم بجميع آدابه اللازمة له ويلحق بذلك ما كان مندوبا اليه اذا علم فى أى مرتبة هو وانما اشترطنا هذا الشرط لان المندوبات التى نعترضه يحتاج فيها الى تقديم الاولى فالاولى والاهم فالاهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم ما ليس بأهم كان متبعا للهوى لا لموجب العلم وليأخذ فى ذلك بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفى حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا وان أفضل العمل أدومه وان قل وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا وان كان حراما فليبادر الى تركه واجتنابه وليقطع عن نفسه جميع أسبابه ويلحق بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا فهذا هو محل نظر المريد فعليه أن يأخذ بالعزيمة فيه وليقف على حدود الضرورة منه وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه ويعظم حرصها عليه أكثر من اجتنابه لما فقد منه ذلك ويختلف ذلك باختلاف الاشخاص فرب شخص تميل نفسه الى ما لا تميل اليه نفس شخص آخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون وقوفه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل الهوى والشهوة ومما يشتد ميل نفوس أكثر الناس اليه ما يكون سبب تناوله واستعماله مراعاة

قطع عقبات النفس ومحو آثار دواعيها وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق أقرب اليك من نفسك فالبعد الحسى وهى المسافة التى تطويها راحلتك والبعد المعنوى وهى القطعة التى تمحوها وصلتك محالان فى حقه تعالى لنفى المثلية فى الاول وعدم الضدية فى الثانى فنفسك هى الحجاب الاعظم عن الله ومجاهدتها وقهرها وموتها تصل الى الله * وقال أبو مدين من لم تمت نفسه لم ير الحق وقال الاستاذ أبو العباس لا يدخل على الله الا من بابين باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعى وباب الفناء الذى تعنيه هذه الطائفة * وعن حاتم الاصم من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت موت أحمر وهو مخالفة النفس وموت أسود وهو احتمال أذى الناس وموت أبيض وهو الجوع وموت أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض ولا بد للمريد فى هذه الطريق من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تأديب نفسه وتخلص من هواه فيسلم نفسه اليه ويلزم طاعته والانقياد اليه فى كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقد استوفينا آداب المريد مع الشيخ وبينا من يصلح للمشيخة فى غير هذا الكتاب نظر

نظر الخلق والجرى على عوائدهم السيئة وصرامهم المذمومة ومجاهدة النفس فى مثل هذا عسيرة جدا لا سيما ان ابتلى بحب الجاه والرياسة وقبول الخلق فى ولاية حكم أو نشر علم او غير ذلك فانها أشد الشهوات علاقة بالقلب وأضرها بالمريد فيجب عليه أن يعتنى بذلك ويبالغ فى تطهير ظاهره وباطنه منه مما يتعاطاه من أعمال وأحوال وقد نبهنا على هذا المعنى فى اول الكتاب عند قول المؤلف رحمه الله تعالى ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويتعين على المريد فى رياضته ومجاهدته أن يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان فى مظان وجدان شهواته وسىء عاداته وأن لا يجامعها ولا يتفق معها فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وضر كما قيل

ان السلامة من سلمى وجارتها * ان لا تمر على حال بواديها

فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد يتحرك مثلا فى طلب الخير والعمل من أعمال البر فيتفق أن يقع بصره على شىء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه فى لحظة ما كابد أمره فى سنة مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه العلماء رضى الله عنهم النفس فى مثل هذا بدابة استعارها رجل من ربها ومالكها ليتصرف بها فى حاجاته وكانت دابة جموحة صعبة المراس فجاز بها المستعير فى بعض تصرفاته على دار مولاها فنزعت الى دار سيدها فانه لا محالة يحتاج الى صرف عنانها فان تقاعست ضربها بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك عما نزعت اليه وقد يكون عليه فى ذلك تعب ومؤنة وسبب ذلك اغماضه وخطوره بها على دار مولاها الذى ألفته واعتادته ولو لم يمر بها عليه لسلم ولم يحتج الى معاناة ولا مكابدة فان تغافل عنها حتى أدخلت يديها فى عتبة الباب واستمكنت منها ثم أراد منعها من الدخول لم تطعه وربما بل اقتحمت به باب الدار كرها وربما جرحت رأسه وآلمته وسبب ذلك اغماضه وتمكينها من العمل بمقتضى طبعها وموافقة جبلتها فكذلك حال النفس قال

فالنفس ان أعطيتها هواها * فاغرة فوهواها فاها

فلذلك كانت الخلوة والعزلة من أوجب الواجبات على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادئة قد نسيت عوائدها وفترت دواعيها وبمداومته على ذلك يحصل له من التزكية والتحلية والاستقامة والطمأنينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه شىء مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من اجل ذلك الى المجاهدة الشاقة والرياضة الصعبة وأنى له مع ذلك تلافى ما فاته وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته (قال) الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه والفرق بين الوقفة والفترة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة خروج عن السير باستيلاء حالات الكسل وكل مريد وقف فى ابتداء ارادته لا يجى منه شىء انتهى كلامه رحمه الله فبدايات الامور هى التى يجب ان يراعيها المريد والله ولى التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد فى هذا القسم عن تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية على ما ينبغى وعمل الباطن يرجع حاصله الى أمر واحد

وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد العبودية له وذلك بأن يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو الذى ضمنه المؤلف رحمه الله كتابه التنوير فى اسقاط التدبير فليستعن المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته التوصل الى شئ من الكرامات وخرق العوائد وأنواع الاجابات فان ذلك فتنة وبلية قاطعة عليه طريق العبودية (قال) أبو عثمان المغربى رضى الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغى أن يكون خاليا من جميع الاذكار الاذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الارضا ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه فى فتنة أو بلية (وقال) الشيخ ابو عبد الله القرشى رضى الله عنه من عمل ابدا أو يرى لم يفتح له بشئ حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية (قال) صاحب كتاب عوارف المعارف من دخل الخلوة معتلا فى دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال وظن انه حصل على حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الاذكار واجتمعوا انفسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة فى جمع الهم لها تأثير فى صفاء الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتج تنوير القلب والزهد فى الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفى صفاء فى النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية مما يعتنى به الفلاسفة والدهريون وكلما أكثر من ذلك كثر البعد من الله تعالى ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هى المقصودة من الخلوة اقول بعضهم الحق يطلب منك الاستقامة وأنت تطالبه بالكرامة وقد يفتح على الصادقين بشئ من خوارق العادات وصدق الفراسة وتبين ما يستحدث فى المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح فى حالهم عدم ذلك وانما يقدح فى حالهم الانحراف عن هذا الاستقامة وما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سبب مزيد انتفاعهم والداعى لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد فى الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى تلحد

وتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لاقوام خيالات يظنونها وقائع ويسمونها وقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق فمداومة العبد على مثل هذه الاساليب التي ذكرناها مشاهد التوفيق ربه عز وجل وتأييده له يحصل له من الله مزيد كثير وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث الصفات وتستنير سريرته بأنوار المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها او شهود شيء منها ورد دواعيها اليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من اختيارها وارادتها وانمحاء آثار بشريتها عنها فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذه هي السبيل الى موت النفس المفضي الى حضرة القدس لكونه جاريا على مقتضى الشريعة والحقيقة اللتين بأنوارهما يهتدي كل سالك ومريد ولا بد للمريد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تهذيب نفسه وتخلصه من هواه فليسلم نفسه اليه وليلازم طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقد قال أبو علي الثقفي رضي الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب نفسه ورعونات أعماله لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات (وقال) سيدي ابو مدين رضي الله عنه من لم يأخذ الادب من المتأدبين أفسد من يتبعه وقال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن انما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك في كائنها ودقائقها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهروب عنها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتني على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين وانما يعوزك وجدان الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى قال الله سبحانه أمن يجيب المضطر اذا دعاه وقال سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن لوجدت ذلك أقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك انتهى وفي كلامه رحمه الله تنبيه على أن الشيخ من

منح الله وهداياه للعبد المريد الصادق اذا صدق في ارادته وبذل في مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الآداب معه لما أشهده من عالي مرتبته ورفيع درجته (قال) سيدي أبو مدين الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه وقال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذي أثرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك الذي نهض بك حاله شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في أنوار الحضرة وقال ها أنت وربك اهـ وآداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة في كتب الائمة الصوفية رضي الله عنهم ومن أبلغ ذلك وأوجزه ما ذكره الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه قال فشروط المريد أن لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سرا أو جهرا فسوف يرى عنه من غير ما يجمعه سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يسرونه منهم أشد مما يكابدونه بالجهد وأكثر لان هذا يلحق بالخيانة ومن خالف شيخه لم يشم رائحة الصدق فان برز منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا من قوت أحوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم انتهى وقال الشيخ العارف محي الدين أبو العباس البوني رحمه الله اياك أن تحتقر فلا يخطر لك أن لا تلقيه الى الشيخ طاعة كان أو معصية على أي نوع برز لك ولو اختلف عليك ألف مرة في ساعة واختلفت الملك ألف ساعة في الخاطر ليعطيك الدواء الذي تزجه به أو يحمل عنك بهمته قال ولقد رأيت تلميذا من أصحاب شيخنا الامام تاج العارفين أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي رحمه الله تعالى وكنت جالسا عنده فدخل عليه فقير وفي يده باقلاة فقال له ياسيدي اني وجدت هذه الباقلاة فما أصنع بها فقال له اتركها حتى تفطر عليها فقلت ياسيدي حتى الباقلاة يعلم بها قال ياولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يفلح أبدا فاذا جوهدت النفس بهذه المجاهدات وقوتلت بهذه المقاتلات رجعت عن جميع مألوفاتها الدنيئة وعاداتها الرديئة وزال عنها النفور والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار وتركت أعمالها وصفت أحوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما ألفت سوى هذه مرض أصابها من الركون الى هذا العالم الادنى

والانس

والانس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب سعادتها
وغاية شرفها وافادتها فلما تعالجت بما ذكرناه عادت الى الصحة والى طبعها الاصلي فألفت
العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة لان يقال لها يا أيتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * قال الشيخ العارف
أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه النفس المطمئنة هي التي تخلصت من السوء ولم
يبق بينها وبين السوء نسبة وكانت مباديها في الاكتساب الايمان والرضا المكتسب فلما
صفت وتطهرت من جميع المخلوقات وزال عنها الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء
من مكان قريب فأجابت لعدم الحجاب فخرجت للمواهب والرضا الوضى الوهبى الذي
قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضا الله المطلوب الموهوب وفي عباده
وجنته لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها * وعلامة وصول المريد الى هذا المقام الجليل أن
تستوي عنده الاحوال ولا يتأثر باطنه بما يواجهه به من قبح الافعال والاقوال لاستغراق
قلبه في مطالعة حضرة الكمال * قال أبو عثمان الحيري رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى
يستوي قلبه في أربعة أشياء في المنع والعطاء والعز والذل * وقال محمد بن خفيف رضي الله
عنه قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت أخدمه وآخذ منه الطشت
طول مرضه فضجرت مرة فقال لي أخ لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله
لعنك الله فقال كقوله رحمك الله * وحكي عن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال ما سررت
في الاسلام الا مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات
المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت وقتا في معركة الترك علجا فقلت هكذا
وكان يأخذ بلحيتي ويمر يده على حلقي هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب
عنده أحد أصغر مني ولا أحقر فسررت بذلك وكان يوم آخر كنت جالسا فجاء انسان
وصفعني من غير سبب ويوم آخر كنت جالسا فجاء انسان وبال علي * وكان في وقت حاتم الاصم
رضي الله عنه رجل يسيء القول فيه وفي أصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه
جذع من السقف في بعض الايام في حال مواجهته القوم بالسب والشتم فمات فقال الحمد
لله فقيل له هذا خلاف ما أمرتنا به فقال ما حمدت الله شماتة بموته بل حمدت الله اذ لم أسر
بنكبته * هذا وأشباهه من احوالهم معلوم ضرورة * وأبلغ من هذا كله محبة الموت
وكراهية البقاء في الدنيا شوقا الى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب
حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه
العلامات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر

لك الدهر طوع والانام عبيد * فعش كل يوم من زمانك عيد

وكما قال سيدي أبو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى

بدا لك سر طال عنك اكتتامه * ولاح صباح كنت أنت ظلامه

(جعلك) أيها الانسان (في) زائدة (العالم المتوسط بين ملكه وملكوته) اى جعلك العالم المتوسط بين عالم الملك وهو عالم الشهادة وعالم الملكوت وهو عالم الغيب فالانسان ليس من عالم الملك محضا ولا من عالم الملكوت محضا بل هو متوسط بينهما حسا ومعنى أما حسا فلأن الله تعالى خلقه بين السماء والارض وغيره من الحيوانات وغيرها مخلوق لاجل انتفاعه به وأما معنى فلان الله تعالى خلقه في أحسن تقويم وجعله متضمنا لاسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا سماويا أرضيا ولذا يقال له العالم الاصغر (٨٦) ويقال انه نسخة من العوالم ففيه من صفات الملائكة العقل والمعرفة والعبادة ومن صفات الشياطين الاغواء والتمرد والطغيان ومن صفات الحيوانات انه في حالة الغضب يكون أسدا وفي حالة غلبة الشهوة يكون خنزيرا لا يبالي أين يلقي نفسه وفي حالة الحرص على الدنيا والشره يكون كلبا وفي حالة الاحتيال والخداع يكون ذئبا ومن صفات النبات والاشجار أنه يكون في مبدئه غضا طريا مثمرا وفي آخره يابسا أسود ومن صفات السماء أنه محل الاسرار والانوار وجميع الملائكة ومن صفات الارض انه محل لنبات الاخلاق والطباع ومنه اللين والخشن ومن صفات العرش أن قلبه محل التجلي واللوح انه خزانة العلوم والقلم انه ضابط لها والجنة انه اذا حسنت أخلاقه تنعم به جليسه والنار انه اذا قبحت أخلاقه احترق به جليسه وانما جعلك كذلك (ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته) وانها كلها مسخرة لك ومخلوقة لاجل انتفاعك بها فينبغي لك أن ترفع همتك عنها وتشتغل بمولاك قال أبو العباس المرسي الاكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة فهذا يتعلق بالتوسط الحسي على ما مر وأشار الى ما يتعلق بالتوسط المعنوي بقوله (وأنك جوهرة تنطوي عليك أصداف مكوناته) أي أصداف هي مكوناته أو مكوناته قدره شبيهة بالاصداف جمع صدفة وهي ما فيه الجوهرة وانطواؤها عليه من حيث ان صفات جميعها فيه على ما مر ولم يخلق على هذه الصفة الا الانسان ولذا استخلفه الله على صفاته وجعله خليفة في تنفيذ أمره ونهيه وجعل له وجهتين وجهة الى الحق ووجهة الى الخلق وأما الملائكة ومن في معناهم من الروحانيين فليس لهم الا الوجهة الاولى وهذا في جبلة كل انسان لكن لا يظهر له الا بعد الرياضة والمجاهدة يسمى حينئذ الانسان الكامل وهذه أسرار لا تدرك الا بالذوق ولا تفشى لغير أربابها ثم أشار الى خاصية أخرى لذلك الانسان بقوله

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه * ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت * على مركب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه * شهي الينا نثره ونظامه *
اذا سمعته النفس طاب نعيمها * وزال عن القلب المعنى غرامه

وأنشدوا في معناه أيضا رضي الله عنهم أجمعين

قولي لآمالي ألا فابعدي * قد أنجز الاحباب لي موعدي
قد كنت قبل اليوم مستأنسا * منك بظل مشفق مسعد
اذا نسيم الوصل من نحوهم * هب فلي عنك بظل ندي
وحيث لاحت لي اعلامهم * فليس لي فقر الى مرشد

وان لم يجدها في نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا يفتر عما قد يتراءى له من سيء حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هوى نفسه فقد وليس طريق موت النفس بقطع جميع الارفاق عنها وردها الى الاجتزاء بالخشن والنخالة والمبالغة في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصور اراداته وترك الالتفات الى ما يحمد منها وما يذم فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في ذلك طوائف من الناس عملوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فأداهم ذلك الى اختلال عقولهم واضمحلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة (جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهرة تنطوي عليك اصداف مكوناته) * خلق الله تعالى الانسان في أحسن تقويم وأتم تسوية وتعديل وجعل بنيته متضمنة أسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار لذلك روحانيا جسمانيا أرضيا سماويا ولذلك يقال له العالم الاصغر وهذا هو الذي يظهر لي في معنى جعله في العالم المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلا جرم لما كان الانسان بهذه المثابة من كونه نخبة جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت الاكوان كلها له باعتبار احاطتها وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذي يحفظ الشيء ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التي تحويها الصدفة والمقصود من هذا أن يعرف الانسان جلالة

(انما وسعك الكون) أى العالم السفلى وهو الارض (من حيث جثمانيتك) بضم الجيم أى جسمك لان جسمك بعض الكون ومحصور فيه ومصاحبه غير خارج عنه (ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) أى روحك لانها ليست من هذا العالم ولا مناسبة بينها وبينه فلا تصلح أن تتعلق بشئ منه بل لا تصلح أن تتعلق الا بالمولى سبحانه (٨٧) والحاصل أن الانسان مجموع شيئين جسم وروح وبين الجسم والكون مناسبة ومجانسة فهو متوقف على الكون فان تعاطى منه ما يقوم به بقى فى هذا العالم والاهلك حسبما جرت به العادة الالهية وليس بين الروح والكون مجانسة ولا مناسبة فلا تصلح أن تكون متعلقة به بل بمالك الكون وهو المولى جلت قدرته وحينئذ فينبغى السعى فى تكميلها بالاذكار والرياضات حتى تزول عنها الكدورات البشرية وتصلح لتعلقها بحضرة الرب الذى هو شأنها الاعظم وأما الجسم فلا ينبغى الاهتمام بإصلاحه فان الله متكفل به ولابد ولذا قيل

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته
وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(الكائن فى الكون) أى الموجود فى الدنيا (ولم تفتح له ميادين الغيوب) أى لم يفتح قلبه للعلوم والمعارف الشبيهة بالميادين (مسجون بمحيطاته) أى بشهواته ولذاته وعاداته المحيطة به من المآكل والملابس والمشارب (ومحصور فى هيكل ذاته) أى هيكل هو ذاته النفسانية والمراد شهواته ولذاته فهو مرادف لما قبله (أنت مع الاكوان) أى واقف معها ومستند اليها وهى مستعبدة لك (مالم تشهد المكون) فيها (فاذا شهدته) فيها (كانت الاكوان معك) أى كنت مستغنيا عنها ومالكا لها وهى محتاجة اليك وخادمة لك فاذا طلبت منها شيأ حصل واذا قلت لشئ كن كان باذن الله تعالى ولذا كان بعض الاولياء يقول للسماء أمطرى فتمطر وللريح هبى فتهب وسبب ذلك غيبته عنها بشهود مكونها ومعلوم أن حالة الشهود يغيب فيها الولى عن حسه وعن بشريته

قدره وفخامة أمره فيعلو بهمته الى المراتب السامية اللائقة به وذلك باخلاص العبودية لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه وينظر فى هذا المعنى الى ما قال الشاعر

اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة * ونارا وأفلاكا تدور وأملاكا
وكنت من السر المصون سريرة * وأدركت هذا بالحقيقة ادراكا
ففيم التأنى فى الحضيض تثبطا * مقيما مع الاسرى أما آن اسراكا

كان الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه يقول الاكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة * وقد ورد فى بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم أنا بدك اللازم فالزم بدك * وفى بعض الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له وقال الواسطى رضى الله عنه فى معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم قال بأن سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا فى تسخير شئ ويتفرغوا الى عبادة ربهم ۞ (انما وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) انما وسعك الكون من حيث جثمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو باكتفائك به وقضاء أوطارك منه ووقوف آمالك فى نيل حاجاتك عليه ولا خاصية لك فى هذا أيها الانسان لان مرتبتك أجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون وهذه هى خاصيتك التى فيها سموك وعلوك ورفعة قدرك فلم تهملها وتنحط منها الى أسفل سافلين قال أبو عبد الله بن الجلاء رضى الله عنه من علت همته عن الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته على شئ من الخلق فانه الحق لانه أعز من ان يرضى معه شريكا وسئل احمد بن خضرويه رضى الله عنه أى الاعمال أفضل فقال رعاية السر عن الالتفات الى شئ سوى الله ۞ (الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته) فمن لازم الكون وبقى معه وقصر همته عليه ولم تفتح له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص سره الى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته وهذه هى صفات أصحاب النار كما قال الله تعالى أحاط بهم سرادقها وليس فى جهنم عذاب أعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال الله تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو حال من بقى مع نفسه وعمل على نيل حظه كائنا ما كان وفى بعض الآثار المروية عن الله عز وجل عبدى اجعلنى مكان همك أكفك كل هم ما كنت بك فأنت فى محل البعد وما كنت بى فأنت فى محل القرب فاختر لنفسك ۞ (انت مع الاكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك)

فرق ما بين كونك مع الاكوان وكون الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضى
تقيدك بها وحاجتك اليها فأنت بذلك عبد لها ثم هى خاذلتك ومسلمتك أحوج ما تكون
اليها وهذه حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان معك يقتضى
ملكك لها واستغناءك عنها فأنت حينئذ حر عنها وهى محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة
بك حتى الجمادات والحيوانات * قال الشبلى رضى الله عنه ليس يخطر الكون ببال من
عرف المكون انتهى وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ رضى
الله عنهم أنا أدخل السوق والاشياء تشتاق الى وأنا عن جميعها حر وعن المزين
الكبير رضى الله عنه قال كنت مع ابراهيم الخواص فى بعض اسفاره فاذا عقرب تسعى على
فخذه فقمت لاقتلها فمنعنى وقال دعها كل شئ مفتقر الينا ولسنا مفتقرين الى شئ وقال
محمد بن المبارك الصوفى رحمه الله كنت مع ابراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا
فى وقت القائلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعتين فسمعت صوتا من أصل الرمان يا أبا اسحق
أكرمنا بأن تأكل منا شيأ فطأطأ ابراهيم رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن
شفيعا اليه ليتناول منا شيأ فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت فقام فأخذ منها رمانتين فأكل
واحدة وناولنى الاخرى فأكلتها وفى غير هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها
حامض وأنها تطعم فى كل عام مرة فطالت وارتفعت وحلا رمانها وصارت تطعم فى كل عام
مرتين وكانت السباع تجئ الى سهل بن عبد الله رضى الله عنه فيدخلهم بيتا عنده
ويضيفهم ويطعمهم اللحم وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه كنت فى البادية
مرة فسرت فى وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ماء فنزلت فاذا أنا بسبع
عظيم قد أقبل فلما قرب منى اذا هو يعرج فحمحم وبرك بين يدى ووضع يده فى حجرى فنظرت
فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذى فيه القيح ومسحته
وشددت على يده خرقة فمضى فاذا أنا به بعد ساعة جاء ومعه شبلان يبصبصان لى وحملا الى
رغيفا * وقال بعضهم أشرفت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان يحفظه وقد أخذه
النوم واذا حية فى فيها طاقة نرجس تروحه بها * وحكى عن أبى اسحق الصعلوكى رحمه الله
تعالى قال خرجت مرة الى الحج فبينما أنا فى البادية اذ تهت فلما جن على الليل وكانت ليلة
قمراء فسمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة قال فدنوت
منه فاذا هو شاب نحيف قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما عرفته ومنها ما لم
أعرفه فقلت من أين أنت فقال من مدينة شمشاط كنت فى عز وثروة فطالبتنى نفسى
بالعزلة فخرجت وقد أشرفت على الموت فسألت الله تعالى أن يقيض لى وليا من أوليائه
فأرجو أنك هو قال فقلت له ألك والدان قال نعم واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم
1 والى ذكرهم فقال لا الا اليوم أردت ان أشم ريحهم فاحتوشتنى السباع والبهائم وبكين
معى وحملن الى هذه الرياحين قال فبينما أنا فى تلك الحالة رق له قلبى اذا حية أقبلت فى فمها

ولا يلزم من ذلك فناؤها ولذا قال (لا يلزم من ثبوت الخصوصية) أى ما يخصك الله به من القوة والقدرة على التصريف فى المكونات والكشف عن احوالها وغير ذلك (عدم وصف البشرية) كفقر وضعف وعجز وذل وجهل لان الوصف البشرى أمر ذاتى لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها ثم ضرب لذلك مثالا من المحسوسات بقوله (انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار) أى كشمس النهار المشرقة (ظهرت فى الافق) أى نواحى السماء (وليست منه) أى ليست من ذاتياته وكما أن شمس النهار اذا ظهرت على الآفاق المظلمة استنارت واذا غربت رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس ذاتيا لها بل هو عرضى والامور العرضية لا تزيل الذاتيات كما مر كذا الاوصاف البشرية القائمة بذاتك كالفقر والعجز والضعف شبيهة بالليل فاذا ظهر عليها شمس التجلى بأن تجلى الله عليك بصفة الغنى والقدرة استنارت ذاتك أى حصل لها نور بالغنى والقدرة واذا قبض عنها ذلك رجعت الى حالها والى هذا أشار بقوله (تارة تشرق شموس أوصافه) تعالى الشبيهة بالشموس (على ليل وجودك) أى على أوصافك الذاتية الشبيهة بالليل فتظهر خصوصيتك فتكون قادرا بالله قويا به عالما به وهكذا فاذا تجلى عليك بصفة القدرة حدث فيك قوة غطت عجزك أو بصفة العلم حدث فيك علم غطى جهلك وهكذا (وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك) من العجز والضعف والجهل وغير ذلك فلا تظهر خصوصيتك ولذا كان عليه الصلاة والسلام تارة يظهر عليه وصف القوة والقدرة فيطعم ألفا من صاع وتارة يظهر عليه وصف العجز فيشد الحجر على بطنه من الجوع وكذا ورثته من الاولياء (فالنهار) وهو تلك الخصوصيات التى ظهرت عليك (ليس منك واليك) أى ليس من اوصافك الذاتية (ولكنه وارد عليك) من حضرة الحق سبحانه فان شاء الله أبقاه وان شاء الله أزاله ولذا ترى بعض الاولياء فى بعض الاحيان عندهم قوة بطش وفى بعضها يكونون عاجزين ومع هذا شموس أنوار قلوبهم وهى المعارف والاسرار لا تغيب ولا تغرب كما مر وانما الذى يغيب هو الخصوصيات التى تظهر على ظواهرهم وهى الشموس المرادة هنا فلا تعارض

طاقة ترجمى فقالت دع شرك عنه فان الله تعالى يغار على أوليائه قال فغشى على فما أفقت حتى خرجت نفسه رحمة الله تعالى عليه ورضوانه ثم وقع على سبات فانتبهت وأنا على الجادة قال فدخلت مدينة سميساط بعد ما حججت فاستقبلتنى امرأة فرأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى قالت يا أبا اسحق كيف رأيت الشاب فانى أنتظرك منذ ثلاث فذكرت لها القصة الى ان قلت قال أردت ان أشم ريحهم فصاحت وقالت آه بلغ الشم الشم وخرجت نفسها فخرجت أترابها عليهن المرقعات والفوط فتكفلن أمرها وتولين شأنها رضى الله عنهم أجمعين فهكذا حال من يكون عظيم الهمة شريف الارادة والنية لا يساكن أحدا من المخلوقات ولا يوطن نفسه على شئ من المصنوعات فيتكفل الله تعالى بأمره ويجعل الكون خادما له بأسره رزقنا الله تعالى واياكم ما رزقهم ووفقنا كما وفقهم بجوده وكرمه

۞ (لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت فى الافق وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك

وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار ليس منك واليك ولكنه وارد عليك) ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف البشرى أمر ذاتى لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة أحكام ذلك الوصف على العبد فقط لاجل الوارد الغالب فان قدر ذهاب هذا الوارد الغالب بقى وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد فى يديه أسيرا ۞ ومثال ذلك من المحسوسات اشراق شمس النهار على الآفاق المظلمة لتزيل آثار ظلمانيتها فتستنير بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس ذاتيا لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هو ما يخص الحق تعالى به اولياءه من ظهور أوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم ليغطى بذلك أوصاف نفوسهم الدنيئة الرديئة عنهم لئلا تظهر آثار كدوراتها فى صفاء أوقاتهم كما تقدم من قوله اذا أراد أن يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فاذا أشرقت انوار ذلك الوارد على ليل وجودهم ذهبت بظلمات نفوسهم وبقوا فى نهار الوصلة والقرب من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك واليك وان غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الى أصلهم ولزموا الوقوف على حدهم وكانوا فى ليل القطيعة والحجبة كما كانوا قبل ذلك ۞ والغرض

ثم قال (دل بوجود آثاره) أي مكوناته ومصنوعاته المتقنة المحكمة (على وجود أسمائه) اذ لا يصدر ذلك الا من قادر مريد عالم (وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه) من القدرة والارادة والعلم (وبثبوت أوصافه على وجود ذاته اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه) وهذا حال السالكين فان أول ما يظهر لهم الآثار وهي الافعال فيستدلون بها على الاسماء وبالاسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات وهم الذين يقولون ما رأينا شيأ الا رأينا الله بعده وأما المجذوبون فبالعكس كما أشار الى ذلك بقوله (فارباب الجذب يكشف لهم) أولا (عن كمال ذاته) اى عن ذاته الكاملة فيدركون عيانا ادراك الذوق (ثم يردهم الى شهود صفاته) بأن يشاهدوا ارتباطها بالذات (ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه) بان يشاهدوا تعلقها بالآثار (ثم يردهم الى شهود آثاره) أي صدورها عن الاسماء فاول ما ظهر لهم عن حقيقة الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسماء ثم أنزلوا الى شهود الآثار وهم الذين يقولون ٩٠ ما رأينا شيأ الا رأينا الله قبله (والسالكون على عكس هذا) كما مر (فنهاية السالكين) وهي شهود الذات المقدسة والكشف عن كمالها (بداية المجذوبين وبداية السالكين) وهي التعلق بالآثار وشهود استنادها الى الله (نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد) اى ليسا متحدين من كل وجه فان نهاية السالكين وان كان فيها جذب لكنه مصحوب بالتمكين وعلم احوال الطريق ومعرفة عقبات النفوس فانهم لم يصلوا الى ذلك الا بعد معاناة وتعب ومشقة بخلاف بداية المجذوبين فانها ليست معها تمكين فلذا يحصل لهم الغيبة وتصدر منهم افعال لا يدرون ما هي ويتركون الفرائض ويفعلون أفعالا منكرة في الشرع ولا يعاقبون على ذلك لتغطية عقولهم التي عليها مدار التكليف بالانوار وبداية السالكين ليس معها شهود لكمال الذات ولا الاسماء والصفات بخلاف نهاية المجذوبين فانهم لم يحصل لهم حالة الصحو الا بعد مشاهدة ذلك فالسالكون عاملون في ترقيهم على طريق الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم في تدليهم طريق البقاء والصحو واذا كان كذلك (فربما التقيا في الطريق هذا) اى السالك (في ترقيه) من الخلق الى الحق (وهذا) أي المجذوب (في تدليه) من الحق الى الخلق فربما اجتمعا في تجلي الاسماء أو الصفات بأن يكون كل منهما مشاهدا الاسمائه تعالى مثلا لكن المجذوب اذا انتقل من ذلك ينتقل الى الآثار والسالك الى الصفات والسالك افضل من المجذوب لا انتفاع به بخلاف المجذوب فاذا أراد الله تكميل حاله أصحاه وكل من علم السالك والمجذوب وهي ذوق وان كان مبدأ علم الاول استدلاليا كما يؤخذ من قوله دل بوجود آثاره الخ فالمجذوب ما دام في جذبه لا يصلح للمشيخة لعدم مروره على المقامات ومعرفته بغوائل النفوس ولاشتغاله بحاله عن حال غيره كما ان السالك اذا لم يصل الى درجة المشاهدة والتجلي لا يصلح للمشيخة لنقصه وانما يصلح لها من جمع بينهما سواء تقدم سلوكه على جذبه أو بالعكس وقد يمر المجذوب على المقامات بسرعة

من هذا الرد على طوائف غلطت في هذا الامر وتعالت وزعمت أن القرب من الله تعالى والوصول اليه انما يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما عبر به المشايخ من الفناء والبقاء فوقعوا من ذلك في ضلال وتزندق نعوذ بالله من ذلك والمعنى الصحيح من ذلك انما هو ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ورضي عنه ههنا ﴿دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت اوصافه وبثبوت أوصافه على وجود ذاته اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمائه ثم يردهم الى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه﴾ عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه ينقسمون الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين الاستدلال بالاشياء عليه وهم الذين يقولون ما رأينا شيأ الا ورأينا الله بعده وشان المجذوبين الاستدلال به على الاشياء وهم الذين يقولون ما رأينا شيأ الا رأينا الله قبله ولا شك أن الدليل أبدا اظهر من المدلول فاول ما ظهر للسالكين الآثار وهي الافعال فاستدلوا بها على الاسماء وبالاسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود من أسفل الى أعلى وأول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسماء ثم انزلوا الى شهود الآثار فكان حالهم التدلي والتنزل من اعلى الى اسفل فما بدأ به السالكون من شهود الآثار اليه انتهاء المجذوبين وما ابتدأ به المجذوبون من

كشف

ويعرف غوائل النفوس كذلك فيصلح للمشيخة مع جذبه لكن هذا في بعض المجاذيب كالسيد أحمد البدوي نفعنا الله به لا في كل مجذوب (لا يعلم قدر أنوار القلوب والاسرار) أي السرائر أي الانوار المشرقة عليها وهي العلوم والمعارف اللدنية وما هو مودع فيهما من أنوار الحق (الا في غيب الملكوت) أي الملكوت الغائب عنا وهو عالم الآخرة فمن آمن بالغيب وسعى في تهذيب نفسه حتى حصلت عنده تلك الانوار شاهدها الحظ الاوفر هنالك وان كان مهانا في الدنيا غير معتنى به فيها (كما لا تظهر أنوار السماء) وهي أنوار الكواكب (الا في شهادة الملك) أي الملك المشاهد وهو عالم الدنيا لحصول ١٩ المناسبة بين هذه الاشياء (وجدان ثمرات الطاعات) وهي الانوار التي تحصل في قلوبهم وتشرق على ظواهرهم والتلذذ بها في حال فعلها (عاجلا) أي في الدنيا (بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها عاجلا) أي بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة وانها مقبولة عند الله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ولما كان يفهم من هذا أن العمل قد يكون لقصد الجزاء وأنه ممدوح دفع ذلك بقوله (كيف تطلب العوض) أي الجزاء (على عمل هو متصدق به عليك) أي ان هذا غير لائق منك لان الانسان لا يطلب الجزاء من الغير الا اذا فعل معه فعلا يعود نفعه على ذلك الغير وذلك مفقود هنا لان نفع تلك الاعمال عائد عليك لا على الرب سبحانه لانه غني عنك وعن اعمالك وكما أن الجزاء يكون على العمل يكون أيضا على الصدق اى الاخلاص فيه وهو غير لائق أيضا ولذا قال (أم كيف تطلب الجزاء على صدق) أي اخلاص في العمل (هو مهدى اليك) وعبر بالتصدق والاهداء تنبيها على ما ذكروه ان ذلك العمل والاخلاص فيه لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض والجزاء اذن على ذلك في غاية القبح ولذا صدر الكلام بكيف المفيدة للاستفهام التعجبي تقبيحا لذلك الوصف واستعمل لفظ الصدقة في الاعمال الظاهرة والهدية في الصدق الذى هو من الاعمال الباطنية وعليه مدار قبول الاعمال الظاهرة اشعارا بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية فان الاولى يتعهد بها الفقراء والثانية الاغنياء فتدل على شرف المهدى اليه

كشف حقيقة الذات العلية انتهاء السالكين لكن لا بمعنى واحد فان مراد السالكين شهود الاشياء لله ومراد المجذوبين شهود الاشياء بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو والمجذوبون سلك بهم طريق البقاء والصحو ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم التقاؤهما في طريق سفرهما السالك مترق والمجذوب متدل

❁(لا يعلم قدر انوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر انوار السماء الا في شهادة الملك) أنوار القلوب والاسرار المشرقة عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت وهو عالم الآخرة وهناك يحصل تمام هذه الانوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الاوفر كما أن انوار السماء المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشياء ❁(وجدان ثمرات الطاعة عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها عاجلا) ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في أعمالهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين وتنسم روح الانس ولذيذ القرب ولطف الوصل بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة بأنها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول

❁(كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك) العمل الذى يصح طلب العوض والجزاء عليه هو ما عملته لتنتفع به غيرك ولم يحصل لك بذلك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والاعمال الدينية المطلوبة منك ظاهرا وباطنا بخلاف هذا كله اذ هي مطلوبة عنك منسوبة الى ربك خلقها واختراعها عائد ثمرة ذلك ومنفعته عليك في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصدق والاهداء تنبيها على أن ذلك لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض والجزاء اذا على عمل هذه صفته في غاية القبح ولذلك صدر المؤلف رضي الله تعالى عنه كلامه بكيف ليعجبك من ذلك الوصف * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه مطالبة الاعواض على الطاعات من نسيان الفضل وسئل ابو العباس بن عطاء الله رضي الله عنه عن اقرب شئ الى مقت الله تعالى فقال رؤية النفس وأفعالها واشد من ذلك مطالبة الاعواض على افعالها واستعمال المؤلف رحمه الله تعالى لفظ الصدقة في الاعمال الظاهرة ولفظ الهدية في الصدق وعليه

مدار الاعمال الباطنة اشعار بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية ﴿قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك ذاكر ذكر ليستنير به قلبه فكان ذاكرا وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدي وبنوره يقتدي﴾ سبقية الاذكار للانوار هو حال المريدين السالكين وذلك لان شأنهم المجاهدة والمكابدة فهم يأتون بالاذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك زوائد الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الانوار للاذكار هو حال المريدين المجذوبين لانهم مقامون في السهولة والخفة فهم لما وجهوا بالانوار حصلت منهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل قال في لطائف المنن حاكيا عن شيخه أبي العباس المرسي وقال رضي الله تعالى عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه وتعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حركت الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوي مهامه نفسه وبيداء طبعه الى أن وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدؤه المواصلة رد الى وجود المعاملة ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا ما تسمع عند مراجعة المنتسبين للطريق أن السالك أتم من المجذوب لان السالك عرف طريقا بها توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على ان المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت الطريق له ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول أمدها والمجذوب كمن طويت له الطريق الى مكة والسالك كالسائر اليها على أكوار المطايا اهـ ما ذكره في حال الجذب والسلوك وهو حسن قل ان يوجد لغيره فلذلك أوردته ههنا بكماله ﴿ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر﴾ اعمال الظاهر تكون تبعا لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر الذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر

(قوم تسبق أنوارهم أذكارهم) وهم المجذوبون المرادون فلما واجهتهم الانوار حصلت منهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل بل بسهولة وخفة (وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم) وهم المريدون السالكون وذلك لان شأنهم المجاهدة والمكابدة فيأتون بالاذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل بها الانوار فالاولون وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله ويصدق عليهم قوله تعالى يختص برحمته من يشاء والآخرون وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله ويصدق عليهم قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية ثم ذكر عبارة أخرى لبيان حال الفريقين بقوله (ذاكر ذكر ليستنير قلبه) وهو السالك (وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا) وهو المجذوب فالذكر له كالنفس الطبيعي بل أسهل بخلاف الاول وتقدم ان السالك أتم من المجذوب لان الاول عرف طريقا توصل بها الى الله وناله فيها غاية التعب والمشقة والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على أن المجذوب لا طريق له وهو كذلك بالنسبة لاغلب المجاذيب والا فبعضهم له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله عاجلا كما مر فلم تفته الطريق وانما فاته متاعبها وطول أمدها ثم أشار الى ما يتعلق بالمجذوب والسالك معا بقوله (ما كان ظاهر ذكر) أي ذكر ظاهر (الا عن باطن شهود وفكر) اى الا عن شهود للمولى باطنا وفكر فيه فكل من المجذوب والسالك لم يذكر ظاهرا الا بعد مشاهدة الرب باطنا وفكر فيه وان كان المجذوب يدرك ذلك والسالك قد لا يدركه لغلظ بشريته فلم يفقد النور السابق بالكلية والا لما أمكن منه الذكر وقد تقدم قوله لولا وارده ما كان ورد ثم لولا التجلي لم يكن التحلي والمراد بالذكر هنا سائر الاعمال الظاهرة وعبر به عنها لانه روحها ولاشتمالها عليه فكل من الشهود والفكر يرجع للمجذوب والسالك ويحتمل رجوع الاول للاول والثاني للثاني ثم بين ذلك المعنى بقوله

(أشهدك) أي تجلى لقلبك فشهدته على حسب قدرك (من قبل ان يستشهدك) أي يطلب منك أن تشهد بعظمته ووحدانيته بذكرك وعباداتك فان الذكر والعبادة شهادة منك بعظمة المذكور والمعبود واعتراف بوحدانيته (فنطقت بالهيته) أي بما يدل على ألوهيته (الظواهر) أي الجوارح الظاهرة وهذا راجع للثاني وهو الاستشهاد وقوله (وتحققت بأحديته القلوب والسرائر) راجع للأول وهو الاشهاد ويحتمل أن معنى ذلك ان الله تعالى كشف للارواح في عالم الغيب عن ألوهيته وأحدية ذاته واحاطة قيوميته ثم لما أظهرها في عالم الشهادة بأن ركبها في الاجسام طلب منها على لسان الانبياء الشهادة له بالالوهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت به الشهود لما أشهدت فقوله أشهدك أي في عالم الارواح وقوله من قبل ان يستشهدك أي يطلب منك الشهادة بعد أن ركبها في الاجسام فنطقت بالوهيته الظواهر أي الجوارح الظاهرة نطقا صدقا في اللسان وحالا في غيره وقوله فنطقت مفرع على محذوف اى فلما طلب منها الشهادة ٩٣ على لسان الانبياء نطقت وتحققت بأحديته أي جزمت بكونه واحدا لاشريك له القلوب والسرائر جمع سريرة كالضمائر (أكرمك) أيها العبد الذي أشهدك مولاك ثم استشهدك فذكرته بلسانك وعباداتك ووحدته بقلبك وسرك (بكرامات ثلاث) جمع لك بها كل المفاخر والمحامد الاولى انه (جعلك ذاكرا له) بلسانك وعباداتك الظاهرية والباطنية (ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك) لانك مجبول على النقص والكسل والفتور فحصول ذلك منة وفضل عليك ومن أين أنت حتى تكون محلا لذكره وموضعا لطاعته والتعلق به (و) الثانية انه (جعلك مذكورا به) بأن يقال هذا ولي الله وصفيه ومختاره وذاكره (اذ حقق) أي أثبت (نسبته) أي خصوصيته (لديك) وهي ما أظهره عليك من أنوار الذكر التي استنار به ظاهرك وباطنك فحقق الخصوصية لديك سبب في ذكرك به اى انتسابك له ومن كانت له أدنى نسبة عند ملك من ملوك الدنيا تراه يصونها ويحفظها ويفرح بها ويجد في نفسه انبساطا عند تذكرها فكيف بهذه النسبة العظيمة التي صرت تذكر بها في الملا الاعلى وعند المؤمنين الى آخر الدهر فان من مات من العلماء والصالحين الذين كثر ذكرهم لله تعالى يبقى الثناء عليه ولا ينقطع ذكره والدعاء له ومن مات من غيرهم مات ذكره معه ويحتمل أن قوله اذ حقق في قوة التفريع على ما قبله والمعنى جعلك مذكورا به فحقق نسبته لديك أي انتسابك له فيكون ذكرك به محققا للنسبة له (و) الثالثة أنه (جعلك مذكورا عنده) لحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملئه (فتمم نعمته عليك) بذكرك عنده قال تعالى ولذكر الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله

ثم بين هذا المعنى بقوله ﴿ (أشهدك من قبل أن يستشهدك فنطقت بالهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر) كاشف الله تعالى القلوب والاسرار في غيب الغيب بحقائق وحدانيته واحاطة قيوميته فلما شهدها ذلك اضمحلت وتلاشت فتحققت بذلك الاحدية فلما أظهرها في عالم الشهادة ملتبسة بالاجسام والهياكل طلب منها الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت به الشهود لما أشهدت فالعبد من حيث سره وقلبه بوصف الجمع ومن حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق ولا بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد رضي الله عنه في معنى الجمع والتفرقة

فتحققتك في سرى فناجاك لساني ＊ فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان

ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني ＊ فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني

ذهب الجنيد رضي الله عنه الى أن قربه بالوجد جمع وغيبه في البشرية تفرقة

﴿ (أكرمك بكرامات ثلاث جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك) أكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر والمحامد أولها كونه ذاكرا له بأن أجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن أين له ذلك وبأى وسيلة ناله لولا فضل الله تعالى وكرمه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه ومختاره وذلك بما أكرمه الله به من تحقيق النسبة اليه وهي اثبات الخصوصية له وقد تقدم معنى

انه موصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه هي غاية الاكرام ومنتهى الفضل والانعام قال الله تعالى ولذكر الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرأ عليك القرآن قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرأ علي قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث أبي حبة البدري رضي الله عنه قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الى آخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك يأمرك أن تقرئها أبيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ان جبريل عليه السلام امرني ان اقرئك هذه السورة فقال أبي أوذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكى أبي وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة وعن أبي هريرة وأبي سعيد يشهدان به على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا ۞ (رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده) الامداد الالهية التي يمد الحق تعالى بها عباده المؤمنين زيادة في ايمانهم وتقوية لايقانهم لا أثر فيها الطول العمر ولا قصره فلا تنقص بذلك ولا تزيد به ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم ويختلف هذا باختلاف تراكيب خلقهم ومجبول فطرهم ولا مدخل للزمان في هذا الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة على سائر الامم على قصر أعمارهم وطول اعمار غيرهم * قال احمد بن أبي الحواري رضي الله عنه قلت لابي سليمان الداراني رضي الله عنه قد غبطت بني اسرائيل قال بأي شئ قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشئ لا والله ما يريد الله لنا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذلك في عمره ۞ (من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة) البركة في العمر أن يرزق العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته وانتهاز فرصة امكانه خشية فواته فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ في ذلك مجهوده بالكلية وفي أثناء ذلك يصل اليه من المنح الالهية وتشرق عليه من الانوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهي الاشارة اليه وكل ذلك في زمن يسير وعمر قصير فينتفع له في شهر مثلا ما لا ينتفع لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل في

(رب عمر اتسعت آماده) اي غاياته وأزمنته (وقلت امداده) بفتح الهمزة اي فوائده وذلك كاعمال الغافلين عن الله المشتغلين بشهوات نفوسهم فانها وان كانت طويلة في الحس فهي قصيرة في المعنى لقلة أمدادها (ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده) وذلك كاعمار الذاكرين فانها وان كانت قصيرة حسا فهي طويلة معنى لكثرة أمدادها وذلك هو معنى البركة في العمر كما يأتي للمصنف ففوائد العمر لا يلزم أن تكون على قدر آماده أي أزمنته وبحسبها بل قد يحصل لصاحب العمر القصير من الفوائد ما لا يحصل لمن هو اطول منه بأضعاف مضاعفة (من بورك له) أي من أراد الله أن ينزل البركة (في عمره) رزقه الاقبال على مولاه (أدرك في يسير من الزمن من منن الله ما لا يدخل تحت دوائر العبارة) أي تحت العبارة الشبيهة بالدوائر بجامع الاحاطة بما تحويه (ولا تلحقه الاشارة) أي لا تصل اليه والمعنى اذا أراد الله تعالى أن يبارك في عمر ولي من أوليائه رزقه من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته فيبادر الى الاعمال الصالحة في جميع ساعاته فيدرك في يسير من الزمان مما يمن به المولى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة أي ما لا تحيط به العبارة لكثرته وشرفه فتعجز عنه العبارة ولا تلحقه الاشارة أي لا تصل اليه لرقته وغاية صفائه فينتفع له في شهر مثلا ما لا ينتفع لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل في ألف شهر قال بعضهم كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وكان ابو العباس المرسي قدس الله سره يقول أوقاتنا كلها ليلة قدر وقيل وهذا معنى ما روي البريد في العمر

(الخذلان) هو عدم التوفيق والمعونة (كل الخذلان) أى الخذلان التام (ان تتفرغ من الشواغل) الدنيوية بأن يكون عندك ما يكفيك من الدنيا (ثم لا تتوجه اليه) بالاشتغال بما يقرب من حضرته العلية (وتقل عوائقك) التى تمنعك من الاشتغال بما يقربك من مولاك بأن يكون عندك ما يكفيك من القوت ولو مع الضيق (ثم لا ترحل اليه) بالاشتغال بما يقربك منه فهو بمعنى ما قبله ومقتضاه ان من لم يكن عنده ما يكفيه من الدنيا وكان يحتاج الى التكسب فاشتغل به ولم يتوجه الى الله ولم يرحل اليه فليس عنده كل الخذلان بل بعضه وهو كذلك لان التوجه الى الله والرحلة اليه ٩٥ مطلوب من كافة الخلق وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالواجب على كل أحد أن يرمى بالعوائق والشواغل خلف ظهره ويقبل على مولاه وقد قيل سيروا الى الله عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة وقال تعالى انفروا خفافا وثقالا (الفكرة سير القلب فى ميادين الاغيار) أى فى الاغيار وهى مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته من السماء والارض وغيرهما الشبيهة بالميادين وفى نسخة ميادين الاعتبار أى بجولان القلب فى صنوف المخلوقات وأنواع المكونات لاستخراج ما فيها من العلوم وما انطوت عليه من العبر والآيات الموصلة الى العلم بالله تعالى وماله من صفات الكمال ونعوت الجلال وغير ذلك فاذا تفكر فى وجود المخلوقات هداه ذلك التفكر الى وجود موجدهم وهذا تفكر العامة واذا تفكر فى الحسنات وما يترتب عليها من الثواب والقرب من المولى فعلها وازداد رغبة فيها أو فى السيئات وما يترتب عليها من أنواع العذاب تركها ولم يقربها وهذا تفكر العابدين واذا تفكر فى فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها ازداد زهدا فيها وهذا تفكر الزاهدين واذا تفكر فى الآلاء والنعماء ازداد محبة فى المنعم بها جل جلاله وهذا تفكر العارفين وخرج بالتفكر فى مصنوعات الله التفكر فى ذاته فانه منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره (الفكرة سراج القلب) أى كالسراج الحسى اى المصباح الذى يضئ فيستنير به وبالنور تتجلى حقائق الامور فيظهر به الحق حقا والباطل باطلا فيعرف به عظمته تعالى وجلاله ويطلع على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويعرف وجوه الحيل فى التحرز عنها

الفشهر قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر كان سيدى ابو العباس المرسى رضى الله عنه يقول أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركة فى العمر لا تطويله وزيادة مدته وقيل هذا المعنى فى تأويل ما روى فى الخبر البر يزيد فى العمر ﴿ (الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه) من الخذلان أن تصدك العوائق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى ذلك وترمى بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله عز وجل عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلك وقلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل فهذا هو الخذلان كل الخذلان أعاذنا الله منه ٭ قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه فراغ القلب من الاشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى وانجر فى قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجده من صفاء لبه ﴿ (الفكرة سير القلب فى ميادين الاغيار) الفكرة التى ألزمها العبد وحض عليها هى سير القلب فى ميادين الاغيار فقط وهى مخلوقات الله ومصنوعاته وأما الفكرة فى ذات الله تعالى فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون فى آياته ولا يتفكرون فى ماهية ذاته روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر قوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر فى الخالق قال تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره ٭ قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ثم فكر الزاهدين فى فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين فى جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العابدين فى الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للخالق سبحانه وقال الجنيد رضى الله عنه أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد وفى بعض النسخ الفكرة سير القلب فى ميادين الاعتبار ومعناه ظاهر ﴿ (الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له)

الى غيرذلك (فاذا ذهبت فلا اضاءة له) فالقلب الخالى عن الفكرة خال من النور كالبيت المظلم ولا يكون فى القلب المظلم الا
الجهل والغرور (الفكرة) وهى السير فى ميادين الاغيار (فكرتان فكرة تصديق وايمان) أى فكرة ناشئة عن أصل التصديق
الذى هو الايمان بأن يكون المتفكر عنده ذلك وقصده بالفكرة الترقى وزيادة اليقين ولذا تسمى فكرة الترقى وتكون للسالكين
(وفكرة شهود وعيان) أى فكرة ناشئة عن ذلك وتسمى فكرة التدلى وتكون للمجذوبين (فالاولى لارباب الاعتبار) اى المستدلين
بالآثار على المؤثر وهم السالكون ٩٦ فى حال ترقيهم فان فكرتهم ناشئة عن التصديق والايمان (والثانية لارباب الشهود
والاستبصار) أى المستدلين بالمؤثر
على الآثار وهم المجذوبون فى
حال تدليهم فان فكرتهم ناشئة
عن الشهود والعيان وهذا لمن
أراد الله تكميل حاله منهم كما
مر والا فبعضهم يدوم جذبه
وعدم صحوه بل هو الاغلب فيهم
وقد تقدم هذا عند ذكر المجذوب
والسالك والنوعان المذكوران
بالنسبة للمشتغلين بالله اما غيرهم
وهم العامة ففكرتهم لتحصيل
التصديق والايمان لا لزيادته
(وقال رضى الله عنه مما كتبه
لبعض اخوانه) وحاصل هذا
الكتاب أنه يتضمن حال السالك
فى أول ابتداء سيره الى انتهائه
وحصوله فى مستقره وذكر آداب
السلوك والوصول (أما بعد فان
البدايات) أى بدايات الامور
(مجلات النهايات) أى يظهر
فيها حال النهايات والمجلات بفتح
الميم والجيم وتشديد اللام جمع
مجلة كذلك أى محل التجلى
والظهور كالمرآة والمجالى المظاهر
التى تجلى فيها الامور والمراد أن
بداية المريد تعرف منها نهايته
فاذا كان عنده فى بدايته قوة توجه
واجتهاد فى العبادات والرياضات كان دليلا على أنه ينتهى الى فتح عظيم وأنه يصل الى مقصوده فى أقرب مدة هو
ومن كان عنده ضعف فى ذلك كان فتحه ووصوله على حسب حاله (وان من كانت بالله بدايته) بأن تكون مجاهداته ومكابداته
وأنواع رياضاته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه (كانت اليه نهايته) أى كانت نهايته الى الوصول الى الله تعالى بأن
ينكشف له انفراد الله بالقيومية وتوحده بالديمومية وأنه هو الاول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته
وتلاشيه وتدكدكه واضمحلاله وقد تقدم هذا المعنى فى قوله من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله فى البدايات

القلب الخالى من الفكرة خال من النور مظلم بوجود الجهل والغرور وقد تقدم هذا
المعنى عند قوله ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها فى ميادين فكرة ۞ (الفكرة فكرتان
فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب
الشهود والاستبصار) تقدم الآن أن الفكرة سير القلب فى ميادين الاغيار وسيره على
وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاعتبار وهى فكرة ناشئة عن التصديق والايمان
وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم وهو نعت المستدلين بالآثار على المؤثر والنزول لارباب
الشهود والاستبصار وفكرتهم فكرة ناشئة عن الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو
حال تدليهم وهو وصف المستدلين بالمؤثر على الآثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر
المجذوب والسالك (وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه) هذا كتاب يتضمن ذكر
حال السالك من أول ابتداء سيره الى انتهائه وحصوله فى مستقره وذكر آداب السلوك
والوصول وقد أتى رحمه الله تعالى فى ذلك بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات حسنة
مليحة على طريقة وعظية اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه وما ذاك
الا لما علق بها من أنوار قلب المتكلم وقد قال فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب
الذى منه برز ۞ (أما بعد فان البدايات مجلاة النهايات) المجلات محل التجلى والظهور
فالسالك فى ابتداء سلوكه يتجلى له أمر نهايته ۞ (وان من كانت بالله بدايته كانت اليه
نهايته) هذا بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان تكون مجاهداته ومكابداته وأنواع
رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه والانقطاع اليه فبذلك يصح له
وينفذ فى توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ومعنى كون
انتهائه الى الله أن يكشف له انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالديمومية وانه هو
الاول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدكدكه
واضمحلاله قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فاذا صحت
للمريد تلك البداية بما ذكرناه وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى فى قوله من
علامة النجح فى النهايات الرجوع الى الله تعالى فى البدايات ۞ (والمشتغل به هو الذى
أحببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه) المشتغل به أيها المريد السالك انما

(والمشتغل به هو الذى أحببته) أيها المريد الصادق (وسارعت اليه) وهو الاعمال الصالحة التى تقربك من مولاك وتوصلك الى معرفته اى فلا تحتقر ذلك الشغل بل كن قرير العين به فانه لا ينبغى الاشتغال الا به (والمشتغل عنه) أى الذى ينبغى الاشتغال عنه وعدم التوجه اليه (هو المؤثر عليه) أى هو حظوظك العاجلة وهى ادائك الزائلة التى تركتها وآثرت عليها غيرها وهو اقبالك على مولاك واشتغالك بخدمته فينبغى لك ان تطيب نفسك عنه ولا تندم على مفارقته لانه لا ينبغى الاشتغال به فهذا الكلام القصد منه تهييج السالك وانهاض همته بمدح ما أقبل عليه وذم ما أعرض عنه (ومن أيقن ان الله يطلبه) للقيام بخدمته والاقبال على وظائف عبوديته (صدق الطلب) أى صدق فى الطلب (اليه) أى توجه اليه بصدق واجتهد فى الاقبال على ما يرضيه أتم اجتهاد لان ثمرة ذلك الطلب عائدة عليه لا على المولى سبحانه فلم لا يصدق (٩٧) فى طلبه واجتهاده ويترك حظوظ نفسه

وهى اداته ان كان من أهل العقل والمعرفة (ومن علم أن الامور بيد الله) ومنها ما يحاوله من القيام بخدمة المولى (انجمع) قلبه عليه (بالتوكل عليه) أى توكل عليه فى تيسير أمره وتسهيل ما يقربه الى حضرته فان ذلك لا يكون الا منه سبحانه لان الامور كلها بيده وليس للعبد مدخل فيها فالقسم الاول وهو قوله صدق الطلب اليه قيام بمقتضى الشريعة والثانى وهو كون الامور بيد الله وانه ينبغى التوكل عليه قيام بحق الحقيقة فقوله عليه تنازع فيه كل من الفعل والمصدر (وانه) بكسر الهمزة عطفا على ان البدايات وفتحها عطفا على أن الامور الخ (لا بد لبناء هذا الوجود) أى لمبنى هو هذا الوجود (ان تنهدم دعائمه) أى اركانه فشبه الوجود بقصر له اركان وهى تخييل (وان تسلب كرائمه) أى نفائسه وما يعز منه

١٢ عبا فى والقصد بهذا تسليته عما يفوته فى حال سلوكه من حظوظه وشهوته لانه اذا علم ان الدنيا لا تدوم لاحد بل لا بد ان تزال عنه او يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل أمره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه (فالعاقل من كان بما هو أبقى) وهو الدار الآخرة (افرح منه) أى اشد فرحا من نفسه (بما هو يفنى) وهو الدنيا فاذا كانت الدنيا فانية والآخرة هى الدائمة الباقية فلا ينبغى الفرح بالاولى لفنائها ومن فرح بالفانى فنى فرحه ولا عبرة بفرح يفنى ويزول ومن فرح بالباقى دام فرحه وذلك هو الفرح المعتبر وحاصله ان العاقل هو الزاهد واما الراغب فى الدنيا فليس بعاقل بل هو جاهل وفى قوله افرح اشعار بان المطلوب كون الفرح بهذا أشد لان الفرح بالآخر ينتفى بالكلية لانه امر طبيعى ثم اشار الى ثمرة التحقق فى مقام الزهد بقوله

هو عملك على التقرب من ربك عز وجل والتوسل اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذى أحببته وسارعت الى اجابة دعوته فحق عليك ان لا تستقل ذلك الشغل بل تكون به قرير عين والمشتغل عنه انما هو متابعة حظوظك العاجلة وهى اداتك الزائلة وهو الذى يستحق الايثار عليه اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فلتطب عنه نفسا ولا تعمل فيه عقلا ولا حسا وهذا الكلام تهييج للسالك وانعاش لقوته وانهاض لهمته قال الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلى رضى الله عنه سمعت عبد الله بن اسحق الغافقى يقول ما انتفعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالسحر فاذا رجل يسف التراب فقلت مجهود أو مجنون ثم قلت له يا هذا أتسف التراب قال فقال لى أو تراب هو ثم ناولنى قال فما شككت انه سويق او قند انا اشك أيهما قال فقلت ولى لله وجثوت على ركبتى وقلت ادع الله لى فقال لى عرفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك ۞ (وان من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم ان الامور بيد الله انجمع بالتوكل عليه) العبد مطلوب لربه عز وجل باقامة وظائف العبودية له وذلك بما خصه به عز وجل من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلم لا يصدق العبد فى طلبه واجتهاده اذا أيقن بذلك والامور كلها بيد الله تعالى ومن ذلك سعيه وكدحه فلم لا يتوكل عليه فى ذلك فيجتمع همه ويتيسر امره اذا علم بذلك فالقسم الاول قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثانى وفاء بحق الحقيقة ۞ (وانه لا بد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وان تسلب كرائمه) ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته فى حال سلوكه من حظوظه وشهواته لانه اذا علم ان هذه الاشياء لا بد ان تزال عنه أو يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل أمره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه وتهديم الدعائم وسلب الكرائم من الاستعارات البديعة ۞ (فالعاقل من كان بما هو أبقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره وظهرت تباشيره) فرح العبد بالاشياء الفانية هو

(قد أشرق نوره) أي اشرق نور زهد ذلك العاقل في قلبه (وظهرت تباشيره) على وجهه فان النور اذا أشرق في القلب ظهر على الجوارح وكان ذلك مبشراً له بالقبول (فصرف) أي فبسبب ذلك النور الذي اشرق في قلبه وتبين له به ماهو حق صرف اي اعرض (عن هذه الدار مغضياً) أي غير ملتفت اليها بقلبه واتى بذلك لان الاعراض قد يكون معه التفات وقوله (واعرض عنها موليا) تفسير لما قبله (فلم يتخذها وطناً) اي لم يستوطنها بظاهره على جهة التمتع والتلذذ (ولا جعلها سكناً) اي لم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها ويحتمل ان يجعل الوطن والسكن بمعنى واحد (بل انهض الهمة فيها الى الله) اي اسرع وحرك الهمة الى الوصول اليه (وسار فيها) اي في الدنيا (مستعيناً به) اي بالله لا بأعماله المدخولة (في القدوم عليه) اي الاقبال عليه والوصول الى حضرته قال بعضهم من توهم ان عملاً من اعماله يوصله الى مأموله الاعلى او الادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي احداً منكم عمله فما لا ينجي من المخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول اه (فما زالت مطية عزمه) اي عزمه الشبيه بالمطية (لا يقر قرارها) لعدم ما يعوقها وهو التعلق بغير الله سبحانه من الدنيا وكل ما يعوق السالك عن الوصول من الكرامات والمكاشفات والاحوال والمقامات فان ذلك يوقف مطيته عن السلوك والقرار موضع الاستقرار ومعنى كون قرارها لا يقر انها اذا نزلت في موضع ترتحل عنه ولا تجعله وطناً فلا يسكن قلبه الى شيء من ذلك كما هو مقتضى التحقق في مقام الزهد وقوله (دائماً تسيارها) اي سيرها كالتفسير لما قبله (الى ان اناخت) أي حلت واستقرت (بحضرة القدس) اي التنزيه وهي حضرة الرب سبحانه (وبساط الانس) أي البساط الذي كل من جلس عليه حصل له الانس وهو تلك الحضرة فشبهها بحضرة ملك عظيم يستريح الوفود اذا وصلوا اليه وجلسوا على بساطه ثم بين صفات تلك الحضرة بقوله (محل المفاتحة) أي الفتح عن القلوب (والمواجهة) أي الاقبال من الله سبحانه (والمجالسة) بأن يصير الله سبحانه حاضراً معه (والمحادثة) بأن يكلمه في سره بالمعارف والاسرار (والمشاهدة) بأن يشاهده بباطنه بعد غيبته عن حسه والمطالعة

موجب للزيادة في همه وغمه اذا فقدها قال سيدي سهل بن عبد الله رضي الله عنه من فرح بغير مفروح به استجلب حزناً لا انقضاء له وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه وانما يكون فرحه بالامور الباقية التي لا تفنى قد أشرق نور ذلك في قلبه وظهرت تباشيره على وجهه واشراق النور وظهور التباشير نتائج تحققه في مقام الزهد ﴿(فصرف عن هذه الدار مغضياً وأعرض عنها مولياً فلم يتخذها وطناً ولا جعلها سكناً) فلما كان العبد على هذا الوصف صرف عن هذه الدار الدنيوية أي مال عنها مغضياً جفنه عن أقذائها من غير مبالاة بذلك معرضاً عنها بوجه قلبه قد ولاها دبره من غير التفات اليها وهذا مبالغة في نبذها واطراحها فلم يتوطنها بظاهره على سبيل التمتع بها والاستبشار ولم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها والايثار بل نزلها منزلة السجن والمضيق ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد في الامور الفانية التي هي بغيضة له فلما وصل الى ذلك حصل له من طهارة قلبه وصفاء لبه ما حمله على التعلق بمولاه الباقي الدائم فجعل دنياه معبراً يعبره اليه كما سيقوله المؤلف الآن ﴿(بل انهض الهمة فيها الى الله تعالى وسار فيها مستعيناً به في القدوم عليه) هذا ابتداء سفره بقلبه الى الحضرة العلية وبدايته انهاض الهمة الى ربه والاستعانة به في القدوم عليه وهو اساس أمره كما تقدم قال الشاعر

اذا لم يعنك الله فيما تريده * فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك في كل مسلك * ضللت ولو أن السماء دليل

قال أبو محمد الجريري رضي الله عنه من توهم أن عملاً من أعماله يوصله الى مأموله الاعلى أو الادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي أحداً منكم عمله فما لا ينجي من الخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول ﴿(فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائماً تسيارها الى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة

(والمطالعة) اى بان يتمكن من المشاهدة ويطلع على علوم الغيب فان الشخص اذا دخل الى حضرة ملك عظيم من ملوك الدنيا يحصل له أولا المفاتحة بأن يفاتح ذلك الملك بالسلام ويفاتحه بالرد ثم المواجهة بأن يقبل عليه بوجهه فقد يكون حال السلام معرضا عنه ثم المجالسة بأن يجلسه بين يديه ثم المحادثة أي التكلم معه لان ذلك ثمرة المجالسة ثم المشاهدة وذلك أن الملك قد يكون صاحب جلال فلا يلزم من الجلوس بين يديه والمحادثة معه مشاهدته بل يطرق جليسه رأسه من هيبته ثم المطالعة التي هي تمكن المشاهدة أو يراد بالمشاهدة مشاهدة الاحوال الظاهرة وبالمطالعة مشاهدة الاحوال الباطنة فانه لا يعرف حال الملك باطنا الا بعد شدة التأمل فهذا حال من وصل الى حضرة ملك من ملوك الدنيا وكذلك السالك اذا وصل الى حضرة المولى سبحانه فانه يقابله بأنواع من الفتوحات والكرامات والتحف السنية والعلوم والمعارف الربانية التي لا يعرف تفاصيلها الا من وصل هنالك وذاق مذاق اهل القرب والتمكين جعلنا الله واياكم منهم بمنه وكرمه آمين (فصارت الحضرة) (٩٩) أي حضرة الرب سبحانه (معشش

والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون) هذه استعارات مليحة استعملها في سفر القلب الى حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين وحضرة القدس وبساط الانس هما موضع حط الرحال وبلوغ الاوطار والآمال من قبل ان السالك تمحى عنه رسوم بشريته وتبطل أحكام آنيته وتنكشف له اذ ذاك أوصاف معروفه كرأي العين ويكون سره مع الله تعالى بلا أين فلما وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه المنقبة السنية قوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفنون من تحف السادات والاشراف وهي معاني هذه الالفاظ الستة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى ولا تعرف الا بالذوق وكذلك التفرقة بين معانيها فحينئذ ألقى السائرون عصا سيرهم وحمدوا عاقبة أمرهم وصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم في ذهابهم وايابهم الى ظلها يأوون اذا صلى غيرهم بنيران هواه وفي دار المقامة فيها يسكنون حين يرتع سواهم عن متعة دنياه وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو وهذا هو انتهاء سفرهم بمعنى الصعود والترقي ۞ (فاذا نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن الله والى الله) هذا هو سفر التدلي والنزول وبه يتحققون بمقام البقاء والصحو فاذا نزلوا من سدرة منتهاهم الى سماء الحقوق وهي حقوق الله عليهم بما امرهم به او نهاهم عنه ليقوموا بذلك فعلا او تركا والى أرض الحظوظ وهي حظوظ نفوسهم التي تلايمهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك بالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك أن يدخلوا في الاشياء بمراد

قلوبهم) أي الموضع الذي تسكن فيه قلوبهم كعش الطير (اليها يأوون) وقوله (وفيها يسكنون) كالتفسير لما قبله أي فصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم في ذهابهم وايابهم وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو وهذا مقام الجمع هذا هو انتهاء سفرهم وصعودهم ثم بعد ذلك يتحققون بمقام البقاء وهو مقام الفرق ويؤمرون بمخالطة الخلق وهو المراد بقوله (فاذا نزلوا الى سماء الحقوق) أي الحقوق الواجبة عليهم عند مخالطة الخلق الشبيهة بالسماء بجامع صعوبة الارتقاء الى كل (او أرض الحظوظ) اى حظوظ انفسهم التي تلايمهم ويحصل لهم الارتفاق بها الشبيهة بالارض بجامع سهولة الاستقرار على كل (فبالاذن والتمكين) اى لا بشهوتهم ومرادهم والا فلو خيروا بين مقامهم في تلك الحضرة والخروج منها الى مخالطة الخلق لم يختاروا الا بقاءهم فيها ولذا لما أمر الله أبا يزيد بالخروج الى ارشاد الناس صاح صيحة عظيمة فقال الله تعالى للملائكة ردوا على عبدي فانه لا طاقة له على مفارقتي قال بعضهم وكان في ذلك الوقت لم يحصل له قوة ورسوخ في مقام الفرق ثم بعد ذلك قواه واخرجه ولذا قال المصنف فبالاذن والتمكين اذ لا يلزم من مجرد الاذن التمكين أي التمكن في مقام البقاء بأن يحصل لهم القوة على مخالطة الخلق وتحمل أذاهم (والرسوخ في اليقين) أي وبعد رسوخهم في اليقين بالله ومعرفتهم به معرفة ذوقية (فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة) اى فلم يخالطوا الخلق الا مع التأدب التام لانهم يرون الله فيهم ومع التيقظ وعدم الغفلة عن موجدهم فاذا آذاهم شخص حمدوا الله الذي اوجده ورأوا ان الذي سلطه عليهم هو مولاهم لذنب فعلوه لا يليق بمقامهم واذا أكرمهم شخص

شكره ومع رؤيتهم ان الذي حرك قلبه للاكرام هو مولاهم فهذه وشبهها هي الحقوق الواجبة عليهم عند النزول ومخالطة الخلق (ولا
الى) اي ولم ينزلوا الى (الحظوظ) ويتعاطوها (٠٠١) (بالشهوة والمتعة) بضم الميم اي على سبيل شهوة نفوسهم لها وتمتعهم بها (بل
دخلوا في ذلك كله) من الحقوق
والحظوظ (بالله) اي مستعينين
به (ولله) أي لا لحظ انفسهم (ومن
الله) اي من عنده لا من عند أنفسهم
(والى الله) اي متوسلين اليه في
نيل مرادهم ثم السفر الاول وهو
السير الى حضرة المولى يقال له
سفر الترقي والثاني وهو النزول منها
الى مخالطة الخلق يقال له سفر
التدلي والى ذلك أشار المصنف بقوله
(وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق) المدخل
والمخرج في الاصل بمعنى الادخال
والاخراج وقد عبر بهما هنا عن
السفرين المذكورين فالمدخل
هو سفر الترقي لانه دخول على الله
عز وجل في حالة فنائه عن رؤية
غيره والمخرج هو سفر التدلي لانه
خروج الى الخليقة لفائدتي الارشاد
والهداية في حال بقائه بربه وتحققه
في هذين المقامين أعني مقام الفناء
والبقاء هو معنى صدقية مدخله
ومخرجه فالمدخل الصدق ان
يشاهد حول الله وقوته في سفر
الترقي فتنتفي عنه بذلك نسبة
الاعمال الى نفسه والمخرج الصدق
ان يستسلم لربه وينقاد اليه في سفر
التدلي فيرضى بما نقله اليه ولا
تتشوف نفسه الى البقاء مع ما نقل
عنه ولذا قال (ليكون نظري الى
حولك وقوتك اذا أدخلتني
واستسلامي وانقيادي اليك اذا
أخرجتني) أي ليحصل ذهابي عن رؤية نفسي في النسبة والوقوف مع الحظ ففي المدخل اشاهد حولك وقوتك ويفنيني
فتنتفي عني بذلك النسبة الى نفسي وفي المخرج استسلم اليك فينتفي عني بذلك مراعاة حظي (واجعل لي من لدنك)

الله تعالى لا لمراد أنفسهم ويجدون الاذن من الله تعالى لهم بما يشرق في قلوبهم من النور الذي يجعله الله علما على ذلك وقد ذكره سيدي ابو الحسن في بعض كلامه قال رضي الله عنه ومعنى الاذن للولي نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعلامة ذلك النور على الشيء الذي يريده فيدركه نور مع نور أو ظلمة تحت ذلك النور ينبئك أن تأخذ ان شئت أو تترك او تختار او تدبر او تعطي او تمنع او تقوم او تجلس او تسافر او تقيم هذا باب المباح المأذون فيه بالتخيير فاذا قارنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله تعالى فان قارنته نية صحيحة لفعل زال عنه حكم المباح وصار مندوبا وان ظهرت الظلمة تحت النور المتقدم في القلب فلا يخلو أن يلوح عليه لائح الغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه المحظور او يكاد ولا تقطع ذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى أو سنة أو اجماع أو خلاف لمقلد قلدته كمالك والشافعي أو غيرهما من العلماء الراسخين فاحكم اذا على أصل صحيح وان تكن الظلمة شبه غيم لا يتصدع معه القلب ولا يتفزع به الذهن فتباعد عنه فانه يكاد أن يكون مكروها ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من ههنا خلق كثير ولا تفت أحدا وان استفتاك واعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان تأدبت ههنا فعن قريب تأتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلام سيدي أبي الحسن وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى الا أن ما فيه من التفصيل لم يتعرض له المؤلف بل بقي الامر في ذلك مجملا كما تراه وتقديره فاذا نزلوا الى الحقوق واستعملوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء ادب ولا غفلة وهو أن لا يشهدوا قيامهم بها من أنفسهم أو يطلبوا ثوابا عليها من ربهم وان نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا منفعة يقصدون الى نيلها في دنياهم بل دخلوا في ذلك بالله مستعينين ولله عابدين ومن الله آخذين والى الله متوسلين فقد تولى الله تعالى ادخالهم في الاشياء واخراجهم منها وأوجدهم ذلك وعزل عنهم ملكية نفوسهم لهم وصاروا احرارا كراما ۞ (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا ادخلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا أخرجتني) المدخل والمخرج الادخال والاخراج وقد عبر بها تين العبارتين عن السفرين المذكورين فالمدخل هو سفر الترقي لانه دخول على الله عز وجل في حالة فنائه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج الى الخليقة لفائدتي الارشاد والهداية في حال بقائه بربه وتحققه في هذين المقامين أعني مقام الفناء والبقاء هو معنى صدقية مدخله ومخرجه واغا طلب هذا ليحصل له بذهابه عن رؤية نفسه في النسبة والوقوف مع الحظ ففي المدخل يشاهد حول الله تعالى وقوته فينتفي عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي المخرج يستسلم لربه وينقاد اليه فينتفي عنه بذلك مراعاة حظه ۞ (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني وينصر بي ولا ينصر علي ينصرني على شهود نفسي

اى من عندك بلا واسطة ولا علة من نفسى (سلطانا) اى حجة قاهرة (نصيرا) اى مقويا ومعينا وهو مدد الهى يأتى من حضرة الحق سبحانه فلا يصادمه شئ الا دمغه وذهب به (ينصرنى) على نفسى (وينصرنى) أحبابى ومن تعلق بأذيالى من الاخوان والرفقاء (ولا ينصر على) نفسى ولا احدا من اعدائى الباطنة والظاهرة ثم فسر النصرة المطلوبة فى حق نفسه بقوله (ينصرنى على شهود نفسى) بأن لا اشاهدلها فعلا ولا حركة ولا سكونا بل اشاهد المحرك المسكن هو أنت (١٠١) (ويفنينى عن دائرة حسى) اى عما يدركه

(ويفنينى عن دائرة حسى) طلب من الله تعالى النصرة له ليستقيم أمره وطلب منه النصرة به ليكمل حاله فالنصرة له هى ملاك أرباب البدايات من السالكين اذ بذلك يتيسر عليهم قطع عقبات النفس ومحو دواعى الهوى والحس والنصرة به هى مقتضى حال أرباب النهايات من المجتهدين لانه بذلك يحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية وكل واحد من القسمين نصرة على شهود النفس وفناء عن دائرة الحس واخرج النصرة عليه من السؤال والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم التوفيق وهو غلبة أحكام نفسه وبقاؤه مع دائرة حسه وقال رضى الله تعالى عنه مما كتب به لبعض اخوانه (ان كانت عين القلب تنظر ان الله واحد فى منته فالشريعة تقتضى أنه لا بد من شكر خليقته) اذا أوصل الحق تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية أو دنيوية فعليك فى ذلك وظيفتان احداهما ان تشهد انفراد الله تعالى بذلك فلا ترى النعمة الا منه وحده وترى من سواه ممن أجراها على يديه مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه الدواعى والبواعث حتى لم يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية أن تشكر من وصلت اليك على يده بأن تدعو له وتثنى عليه امتثالا لامر الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى أن اشكر لى ولوالديك وفى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وفى حديث اسامة بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله أشكرهم للناس ولأن الله تعالى اختصه بأن أقامه فى ذلك وأهله ومن أسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو حق الشرع (وان الناس فى ذلك على ثلاثة اقسام غافل منهمك فى غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلى واما استنادا فشركه خفى) هذا هو بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية الوسايط والعبيد فبدأ بذكر عامة الناس وهم الغافلون المنهمكون فى غفلتهم أصحاب الظواهر والرسوم الذين قويت دائرة حسهم فقيدتهم ووقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم فابعدتهم ولم يصلوا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين فعبدوا الهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين فكفروا انعمته واستوجبوا سخطه ونقمته ثم هم فى ذلك على قسمين أحدهما ان يعتقدوا

حسى ويدركه وهو المكونات فلا اتعلق بها ولا أشاهد منها نفعا ولا ضرا بل اشاهد ان النافع الضار هو انت وهؤلاء الذين نصرهم الله تعالى ونصر بهم ولم ينصر عليهم هم الصفاتى الذين اذا ظهر واحد منهم فى عصر حصل به النفع التام لاهله وامدهم الله بسببه وهم لا يشعرون ومما كتب به الى بعض الاخوان ايضا (ان كانت عين القلب) وهى البصيرة المشابهة للعين الباصرة (تنظر الى ان الله واحد فى منته) اى نعمته اى هو المعطى لها وحده (فالشريعة تقتضى انه لا بد من شكر خليقته) فاذا اوصل الحق اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية كالعلوم والمعارف او دنيوية فعليك فى ذلك مراعاة الحقيقة بان ترى أن تلك النعمة من الله وحده وان من اجراها على يديه مقهور ومجبور على ايصالها اليك فتحمد الله سبحانه على ذلك ومراعاة الشريعة بأن تشكر من وصلت اليك على يده فتدعو له وتثنى عليه امتثالا لامر الله وعملا بما جاءت به الشريعة فى الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر

٤١ عبادى الله ولان الله اختصه بان اقامه فى ذلك واهله (وان) أى واخبرك ان (الناس فى ذلك) اى فى حال ورود النعمة عليهم على يد احد (على ثلاثة اقسام غافل) عن الله (منهمك فى غفلته) اى متناه فيها (قويت دائرة حسه) يعنى ان ملحظه ومنظره المكونات فقط مع الغفلة عن الرب (وانطمست حضرة قدسه) أى حضرة التنزيه والمراد بها بصيرته التى هى منبع تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به (فنظر الاحسان) صادرا (من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا) بان يعتقد ان المؤثر والمعطى هو العبد حقيقة

(فشركه جلي) يخرجه من دائرة الايمان الى دائرة الكفر (واما استنادا) بان يعتقد ان المعطي هو الله تعالى ولكن اسند ذلك الى المخلوقات على جهة كونها أسبابا غير مؤثرة ولولاهم لم يحصل الاعطاء فاذا قيل له من الذى أعطاك مثلا قال الله ولكن لولا فلان الذى جاء من قبله لم يحصل اعطاء اذ لولا الاسباب ما كانت المسببات (فشركه خفي) لانه أشرك مع الله غيره وهو المخلوق ولم يغب عن الله تعالى فهو مؤمن لكن يخشى عليه (١٠٢) الكفر والعياذ بالله تعالى (وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق) فلم يشعر بهم ولم يلتفت اليهم (وفني عن الاسباب) وهم المخلوقات فلم يراهم فعلا (بشهود مسبب الاسباب) وهو الله تعالى (فهو عبد مواجه بالحقيقة) وهي حضرة الرب سبحانه لشهوده لها (ظاهر عليه سناها) اى نورها وضياؤها (سالك للطريقة) اى طريقة القوم وسلوكه لها باعتبار الاصل والا فوا جهته بالحقيقة لا تكون الا بعد سلوكها ولذا قال (قد استولى على مداها) أى غايتها ونهايتها ثم هذا المستغرق فى الحقيقة على الوجه المذكور وان كان كاملا بالنسبة لاهل الغفلة فهو ناقص بالنسبة لاكمل منه من اهل المعرفة ولذا قال (غير انه غريق الانوار) أى غريق فى بحار التوحيد (مطموس الآثار) أى مطموسة بصيرته عن رؤية الآثار والوسايط والعبيد أى غائب عن رؤية ذلك والشعور به (قد غلب سكره) وهو عدم احساسه بالآثار (على صحوه) وهو وجود احساسه بها (وجمعه) وهو رؤية الحق وحده (على فرقه) وهو رؤية الخلق مع الحق فهو فى مقام الجمع لا فى مقام الفرق (وفناؤه) وهو اضمحلاله فى وجود الحق (على بقائه) وهو شعوره بالخلق فهو فى مقام الفناء الذى هو مقام الجمع لا البقاء الذى هو مقام الفرق وقوله (وغيبته على حضوره) كالتفسير لما قبله (وأكمل منه عبد) جمع بين الامرين كالنبي صلى الله عليه وسلم وكامل ورثته وسبب ذلك انه (شرب) من المدد الالهي ومن كؤس التوحيد (فازداد صحوا) بعد سكره (وغاب) عن رؤية الاغيار (فازداد حضورا فلا جمعه) وهو رؤية الحق (يحجبه عن فرقه) وهو رؤية الخلق (ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه

ذلك بقلوبهم انه منهم ومن قبلهم وهذا هو الشرك الجلي الذى يخرج صاحبه عن دائرة الاسلام ويوقعه فى الكفر والعياذ بالله والثانى ان يحصل ذلك منهم استنادا اى اعتمادا على غير الله وسكونا الى سواه مع سلامة عقدهم وصدورهم وهذا هو الشرك الخفي الذى يخرج صاحبه من حقائق الايمان ويدخله فى ابواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه

(وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره) هذا هو حال الخاصة من ارباب الحقائق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يقع لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وفنوا عن الاسباب برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها فعلا ولا جعلا فهم مواجهون بحقيقة الحق ظاهر عليهم سناها أى نورها وضياؤها سالكون طريقة الحق قد استولوا على مداها أى وصلوا الى غايتها ومنتهاها الا انهم غرقوا فى بحار أنوار التوحيد مطموس عليهم آثار الوسايط والعبيد أى مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم وهو عدم احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت وجود الحق فردا على فرقهم وهو ثبوت وجود الخلق وفناؤهم وهو اضمحلالهم فى شهود الحق على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب أحوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق ومعانى هذه الالفاظ كما ترى متقاربة وهى ألفاظ تداولها الصوفية المحققون بينهم وعبروا بها فى كتبهم ووضعوها على معان اختصوا بفهمها ليتعرف بعضهم من بعض ما يتخاطبون به ولهم ألفاظ كثيرة غيرها وكان المؤلف رحمه الله تعالى أراد ان لا يخلو كتابه عن ذكر شئ منها

(وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطى كل ذى قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه) هذا هو حال خاصة الخاصة الذين حازوا رتب الاكملية وهم قوم شربوا كؤس التوحيد فازداد صحوهم وغابوا عن الاغيار فازداد حضورهم قد ملكوا الاحوال وتمكنوا فى مقامات الرجال فلم يغلبهم محو عن طى ولم يحجبهم شئ عن شئ بل وفوا حقوق جميع المراتب

يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه) فيشكر الحق والخلق ولا يغيب عن الرب في حال مخالطة الخلق وقوله (ويوفي كل ذي حق حقه) بمعنى ما قبله وهؤلاء هم خاصة الخلق الذين حازوا رتبة الاكملية تمكنوا في المقامات وملكوا أحوالهم ومنهم ابو بكر رضي الله عنه ولذا قال المصنف (وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك) أي الكذب (على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في القرآن العظيم (يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان براءتك سببها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تحصل الا ببركته فيستحق الشكر منك (فقالت والله لا اشكر الا الله) لانها في ذلك الوقت غائبة عن احساسها منغمسة في الانوار لم تر غير الله (دلها ابو بكر رضي الله عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الآثار) أي النظر للخلق ومن جملتهم (١٠٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى النظر

واعطوها مالها من قسط واجب وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ بصرهم وهذه هي صفة الصديق رضي الله تعالى عنه في القصة التي يذكرها الآن ﴿(وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا اشكر الا الله دلها ابو بكر رضي الله تعالى عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الآثار وقد قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غائبة عن الآثار فلم تشهد الا الواحد القهار) هذا مثال هذين القسمين وقد أشبع المؤلف رحمه الله تعالى الكلام فيه والمعنى في ذلك بين لا يحتاج الى مزيد تنبيه الا قوله وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة أي منقطعة عن شاهدها وهو حكم بشريتها مستوفاة عن احساسها بالكلية والاصطلام نعت الحيرة وهو القهر وصفة الدهشة وفي قوله وكانت هي في ذلك الوقت اشعار بأن ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع أوقاتها بل كان ذلك في وقت مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك صحيح اذ حالها رضي الله عنها هو حال الكمال في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته كحو حال أبيها رضي الله عنهما وذلك معلوم من اخبارها وسيرها رضي الله تعالى عنها وقال رضي الله عنه المسئل عن قوله صلوات الله عليه وسلامه وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص به ام لغيره منه شرب ونصيب فأجاب ﴿(ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فالرسول صلوات الله عليه وسلامه ليس معرفة غيره كمعرفته فليس قرة عين كقرته وانما قلنا ان قرة عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده

اليهم شكرهم ثم استدل على انه ينبغي شكرهم بقوله (وقد قال تعالى ان اشكر لي ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله) بالنصب وفاعل الشكر هو العبد والرفع أي لا يثيب الله (من لا يشكر الناس) ولا يرضى له ذلك فينبغي شكر الله لانه الذي حرك قلب العبد وشكر العبد لانه واسطة والشارحم الوقوف معه والغيبة عن الرب (وكانت هي) اي عائشة (في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها) أي ماخوذة عن احساسها غائبة عن حكم بشريتها والاصطلام حالة تعتري العبد من تجلي الله عليه بصفة القهر فتغيبه عن احساسه (غائبة عن الآثار) وهم المخلوقات (فلم تشهد الا الواحد القهار) وفي قوله وكانت في ذلك

الوقت اشارة الى ان ذلك ليس حالا لازما لها في جميع اوقاتها بل ترقت عنه الى مقام الفرق وهو رؤية الخلق مع الحق وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة قرة العين كناية عن غاية الفرح والسرور واللذة فكأنه يقول وجعلت غاية فرحي وسروري ولذتي في الصلاة لمشاهدة الرب فيها هل ذلك خاص به أم لغيره من أمته منه شرب بكسر الشين وقوله ونصيب تفسير له فأجاب (ان) بكسر الهمزة ان كانت من كلام المصنف وفتحها ان كانت من كلام غيره (قرة العين) أي غاية الفرح والسرور (بالشهود) أي شهود جلال الحق سبحانه وجماله (على قدر المعرفة بالمشهود) وهو الحق سبحانه (فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة) أحد مثله (كمعرفته فليس قرة عين كقرته) وحاصل الجواب ان قرة العين ليست خاصة به صلى الله عليه وسلم بل كما تكون له تكون لغيره لكن قرة عينه أعظم من قرة عين غيره ومعلوم ان قرة العين لا تحصل الا لمن ذهبت عنه الوساوس

النفسانية والشيطانية اما من كان مغمور انهما فقليل ان تحصل له قرة عين اوصف ورتاب بين يدي الحق سبحانه وتعالى (وانما قلنا ان قرة عينه) صلى الله عليه وسلم (في صلاته بشهوده جلال مشهوده) وهو الحق (لانه قد اشار الى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلى الله عليه وسلم لا تقر عينه بغير ربه) (١٠٤) ومن الغير الصلاة (وكيف) تقر عينه بغير ربه (وهو) أى والحال انه (يدل على هذا المقام) وهي المرتبة الاولى من مراتب الاحسان (ويأمر به من سواه بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه ومحال ان يراه و يشهد معه سواه) ومن السوى صلاته فيغيب عن نفسه وحسه وعن أفعاله ولا يراها صادرة منه بل يرى الفاعل لها هو الله تعالى (فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من عين منة الله تعالى) اى لا لعلة و جعلها بارزة من نفس المنة مبالغة والافهي بارزة من الله بمنته لا لعلة (فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال الله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) فى ذلك اشارة الى انه لا مانع أن يفرح الانسان بالصلاة ويكون قرة عينه بها فما المانع من كون فرحه صلى الله عليه وسلم بها (فاعلم) مرتب على ما تقدم وهو قوله فان قال قائل وفي بعض النسخ حذف قوله فان قال قائل فيحتاج الى تقديرها وترتب الجواب عليها كأنه قال ان قيل ذلك فاعلم (أن الآية قد اومأت) أى اشارت اشارة خفية (الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب) وهو المعنى الذي يخفى على كثير من الناس (اذ قال) الله تعالى (فبذلك فليفرحوا) أى الامة (وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت بالمتفضل) وهو الله تعالى (كما قال الله تعالى في الآية الاخرى قل الله) معناه المطابقي قل الله أنزله أى القرآن ومعناه الاشاري المراد هنا قل الله أى افرح به لا بغيره الطواف

لانه قد اشار الى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلوات الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام و يأمر به من سواه بقوله صلوات الله عليه وسلامه اعبد الله كأنك تراه ومحال أن يراه و يشهد معه سواه فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الآية فاعلم أن الآية قد اومأت الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت بالمتفضل كما قال في الآية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) الصلاة هي اجل ما يتحف الله تعالى به عباده و يهديه اليهم وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما أوتي عبد في الدنيا خيرا من ان يؤذن له في ركعتين يصليهما فانهما يحصل لهم الخلوة معه والانفراد بالمجالسة له والانقطاع اليه وفيها يرتفع عن قلوبهم الحجب والاستار و يتجلى فيها حقائق الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار وفيها تكون المناجاة والمصافاة كما تقدم وهي صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال محمد بن على الترمذي رحمه الله الصلاة عماد الدين واول شئ فرضه الله على المسلمين وفي الصلاة اقبال الله على العبد ليقبلوا اليه في صورة العبيد تذللا وتسليما و تبذلا وتخضعا وتخشعا وترغيبا وتعلقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم والثناء والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس ترغب والتشهد تعلق فأقبل العبد الى الله بهذه الصورة ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتقبل والتكرم والتقرب فليس شئ من أمر الدين اعظم من هذه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال في حديث آخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه مادام في صلاته وان الله لينصب الى أحدكم وجهه مادام مقبلا عليه انتهى ولاجل هذه الفوائد كانت الصلاة مفزع ذوى الفاقات والضرورات من ارباب القلوب تغنيهم وجودها عن كل مرغوب و يتسلون بها عن كل محبوب قال الله تعالى وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا الآية فواجب اذا أن تكون قرة اعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الروح والراحة وكمال النعيم واللذة التي تحصل من غاية الموافقة والملائمة الا انها تختلف باختلاف أحوال الناس في مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت منزلته وعلت مرتبته كانت ملائمته وموافقته في شهود التوحيد وكمال التجريد المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وفيما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في قوله لعروة بن الزبير رضى الله عنهما انا كنا نتراءى الله بين أعيننا وكان هذا المخاطب اليه عروة بن الزبير ابانته وهو في

الطواف فلم يكلمه ابن عمر ولم يرجع اليه بشيء ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب
هذه الحال تكون قرة عينه في الصلاة لابها الا تتضمنه من التجلي التام والشهود الحقيق
ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملاءمته وموافقته في شهود النعم ووجود الفضل والكرم
وكانت قرة عينه بها الا انها افضل من الله و بارزة من منة الله كما قال المؤلف رحمه الله
تعالى فلا شك أن معنى قرة العين في الوجه الاول أحق وبه أنسب وأليق لان صاحبه فان
عن نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوصف فهو من الخاصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو
اللعين ومن زالت سلطنته عنه في صلاته لم يحتج الى مدافعته ومراجعته وكانت صلاته
ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند فقدان العبد حديث نفسه ووسوسة
عدو يحصل له غاية النعيم واللذة و يتحقق في حقه معنى قرة العين بخلاف الوجه الآخر
فان صاحبه لم يفن عن نفسه فضلا عن ان يرتقي الى درجة البقاء بربه فلم ينقطع عنه حديث
النفس ولا وسواس العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة ومدافعة فيتشوش نعيمه وتتكدر
لذته فيضعف معنى قرة العين في حقه قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه وقرة العين لا تكون لمجاهد ولا لمن يدفع الشيطان عنه بل هي لمن استراح
من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل اشرف
المنازل ومرتبته في المعرفة به أرفع الرتب بحيث لا يتصور أن يشاركه في ذلك غيره او يحل به
سواه كانت قرة عينه في صلاته على حسب ذلك فمن قال ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة
العليا والخاصية الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عيني في الصلاة بعد قوله انما حبب الي من الدنيا الطيب والنساء ولا شك ان حبه لهذين
الامرين ليس على قياس حب غيره لهما وانما ذلك لوجود الخاصية التي اقتضت منه ذلك ألا
ترى انه ابيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وأمن لاجل ذلك من وقوع مفسدة التباغض
والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر واستعماله صلى الله عليه وسلم الطيب وجه له انما هو للقائه
الملائكة التي تناجيه والا فهو في ذاته غني عن الطيب واستعماله كما قال أنس بن مالك رضي
الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
شممت رائحة قط مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان
حاله في هذين الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يذكر فيهما سوى لفظ الحب وهما من لذات
الدنيا فكيف يكون حاله في الامر الثالث مع انه عبر فيه بقرة العين وهي غاية المحبة وهو من
أعمال الآخرة وقيل معنى قوله من الدنيا أي في الدنيا ومن قال ان لغيره منه شربا ونصيبا
على المعنى الذي يليق بهذا الغير فلقوله وجه وجواب المؤلف رحمه الله تعالى يحتمل لهذين
الوجهين والله أعلم أراد منهما او من غيرهما * وقال المؤلف رضي الله عنه فيما كتب به
لبعض اخوانه ۞ (الناس في ورود المنن على ثلاثة أقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها
ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا

(ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وهو فرحهم بغير الله سبحانه ويؤخذ من ذلك ان قرة العين قد تكون بنفس الصلاة لاهله السابقة لكن ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم لانه فان قرة عينه انما تكون بمشاهدة محبوبه وغيره يشاركه في ذلك على حسب مقامه كما مر * وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه (الناس في) حال (ورود المنن) أي النعم عليهم من الله تعالى (على ثلاثة أقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها ومنشئها) وهو الله (ولكن) فرحه (بوجود متعته فيها) أي بسبب تمتعه وقضاء وطره ونيل غرضه بها (فهذا من الغافلين) شبيه بالبهائم الذين يأكلون ويشربون غافلين عن مولاهم

بما أوتوا أخذناهم بغتة وفرح بالمنن من حيث انه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها

يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح

بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله عما سواه والجمع عليه

فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) * تضمن هذا الفصل بيان ما يحمد من أحوال الناس وما يذم عند ورود النعم عليهم وحصول الفرح اذ ذاك لهم وينبني عليه ما يكون من ذلك شكرا لها وما لا يكون وقد قسمهم المؤلف ثلاثة أقسام وجعلهم طرفين وواسطة قسم في غاية الدناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث ان فيها اقضاء أوطار نفوسهم ونيل أغراضهم والتمتع بشهواتهم ولذاتهم فأحوال هؤلاء مذمومة جدا أشبه شئ بهم الانعام والبهائم وهذه أحوال أهل الطرد والبعد والاستدراج والمكر حسبما أشار اليه في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وهذه الاحوال بعيدة من الشكر منافية له وقسم في غاية الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل ان فيها متعتهم ولذاتهم ولا الى بواطنها من كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم حيث من بها عليهم فأحوال هؤلاء محمودة جدا لانهم غابوا عن الاغيار العدمية وتحققوا بحقائق الوحدانية كما أشار اليه في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وحال هؤلاء هي الشكر الحقيقي الخالص الخالي من المزج والشوب لان المشاهد للمنعم فان عن حظوظ نفسه فهو يرى الاشياء كلها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطاء ولا منع ولا يخاف عليه من التغير والانقلاب لتغير الافعال والاسباب ما يخاف على غيره لبقاء حظه قال ابو محمد الجريري رضي الله عنه من رأى النعم ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأى المنعم بنعمة النعم فقد شكر وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يشاهد المنعم في النعمة كانت النعمة في حقه استدراجا لانه يؤديه الى ان يسكن اليها فاذا نزعت منه لزمه ان يتغير عليها ومنهم من حصل له نصيب من الشرف والجلالة وحظ من الدناءة والرذالة وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم فمن حيث شهودهم للمنة من ربهم شرفوا وجلت اقدارهم وكانت احوالهم محمودة وهي شكر منهم لائق بهم ومن حيث نظرهم لانفسهم وبقاؤهم مع حظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة فانحطوا بهذا الوصف عن مراتب الاعلين وارتقوا بالوصف الاول عن احوال الادنين فخوطبوا بما خوطب به عامة المؤمنين وساطهم في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وقد ضرب الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب الشكر لهذه الاقسام الثلاثة مثلا فقال الملك الذي يريد الخروج الى سفر فأنعم بفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه

الفرس

(يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) يعني انه ربما كان توارد النعم استدراجا من الله تعالى كلما أعطى نعمة ازداد غفلة ولم يشكر المولى عليها حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر (وفرح بالمنن) أى النعم (من حيث انه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها) وهو الله تعالى فيشكره سبحانه عليها ولم يغب عنه لكن حاله ناقص من حيث انه ملتفت الى النعمة وعنده فرح بها وان كان ذلك من حيث بروزها عن الحق (يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله) عز وجل (ما شغله) عنه (من المنن ظاهر متعتها) أى التمتع بها (ولا باطن منتها) أى لم يلتفتوا الى ظاهر النعم من أجل ان فيها لذتهم ولا الى باطنها من حيث كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم حيث من بها عليهم كما هو حال القسمين الاولين فان القسم الاول التفت الى ظاهر النعمة من أجل ان فيها لذتهم وغابوا عن المنعم بها والقسم الثاني التفت الى باطنها من حيث بروزها عن الله عز وجل وان في حصولها لهم اعتناء منه تعالى بهم (بل شغله النظر الى الله) تعالى (عما سواه والجمع عليه) أى جمعية قلبه عليه (فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون

الفرس فقط ولو وجده في صحراء فأخذه لكان فرحه به مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من جهة ما يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه له غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا ولاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج به في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك محل من يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة نفسها بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذه حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذه حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي الرتبة العليا وأماراته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص رضي الله عنه شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فاذن هو شرط الفرح بنعمة الله عز وجل فان لم تكن له ابل فمعز وان لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل لينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام الامام أبي حامد الغزالي وهو في غاية البيان والوضوح وهو

وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود قل للصديقين) أى كثيرين الصدق فى اقوالهم وأفعالهم وأحوالهم (بى فليفرحوا) أى فليفرحوا بى لابغيرى حيث كنت ربا وكانوا الى عبيدا خالصين من حكم بشريتهم ولذا قيل ان عتبة الغلام دخل يوما على رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو يتبختر فى مشيته على خلاف عادته فقالت له ياعتبة ماهذا التيه والعجب الذى لم اره فى شمائلك قبل هذا اليوم فقال يارابعة ومن أولى بهذا التيه منى وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبدا (وبذكرى فليتنعموا) أى لايتنعمون الابذكرى لابلذات الدنيا وشهواتها فان المشتغل بذكر الله يحصل عنده من اللذة والانس بالله مالايوازيه لذة من لذات الدنيا (والله تعالى يجعل فرحنا واياكم) ايها الاحباب الناظرين فى هذا الكتاب (به) تعالى (وبالرضا منه) أى الانعام بدوام المشاهدة (وان يجعلنا من أهل الفهم ١٠٨ عنه) وهم الذين يفهمون عن الله مراده منهم وهو اقبالهم عليه واشتغالهم بخدمته ويفهمون عنه انه حاضر معهم فيراقبونه فى حركاتهم وسكناتهم ويفهمون عنه انه قائم بالاشياء وانها عدم محض فلا يلتفتون اليها فى جلب نفع ولادفع ضر ويفهمون عنه انه معهم بذاته لابعلمه كما يفهمه المحجوبون اهل الدليل والبرهان الى غير ذلك مما هو مقرر عند أهل الشهود والعيان (وان لايجعلنا من الغافلين) الذين اشتغلوا بالاكوان عن المكون ولم يفهموا مراد الله منهم فلم يقبلوا على طاعته وان اقبلوا عليها فبظاهرهم دون قلوبهم (وأن يسلك بنا مسالك المتقين) الذين يتقون ماسواه سبحانه فلا يلتفتون الى غيره فى جلب ولادفع ولايغيبون عنه طرفة عين وهذه اعلى مراتب التقوى ودون ذلك اتقاء معاصى الجوارح وشهوات النفوس ودون ذلك اتقاء الشرك (بمنه وكرمه) اى لابفعله تعالى على ذلك كاعمالنا المدخولة (وقال رضى الله عنه) وفى بعض النسخ ومن مناجاته (الهى انا الفقير فى) حال (غناى والمنسوب فكيف لا اكون فقيرا فى) حال (فقرى) يعنى ان صفتى الذاتية هى الفقر والاحتياج والغنى امر عارض والعارض بصدد الزوال (الهى انا الجاهل فى) حال (علمى) لان ماعندى من العلم قليل فهو فى حكم العدم وأيضا فهو عارض علىّ او العارض بصدد الزوال (فكيف لا اكون جهولا) أى كثير الجهل (فى) حال (جهلى) واتى بصيغة المبالغة لما فى ذلك من ضم جهل الى جهل وحاصله ان العبد صفته الذاتية هى النقص والكمال عارض له والعارض نقصان فى التحقيق وتقديمه هذا التضرع والافتقار بين يدى دعائه ليكون ذلك ارجى للاجابة قال سهل بن عبد الله ما اظهر عبد فقره الى الله فى وقت الدعاء فى شئ يحل به الا قال الله تعالى لملائكته لولا أن لايحتمل كلامى لاجبته لبيك اه

كالتفسير لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ولذلك أوردته ههنا بكماله ﴿وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود قل للصديقين بى فليفرحوا وبذكرى فليتنعموا﴾ بهذا تحققت صديقيتهم وعلا ارتفاع رتبتهم على من دونهم قيل ان عتبة الغلام دخل فى بعض الايام على رابعة العدوية رضى الله عنها وعليه قميص جديد وهو يتبختر فى مشيته بخلاف ماسبق من عادته فقالت له ياعتبة ماهذا التيه والعجب الذى لم أره فى شمائلك قبل اليوم فقال يارابعة ومن أولى بهذا التيه منى وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبدا * وقال بعضهم كنت مسافرا الى مكة فبينما أنا أمشى اذ رأيت شيخا بيده مصحف وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه فقلت ياشيخ ماهذا الرقص قال دعنى عنك قلت فى نفسى عبد من أنا وكلام من أتلو وبيت من أنا قاصد فاستغرقنى الوجد فرقصت وأنشد فى هذا المعنى

قوم تخالهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له * ياحسن رؤيتهم فى حسن ماتاهوا

ويجوز ان يكون المراد بقوله وبذكرى فليتنعموا أى بذكرى اياهم فى الازل حيث لاوجود لهم والافان الذكر المنسوب اليهم محل الآفات والعلل وهم أجل رتبة من أن يكون نعيمهم بشئ ملتبس بهم ﴿والله تعالى يجعل فرحنا واياكم به وبالرضا منه وان يجعلنا من أهل الفهم عنه وان لايجعلنا من الغافلين وان يسلك بنا مسالك المتقين بمنه وكرمه﴾ هذا دعاء حسن موافق لمعنى ماتقدم وهو بين لايحتاج الى تبيين ولاتنبيه عليه فالله تعالى يحقق لنا ذلك بفضله واحسانه انه أرحم الراحمين ﴿وقال رضى الله عنه الهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا اكون فقيرا فى فقرى الهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لا أكون جهولا فى جهلى﴾ العبد موصوف بصفات النقص وهى ذاتية له والكمال العارض له

(الهى ان اختلاف تدبيرك) فقد يكون العبد فقيرا فيدبر الله له الغنى وبالعكس ويكون مريضا فيدبر الله له الصحة وبالعكس فالمراد بالتدبير المدبر أى المقدر ولذا عطف عليه للتفسير قوله (وسرعة حلول مقاديرك) اى المقدرة على العبد (منعا عبادك العارفين بك عن السكون) منك (الى عطاء) اى عن سكونهم الى عطاء يصدر منك (١٠٩) فاذا افيضت عليهم العطايا الدنيوية كالاموال

او الدينية كالمعارف والاسرار والمكاشفات لا يلتفتون اليها لانها بصدد الزوال يمكن زوالها واتيان ضدها كما وقع لكثير فى غابر الزمان بل لا يلتفتون الا الى المولى ولا يغيبون عنه ويكون بقاء ذلك وزواله عندهم على حد سواء (واليأس منك فى بلاء) فاذا قام بهم بلية بدنية كمرض أو فقر او دينية كمعصية لا ييأسون من زوالها واتيان ضدها كما وقع لغيرهم (الهى منى) أى يصدر منى (ما يليق بلؤمى) الذى ركبت عليه وهو مبارزتى اياك بالمعاصى التى تليق بى فان شان الانسان عدم الوفاء بحقوق الرب (ومنك) أى ويصدر منك (ما يليق بكرمك) وهو التجاوز والعفو عنى وقبول أعذارى والتفضل والاحسان ودفع الآلام (الهى وصفت نفسك باللطف والرأفة) أى شدة الرحمة (بى قبل وجود ضعفى افتمنعنى منهما) أى من قيام اثرهما بى وحصوله لدى (بعد وجود ضعفى) فاللطف والرأفة صفتان لله عز وجل اتصف بهما فى الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود اثرهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته

وهو اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما واللطف يرجع للعلم والرأفة للارادة (الهى ان ظهرت المحاسن منى) وهى أنواع الطاعات والصفات المحمودة (فبفضلك) لا بحولى وقوتى (ولك المنة) أى الامتنان (على) لعدم ١٤ عبا فى استحقاق لذلك والامتنان مذموم الا من الله أو الرسول او الوالد او الشيخ

والمنسوب اليه نقصان على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى من كونه ١
فقيرا فى غناه وجاهلا فى علمه صحيحا مستقيما وكأنه قصد رضى الله عنه بهذا الاعتراف بدوام الاضطرار ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغناء له عن مولاه عز وجل ولا ينفك من الاحتياج اليه والتعلق به والسؤال والطلب منه فى كل حال من أحواله كما قال بعضهم

انى اليك مدا الانفاس محتاج * لو كان فى مفرقى الاكليل والتاج

وهذا منه دليل على تحققه فى مقام العبودية التى اقتضتها عظمة الربوبية وتقديمه لهذه المعانى بين يدى دعائه ومناجاته فى غاية الحسن * قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه ما طلبت من الله شيأ الا وقدمت اساءتى امامى يريد رضى الله عنه حتى لا يطلب من الله شيأ بوصف يستحق به العطاء بل لا يكون طلبه وجود فضله الا بفضله وقال أبو عثمان رضى الله عنه فى قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية التضرع فى الدعاء أن لا تقدم اليه أفعالك وصلواتك وصيامك وقيامك وقراءتك ثم تدعو على أثره انما التضرع أن تقدم اليه افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا علاقة ولا سبب فيرفع دعاءك * وقال الواسطى رضى الله عنه تضرعا بذل العبودية وخلع الاستطالة وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما أظهر عبد فقره الى الله تعالى فى وقت الدعاء فى شئ يحل به الا قال للملائكة لولا أنه لا يحتمل كلامى لاجبته لبيك ۞ (الهى ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس منك فى بلاء) تلون الاحكام على العباد يقتضى أن لا يساكنوا حالة سارة يكونون عليها ولا ييأسوا فى حال ضارة تنزل بهم من وجود الراحة والفرج وهذا محض تعلق بالله عز وجل وهو نعت العارفين ۞ (الهى منى ما يليق بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك) لؤم العبد الذى ركب عليه يقتضى منه مبارزة مولاه بالعظائم والكبائر وكرم المولى الذى هو متصف به يقتضى منه التجاوز والعفو عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من ألطف وجوه السؤال والرغبة وهو من آداب الدعاء * يحكى أن رجلا قال لبعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قل له كم أخالفه وأعصيه وهو لا يعاقبنى فأوحى الله تعالى الى ذلك النبى قل له لا تعلم انى انا وأنت أنت ۞ (الهى وصفت نفسك باللطف والرأفة بى قبل وجود ضعفى أفتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى) اللطف والرأفة صفتان لله عز وجل اتصف بهما فى الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود آثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته وهى اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما ۞ (الهى ان ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على

(وان ظهرت المساوي مني) وهي ضروب المعاصي والصفات المذمومة (فبعدلك) لا بطريق الظلم لان المالك يفعل في ملكه مايشاء (ولك الحجة علي) بان تقول لي لم فعلت ذلك يا عبدي وليس لي حجة أقيمها عليك كان أقول لك ان ذلك بتقديرك وحكمك لان ذلك شان الجاهل بك أما العالم بك فيقول المالك يفعل في ملكه مايشاء ولا يسئل عما يفعل (الهي كيف تكلني الى نفسي وقد توكلت لي) ومن كنت وكيله لا تحوجه الى غيرك (وكيف اضام) أي يحصل لي ضيم وذل (وأنت الناصر لي أم كيف أخيب) بعدم الظفر بآمالي (وانت الحفي بي) أي اللطيف (١١٠) واطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفايات مآربه وايصال ذلك اليه برفق فالوكيل والناصر والحفي من اسماء الله تعالى وهي مقتضية لوجود آثارها من الكفاية والمنعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرأفة (ها انا اتوسل اليك بفقري اليك) اي اجعل فقري اليك وسيلة اتشفع به عندك في القبول لا باعمالي المدخولة واحوالي المعلولة ولذا سئل ابو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير أن يقدم به على ربه سوى فقره وقال ابو يزيد نوديت في سري خزائننا مملوأة من الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار * ثم رجع عن جعل الفقر وسيلة يتشفع بها الى المولى فقال (وكيف اتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك) وهو الفقر المذكور فكأنه يقول ان كان الفقر يتوسل به اليك فانا اتوسل به لكنه لا يتوسل به اليك لان المتوسل به يكون بينه وبين المتوسل اليه علاقة ومناسبة كالوزير والسلطان ولا مناسبة بين الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب   التوسل
الذي له الغنى الاكبر وأيضا توسل العبد بفقره يقتضي شهوده له واعتماده عليه فيكون حينئذ من الاحوال المعلولة وهي لا تصل الى الله بمعنى انه لا يرضاها ولا يقبلها ولذا قيل ان أبا الحسن الشاذلي قدس سره لما دخل على شيخه عبد السلام قال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله قال بفقري فقال له والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالسم الاعظم ولا تصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك اه فاذن لا وسيلة الى الله بسواه

وان ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي" ظهور المحاسن على العبد وهي أنواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودات فضل من الله تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور المساوي منه وهي ضروب المعاصي والسيآت والاوصاف المذمومات عدل من الله تعالى اذ له أن يفعل بعبده مايشاء والحجة له عليه لانه رب وهو عبد ومناجاة العبد مولاه بهذا الكلام من أحسن المناجاة وهي مقتضية لوجود اسعافه له وموالاة الطافه عليه لما فيها من الثناء على الله تعالى على بساط قربه وذكر صفاته العلية والتعلق بها والاعتراف له بالنعم الظاهرة والباطنة ولما فيها أيضا من رؤية ضعف النفس والاقرار عليها بالنقص والقصور وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة وقد قال بعضهم تعلق شاب باستار الكعبة وقال الهي لا لك شريك فيؤتى ولا وزير لك فيرشى ان أطعتك فبفضلك ولك المنة علي وان عصيتك فبعدلك ولك الحجة علي فباثبات حجتك علي وانقطاع حجتي لديك الا ما غفرت لي فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار ۞ (الهي كيف تكلني الى نفسي وقد توكلت لي وكيف اضام وانت الناصر لي أم كيف اخيب وأنت الحفي بي) الوكيل والناصر والحفي اسماء لله عز وجل وهي مقتضية لوجود آثارها من وجود الكفاية والمنعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرأفة والضيم في اللغة معناه انتقاص الحق والحفي هو اللطيف ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفيات مآربه وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله لطيف بعباده ۞ (ها أنا أتوسل اليك بفقري اليك) التوسل التقرب والوسيلة ما يتقرب به وأعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما توجبه عبوديته وهو فقره اليه في كل حال من احواله فلا يرى لنفسه حسنة يقتضي بها ثوابا ولا يدلي بحجة يستدفع بها عن نفسه عقابا قال ابو يزيد رضي الله عنه نوديت في سري فقيل لي خزائننا مملوأة من الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار وسئل ابو حفص رضي الله عنه بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير ان يقدم به على ربه سوى فقره ۞ (وكيف اتوسل اليك بما هو محال ان يصل اليك) بين المتوسل به والمتوسل اليه نسبة تامة ووصلة حقيقية وهي التي اقتضت له وجود

(ام كيف اشكو اليك حالى وهى لاتخفى عليك) وشكوى الحال لاتصح الا لمن لايعلمها والله تعالى لايخفى عليه شئ ولذا قال الخليل عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى وقولهم لاشكوى الا الله شان الغافلين المحجوبين (ام كيف أترجم لك بمقالى) أى أعبر عما فى ضميرى بان أقول اعطنى كذا والترجمة فى الاصل التعبير باللسان عما فى الضمير لتفهيم المخاطب (وهو منك برز اليك) أى انت الذى أنطقت اللسان وأطلقته بذلك فالترجمة برزت منك وترجع اليك (١١١) لانك المسؤل والعبد لامدخل له فى ذلك فكيف تنسب اليه الترجمة وايضا فهو تعالى عالم باحوال العبد والترجمة لاتكون الا لمن لايفهم حال المترجم والمراد بالترجمة هنا مطلق السؤال (أم كيف تخيب آمالى) أى ما أؤمله وارجوه (وهى قد وفدت اليك) اى توجهت بالسير اليك كما يتوجه الوافدون بالسير الى الكرام وفى بعض النسخ عليك ولاشك انه تعالى كريم جواد متفضل لايخيب من قصده فليكن العبد على يقين بحصول مطلوبه وان لم يسال ولم يطلب ولما كانت هذه التعجبات تقتضى نسبة النقص الى نفسه وذلك غير لائق بالعارفين المحققين لما فيه من رؤية النفس وملاحظة حالها والبقاء معها والمحقق لايرى غير الله والاحوال كلها حسنة من حيث نسبتها اليه أتى بقوله (ام كيف لاتحسن احوالى) الباطنية والظاهرية وهى الاعمال الصالحة (وبك قامت واليك) اى صدرت منك ورجعت اليك لانك المقصود بها فمن تحقق فى مقام المعرفة رأى احواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع امرها اليه (الهى ما الطفك) اى اكثر لطفك اى رفقك (بى مع عظيم جهلى) بعواقب الامور فقد يكون فى نزول الامراض والبلايا انواع من اللطف وانا جاهل بعاقبة ذلك فلذا أطلب الصحة والعافية (وما ارحمك بى) اى اكثر احسانك الى (مع قبيح فعلى) اى مع افعالى القبيحة المقتضية عدم الاحسان فهذا امر يتعجب منه (الهى ما اقربك منى) بذاتك كما يقوله اهل المعرفة والشهود او بعلمك كما يقوله غيرهم من اهل الجحود (وما ابعدنى عنك) بصفاتى التى اقتضت عدم شهودى اياك وهذا تواضع منه قدس الله سره * ثم ترقى فقال

التوسل ولا نسبة ولا وصلة بين الفقر الذى هو نعت العبد وبين الرب الذى له الغنى الاكبر وأيضا توسل العبد بفقره يقتضى شهوده له واعتداده به واعتماده عليه ورؤية العبد لاحواله وسكونه اليها علة فيها والاحوال المعلولة لاتليق بالحضرة الالهية ولاتصل الى الله تعالى بمعنى انه لايرضاها ولايقبلها فالفقر لايصح التوسل به من هذا الوجه أيضا والى هذا المعنى يشير ما يحكى عن سيدى أبى الحسن الشاذلى حين دخل على شيخه أبى محمد عبد السلام رضى الله عنهما فقال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله تعالى قال له بفقرى قال له الشيخ والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم ولا يصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك اه فاذن لاوسيلة الى الله بسواه ﴿(أم كيف أشكو اليك حالى وهى لاتخفى عليك) شكوى الحال لاتصح الا لمن هى غائبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لايخفى عليه شئ وقد قال ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام حسبى من سؤالى علمه بحالى ﴿(أم كيف أترجم لك بمقالى وهو منك برز اليك) الترجمة بالمقال هى التعبير باللسان عما فى الضمير ليقع التفهيم بذلك للمترجم له والله تعالى هو الذى انطق اللسان وأطلقه بذلك فالترجمة من الله تعالى برزت واليه مآل أمرها والعبد لامدخل له فى ذلك فكيف ينسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة علمه باحوال العبد فكيف يصح فى حقه معنى الترجمة ﴿(ام كيف تخيب آمالى وهى قد وفدت اليك) الآمال الوافدة الى الله تعالى لايخيبها من قبل انها فارة اليه ومتعلقة به ومنقطعة عما سواه والله تعالى كريم جواد متفضل منعم فليثق العبد بذلك وليكن على يقين منه وان لم يسال ولم يطلب ﴿(أم كيف لاتحسن احوالى وبك قامت واليك) من تحقق بالمعرفة رأى احواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع أمرها اليه وهذه كلها أنواع من التعجب عجب بها المؤلف رحمه الله تعالى نفسه من نفسه فيما هو بصدده من سؤاله وطلبه بسبب ترقيه فى المعرفة التى اوجبت له رؤية نفسه وقصوره فى احواله الاولى ﴿(الهى ما ألطفك بى مع عظيم جهلى وما ارحمك بى مع قبيح فعلى) شهود العبد لهذا المعنى مزيد عظيم يوجب له الحياء والانكسار فيتحصن منه حينئذ الاعتراف بالنعم فقط ﴿(الهى ما اقربك منى وما ابعدنى عنك) شهود المؤلف رحمه الله تعالى شدة قرب الله تعالى منه لما راى من بعد

الاغيار عنه ودفعها الله اليه كما سيأتى فى قوله قد دفعتنى العوالم اليك وشهود ما بعده من الله عز وجل من حيث أقيم فى الطلب له والطلب للشئ دليل على فقد الطالب له و بعده عنه فالمشاهدة الاولى أوجبت له ملازمة باب مولاه وانقطاع طمعه عن كل ماسواه والمشاهدة الثانية أوجبت له التلطف فى سؤال التقريب والاستغناء عن طلب القرب ومن دعاء سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه يا قريب أنت القريب وأنا البعيد قربك آيسنى من غيرك و بعدى منك ردنى للطلب لك فكن لى بفضلك حتى تمحو طلبى بطلبك ياقوى ياعزيز ۞ (الهى ما ارافك بى فما الذى يحجبنى عنك) الرافة اشد من الرحمة والمشاهد رافة ربه به غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه ۞ (الهى قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الاطوار أن مرادك منى أن تتعرف الى فى كل شئ حتى لا أجهلك فى شئ) كان المؤلف رحمه الله يقول اختلاف الآثار على وتنقلات الاطوار بى من الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والقبض والبسط والطاعة والعصيان والفقد والوجد وغير ذلك من مختلفات أحوالى التى هى من شؤنك التى تنزلها بى علمت منها أن ارادتك بى ان تتعرف الى فى كل شئ تعرفا خاصا فى حالة خاصة حتى أشاهد وحدانيتك وعظمتك و جمالك وكمالك وجلالك بحيث لا يتصور منى جهل بما أنا فيه قابل لمعرفته من جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا والزمتنى حالة واحدة ارتضيها النفسى واختارها لكانت معرفتى ناقصة ومشاهدتى قاصرة فانا الآن أتقلب فى جنة معجلة اتبوأ منها حيث اشاء فقد استغرقنى ما انا فيه من عظيم النوال وشغلنى ذلك عن الدعاء والسؤال وطلب السكون على ما ارتضيه من الاحوال فلك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة والخفية والجلية قال بعضهم فى الدنيا جنة معجلة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخرة ولا الى شئ ولم يستوحش من شئ قيل وماهى قال معرفة الله تعالى وقال مالك بن دينار رضى الله عنه خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب الاشياء قيل وماهو قال المعرفة ثم قال

ان عرفان ذى الجلال لعز * وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء * وعليهم من المحبة نور
فهنيأ لمن عرفك الهى * هو والله دهره مسرور

وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها مكتوب اذا أحسنت كل شئ فلا تظنن انك أحسنت شيأ حتى تعرف الله عز وجل وفى يد الآخر كنت قبل ان أعرف الله عز وجل اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب قال فى التنوير بعد كلام ذكره وانما قلنا ان الحالة زائلة عنك لا محالة فان مراده ان ينقلك فى الاطوار ويخالف عليك الآثار ليتعرف اليك فى كل حالة خاصة بتعرف خاص فاذا اردت ان يدعك على حالة واحدة فقد اردت ان يسلك بك غير الكمال فكأنه

(الهى ما أرأفك) اى اشد رأفتك أى رحمتك (بى فما الذى يحجبنى عنك) فان من شاهد رافة ربه به غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه (الهى قد علمت باختلاف الآثار) وقوله (وتنقلات الاطوار) مرادف لما قبله اى قد علمت باختلاف الآثار على وهى تنقلات اطوارى من الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والبسط والقبض والوجد والفقد وغير ذلك من شؤنك التى تنزلها بى (أن مرادك) منى بذلك (ان تتعرف الى) أى ان اعرفك (فى كل شئ) معرفة خاصة (حتى لا أجهلك فى شئ) ولو كان الامر على خلاف هذا والزمتنى حالة واحدة ارتضيها لنفسى واختارها لكانت معرفتى ناقصة ومشاهدتى قاصرة بيان ذلك ان الله تعالى اذا انزل بى مرضا او فاقة عرفت فى ذلك الوقت أنه لا يقدر على دفعه الا هو وانه الذى امرضنى وافقرنى فاصبر على ذلك واذا انزل بى صحة او غنى عرفت انه المنعم على والمعطى لى فاشكره وهكذا ولو فرض أنه ادام لى حالة واحدة كالصحة والغنى لم اعرف المولى فى حالة المرض او الفقر فكنت جاهلا به من حيث المرض او الفقر أى لم اعرف بطريق الذوق انه لا يقدر على كشف لكربة الا هو فتكون معرفتى ناقصة فينبغى للعبد ان لا يغفل عن مولاه فى عطاء ولا منع ولا عز ولا ذل ولا غنى ولا فقر ولا قبض ولا بسط ولا فقد ولا وجد الى غير ذلك

يقول

(الهي كلما أخرسني لؤمي) اى مخالفتي وعصياني فان ذلك يقتضي عدم انطلاق لساني بالطلب منك لان الطلب لايكون الابعد التودد والتودد الى المولى بطاعته وذلك مفقود عندى لكن كلما خرست (أنطقني كرمك) فانى اذا لاحظت أنك كريم والكريم لايتوقف اعطاؤه على التودد اليه انطلق لساني بالطلب منك (وكلما آيستني) أى أوقعتني فى اليأس من الاستقامة (أوصافي) الذميمة التى اقتضتها الطبيعة والجبلة فانها تقتضى اليأس من الاستقامة على طريق الحق ومن القيام بحقوق الربوبية (اطمعتني) أى جعلتني طامعا فى ذلك (مننك) أى امتنانك واحسانك الذى شمل (١١٣) البار والفاجر (الهي من كانت محاسنه) أى

أعماله الصالحة (مساوى) لعدم خلوها من دقائق العجب والرياء فهى محاسن بحسب الظاهر وعند الناس مساوى فى الواقع وعند الله (فكيف لاتكون مساويه) أى عيوبه وأعماله السيئة (مساوى) اى عيوبا تامة عظيمة فقد اختلف الخبر والمبتدأ بهذا الاعتبار ويحتمل ان المعنى فكيف لاتكون مساويه فى الواقع ونفس الامر مساوى عنده فهو لايعتقد الكمال من نفسه ولا ينظر الى عيوبه بعين الاحتقار فلايعدها عيوبا كما هو حال الغافلين (ومن كانت حقائقه) اى علومه ومعارفه التى يعرفها الناس منى (دعاوى) عندى وفى اعتقادى (فكيف لاتكون دعاويه دعاوى) فيه ماتقدم وكانه يقول انا فى جميع الاحوال معتقد للتقصير من نفسى ومحتاج العفو من الله وليس لى حالة أعتقد بها الكمال وهذا مثل ماتقدم من ان الكمال المنسوب الى العبد نقصان على

١٥ عبا فى التحقيق فالطف بنقصانه (الهي حكمك) اى قضاؤك (النافذ) وقوله (ومشيئتك القاهرة) تفسير لماقبله ووصف المشيئة بذلك لانها ان تعلقت بحصول نقمة وبلية كانت قاهرة او بحصول نعمة وعطية كانت غير قاهرة (لم يتركا لذى مقال مقالا) فاذا كان ذاقول سديد بان كان ينطق بالحقائق ويتكلم فى العلوم العرفانية لم يغتر بذلك فقد حكم الله ونفذت مشيئته بسلب غيره كبلعام بن باعورا (ولا لذى حال حالا) فاذا كان ذا حال جيد بان كان يحصل له كشف عن أمور تحصل فى الكون او تطيعه بعض الجمادات والعناصر لم يغتر بذلك فقد حكم الله ونفذت مشيئته بسلب غيره كما هو مشاهد كثيرا فهذا المعنى يوجب للعبد التحقق فى مقام الخوف وعدم الاغترار بشئ من أقواله وأحواله لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته

يقول لك لاتطلب منى ان اقيمك فى حالة واحدة فانى لا افعل ذلك معك اتريد ان تبقى ربوبيتى معطلة الآثار ولكن سلنى ان اشعرك لطفى حيثما اردتك وحيثما اقمتك حتى تكون لى ولى قال الله سبحانه وتعالى يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان أى يمنع ويعطى ويضع ويعلى ويقبض ويبسط ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات آثاره فكانه سبحانه وتعالى يقول لك ياعبدى لاتاس على شئ مادمت لك ولا تفرح بشئ وأنا لست لك فأنا العوض لك مما سواى وماسواى لايغنيك عنى ولاتكن ممن يعبدنى بالعلل فتكون من عبدالحروف بل اعبدنى لى فانى بكمال الغنى موصوف وبدوام الافضال معروف قال الله عزوجل ومن الناس من يعبدالله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة لان الذى طلبه عز اناه عنه فما دام له وهو ما طلبنا حتى تكون له ومن عبد لما سواه فهو عبد ماسواه ومن عبده لاجل جوده ونعمائه فهو عبد جوده ونعمائه لان من أحب شيأ فهو عبد ما احبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فكن عبدالله فى كل شئ عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنى وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وفناء وبقاء الى غير ذلك من مختلفات الآثار وتقلبات الاغيار انتهى كلامه رحمه الله وقد احسن فيه غاية الاحسان كله فجزاه الله تعالى خيرا

(الهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك وكلما آيستني اوصافي اطمعتني مننك) لؤم العبد ومخالفته وعصيانه يخرس لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله واحسانه ينطقه بذلك واوصاف العبد الذميمة التى اقتضتها طبيعته وجبلته تؤيسه من حصول الاستقامة على طريق الحق ومنن الله تعالى التى شملت البر والفاجر تطمعه فى ذلك

(الهي من كانت محاسنه مساوى فكيف لاتكون مساويه مساوى ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لاتكون دعاويه دعاوى) هذا مثال ماتقدم من ان الكمال المنسوب الى العبد نقصان على التحقيق فالطف بنقصانه

(الهي حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذى مقال مقالا ولا لذى حال حالا) شهود هذا المعنى يوجب

(الهى كم من طاعة) ظاهرية (بنيتها) اى اقمتها على الوجه المامور به فى الظاهر بان وفيت بجميع شروطها واركانها وآدابها (وحالة شيدتها) اى زينتها وصنتها عما يكدر صفاءها بان اخلصت فيها اخلاصا تاما والحالة هى الطاعة فعطفها عليها من عطف المرادف اى ولمافعلت هذين الامرين من البناء والتشييد رايت انى تحصنت بحصن حصين وآويت الى ركن متين لكن (هدم اعتمادى عليها) فى النجاة من العذاب ودخول الجنة دار الثواب (عدلك) اى النظر الى عدلك فان مقتضاه انك تفعل ماتشاء ولا تبالى باعمال العاملين فن اجل ذلك تعاقبنى على تلك الطاعة (بل اقالنى منها) اى من الاعتماد عليها والتعلق بها (فضلك) اى النظر الى فضلك وكرمك واحسانك فصرت معتمدا عليه ومتعلقا به لا بطاعتى فصار التعلق والاعتماد على الاحسان والفضل لا على الطاعة ونعم البدل والعوض (الهى انت تعلم وان لم تدم الطاعة منى فعلا جزما) اى ان عدم دوامها فعلا مجزوم به لعجزى عن ذلك ومقتضى العبودية ان ادوم عليها فانا مقصر (فقد دامت محبة وعزما) أى انا مداوم عليها من حيث محبتى لها وعزمى عليها وأنت تعلم بذلك فلا تؤاخذنى بتقصيرى بل مداومتى على هذا الوجه فضل عظيم والا فكم من شخص محروم ليس عنده فعل ولا محبة ولا عزم قالوا والداخلة على أداة الشرط زائدة ومتعلق العلم هو جواب الشرط كما تقرر ثم تردد فى وقوع العزم منه بقوله (الهى كيف أعزم) أى يقع منى عزم على فعل الطاعات وترك المنهيات (وأنت القاهر) فيمكن ان يقع منى عزم على ذلك ثم يمنعنى عنه قهرك فيكون العزم لافائدة فيه ولا يعتد به (وكيف لا اعزم وانت الآمر) لى بالعزم على ذلك ومقتضى الامر المبادرة الى العزم فانا متحير وعاجز عن تدبير أمرى ولا يسعنى الا التسليم مفتقر اليك والاعتماد عليك ولذا كان العارفون لا يجزمون بشئ من الاشياء بل يفوضون الامر الى الله تعالى فقد قالوا العارف لا قلب له (الهى ترددى فى الآثار) أى المكونات على سبيل التعلق بها والاستناد اليها او على سبيل الاستدلال بها على الله تعالى (يوجب بعد المزار) أى الوصول اليك ومشاهدتك (فاجمعنى عليك) أى اوقفنى بين يديك (بخدمة) أى طاعة من اذكار ورياضات ومجاهدات (توصلنى اليك) وتقطع التعلق بالآثار عن قلبى فلا اتعلق بمكاشفات ولا أحوال ومقامات كما تقدم فى قوله لا ترحل من كون الى كون الخ ولا أستدل بها على موجدها كما قال (الهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده) أى ثبوته وتحققه مفتقر

للعبد مقام الخوف والتحقق فيه فان كان ذا قول سديد وحال حميد لم يقطع بقاء ذلك ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته ۞ (الهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل اقالنى منها فضلك) الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة صفة باطنه وبناؤه للطاعة هو اقامتها على الوجه المأمور به من الوفاء بجميع اركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق وآداب وتشييده للحالة هو تزيينها وتطهيرها وصيانتها عما يكدر صفاءها ويكسف ضياءها وكأنه لما فعل هذين الامرين رأى انه تحصن بحصن حصين واوى الى ركن متين لكن لما شاهد عدل الله تعالى هدم عليه ذلك لان مقتضاه ان يفعل مايشاء ويحكم مايريد ولا يبالى باعمال العاملين فلما شاهد فضله وكرمه اقاله من ذلك بان جعل له من التعلق به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض فسبحان المتفضل المنان ۞ (الهى انت تعلم وان لم تدم الطاعة منى فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما) جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم عليها فعلا احدى وسائله وذلك صحيح وكم من شخص قد طرد وأبعد فلم يكن عنده عزم ولا فعل جزم ۞ (الهى كيف اعزم وانت القاهر وكيف لا أعزم وانت الآمر) استبعد من نفسه وقوع العزم منه وجعل مستند ذلك شهود القهر لان من شهد قهره بطل عزمه لانه الغالب واستبعد أيضا عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الامر لان من شهد امره بادر الى امتثاله وتحرز من اغفاله واهماله ۞ (الهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى اليك) شكا الى مولاه عز وجل طول تردده فى الآثار وهى الاكوان واخبر انه يوجب له بعد المزار وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون ثم سأله وطلب منه ان يختصر له طريق سلوكه ويقربه عليه ويجمعه من مفترقات الآثار بخدمة تظهر فيها عبوديته ويصل بها الى مولاه من غير تردد ولا طول ۞ (الهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده

(مفتقر اليك) وهو المكونات فانها فى ذاتها عدم محض كما مر (ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك) فان الدليل يكون أظهر من المدلول حتى يستدل به عليه فأصحاب النظر والاستدلال حالهم قبيح بالنسبة الى أصحاب الشهود والعيان ويقال لهم عوام بالنسبة لهم كما تقدم عند قوله شتان بين من يستدل به ومن يستدل عليه ثم ترقى فى نفى الاستدلال بقوله (متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار) أى المكونات (هى التى توصل اليك) أى الى معرفتك ولذا قال مريد لشيخه يا استاذ اين الله فقال ويحك وهل يطلب مع العين أين (الهى عميت عين) المراد بها عين البصيرة وهذا يحتمل أن يكون اخبارا وأن يكون دعاء بدوام العمى لانّ أصله دعاء لـ (لا ترالك عليها رقيبا) أى حفيظا مراقبا لها فمن رأى الله رقيبا عليه يعلم جميع احواله لا يخفى عليه منها شئ استحيا منه وهابه ان يراه على ما يكره منه ومن لم يكن على هذا الوصف عميت عين بصيرته فبارز مولاه بانواع القبائح من غير اكتراث ولا مبالاة ولذا ورد فى الحديث افضل ايمان المرء ان يعلم انّ الله معه حيث كان (وخسرت صفقة) اى تجارة (عبد لم تجعل له من حبك نصيبا) أى حبك له او حبه لك والاول هو الاصل فى الثانى قال تعالى يحبهم ويحبونه وحب الله لعبده احسانه اليه وثناؤه عليه وحب العبد لله طاعته وموافقة أمره وتعظيمه وهيبته وانجذابه بقلبه اليه فمن أعطاه الله من ذلك الحب نصيبا فقد فاز ومن حرمه منه وشغله بالدنيا فقد خسرت تجارته وهى تلك الامور الدنيوية التى يتقلب فيها أى خسر فى تجارته وكانت تجارته خاسرة لا عبرة بها

مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى

تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك) هذا تقبيح لاحوال المستدلين على ربهم وهم اصحاب النظر والاستدلال بالنسبة الى اهل المقام الآخر وهم ارباب الشهود والعيان قال ابو بكر محمد بن على الكتانى رضى الله عنه وجود العطاء من الحق شهود الخلق بالحق لانّ الحق دليل على كل شئ ولا يكون شئ دونه دليلا عليه قال فى لطائف المنن وارباب الدليل والبرهان عوام عند اهل الشهود والعيان قدسوا الحق فى ظهوره ان يحتاج الى دليل عليه وكيف يحتاج الى الدليل من نصب الدليل وكيف يكون معروفا به وهو المعرّف له قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشئ من سبق وجوده وجود كل شئ وقال مريد لشيخه يا استاذ اين الله فقال له ويحك اطلب مع العين أين وقد تقدم هذا المعنى عند

قوله شتان بين من يستدل به ويستدل عليه ﴿(الهى عميت عين لا تراك عليها رقيبا) الرقيب الحفيظ فمن رأى الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع احواله ولا يخفى عليه منها شئ استحيا منه وهابه ان يراه على ما يكره منه وقد قيل اذا عصيت مولاك فاعصه بموضع لا يراك ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى اليه عميت عين بصيرته فبارز الله تعالى بأنواع القبائح والفضائح من غير اكتراث ولا مبالاة وقد سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظورات قال بعلمه بأن رؤية الحق سبحانه له تسبق نظره الى تلك المحظورات وقال الله عز وجل وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ٭ قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه خوّفهم بما عرّفهم من اطلاعه عليهم فى جميع احوالهم ودوّنه فاستحيوا منه وهذا هو حال المراقبة فالعبد اذا علم بانّ مولاه يراه استحيا منه وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه وعنه فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان ﴿(وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا) حب الله تعالى لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه واحسانه اليه وحب العبد لربه عز وجل طاعته وموافقة امره وتعظيمه وهيبته والحب المضاف الى الكاف فى قوله من حبك يحتمل ان يضاف الى الفاعل والى المفعول والظاهر كونه مضافا الى الفاعل لانه ابلغ وامدح ولان محبة الله تعالى لعبده اصل محبة العبد له قال الله تعالى يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تعالى من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت

(الهي امرت بالرجوع الى الآثار) اى المكونات من الاموال والعيال وغيرهم اى ملابستها ومخالطتها بعد غيبتي عنها بالوصول اليك ومشاهدتك فان المريد اذا وصل الى المولى غاب عن الاكوان ثم اذا خالطها بمقتضى الامر بما شغلته عن مولاه واحتجب بها عنه فلذا قال (فارجعني اليها) مكسوا (بكسوة الانوار) أى بكسوة هي الانوار الالهية التي تمنع من تعلق بها واحتجابي بها عنك (وهداية الاستبصار) أى هداية ناشئة عن الاستبصار اى الشهود بعين البصيرة (حتى ارجع اليك منها) اى اشاهدك فيها وفي بعض النسخ فيها وهي بمعنى ماقبلها (كما دخلت اليك منها) بالاستدلال بها عليك والاعتبار بها فان المريد حينئذ محجوب عن مولاه فيتنقل في الآثار حتى يصل اليه والضمير في الموضعين للآثار لا بالمعنى المتقدم بل بمعنى الموجودات من السماء والارض وما بينهما ولو حذف ذلك هنا لكان اولى (مصون السر عن النظر اليها) اى التعلق بها في اعتقاد نفع او دفع ضرر وقوله (ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها) بمعنى ماقبله ويحتمل ان صون السر عن النظر اليها هو عدم استحسان شئ منها في نظره ورفع الهمة في الاعتماد عليها هو عدم التعلق بها فيما ذكر والحاصل انه سأل المولى انه اذا اوجعه الى الاكوان والتلبس بها يرجعه اليها على حالة شريفة مضادة للحالة التى كان عليها قبل السلوك وهى كونه مكسوا بكسوة الانوار وهداية الاستبصار فانه اذا رجع اليها على هذه الحالة لم تؤثر فيه ولم تحجبه عن مولاه وهذا المعنى غير ما تقدم في قوله فاذا نزلوا الى سماء الحقوق الخ كما هو ظاهر مما قررناه سابقا (انك على كل شئ قدير) ومنه تحصيل تلك المطالب السنية (الهى هذا ذلي ظاهر بين يديك) وهو في الحقيقة عين العز بعز والفخر قال ذو النون المصري ما أعز الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو أذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه اه وقوله (وهذا حالي لا يخفى عليك) بمعنى ماقبله والقصد بذلك طلب حصول مطالبه من مولاه

صفقته وبان عيبه وخيبته وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام يا عبدي انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وحكى عن بعضهم انه قال اشتريت جارية فسمعتها في شطر الليل وهي تقول الهي بحبك اياى الا ما غفرت لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي اياك فقالت يا سيدي بمحبته اياى من علي بالاسلام وايقظني لعبادته وكثير من عباده نيام قال زيد بن اسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك ❁ (الهي امرت بالرجوع الى الآثار فارجعني اليها بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شئ قدير) الآثار التي أمر العبد بالرجوع اليها بعد وصوله الى صريح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات التي يلزمه اذا تلبس بها حق او يكون له فيها منفعة وحظ فسأل الله تعالى ان يرجعه اليها على حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه مكسوا بكسوة الانوار وهي انوار اليقين ومؤيدا بهداية الاستبصار وهي العلم الراسخ المتين فاذا رجع العبد الى الآثار على هذا الاسلوب والمعيار لم تؤثر فيه ولم تأخذه لكمال حريته عنها وكان رجوعه الى مولاه فيما آل امره في مثل دخوله فيها عليه في ابتداء أمر سلوكه مصون السر عن النظر اليها بعين الاستحسان مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها في نوال او احسان وقد تقدم هذا المعنى عند قوله فان نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ الى آخره وقال رضي الله عنه ❁ (الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك) هذا انطراح منه على مولاه ومبالغة في بث شكواه وتلطف في سؤال رجاه ويمثل هذا يرجى اجابة الدعاء واستحقاق جزيل العطاء وقد قالوا أبواب الملوك لا تقرع بالايدي بل بنفس المحتاج ❁ وقال بعضهم قلت للنهرجوري اجد في قلبي قسوة وقد شاورت فلانا فأشار علي بالصوم فلم تزل وشاورت آخر فأشار علي بالسهر فلم تزل فقال النهرجوري رضي الله عنه خذ طالبا احضر الملتزم اذا نام الناس وتضرع وقل تحيرت في أمري فخذ بيدي ففعل فزالت القسوة وقال الشاعر

وما رمت الدخول عليه حتى ❁ حللت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها ❁ وصنت النفس عن قال وقيل
وذل العبد للمولى غناه ❁ وغايته الى العز الطويل

فذل العبد لمولاه غاية العز والفخر وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ما أعز الله عبدا

(منك اطلب الوصول اليك) أى اطلب منك لا من غيرك الوصول اليك لا غيره من المطالب الدنيوية والاخروية وهذا مطلب
العارفين كما مر (وبك أستدل عليك) اى استدل عليك وأعرفك بك لا بغيرك من الدليل والبرهان قيل لبعض العارفين بم
عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال بعضهم لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة
(فاهدني بنورك) أى بنور تقذفه فى قلبي اهتدى به (اليك) أى الى معرفتك معرفة خاصة (وأقمني بصدق
العبودية بين يديك) اى اقمني بين
يديك بأن تجعلني حاضر القلب
معك حال كوني مصاحبا لصدق
العبودية أى للعبودية الصادقة
بان لا يظهر على شئ من أوصاف
الربوبية بل اكون متصفا بغاية
العجز والذل والضعف والفقر ولا
يظهر على شئ من قوة أو عز او قدرة
او غنى (الهى علمنى من علمك
المخزون) اضافة ذلك العلم اليه
اضافة تشريف والعلم المخزون
هو العلم اللدنى الذى اختزنه
عنده فلم يؤته الا للمخصوصين من
اوليائه قال تعالى فى شأن الخضر
عليه السلام وعلمناه من لدنا علما
وفى حديث ابى هريرة رضى الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان
من العلم كهيئة المكنون
لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا انطقوا به
لا ينكره الا اهل الغرة بالله وقال
بعضهم هو اسرار الله يبديها الى
أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء
من غير سماع ولا دراسة اه
(وصنى) أى احفظنى عن رؤية
الاغيار وعن اباحة تلك العلوم
والاسرار (بسر اسمك المصون)
أى اسمك المصون أى المحفوظ
عن الابتذال والاهانة فانه لا يجوز
التلفظ به الا بعد الاستعداد
اعبائى او من ان يسمى به غيره سبحانه وسرها أنوار وتجليات تحصل لمن يذكرها (الهى حققني بحقائق اهل القرب) اى أعطنى
مقامات اهل القرب مثل الذين تحققوا فى مقام الفناء فبطل فى حقهم رؤية الاسباب وزال عنهم كل حجاب فلم يروا غيرك ولا كانوا
بتدبيرك عن تدبير أنفسهم وبعلمك عن الشكوى لغيرك (واسلك بى مسالك اهل الجذب) وهم المحبوبون المرادون فكانه يقول

بعزه وأعزه من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا بل هو اذل له من ان يحجبه عن
ذل نفسه (منك اطلب الوصول اليك) هذه صفة العارفين المحققين لا يسبق نظرهم الا الى
الله ولا يطلبون الا منه ولا يكون مطلبهم الا الوصول اليه لا غير (وبك أستدل عليك)
أى لا بغيرك لانك الظاهر قبل وجود كل شئ ظاهر بل بظهورك ظهرت المظاهر وقيل
لبعض العارفين بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال ابو
القاسم النصراباذى رضى الله عنه الاشياء دالة منه ولا دليل عليه سواه وقال احمد بن ابى
الحوارى رضى الله عنه لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة (فاهدنى
بنورك اليك) وهو نور الايمان واليقين (واقمنى بصدق العبودية بين يديك) حتى أكون
ممتثلا لامرك مستقبلا لقهرك ﷺ (الهى علمنى من علمك المخزون) اضافة العلم الى الله ههنا
اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم اللدنى الذى اختزنه عنده فلم يؤته الا للمخصوصين
من الاولياء كما قال الله تعالى فى شأن الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفى حديث
أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من العلوم كهيئة
المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى فاذا انطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله قال بعضهم
هى اسرار الله تعالى يبديها الى انبيائه واوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة
وهى من الاسرار التى لم يطلع عليها أحد الا الخواص وقال أبو بكر الواسطى رضى الله
عنه فى قوله تعالى والراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب وفى سر
السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مدخور
الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النظر فاستخرجوا الدرر
والجواهر ونطقوا بالحكمة (وصنى بسر اسمك المصون) الصون المطلوب هو صيانته
عن رؤية الاغيار بما يتجلى لقلبه من سر الاسرار ﷺ (الهى حققنى بحقائق أهل القرب)
حقائق أهل القرب هى الفناء فى التوحيد والتحقق بالتجريد فيبطل فى حقهم رؤية
الاسباب ويزول عن مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدى ابو الحسن رضى الله عنه
فى حزبه الكبير واقربنى منك بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك
فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه وكيف لا يحجب عن
مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحباء كلا انى أسألك أن تغيبنى بقربك منى حتى
لا أرى ولا احس بقربى ولا ببعدى عنك انك على كل شئ قدير (واسلك بى مسالك أهل
الجذب) أهل الجذب هم المحبوبون ومسالكهم فى غاية السهولة لا تعب عليهم فيها ولا

مشقة بل يجدون اللذة والحلاوة في أعمالهم وذلك من قبل انه أخرجهم من أسر نفوسهم وتولاهم بكلاءته ورعايته من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة ۞ (الهي أغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري) المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار هو الله عز وجل فمن كان له دعوى في شيء من ذلك فقد نازع الله تعالى في ربوبيته وخلع من عنقه ربقة عبوديته فلذلك ساله وطلب منه ان يغنيه عن تدبيره واختياره وان يوقفه على مراكز اضطراره ليكون متحققا بصفاته ومتعلقا بصفات مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير مرة والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي استعارة حسنة ۞ (الهي أخرجني من ذل نفسي) ذل النفس الذي طلب الاخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت أغصان ذل الا على بذر طمع (وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي) الشك والشرك مصاحب وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه الاوصاف كلها مجانبة لحقائق الايمان والتوحيد اعاذنا الله منها والشك ضيق الصدر عند احساس النفس بأمر مكروه يهجم عليها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك أظلم قلبه وأصابه من أجله الهم والحزن وطهارته منها انما تكون بوجود ضده وهو اليقين فبه ينفسح الصدر وينشرح ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر امتلاء القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط والشرك تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له تعلق العبد بالشرك ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فحاوله حينئذ الهوى فيفزع اذ ذاك الى الاسباب التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيتمكن من أجل ذلك في حبائل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن عن الشره والطيش الذي أصابها وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك أكثر فتصفى عنه الاسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فاذا تطهر العبد من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد وفي

اجذبني اليك حتى يسهل علي سلوك الطريق وأصل اليك في اقرب مدة وأجد لذة وحلاوة في الاعمال كما هو حال اهل الجذب الذين اخرجتهم عن حكم انفسهم وتوليتهم بحفظك ورعايتك من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة (الهي اغنني بتدبيرك) لي (عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري) فان في تدبيري أحوال نفسي واختياري شيئا من الاشياء بمقتضى شهوتي وميلي منازعة لك في ربوبيتك لانك المنفرد بالتدبير والاختيار (واوقفني على مراكز اضطراري) المراكز جمع مركز وهو موضع الاستقرار والثبوت اي مواضع اضطراري كالذل والعجز والفقر شبهت بالمواضع التي يستقر فيها فهي مواضع اعتبارية ينبغي للعبد ان لا يفارقها بل يلازمها كما يلازم الشخص مكانه الذي يستقر فيه ومعنى وقوفه عليها ملاحظتها وعدم غيبته عنها اي اجعلني ملاحظا لفقري وعجزي وذلي التي هي مواضع اضطراري او ملازمتها ومتحققا بها اي اجعلني ملازما لها ومتحققا بها واضافتها الاضطراري باعتبار كونها يحصل عندها اضطرار العبد لمولاه واحتياجه له (الهي أخرجني من ذل نفسي) من اضافة المصدر لمفعوله اي من كوني ذليلا في نفسي لغيرك بالطمع والحرص او لفاعله اي من كون نفسي تذلني وتوقعني في البلايا (وطهرني من شكي وشركي) الشك ضيق الصدر عند احساسه بأمر مكروه فاذا ضاق اظلم القلب واصابه الهم والحزن وطهارته منه بوجود ضده وهو اليقين اذ به ينفسح الصدر وينشرح فيستقر القلب ويجد الروح والفرح بالله تعالى وبقدر ما يحصل به من نور اليقين يكون انشراحه واتساعه والشرك [illegible] تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له ومبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيفزع حينئذ الى الاسباب التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق في قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن عن الشره والطيش الذي اصابها وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك اكثر (قبل حلول رمسي) اي قبري اذ ليس بعده تطهير الا بالنار

بك استنصر) اى اطلب النصرة على نفسى وشيطانى وهواى (فانصرنى) عليها (وعليك اتوكل) فى تحصيل مطالبى (فلا تكلنى) الى غيرك وان كنت لست صادقا فى توكلى (واياك اسأل فلا تخيبنى) وان كنت اهلا للخيبة (وفى فضلك ارغب فلا تحرمنى) وان كنت اهلا للحرمان اى ارغب فى فضلك لا فى فضل غيرك وقولنا وان كنت الخ جواب عما يقال ان من توكل على الله وحده كفاه فلا حاجة لقوله فلا تكلنى ومن ساله وحده لم يخيبه ومن رغب فى فضله وحده لم يحرمه فلا حاجة لقوله فلا تخيبنى ولا تحرمنى (ولجنابك) اى ذاتك والاضافة للبيان (انتسب) لا لغيرك (فلا تبعدنى) عن بابك 119 (وببابك اقف) بالسؤال وفيه تشبيه المولى بملك عظيم يقف الطالبون ببابه (فلا تطردنى) عنه (الهى تقدس) أى تنزه (رضاك) وهو الاحسان او ارادته (عن ان تكون له علة) ناشئة (منك) والا لكنت محتاجا الى تلك العلة لتتكمل بها (فكيف تكون له علة منى) كأعمالى واحوالى فرضا المولى لا يتوقف على سبب ولا علة بل رضاه وسخطه ما سبب لاعمال العاملين حسنها وسيئها ارضى عن قوم فاستعملهم فى خدمته وسخط على قوم فشغلهم بما يبعدهم عن حضرته (انت الغنى بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عنى) هذا كالتفصيل لما قبله وقصد المصنف بهذه المناجاة الاسترضاء والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن اعماله المدخولة واحواله المعلولة (الهى ان القضاء) وهو ارادة الله الازلية المتعلقة (والقدر) وهو ايجاد الله الاشياء على قدر مخصوص ووقت مخصوص (غلبنى) فكلما اعزم على طاعة او ترك معصية لا يتيسر لى ذلك (وان الهوى) اى ميل النفس الى مراداتها ومشتهياتها (بوثائق الشهوة) اى بالشهوة الشبيهة بالوثائق اى القيود (اسرنى) اى قيدنى (فكن انت النصير لى حتى تنصرنى) على اعدائى اى النفس وجنودها (وتنصر بى) اى تنصر احبابى واصحابى على اعدائهم بسببى قال الشاذلى قدس سره واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا بينهم وبين اعدائك (واغننى بفضلك) أى بشهودك (حتى استغنى بك) أى بشهودك (عن طلبى) منك لان من كان مشاهدا للحق حاضرا معه يستحى ان يطلب منه شيئا لرؤيته انه مطلع على حاله لا يخفى عليه شىء منها ومن كان كذلك لا معنى للطلب منه قال الشاذلى قدس الله سره والسعيد حقا من اغنيته عن الطلب منك

أخبار داود وعليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ان الله أوحى اليه يا داود هل تدرى متى أتولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك (بك استنصر فانصرنى وعليك اتوكل فلا تكلنى واياك أسأل فلا تخيبنى وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ولجنابك انتسب فلا تبعدنى وببابك أقف فلا تطردنى) تعلق بالله تعالى فى كل مطلب من هذه المطالب واضرب عن الوسايط والاسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذى سأل من مولاه أن يحققه به بتطهيره من اضداده ومعانى هذه الكلمات قريب بعضها من بعض قال أبو الحسن على بن هند الفارسى رضى الله عنه اجتهد فى أن لا تفارق باب سيدك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدمه قرارا ولا مقاما (الهى تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة منى) رضا الله تعالى صفة من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع عليها سمة الزوال والقديم لا يكون مسبوقا بشىء واذا كانت صفاته العلية منزهة عن أن تكون لها علة منه فكيف يكون لها علة من غيره فرضا الله تعالى لا علة له ولا سبب بل رضاه وسخطه هما سبب أعمال العاملين حسنها وسيئها رضى عن قوم فاستعملهم باستعمال أهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم باستعمال أهل السخط قال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الابد بما جريا فى الازل يظهران الرسم على المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما انتشر اهل المطرودين بظلامها عليهم فأنى تنفع من ذلك الالوان المصفرة والاكمام المقصرة والاقدام المنتفخة (أنت الغنى بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عنى) الكلام فى الغنى كالكلام فى الرضا وكأن المؤلف رحمه الله قصد فى مناجاته بهذه الكلمات الاسترضاء والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن أعماله المدخولة وأحواله المعلولة وذلك من أحسن المقاصد للداعى (الهى ان القضاء والقدر غلبنى وان الهوى بوثائق الشهوة اسرنى فكن أنت النصير لى حتى تنصرنى وتنصر بى واغننى بفضلك حتى أستغنى بك عن طلبى) هذا اعتذار واعتراف والله تعالى اكرم من أن يرد عذر من اعتذر اليه أو يخيب امل من

اعترف بذنبه وأقر به لديه يقال ان العبد يبتهل الى الله تعالى في الاعتذار والحق سبحانه يقول له عبدي لولم أقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار وقال الكتاني رضي الله عنه لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة الا لفتح باب المغفرة فلا جرم لما وثق بذلك وقوي رجاؤه فيه طلب منه النصرة له على أعدائه ولم يقتصر على ذلك بل اضاف اليه طلب النصرة به لتكون تلك النصرة بسببه وعلى يديه كما قال أبو الحسن رضي الله عنه واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك ثم لم يقنع بذلك حتى طلب منه أن يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو ما يؤتيه من فضله العظيم وكرمه الجسيم وهذه هي غاية السعادة كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك ﴿(أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار من قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم) بسبب اعتاش العوالم لهم لما هي عليه من الفاقة والافتقار والحاجة والاضطرار فكل واحد منها جالب لنفسه طالب حظه من كمال نقصه ووفاء جنسه والله تعالى غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده عطوف عليهم متودد اليهم رؤف بهم فلما شاهدوا هذا كله مشاهدة يقين ومعاينة باشهاده اياهم لم يتمالكوا أن أحبوه ووالوه وقصروا هممهم عليه وجعلوه معتمد أنسهم واستغنوا به عن أبناء جنسهم فحصلوا اذ ذاك على غاية النعيم وفازوا بالحظ العظيم قال ذو النون المصري رضي الله عنه بينا أنا اسير في بعض البوادي اذ لقيتني امرأة فقالت لي من انت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله احزان الغربة وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم اشد استئناسا من الناس في كثرتهم واوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس اوحش ما يكونون ﴿(وانت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم) لما تولى الله تعالى هدايتهم الى طريق التوحيد والمعرفة ابان لهم علامات ذلك ودلائله فعند نظرهم في تلك العلامات والادلة انشرحت صدورهم بأنوار الايمان واليقين فلم يتداخلهم شك ولم يخالجهم ريب والمعالم جمع معلم وكان رحمه الله تعالى عرض في هذه الكلمات بالمطلب الذي يحصل له به يستغني عن الطلب وهو اشراق الانوار في قلبه وازالة الاغيار عن سره وايناسه له وهدايته اياه وهذه الاربعة مطالب متضمنة لاسنى الرغائب ﴿(ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك) قد تقدم غير ما مرة ان ما سوى الله تعالى عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المحقق انما هو الله عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما قاله المؤلف رحمه الله تعالى هنا وكان حقا الامر فيه قال ابو علي الروذباري رضي الله عنه سألني ابو بكر الدقاق رضي الله عنه فقال لي يا ابا علي لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة فقلت لانهم يستغنون

بالمعطي

(أنت الذي أشرقت الأنوار) أي المعارف والأسرار (في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار) أي المكونات والتعلق بها (من قلوب أحبابك) حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك) وهم أولياؤك وهذا من عطف السبب على المسبب لأن زوال الأغيار سبب في شروق الأنوار (أنت المؤنس لهم) أي المدخل للسرور على قلوبهم بجمالك (حيث أوحشتهم العوالم) التي كانوا يألفونها وتتعلق قلوبهم بها من أصحاب وأولاد وأموال وغير ذلك فان من حصل له أدنى شيء من شهود الحق وتوحيده لم يستوحش لشيء من ذلك بل يغيب عنه ولم يستأنس بشيء منه بل يقر عينه بقلبه (وأنت الذي هديتهم) بنورك (حتى استبانت) أي ظهرت (لهم المعالم) أي طرق الحق التي سلكها عارفوك وذلك يكون الابتداء بفضلك (ماذا وجد من فقدك) أي فقد شهودك لم يشهد الأذوات المكونات هذا كناية عن كونه لم يجد شيئا حقيرا (وما الذي فقد من وجدك) أي لم يفقد شيئا بل حصل غاية المقصود حيث كنت سمعه وبصره وجميع قواه

(لقد خاب من رضي دونك بدلا) كالشهوات واللذات الدنيوية والاخروية فقد رؤي الشبلي في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك قال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي الا على شيء واحد قلت يوما لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال وأي خسارة أعظم من خسران لقائي (ولقد خسر من بغى عنك متحولا) أي طلب التحول عن حضرتك الى التعلق بغيرك كالكرامات والمكاشفات فقد تقدم ان هذا شبيه بمن طلب منه الملك أن يكون جليسه فلم يرض الا بسياسة الدواب (الهي كيف يرجى سوالك) أي يتعلق القلب بالطلب منه (وأنت ما قطعت الاحسان) بل احسانك دائم مستمر (وكيف يطلب من غيرك) أي يتوجه اليه بالطلب (وأنت ما بدلت عادة الامتنان) أي عادة هي الامتنان أي ١٢١ الاحسان (يا من أذاق أحبابه حلاوة مؤانسته) المؤانسة سرور القلب بشهود جمال المحبوب شبه بشيء له حلاوة وهي تخييل والاذاقة ترشيح (فقاموا بين يديه متملقين) التملق هو التلطف في التودد كأن يقول الانسان حفظك الله سترك الله وهو هنا كناية عن الطلب من المولى بذلة وانكسار وترتبه على ذوقهم حلاوة مؤانسته بين (ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته) أي ملابس هي هيبته أو هيبته الشبيهة بالملابس الحسية والمراد بالهيبة الجلالة والعظمة التي كساها الله لاوليائه فكل من رآهم حصل له رعب منهم كأنهم أسود (فقاموا بعزته مستعزين) أي قاموا بين يديه مستعزين بعزته بأن رفعوا هممهم عن تعلقها بالاغيار تيها وتكبرا عليها وثقة منهم به وذلك لما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه (أنت الذاكر من قبل

١٦ عبا ني الذاكرين) أي أنت الذي ذكرتهم بالاحسان اليهم في الازل بان تعلقت ارادتك بوجودهم فيما لا يزال فهذا ذكره لعباده قبل ذكرهم له ويحتمل أن يراد بذكره لهم توفيقه لهم لذكره اذ لولاه ما ذكروه وقوله (وأنت البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين) يرجع لما قبله وكذا قوله (وأنت الجواد) أي المحسن (بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب) أي كثير الهبة أي الاعطاء للعطايا كالاعمال الصالحة والاحوال السنية (ثم أنت لما وهبتنا) أي للشيء الذي وهبته لنا (من المستقرضين) كأنك قلت أقرضوني هنا أعطكم بدله في الدار الآخرة قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا واستقراضه تعالى من عبده ما وهبه له في غاية تلطفه به واعلائه لقدره وفيه اشارة الى ان احسانه تعالى واعطاءه ليس مشوبا بالعلل

بالمعطي عن العطاء فقال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات أفدني ما وقع لك فقال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذا الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذا الله وجودهم * وكان أبو حمزة البغدادي رضي الله عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم أني من أفقر خلقك اليك فان كنت تعلم ان فقري اليك بمعنى هو غيرك فلا تسد فقري * (لقد خاب من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا) هذا بين وهو مبني على ما تقدم الآن من الكلام رؤي الشبلي رضي الله عنه في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي الا على شيء واحد قلت يوما لا خسارة أعظم من خسارة الجنة ودخول النار فقال وأي خسارة أعظم من خسران لقائي وفي معناه أنشدوا

سهر العيون لغير وجهك باطل * وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وقال بعضهم كان عندنا رجل مكث عندنا ثلاث عشرة سنة يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استأنست بسوالك ثم يسكت الى المغرب * (الهي كيف يرجى سوالك وأنت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان) هذا تعجب ممن كان على هذا الوصف وهو أعجب من كل عجيب والمعنى في ذلك بين * (يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين) التملق هو التلطف في التودد وترتبه على ذوقهم حلاوة مؤانسته بين * (ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين) استعزازهم بعزته هو رفع هممهم عن تعلقها بغير الله تعالى تيها وتكبرا عليها وثقة منهم به وذلك لما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه ولذلك قالوا المعرفة حقر الاقدار سوى قدره ومحو الاذكار سوى ذكره وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين وقيل في معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بأن يكون لك بك معك بين يديك * (أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين) الحق تعالى له الاولية

فيما ذكر كما ذكر قال أبو يزيد رضي الله عنه غلطت في ابتداء أمري في أربعة أشياء توهمت اني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي أول حتى طلبته فاذا كانت له الاولية في ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه * ومما وافق ما ذكره المؤلف ما حكي عن الجنيد رضي الله عنه أنه كان يقول في مناجاته يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادئ العارفين بما به عرفوه ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك الا باذنك من ذا الذي يذكرك الا بفضلك واستقراض الرب من عبده ما وهبه له غاية في ترفيعه لقدره وابانة لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية في اكرامه له وتفضله عليه * قال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك لتثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافا بين فيه ان نعمه وعطاياه بعيد تان أن يكونا مشوبتين بالعلل * (الهي اطلبني برحمتك حتى أصل اليك واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك) لا سبيل للعبد الى وصوله الى الله تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه أن يطلبه بها ولا يتأتى له الاقبال عليه الا بمنته فلذلك طلب منه أن يجذبه اليه بها وذلك لتحقق الاولية التي ذكرناها من قبل * (الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفي لا يزايلني وان أطعتك) الخوف والرجاء حالان يتعاقبان على قلب العبد واعتدالهما واستواؤهما هو المطلوب سواء كان العبد في طاعة أو في معصية وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطائر وهذا من أعلى مشاهدة العارفين والاولياء وذلك لان منشأهما عندهم انما هو شهود الصفات المخوفة والمرجوة وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها فكذلك مشاهدتها لا تفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت كانت مشاهدة ناقصة وأحوالا معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع عمل العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكاب المعصية كما وصف به المؤلف نفسه * قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني أجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ومن دعاء سيدي أبي العباس رضي الله عنه الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف أرى احساني مع احسانك أم كيف أجهل فضلك مع عصياني ومن كلامه أيضا رضي الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله وأهل الله اذا خوفوا

رجوا

(الهي اطلبني) الى القرب منك (برحمتك) أي احسانك (حتى اصل اليك) فانه لا سبيل الى الوصول اليك الا برحمتك لا باعمالي المدخولة والطلب ان كان من الاعلى كالسلطان لم يحصل في الوصول مشقة بخلاف ما اذا كان من الادنى (واجذبني بمنتك) أي احسانك فلا يبقى لي قدرة على الامتناع (حتى أقبل عليك) وهو بمعنى ما قبله (الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك) لمعرفتي انك المبتدئ بالاحسان ومن هو كذلك يرجى خيره ولو مع المعصية (كما أن خوفي لا يزايلني) أي لا يفارقني (وان أطعتك) لعلمي بانك الفعال لما تريد فالطاعة لا تقتضي رفع سخطك و العقاب خصوصا وهي مدخولة معلولة ومنشأ اعتدال الخوف والرجاء عند العارفين شهود الصفات المخوفة والمرجوة فكما ان صفاته تعالى لا تفاوت فيها كذلك شهودها لا تفاوت فيه فان وقع فيه تفاوت كان شهودا ناقصا فلذا يتصور عندهم كمال الخوف مع العمل بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكاب المعصية كما وصف به المصنف

نفسه

(الهي قد دفعتني العوالم اليك) وذلك اني اذا توجهت الى أحد ليعطيني أو ينصرني يقول لي لا معطي الا الله ولا ناصر الا هو ويحتمل أن يراد بالعوالم جميع ما سوى الله فاذا ظهرت لي كرامة وكشف لي عن شيء من الكون وأردت أن أقف عنده تقول لي حقيقته لا تتعلق بي بل تعلق بمولاك وكذا ان خاطبتني الجمادات وأردت أن أقف عند ذلك تقول لي حقيقتها لا تتعلق بي بل تعلق بمولاك فكل شيء يدفعني اليك (وقد أوقفني علمي بكرمك عليك) أي على بابك فالحامل لي على وقوفي ببابك علمي بكرمك والكريم لا تتخطاه آمال المؤملين ولا يتوجه نحو سواه طلب الطالبين (الهي كيف أخيب) أي يحصل لي خيبة وعدم ظفر بالمطلوب (وأنت املي) أي الذي أملت العطاء منه لان عادتك الاحسان (أم كيف اهان) أي يحصل لي هوان وذل (وعليك متكلي) أي اتكالي واعتمادي (الهي كيف استعز) أي يحصل لي عز في نفسي (وأنت في الذلة أركزتني) أي أقمتني في الذلة وجعلتها مركزا ومكانا لي لا أفارقها (أم كيف لا استعز) اي يحصل لي عز بك (واليك نسبتني) اي وقد نسبتني اليك نسبة خاصة بافاضة الانوار على ظاهري وباطني حتى صار كل من رآني يقول هذا ولي الله فانا ذليل من وجه عزيز من آخر (أم كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني) فهو صفة لازمة لي ومن لازمه الذلة فيرجع لما قبله (ام كيف أفتقر وأنت الذي بجودك) أي بشهودك وفي بعض النسخ بجودك اي احسانك الي بالشهود فيرجع لما قبله (أغنيتني) حتى حصل لي عز بك فالافتقار يرجع للذلة والاستغناء للعزة وتلونه في هذه الاوصاف المتضادة بحسب الظاهر عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة هنا هي ذلة الخليقة والعبودية والنسبة التي أشار اليها هي سر الخصوصية كما تقرر (أنت الذي لا اله غيرك) يعبد أو يستند اليه في شيء (تعرفت لكل شيء) اي جعلت نفسك معروفا لكل شيء بما أودعته فيه من النور الذي عرفك به (فما جهلك شيء) بل صار كل شيء يعرفك (وأنت الذي تعرفت الي في كل شيء) بأن اودعت في نورا (فرأيتك ظاهرا في كل شيء) بسبب ذلك النور (فأنت الظاهر لكل شيء) مفرع على ما قبله (يامن استوى) أي استولى (برحمانيته) اي برحمته (على عرشه) فصار العرش تحت حكمه وقهره كاستيلاء السلطان بجنوده على أهل بلده فشبه المولى بسلطان ورحمته بالجنود وعرشه باهل القرية (فصار العرش

رجوا علما منهم ان من وراء خوفهم وما به خوفوا أوصاف المرجو الذي لا ينبغي أن يقنط من رحمته ولا أن ييأس من منته فاستدلوا على أوصاف كرمه علما منهم أنه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا يخافون غيب مشيئته الذي هو من وراء رجائهم وخافوا أن يكون ما أظهر من الرجاء اختبارا لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ الى خوف ما بطن في مشيئته فلذلك آثار الرجاء خوفهم * (الهي قد دفعتني العوالم اليك) انما دفعته العوالم اليه لما تضمنته من السمات الموحشة كما تقدم ولقد أحسن من قال لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا المعنى أنشدوا

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت * بمنظر حسن مذ غبت عن عيني

(وقد أوقفني علمي بكرمك عليك) اذ الكريم لا تتخطاه آمال المؤملين ولا يتوجه نحو سواه طلب الطالبين * (الهي كيف أخيب وأنت أملي أم كيف أهان وعليك متكلي) لما تعلق بالله تعالى وتوكل عليه استبعد أن يخيب أمله أو يناله هوان يؤوده تحمله * (الهي كيف استعز وأنت في الذلة أركزتني أم كيف لا أستعز واليك نسبتني أم كيف لا افتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك أغنيتني) تلونه في هذه الاوصاف المتضادة لما يغلب عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة هنا هي ذلة الخليقة والعبودية والنسبة التي أشار اليها هي سر الخصوصية والافتقار بمعنى الذلة والاستغناء بمعنى العزة قال بعضهم رأيت ذل كل ذي ذل فزاد ذلي على ذلهم ونظرت في عز كل ذي عز فزاد عزي على عزهم وقال الشبلي رضي الله عنه لقد ذللت حتى عز في ذلي كل ذي ذل وعززت حتى ما تعزز أحد الا بي وعني به تعززت (أنت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وأنت الذي تعرفت الي في كل شيء فرأيتك ظاهرا في كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء) هذا كله قد تقدم معناه ولفظه في كلام المؤلف على غاية الكمال والتمام والحاصل منه أن الظهور التام لله تعالى بكل اعتبار ثم انه عبر هنا عن ذلك بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله * (يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش

بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول المتوسل الى الله بالجاه الفاروقى ابراهيم عبد الغفار الدسوقى خادم التصحيح بدار الطباعة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة

تم بعون الله واهب الفضل والنعم طبع شرح ابن عباد على متن الحكم وهو احسن شرح يجذب الطباع ويقضى لؤلفه بكثرة الاطلاع يأخذ بالعقول اخذا نبه الزرجون حرى بان يكتب بماء العيون مطرز هامشه الفاوى بشرح العلامة أبى حامد الشرقاوى على ذمة الملتجى الى مولاه الغنى الحاج أبى طالب بن عبد الله اليمنى بدار الطباعة العامرة ذات التحريرات الباهرة المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظلال من تعطرت بثنائه الافواه وبلغ من كل وصف جميل منتهاه وارث الملوك الاماجد وسلالة السراة الصناديد الجامع بين طارف المجد وتالده والمسند أحاديث المجد رواية عن جده ووالده ذى الحلم الذى تستخف لديه الاطواد والمآثر التى لا يفى بها التعداد من ذلل بهممه الصعاب وذلت بمننه الرقاب عزيز الديار المصرية وحامى حمى حوزتها السنية صاحب المآثر والفخر الجلى جناب الخديوى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على متع الله الوجود بطول وجوده ولا زالت منهلة على رعاياه سحائب كرمه وجوده وكان طبعه مشمولا بادارة ذى المضاء والالمعية والفطنة الحاذقة الذكية من هو لصعاب الامور مذلل

سعادة حسين بك حسنى ونظارة من عليه احاسن اخلاقه تثنى

حضرة محمد افندى حسنى وملاحظة ذى الرأى السديد

ابى الفتح افندى احمد وكان تمام طبعه

وانتهاء نفعه فى شهر رجب الاصم سنة

تسعين والف ومائتين من هجرة سيد

العرب والعجم عليه وعلى آله

افضل الصلاة واتم السلام

ما لاح بدر تمام

آمين

تم

DUE DATE